مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

شرح نهج البلاغة

تأليف

كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم

البحراني

المجلد الاول

منشورات

دار الثقلين

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

شرح نهج البلاغه (ابن میثم)

کاتب:

کمال الدین میثم بن علی بن میثم ابن میثم بحرانی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار الثقلین

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

شرح نهج البلاغه (ابن میثم) المجلد ۱ ----- ۱۹

اشاره ----- ۱۹

مقدمه المؤلف ----- ۱۹

القاعده الاولى فى مباحث الألفاظ ----- ۲۴

اشاره ----- ۲۴

القسم الأوّل فى دلاله الألفاظ و أقسامها و أحكامها ----- ۲۴

اشاره ----- ۲۴

الفصل الأوّل فى دلاله اللفظ على المعنى ----- ۲۴

اشاره ----- ۲۴

البحث الأوّل:دلاله اللفظ إمّا على تمام مسمّاه أو على جزء مسمّاه ----- ۲۴

البحث الثانى الدلاله الاولى هى الّتى بحسب الوضع الصرف ----- ۲۴

البحث الثالث ظهر ممّا ذكرنا أنّه يعتبر فى الدلاله التضمنيه ----- ۲۶

البحث الرابع دلاله الحقيقيّه هى الدلاله الوضعيّه الصرفه ----- ۲۶

الفصل الثانى فى تقسيم الألفاظ و فيه أبحاث. ----- ۲۷

البحث الأوّل اللفظ إمّا أن لا يراد بالجزء منه دلاله أصلا على شىء ----- ۲۷

البحث الثانى اللفظ المفرد إمّا أن يكون نفس تصوّر معناه ----- ۲۷

البحث الثالث الكلى إمّا أن يدلّ على ماهيّه شىء ----- ۲۷

البحث الرابع اللفظ و المعنى إمّا أن يتحدّا أو يتكثّرا ----- ۲۸

البحث الخامس اللفظ المفرد إمّا أن لا يستقلّ معناه بالمفهوميّه ----- ۳۰

البحث السادس اللفظ المركّب إمّا أن يكون قابلا للتصديق و التكذيب ----- ۳۰

البحث السابع اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا أو مركّبا ----- ۳۰

البحث الثامن اللفظ المفرد إذا دلّ بالالتزام على معنى ----- ۳۰

الفصل الثالث فى الاشتقاق و فيه أبحاث. ----- ۳۱

البحث الأوّل فى حقيقه الاشتقاق ---- ٣١
البحث الثانى اختلف الناس فى أنّه هل يجوز صدق المشتقّ منفكّا ---- ٣١
البحث الثالث اختلفوا أيضا فى أنّه هل يشترط فى صدق المشتقّ ---- ٣٢
البحث الرابع اختلفوا أيضا فى أنّ المعنى القائم بالمحلّ ---- ٣٣
البحث الخامس مفهوم المشتقّ كالماشى مثلا إنّه شىء ما ذو مشى ---- ٣٣
الفصل الرابع فى الترادف و التوكيد ---- ٣٣
اشاره ---- ٣٣
البحث الأوّل فى ماهيّتهما ---- ٣٣
البحث الثانى فى أسباب الترادف ---- ٣٣
البحث الثالث أنّه هل يصحّ إقامه كلّ واحد من المترادفين مقام الآخر ---- ٣٥
البحث الرابع فى أقسام التوكيد المؤكّد ---- ٣٥
البحث الخامس فى حسن استعماله ---- ٣٥
الفصل الخامس فى المشترک ---- ٣٦
اشاره ---- ٣٦
البحث الأوّل فى حقيقته و إمكانه و وجوده ---- ٣٦
البحث الثانى فى أقسامه مفهوما ---- ٣٦
البحث الثالث فى أسبابه ---- ٣٧
البحث الرابع فى أنّه هل يجوز استعمال اللفظ المشترک فى معانيه على الجمع ---- ٣٧
البحث الخامس فيما يتعيّن به مراد اللافظ باللفظ المشترک. ---- ٣٩
القسم الثانى فى كيفيّات تلحق الألفاظ بالنسبه إلى معانيها ---- ٣٩
اشاره ---- ٣٩
أمّا المقدّمه ---- ٣٩
اشاره ---- ٣٩
البحث الأوّل فى حدّ البلاغه و الفصاحه ---- ٣٩
البحث الثانى فى موضوع علم الفصاحه و البلاغه ---- ٤٠
الجمله الاولى فى المفردات ---- ٤١

اشاره ----- ۴۱

أمّا المقدّمه ----- ۴۲

الباب الأوّل فی المحاسن العائده إلی اللفظ ----- ۴۲

الفصل الأوّل فیما یتعلّق بآحاد الحروف و ترکیبها ----- ۴۲

البحث الأوّل فی مخارج الحروف و هی ستّه عشر ----- ۴۲

البحث الثانی فی المحاسن بسبب آحاد الحروف و شروط ترکیبها ----- ۴۳

البحث الثالث فیما یتعلّق بالکلمه الواحده ----- ۴۴

الفصل الثانی فیما یتعلّق بالکلمات المرکّبه ----- ۴۴

النوع الأوّل ما یکفی فی تحقّقه اعتبار حال کلمتین ----- ۴۴

البحث الأوّل فی التجنیس: ----- ۴۴

البحث الثانی فی الاشتقاق ----- ۴۶

البحث الثالث فی ردّ العجز علی الصدر ----- ۴۶

البحث الرابع فی القلب ----- ۴۸

النوع الثانی ما یحتاج إلی أزید من کلمتین ----- ۴۸

البحث الأوّل فی السجع ----- ۴۹

البحث الثانی فی تضمین المزدوج ----- ۵۰

البحث الثالث فی الترصیع ----- ۵۰

الباب الثانی فیما یتعلّق بالدلاله الوضعیّه و المعنویّه ----- ۵۰

الفصل الأوّل فی أحکام الخبر ----- ۵۰

البحث الأوّل فی رسم الخبر ----- ۵۱

البحث الثانی أنّه لیس الغرض الأوّل من وضع الألفاظ المفرده ----- ۵۱

البحث الثالث فی الفرق بین الإخبار بالاسم و الإخبار بالفعل ----- ۵۲

البحث الرابع فی حکم المبتدأ و الخبر: ----- ۵۲

الفصل الثانی فی الحقیقه و المجاز ----- ۵۳

البحث الأوّل فی معنی الحقیقه و المجاز و حدّهما. ----- ۵۳

البحث الثانی فیما به یتحقّق المجاز لا بدّ فیه من أمرین ----- ۵۳

البحث الثالث فى أقسام المجاز: ---------- ۵۳
البحث الرابع فى أصناف المجاز ---------- ۵۴
البحث الخامس المجاز بالذات لا يدخل إلاّ على أسماء الأجناس ---------- ۵۵
البحث السادس فى الداعى إلى التكلّم بالمجاز: ---------- ۵۵
البحث السابع-فيما تنفصل به الحقيقه عن المجاز. ---------- ۵۶
الفصل الثالث فى التشبيه ---------- ۵۷
الركن الأوّل-فى المتشابهين. ---------- ۵۷
الركن الثانى فيما به التشبيه ---------- ۵۸
البحث الأوّل فى أقسامه ---------- ۵۸
البحث الثانى فى تقسيمه بوجه آخر ---------- ۵۸
البحث الثالث فى بيان أنّ التشبيه بالوجه العقلى أعمّ ---------- ۵۹
البحث الرابع-التشبيه بالوصف المحسوس أتمّ من التشبيه بالوصف المعقول ---------- ۵۹
البحث الخامس فى تقسيم ما به المشابهه إلى المفرد و المركّب: ---------- ۶۰
البحث السادس فى التشبيهات المتعدده المجتمعه ---------- ۶۱
البحث السابع-يجب مراعاه جهه التشبيه و لا يجوز تعدّيها ---------- ۶۱
البحث الثامن فى اكتساب وجه المشابهه ---------- ۶۱
الركن الثالث فى غرض التشبيه ---------- ۶۲
الركن الرابع فى التشبيه نفسه ---------- ۶۳
البحث الأوّل-التشبيه ليس من المجاز ---------- ۶۳
البحث الثانى فى التشبيه الذّى يصحّ عكسه ---------- ۶۳
البحث الثالث فى التشبيه الواقع فى الهيئات ---------- ۶۳
البحث الرابع فى مراتب التشبيه فى الخفاء و الظهور: ---------- ۶۴
البحث الخامس فى التمثيل و المثل: ---------- ۶۴
الفصل الرابع فى الاستعاره ---------- ۶۵
الركن الأوّل فى حقيقتها و أحكامها ---------- ۶۵
البحث الأوّل-أجود ما قيل فى حدّ الاستعاره ---------- ۶۵

البحث الثانی الفرق بین الاستعاره و التشبیه: ----- ۶۵
البحث الثالث فی ترشیح الاستعاره و تجریدها ----- ۶۶
البحث الرابع فی الاستعاره بالکنایه و تنزیلها منزله الحقیقه ----- ۶۶
البحث الخامس فی شرط حسن الاستعاره ----- ۶۷
الرکن الثانی فی أقسام الاستعاره ----- ۶۷
البحث الأوّل الاستعاره-قد تعتمد نفس التشبیه ----- ۶۷
البحث الثانی و اعلم أنّ القسم الأوّل علی أربعه أقسام ----- ۶۸
الفصل الخامس فی الکنایه ----- ۶۹
البحث الأوّل فی حقیقتها: ----- ۶۹
البحث الثانی فی الفرق بینها و بین المجاز: ----- ۶۹
الجمله الثانیه فی النظم ----- ۷۰
اشاره ----- ۷۰
الفصل الأوّل فی حقیقته ----- ۷۰
الفصل الثانی فی أقسام النظم ----- ۷۰
الفصل الثالث فی التقدیم و التأخیر ----- ۷۴
البحث الأوّل فی فائدتهما ----- ۷۴
البحث الثانی فی التقدیم و التأخیر فی الاستفهام: ----- ۷۴
البحث الثالث فی التقدیم و التأخیر فی حرف النفی: ----- ۷۵
البحث الرابع فی التقدیم و التأخیر فی الخبر المثبت و المنفیّ: ----- ۷۵
البحث الخامس فی تقدیم حرف السلب علی العموم و تأخّره عنه: ----- ۷۵
البحث السادس فی استیفاء أقسام التقدیم و التأخیر: ----- ۷۶
الفصل الرابع فی الفصل و الوصل ----- ۷۸
البحث الاول-فائده العطف التشریک فی الحکم بین المعطوف و المعطوف علیه ----- ۷۸
البحث الثانی فی عطف الجمل علی الجمل ----- ۷۹
الفصل الخامس فی الحذف و الإضمار ----- ۷۹
البحث الأوّل فی حذف المفعول و المبتدأ و الخبر ----- ۷۹

البحث الثانی فی الإیجاز ---------- ۸۰
الفصل الثالث فی أحکام إنّ و إنّما و ما فی حکمها ---------- ۸۰
البحث الأوّل فی فوائد إنّ ---------- ۸۰
البحث الثانی فی فائده إنّما ---------- ۸۱
البحث الثالث-إنّ ما و إلاّ إذا دخلت علی الجمله ---------- ۸۲
القاعده الثانیه فی الخطابه ---------- ۸۳
اشاره ---------- ۸۳
البحث الأوّل فی حقیقه الخطابه و فائدتها ---------- ۸۳
البحث الثانی فی موضع الخطابه و أجزائها ---------- ۸۴
البحث الثالث فی مبادئ الخطابه: ---------- ۸۵
البحث الرابع فی أقسام الخطابه بحسب أقسام أغراضها: ---------- ۸۸
البحث الخامس فی أنواع مشترکه للأمور الخطابیّه الثلاثه: ---------- ۹۱
البحث السادس فی تحسینات الخطابه: ---------- ۹۴
خاتمه لهذه القاعده: ---------- ۹۶
القاعده الثالثه فی بیان أنّ علیّا علیه السّلام کان مستجمعا للفضائل ---------- ۹۸
اشاره ---------- ۹۸
الفصل الأوّل فی فضائله اللاحقه له من خارج ---------- ۹۸
الفصل الثانی فی بیان فضائله النفسانیّه ---------- ۱۰۲
اشاره ---------- ۱۰۲
البحث الأوّل فی أنّه علیه السّلام کان مستجمعا لکمال قوّته النظریّه ---------- ۱۰۲
البحث الثانی فی بیان کماله فی قوّته العلمیّه ---------- ۱۰۳
الفصل الثالث فی صدور الکرامات عنه ---------- ۱۰۴
اشاره ---------- ۱۰۴
البحث الأوّل فی إخباره عن الامور الغیبیّه ---------- ۱۰۵
البحث الثانی فی بیان صدور الأفعال الخارقه للعاده عنه ---------- ۱۰۸
خطبه الکتاب ---------- ۱۱۲

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السّلام ---- ۱۲۹
اشاره ---- ۱۲۹
۱-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۱۲۹
اشاره ---- ۱۲۹
الفصل الاول فی تصدیرها بذکر اللّه جلّ جلاله و تمجیده و الثناء علیه بما هو أهله ---- ۱۲۹
اشاره ---- ۱۲۹
قوله الّذی لا یبلغ مدحته القائلون . ---- ۱۳۳
قوله و لا یحصی نعماؤه العادّون . ---- ۱۳۴
قوله و لا یؤدّی حقّه المجتهدون. ---- ۱۳۶
قوله الّذی لا یدرکه بعد الهمم و لا یناله غوص الفطن. ---- ۱۳۷
قوله الّذی لیس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود. ---- ۱۳۸
قوله و لا وقت معدود و لا أجل ممدود. ---- ۱۳۸
قوله الّذی فطر الخلائق بقدرته و نشر الریاح برحمته . ---- ۱۳۹
قوله و وتد بالصخور میدان أرضه. ---- ۱۴۰
اشاره ---- ۱۴۰
البحث الأوّل فی أنّ قول القائل وتدت کذا بکذا ---- ۱۴۰
البحث الثانی أنّ تعلیل وجود الجبال بمیدان الأرض ---- ۱۴۰
الوجه الأوّل ---- ۱۴۱
الوجه الثانی ما ذکره هو ---- ۱۴۱
الوجه الثالث أن نقول: ---- ۱۴۱
الوجه الرابع قال بعض العلماء: ---- ۱۴۲
الوجه الخامس ---- ۱۴۲
قوله أوّل الدین معرفته. ---- ۱۴۲
قوله و کمال معرفته التصدیق إلی قوله نفی الصفات عنه. ---- ۱۴۳
قوله و من أشار إلیه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه. ---- ۱۴۷
قوله و من قال فیم فقد ضمّنه و من قال علام فقد أخلی منه. ---- ۱۴۸

قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم. ----- ۱۵۰
قوله مع كلّ شیء لا بمقارنه و غیر كلّ شیء لا بمزائله. ----- ۱۵۱
قوله فاعل لا بمعنی الحركات و الآله. ----- ۱۵۱
قوله بصیر إذ لا منظور إلیه من خلقه. ----- ۱۵۲
قوله متوحّد إذ لا سكن یستأنس به و لا یستوحش لفقده. ----- ۱۵۳
الفصل الثانی فی نسبه إیجاد العالم إلی قدره اللّه تعالی جملا و تفصیلا و فی كیفیّه ----- ۱۵۳
اشاره ----- ۱۵۳
اللغه ----- ۱۵۵
و لنرجع إلی المعنی ----- ۱۵۷
اشاره ----- ۱۵۷
أنشأ الخلق إنشاء و ابتدئه ابتداء ----- ۱۵۷
قوله بلا رویّه أجالها و لا تجربه استفادها و لا حركه أحدثها و لا همامه نفس اضطرب فیها. ----- ۱۵۷
قوله أحال الأشیاء لأوقاتها و لائم بین مختلفاتها و غرّز غرائزها و ألزمها أشباحها. ----- ۱۵۸
قوله عالما بها قبل ابتدائها محیطا بحدودها و انتهائها عارفا بقرائنها و أحنائها. ----- ۱۵۹
قوله ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء إلی قوله فسوّی منه سبع سماوات ----- ۱۶۱
البحث الأوّل ----- ۱۶۱
البحث الثانی- أنّ هذه الإشاره وردت فی القرآن الكریم ----- ۱۶۱
البحث الثالث-قوله و أدام مربّها ----- ۱۶۳
البحث الرابع أنّ القرآن الكریم نطق بأنّ السماء تكوّنت من الدخان ----- ۱۶۴
البحث الخامس ----- ۱۶۵
الوجه الأوّل ----- ۱۶۵
الوجه الثانی ----- ۱۶۸
قوله جعل سفلاهنّ مفوفا إلی قوله و سقف سائر و رقیم مائر. ----- ۱۶۹
البحث الأوّل-هذا الكلام یجری مجری الشرح و التفسیر لقوله فسوّی ----- ۱۶۹
البحث الثانی-فی هذا الفصل استعارات: ----- ۱۷۰
البحث الثالث- ----- ۱۷۲

البحث الرابع-الشرع و البرهان قد تطابقا على أنّ هاهنا تسع أفلاک بعضها فوق ----- ۱۷۳

قوله ثمّ فتق ما بين السماوات و العلى إلى قوله و لا يشيرون إليه بالنظائر ----- ۱۷۶

البحث الأوّل-هذا الفصل أيضا من تمام التفسير ----- ۱۷۶

البحث الثانى ----- ۱۷۷

البحث الثالث-الملائكه على أنواع كثيره و مراتب متفاوته ----- ۱۷۸

البحث الرابع-أنّه عليه السّلام ذكر من الملائكه أنواعا ----- ۱۸۳

الفصل الثالث فى كيفيّه خلق آدم عليه السلام. ----- ۱۹۱

اشاره ----- ۱۹۱

قوله ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض إلى قوله و تناسل ----- ۱۹۳

اشاره ----- ۱۹۳

اللغه ----- ۱۹۳

للناس فى هذه القصّه ----- ۱۹۴

الطريق الأوّل-أنّ جمهور المسلمين من المفسّرين و المتكلّمين حملوا هذه القصه على ----- ۱۹۴

البحث الأوّل-أنّ هذه قد كرّرها سبحانه فى كتابه الكريم فى سبع سور ----- ۱۹۴

البحث الثانى-أنّ اللّه تعالى أشار فى مواضع من كتابه الكريم إلى خلق آدم من تراب ----- ۱۹۵

البحث الثالث أجمع المسلمون على أنّ سجود الملائكه لآدم لم يكن سجوده عباده ----- ۱۹۶

البحث الرابع-اختلفوا فى الملائكه الّذين امروا بالسجود لآدم ----- ۱۹۶

البحث الخامس-أكثر المتكلّمين لا سيّما المعتزله على أنّ إبليس لم يكن من ----- ۱۹۷

البحث السادس-اختلفوا فى سبب عداوه إبليس لآدم ----- ۱۹۷

البحث السابع-احتجّت الأشعريّه على أنّه تعالى قدير أن يلق الكفر فى الكافرين ----- ۱۹۸

البحث الثامن ----- ۱۹۹

البحث التاسع-فى حقيقه التوبه ----- ۲۰۰

البحث العاشر-فيما عساه يبقى من المقاصد المشكله فى هذه القصّه. ----- ۲۰۱

الطريق الثانى و اعلم أنّ ----- ۲۰۲

المقدّمه ----- ۲۰۲

المقدّمه الثانيه قد علمت أنّ الملک عندهم اسم مشترک يقع على حقائق مختلفه ----- ۲۰۷

المقدّمه الثالثه-قالوا:كلّ ما يتوالد فلا يستحيل فى أصله أن يكون متولّدا ----- ۲۰۸
الفصل الرابع قوله و اصطفى سبحانه... ----- ۲۲۱
اشاره ----- ۲۲۱
اللغه ----- ۲۲۳
المعنى ----- ۲۲۳
و ----- ۲۲۳
البحث الأوّل ----- ۲۲۳
البحث الثانى-فى فضيله الكتاب ----- ۲۳۱
البحث الثالث-فى وظائفه ----- ۲۳۲
قوله و خلّف فيكم ما خلّف الأنبياء فى اممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح و لا علم قائم ----- ۲۴۱
قوله كتاب ربّكم ----- ۲۴۱
قوله:مبيّنا ----- ۲۴۲
قوله و حلاله و حرامه و فضائله و فرائضه ----- ۲۴۲
و قوله بين مأخوذ ميثاق علمه و موسّع على العباد فى جهله إلى آخره ----- ۲۴۴
الفصل الخامس منها.قوله: فى ذكر الحج ----- ۲۴۵
اشاره ----- ۲۴۵
اللغه ----- ۲۴۶
المعنى ----- ۲۴۶
اشاره ----- ۲۴۶
هاهنا أبحاث. ----- ۲۴۶
البحث الأوّل-أمّا الفضيله ----- ۲۴۶
البحث الثانى-فى الآداب الدقيقه ----- ۲۴۷
البحث الثالث-فى الوظائف القلبيّه عند كلّ عمل من أعمال الحجّ. ----- ۲۴۹
۲-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۲۵۸
اشاره ----- ۲۵۸
القسم الأول ----- ۲۵۸

اشاره ----- ۲۵۸
اللغه ----- ۲۵۹
المعنی ----- ۲۵۹
القسم الثانی و منها یعنی آل النبی علیه الصلاه و السّلام ----- ۲۶۸
اشاره ----- ۲۶۸
اللغه ----- ۲۶۸
المعنی ----- ۲۶۸
القسم الثالث و منها یعنی قوما آخرین: ----- ۲۶۹
اشاره ----- ۲۶۹
اللغه ----- ۲۶۹
المعنی ----- ۲۶۹
۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۷۲
اشاره ----- ۲۷۲
اللغه ----- ۲۷۶
المعنی ----- ۲۷۷
۴-و من خطبه له علیه السلام ----- ۲۹۳
اشاره ----- ۲۹۳
اللغه ----- ۲۹۳
المعنی ----- ۲۹۴
۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۹۹
اشاره ----- ۲۹۹
اللغه ----- ۳۰۰
المعنی ----- ۳۰۰
۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۰۳
اشاره ----- ۳۰۳
اللغه ----- ۳۰۴

المعنی ----- ۳۰۴
۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۰۴
اشاره ----- ۳۰۴
اللغه ----- ۳۰۵
المعنی ----- ۳۰۵
۸-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۰۶
اشاره ----- ۳۰۶
اللغه ----- ۳۰۶
المعنی ----- ۳۰۶
۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۰۷
اشاره ----- ۳۰۷
اللغه ----- ۳۰۷
المعنی ----- ۳۰۷
۱۰-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۰۸
اشاره ----- ۳۰۸
اللغه ----- ۳۰۸
المعنی ----- ۳۰۸
۱۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۰۹
اشاره ----- ۳۰۹
اللغه ----- ۳۱۰
المعنی ----- ۳۱۰
۱۲-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۱۱
اشاره ----- ۳۱۱
المعنی ----- ۳۱۱
۱۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۱۲
اشاره ----- ۳۱۲

القسم الأول ----- ۳۱۲
اشاره ----- ۳۱۲
اللغه ----- ۳۱۳
المعنی ----- ۳۱۳
القسم الثانی ----- ۳۱۷
اشاره ----- ۳۱۷
اللغه ----- ۳۱۷
المعنی ----- ۳۱۷
۱۴-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۱۸
اشاره ----- ۳۱۸
اللغه ----- ۳۱۸
۱۵-و من خطبه له علیه السّلام لما بویع بالمدینه ----- ۳۱۹
القسم الأول ----- ۳۱۹
اشاره ----- ۳۱۹
اللغه ----- ۳۲۱
المعنی ----- ۳۲۱
القسم الثانی ----- ۳۲۵
اشاره ----- ۳۲۵
اللغه ----- ۳۲۶
المعنی ----- ۳۲۶
۱۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۳۳
اشاره ----- ۳۳۳
اللغه ----- ۳۳۴
المعنی ----- ۳۳۴
۱۷-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۴۳
اشاره ----- ۳۴۳

اللغه ---------- ۳۴۴

المعنی ---------- ۳۴۴

۱۸-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۳۴۵

اشاره ---------- ۳۴۵

المعنی ---------- ۳۴۶

۱۹-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۳۴۹

اللغه ---------- ۳۴۹

المعنی ---------- ۳۴۹

۲۰-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۳۵۳

اشاره ---------- ۳۵۳

المعنی ---------- ۳۵۳

۲۱-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۳۵۵

اشاره ---------- ۳۵۵

اللغه ---------- ۳۵۶

المعنی ---------- ۳۵۷

الفهرست ---------- ۳۶۲

تعریف مرکز ---------- ۳۷۳

شرح نهج البلاغه (ابن میثم) المجلد ۱

اشاره

سرشناسه:ابن میثم ، میثم بن علی ، ق ۶۸۹ - ۶۳۶

عنوان و نام پدیدآور:شرح نهج البلاغه / تالیف کمال الدین میثم بن علی میثم البحرانی

مشخصات نشر:بیروت : دارالثعلین ، ۱۴۲۰ق. = ۱۹۹۹ م. = ۱۳۷۸.

مشخصات ظاهری:ج ۵

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

عنوان دیگر:نهج البلاغه . شرح

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، ۲۳ قبل از هجرت - ق ۴۰ -- . کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . خطبه ها

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه ، شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ / الف ۲۸۲ ۱۳۷۸

شماره کتابشناسی ملی: م ۸۱-۸۹۸۵

ص:۱

مقدمه المؤلف

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ»

سبحانک اللهمّ و بحمدک توحّدت فی ذاتک فحسر عن إدراکک إنسان کل عارف و تفرّدت فی صفاتک فقصر عن مدحتک لسان کلّ واصف.ظهرت فی بدایع جودک فشهدت بوجوب وجودک حاجه کلّ قائل،و بهرت بعزّ جلالک فالکلّ فی نور جمالک مضمحلّ باطل.أحاط علمک فلم یعزب عنه مثقال ذرّه فی الأرض و لا فی السماء،و تعدّدت آلاؤک فتعدّت أنواعها حدّ التحدید و الإحصاء خلقت الدنیا مضمارا یستعدّ فیه خلقک للسباق إلی حضره قدسک،و أیّدتهم بالرسل لیسلکوا بهم أفضل السبل إلی بساط انسک و یسرّت کلاّ لما خلق له،فبعض لنعمائک منکرون،و عن عبادتک مستکبرون،و بعض بضروب

إحسانک معترفون،و علی باب کعبه جودک معتکفون.سبحانک «أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» .سبحانک عمّا یقول الظالمون و تعالیت عمّا یصفون.

اسبّحک بلسان الحال و المقال بالعشیّ و الإبکار،و أحمدک علی کلّ حال آناء اللیل و أطراف النهار،و أشهد «أَنْ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ» حاذفا کلّ ما سواک عن درجه الاعتبار مخلصا لجلال وجهک فی طوری الإعلان و الإسرار،و أشهد أنّ محمّدا عبدک المختار،و صفوه أنبیاءک الأطهار الّذی بعثته بالأنوار الساطعه،و أیّدته بالبراهین و الحجج القاطعه،و جعلته للعالمین بشیرا و نذیرا و داعیا إلیک بإذنک و سراجا منیرا.اللهمّ فصلّ علیه صلاه دائمه نامیه وافیه کافیه ما تعاقبت الأوقات و دامت الأرض و السماوات،و علی آله الطاهرین المنتجبین ینابیع الحکمه و أساطین الدین،و علی أصحابه الأکرمین،و سلّم علیهم أجمعین.

أمّا بعد فلمّا کان المقصود الأوّل من بعثه الأنبیاء و الرسل بالکتب الإلهیّه و النوامیس الشرعیّه إنّما هو جذب الخلق إلی الواحد الحقّ،و معالجه نفوسهم من داء

الجهل و عشق هذه الدار و إلفاتها إلى حظائر القدس و منازل الأبرار و حمايتها أن تردّ موارد الهلاک إذ كانت من ذلک على خطر،و تشويقها إلى مالا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و تنبيهها من مراقد الطبيعه و نوم الغافلين بتذكير ما اخذ عليها من العهد القديم« «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِی آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَ أَنِ اعْبُدُونِی هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» »۱ثمّ ما يلزم ذلک المقصود من تدبير أحوال المعاش البدنیّ و ساير أسباب البقاء للنوع الإنسانی.و كان إمامنا سيد الوصيّين و أمير المؤمنين ذو الآيات الباهره و الأنوار الظاهره علیّ بن أبی طالب عليه السّلام فی جميع ما ورد عنه من الكلام،و صدر عنه من الأفعال و الأحكام قاصدا لجميع ما تضمّنه الشرع الكريم من الأغراض و المقاصد باسطا لما اشتمل عليه القرآن الحكيم من القوانين و القواعد حتّى لن توجد له كلمه فی غير هذا السبيل كما سنبيّن ذلک عن قليل.و نوضحه بالتفصيل فلا جرم كان كلامه الكلام الّذی عليه مسحه من الكلام الإلهی،و فيه عبقه من الكلام النبوی.و لم يزل كلامه عليه السّلام مبددا فی صدور الرّواه منتشرا فی أيدی المهتدين و الغواه تحاول أعداؤه أن يخفی مشهوره «وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» إلى أن عضد اللّه الإسلام بوجود السيّد الإمام الشريف الرضی محمد بن الحسين الموسوی-قدّس اللّه سرّه،و نوّر ضريحه-فأحيی من كلام جدّه الزفات، و جمع منه ما كان فی حيّز الشتات،و بالغ فی تدوين محاسنه بقدر الاستطاعه،و سمّی مجموعه بنهج البلاغه فجاء الاسم وفق المسمّی،و اللفظ طبق المعنی فجزاه اللّه عن العلماء خير الجزاء،و حباه من وظائف الفضل أجزل الحباء.

ثمّ إنّی لمّا كنت عبدا من عباد اللّه آتانی رحمه من عنده،و ملّكنی قوّه أسلک بها سبيل قصده،و كنت قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب اللّه و كلام رسوله مصباحا أستضیء به فی الظلمات،و سلّما أعرج به إلى طباق السماوات،كنت فی أثناء وقوفی على شیء من أسراره،و اكتحالی بسواطع أنواره أتأسّف على من يعرض عنه جهلا،و أتلهّف لواجد له أهلا إلى أن قضت صروف الزمن بمفارقه الأهل و الوطن،و أوجبت تقلّبات الأيّام دخول دار السلام فوجدتها نزهه للناظر،و آيه للحكيم القادر بانتهاء أحوال

تـدبيرها و إلقـاء مقاليـد امورهـا إلى من خصّه اللّه تعـالى بأشـرف الكمالات الإنسانيّه،و ملّكه ملكات الفضائل النفسانيّه فهو امرء مثلث طبيعته من طينه الفضل حين ينتسب فالعلم و الجود و الشجاعه و الفقه و العدل منه يكتسب نعم هو من رشحه اللّه لاستكفاء امور عباده و بلاده،و جعلها مطاوعه لأزمه قياده فأوامره الغالبه تسـرى فيها مسرى الأرواح فى الأجسام و آراؤه الصايبه تجرى فيها مجرى الصحه بعد السقام الّذى جاز أعلى المناقب ففاز بأسنى المطالب و سما بهمه الثواقب فأمن من غوائل العواقب الّذى بدرت أقمار العلوم بدولته السعيده بعد الأفول فى غيابه الجهاله،و سـطح صـبح الحقّ بطلعته الحميده من افق الضـلاله،و رفع ذيول ظلام الظلم فجر عدله،و أزهرت روض الرغائب بغيض سـحائب فضـله المشـيّد لأركان الإسـلام بعد التداعى للانهدام المجدد من آثار الايمـان مـا محاه طوفـان الطغيان.صـاحب ديوان الممالـك السالـك إلى اللّه أقرب المسالك علاء الحقّ و الـدين عطا ملك بن الصـاحب المعظّم و المولى المكرم الفـائز بلقاء ربّ العالمين،و مجاوره الملائكه المقرّبين،و بهاء الـدنيا و الـدين محمّـد الجوينى ضاعف اللّه جلاله و خلّد إقباله،و حرّس عزّه و كماله،و أيّد فضـله و إفضاله و فسح فى مدّ عمره و أمدّه بتوفيقه و شدّ أزره بدوام عزّ صنوه و شقيقه الّذى فاق ملوك الآفاق بعلوّ القدر،و كمال العزّ و الفخر،و رصانه العلم و الأدب و رزانه العقل و الحسب الّذى ملاء الأسماع بجميل أوصافه،و أفاض أوعيه الأطماع بجزيل ألطافه و أنسى بها طلّ و ابل بذله ما قيل من قبله فى الكرم و أهله.

هو البحر من أىّ النواحى أتيته

فلجّته المعروف و الجود ساحله

تعوّد بسط الكفّ حتّى لو أنّه

ثناها لقبض لم تطعه أنامله

و لو لم يكن فى كفّه غير نفسه

لجاد بها فليتّق اللّه سائله

نعم هـو من جمع اللّه له بين الحكمه و السـلطان،و زاده بسطه فى المرتبه و علـوّ الشـأن ذو النفس القدسـيّه،و الخلافه الإنسـيّه،و الأعراق الزكيّه،و الأخلاق الرضيّه،و الهمم الأبيّه،و المقاصـد السنيّه.مولى ملوك العرب و العجم صاحب ديوان ممالك العالم شمس الحقّ و الـدين غيـاث الإسـلام و المسـلمين محمّـد بـالغه اللّه أقصـى مراتب الكمال،و رزقه بلوغ الآمال فى الحال و المآل فإنّهما لهذه الامّه بدران مشرقان يستضاء بأنوارهما و بحران

زاخران يغترف من تيّارهما،و طودان شامخان يستعاذ بأقطارهما،و عمادان يقوم بهما فى الوجود أركان الايمان،و صارمان يصول بهما الدين القيّم على ساير الأديان فجزاهما اللّه عن الإسلام و أهله أفضل جزاء المحسنين،و خصّهما من وظائف فضله بأكمل ما أعدّه لعباده الصالحين،و قرن سعادتهما بالدوام و الاستمرار،و عضد آرائهما بمطاوعه الأقضيه و الأقدار،و صان دولتهما عن حوادث الأيّام و آفاتها،و جعل نتايج أفعال أعدائهما تابعه لأخسّ مقدّماتها.هذا.

و لمّا اتّفق اتّصالى بخدمته و انتهيت إلى شريف حضرته أحلّنى من انسه محلاّ ألهى النفس عن أشهى مآربها،و أمطرنى من سحائب جوده نعماء تشبه الصور الفائضه من و اهمها فأجرى فى بعض محاوراته الكريمه من مدح هذا الكتاب و تعظيمه و تفضيله و تفحيمه ما علمت معه أنّه أهله الّذى كنت أطلب،و العالم بقدره و محلّه من بين الكتب،و توسّمت فى تضاعيف ذلك تشوّق خاطره المحروس إلى كشف حقائقه،و الوقوف على أسراره و دقائقه فأحببت أن أجعل شكرى لبعض نعمه السابقه،و مننه المتواليه المتلاحقه أن أخدم سامى مجلسه بتهذيب شرح مرتّب على القواعد الحقيقيّه مشحون بالمباحث اليقينيّه انبّه فيه على ما لاح لى من رموزه،و أكشف ما ظهر لى من دفائنه و كنوزه و قد سبق إلى شرح هذا الكتاب جماعه من أولى الألباب،و الناقد المسدّد للصواب يميّز القشر من اللباب،و السراب من الشراب،و شرعت فى ذلك بعد أن عاهدت اللّه سبحانه أنّى لا أنصر فيه مذهبا غير الحقّ،و لا أرتكب هوى لمراعاه أحد من الخلق فإن وافق الرأى الأعلى فذلك هو المقصد الأقصى،و إلاّ فالعذر ملتمس مسئول،و العفو مرجّو مأمول،و الرغبه إلى أهل الفضل فى سدّ ما يجدونه من خلل،و ستر ما يقفون عليه من زلل فإنّى مع ضعف جناحى من سلوك هذا المطار الّذى هو مسرح نفوس الأولياء الأبرار، و محالّ أنظار الحكماء الكبار مقسّم الأفكار راكب المطايا الأسفار، «وَ عَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ» و هو حسبى «وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» .و قبل الخوض فى المطلوب لا بدّ من تقديم مقدّمه يستعان بها على ما عسى أن أذكره من المباحث فى هذا الشرح «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى.

أمّا المقدّمه فأعلم أنّ كلامه عليه السّلام يشتمل على مباحث عظيمه تنشعب عن علوم

جليله يحتاج المتصدّى للخوض فيه و فهم ما يشرح منه بعد جوده ذهنه،و صفاء قريحته إلى تقديم أبحاث تعينه على الوصول إلى تلك المقاصد.و لمّا أبرز عليه السّلام مقاصده فى ألفاظ خطابيّه إمّا منطوق بها أو مكتوبه تعيّن أن أذكر من مباحث الألفاظ قدرا تمسّ الحاجه إليه،ثمّ اشير إلى بيان معنى الخطابه و ما يتعلّق بها ليكون ذلك معينا للناظر فى كلامه على ملاحظه دقائقه،و مطالعه أسراره و حقائقه ثمّ الحق ذلك بالإشاره إلى ما يتعلّق به عليه السّلام من الفضائل فلا جرم رتّبت هذه المقدّمه على ثلاث قواعد.

القاعده الاولى فى مباحث الألفاظ

اشاره

و هى مرتّبه على قسمين.

القسم الأوّل فى دلاله الألفاظ و أقسامها و أحكامها

اشاره

و فيه فصول.

الفصل الأوّل فى دلاله اللفظ على المعنى

اشاره

و فيه أبحاث

البحث الأوّل:دلاله اللفظ إمّا على تمام مسمّاه أو على جزء مسمّاه

من حيث هو جزءه،أو على الأمر الخارج عن مسمّاه اللازم له فى الذهن من حيث هو لازم له،و الدلاله الاولى هى دلاله المطابقه كدلاله لفظ الإنسان على الحيوان الناطق،و الثانيه دلاله التضمّن كدلالته على الحيوان وحده أو على الناطق وحده،و الثالثه دلاله الالتزام كدلالته على الضاحك و احترزنا فى الدلالتين الأخيرتين بقولنا من حيث هو جزءه و من حيث هو لازمه عن دلاله اللفظ بالمطابقه على جزء المسمّى أو على لازمه بحسب الاشتراك اللفظى،بيانه أنّه إذا جاز أن يوضع اللفظ الواحد للمعنى و لجزئه كلفظ الممكن مثلا للممكن الخاصّ و العامّ و للمعنى و لازمه كلفظ الشمس على جرم الشمس و النور اللازم عنه فلو اقتصرنا فى تعريف دلالتى التضمّن و الالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين لشمل ذلك دلاله المطابقه على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى أو لازمه كما هو موضوع له إذا كانت أيضا دلاله اللفظ على جزء مسمّاه و على لازم مسمّاه.

البحث الثانى الدلاله الاولى هى الّتى بحسب الوضع الصرف

و أمّا الباقيّتان فزعم الإمام فخر الدين و جماعه من الفضلاء أنّهما عقليان.و فيه نظر لأنّهم إن أرادوا أنّهما حاصلتان عن صرف

العقل من دون مشاركه الوضع فهو باطل لأنّه لولا ارتسام المعنى فى الـذهن عن اللفظ لما حصـلت هاتان الـدلالتان و أيضا فانّهم صرحّوا بأنّهما من دلالات

ص:۵

الألفـاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن مجرّد العقل،و إن أرادوا بـذلك أنّ الـذهن عنـد تصوّر المعنى من لفظه ينتقل منه إلى جزئه أو إلى لازمه فهو حقّ و حينئذ تكون هاتان الدلالتان بشركه من الوضع و العقل ثمّ إنّهما مستلزمتان للدلاله الوضعيّه من غير عكس لجواز خلوّ المهيّه عن التركيب و عن اللازم البيّن و لا يجب أيضا أن تلزم إحداهما الاخرى و هو ظاهر ممّا مرّ.

البحث الثالث ظهر ممّا ذكرنا أنّه يعتبر فى الدلاله التضمنيه

كون المعنى المـدلول عليه بالمطـابقه مركّبـا و أمّـا فى الإلـتزاميّه فـالمعتبر فيه كونه ملزومـا فى الـذهن لأمر بيّن الثبوت له إذ لولا اللزوم الـذهنى لم يفـد إطلاق اللفظ فى المعنى الخارج عن المهيه لعـدم الوضع بإزائه و عدم انتقال الذهن عن موضوعه إليه فلم يكن دالّا عليه إذ المراد بـدلاله اللفظ على المعنى فهمه عند إطلاقه بالنسـبه إلى من يعلم الوضع و لا يعتبر اللزوم الخارجىّ لجواز دلالـه اللفـظ على مـا يلزم مسـمّاه فى الخارج إذا لزم من تصوّره تصوّر مسـمّاه كـدلاله لفظ عـدم الملكه عليها كلفظ العمى على البصر ثم اللزوم الذهنى ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم إلى لازمه إذ ليس هو تمام ما يتوقّف عليه دلاله الإلتزاميّه بل لا بدّ من تصوّر الملزوم أوّلا ـ و ذلـك متوقّف على وضع اللفـظ بـإزائه و العلم بـالوضع و سـماع اللفـظ أو حضوره بالبال فهو إذن أحد الشروط المعدّه لتصوّر اللازم.

البحث الرابع دلاله الحقيقيّه هى الدلاله الوضعيّه الصرفه

و أمّا الباقيتان فليسـتا بحقيقيّتين و هو ظاهر و لا مجازيتين أيضا لأنّ من شـرط المجاز اسـتعمال اللفظ فى غير ما وضع له اسـتعمالا مقصودا بالـذات،و هاتان الـدلالتان قـد يحصـلان من اسـتعمال اللفظ فى مسـمّاه حصولا عرضـيّا لأنّ الذهن قد ينتقل عند إطلاق اللفظ لإراده مسمّاه إلى جزئه أو إلى لازمه إنتقالا عرضيّا و كذلك إلى جزء جزئه و إلى لازم لازمه فى مراتب كثيره،و معلوم أنّ اللفـظ اطلق لإـراده مسـمّاه و اسـتعمل فيه بالـذات لا ـ فيمـا انتقل الـذهن إليه من الأجزاء و اللوازم و إن كانت له سـببيّه فى ذلك الانتقال فلم تكن الـدلاله بواسـطه اللفظ محصوره فى الحقيقيّه و المجازيّه نعم اسـتعمال اللفظ الموضوع و إطلاقه بالـذات لإراده المعنى لا يخلو من أن يكون حقيقيّا أو مجازيّا.

الفصل الثانى فى تقسيم الألفاظ و فيه أبحاث.

البحث الأوّل اللفظ إمّا أن لا يراد بالجزء منه دلاله أصلا على شىء

و هو المفرد أو يراد بالجزء منه دلاله على شىء و هو المركب.لا يقال:هذا منقوض بعبد اللّه و ما يجرى مجراه فإنّه مفرد مع أنّ كلّ واحد من أجزائه دالّ لأنّا نقول:قد يراد بالجزء من عبد اللّه و أمثاله دلاله و لا نسلّم أنّه بذلك الاعتبار يكون مفردا بل مركّب،و قد لا يراد به الدلاله فيكون مفردا فإذا قلنا فى رسمه إنّه الّذى لا يراد بالجزء منه دلاله أصلا كان ذلك معيارا لكلّ لفظ بالنسبه إلى مراد اللافظ به فكلّ لفظ لا يقصد بجزئه دلاله كان مفردا و هذا هو الرسم القديم للمفرد و المركّب،و قد تبيّن أنّه لا حاجه فيه إلى القيد الّذى زاده المتأخّرون و هو قولهم من حيث هو جزءه فإنّ الرسمين متساويان.

البحث الثانى اللفظ المفرد إمّا أن يكون نفس تصوّر معناه

مانعا من وقوع الشركه فيه و هو الجزئى أو غير مانع و هو الكلى.أمّا الجزئى فيقال بمعنيين،أحدهما ما ذكرناه و يخصّ باسم الجزئى الحقيقى،و الثانى أنّه كلّ أخصّ تحت أعمّ،و الفرق بينهما أنّ الأوّل غير مضاف و لا كلى،و الثانى مضاف إلى ما فوقه و قد يكون كليّا فأمّا الكلى فإمّا أن يعنى به نفس الحقيقه الّتى لا يمنع تصوّرها وقوع الشركه فيها و يسمّى كليّا طبيعيّا أو النسبه الّتى تعقل لها بالقياس إلى جزئيّاتها المعقوله و تسمّى تلك النسبه كليّا منطقيّا أو المجموع المعقول من الحقيقه و النسبه العارضه لها و يسمّى كليّا عقليّا.ثمّ للكلى اعتبارات ستّه و ذلك لأنّه إمّا أن يكون ممتنع الوجود أو ممكنه،و الأوّل كشريك الإله، و الثانى إمّا أن لا يعرف وجوده أو يعرف فالأوّل كجبل من ياقوت و بحر من زيبق،و الثانى إمّا أن يمتنع أن يكون فى الوجود منه أكثر من واحد أو يمكن و الأوّل كالإله تعالى،و الثانى إمّا أن يكون فى الوجود واحد منه فقط و إن جاز وجود مثله أو أكثر من واحد و الأوّل كالشمس عند من يجوّز وجود مثلها،و الثانى إمّا أن يكون الموجود منه أشخاصا كثيره متناهيه أو غير متناهيه،و الأوّل كالكواكب و الثانى كأشخاص الإنسان.

البحث الثالث الكلى إمّا أن يدلّ على ماهيّه شىء

أو على ما يكون داخلا فيها أو على ما يكون خارجا عنها أمّا الدالّ على المهيّه فإمّا على ماهيّه شىء واحد أو على مهيّه أشياء كثيره،

ص:٧

و الأوّل إمّا أن يكون كلّيا أو جزئيّا،و الثانى إمّا أن يكون تلك الأشياء مختلفه الحقائق أو متّفه الحقائق فهذه أقسام أربعه الأوّل هو المقول فى جواب ما هو بحسب الخصوصيّه المطلقه كالجواب بالحدّ،و الثالث هو القول فى جواب ما هو بحسب الشركه المطلقه و الثانى و الرابع هو المقول فى جواب ما هو بحسب الشركه و الخصوصيّه معا.مثال الأوّل قولنا فى جواب من يسأل فيقول:ما الإنسان إنّه حيوان ناطق فخصوصيّه هذا الجواب ليست لغير الإنسان إذ لا يشاركه فى حدّه غيره،و الثالث كقولنا فى جواب من يسأل عن جماعه هم إنسان و فرس و ثور ما هم إنّها حيوانات إذ كان هذا الجواب كمال الجزء المشترك بينها.فهو إذن مقول بالشركه المطلقه،و الثانى و الرابع كقولنا فى جواب من يسأل عن زيد وحده ما هو إنّه إنسان أو عن جماعه هم زيد و عمرو و خالد ما هم إنّهم أناس فيكون الجواب فى الموضعين واحد أو هو بحسب الخصوصيّه و الشركه معا إذ كلّ ما لكلّ واحد منها من الأجزاء حاصل للآخر و لأنّ خصوصيّه هذا الجواب ليست لغير المسئول عنه،و أمّا الدالّ على جزء المهيّه فإمّا أن يدلّ على كمال الجزء المشترك بينها و بين غيرها و هو الجنس القريب أو على كمال الجزء المميّز لها و هو الفصل القريب أو على ما يتركّب منها و هو النوع أو لا-على واحد من هذه يكون ذلك جزء للجزء و هو إمّا جنس الجنس أو جنس الفصل أو فصل الجنس أو فصل الفصل كما هو مذكور فى مظانّه،و أمّا الدالّ على الخارج عن المهيه فيختصّ باسم العرضى،و اعتباره من وجهين أحدهما أنّه إمّا أن يكون لازما أو لا يكون،و الثانى هو العارض،و الأوّل إمّا أن يكون لازما للمهيّه أو للوجود و الأوّل إمّا أن يكون بيّنا للمهيّه كالفرديّه للثلاثه أو غير بيّن كالتناهى للجسم و الثانى كالسواد للغراب،و أمّا العارض فإمّا سريع الزوال كالقيام و القعود أو بطيئه كالشباب،الوجه الثانى العرضى إمّا أن يختصّ بنوع واحد لا يوجد لغيره سواء عمّ أفراده أو لم يعمّ و يسمّى خاصّه كالضاحك للإنسان بالقوّه و الفعل أو لا يختصّ به بل يعمّ و غيره و يسمّى عرضا عامّا كالماشى للإنسان.

البحث الرابع اللفظ و المعنى إمّا أن يتحدّا أو يتكثّرا

أو يتكثّر اللفظ و يتحدّ المعنى أو بالعكس أمّا الأوّل فمعناه إمّا أن يكون كليّا أو جزئيّا فإن كان الأوّل فإمّا

أن يكون نسبته إلى أفراده المعقوله بالسويّه و هو المتواطى كالإنسان بالنسبه إلى أشخاصه أو لا بالسويّه بل فى بعضها أوّل و أولى و أشدّ و أضعف و هو المشكّك كلفظ الوجود،و الثانى هو العلم كزيد،و الثانى الأسماء المتبائنه سواء تفاصلت مفهوماتها كالإنسان و الفرس أو تواصلت على أنّ بعضها اسم للذات و الآخر اسم للصفه كالسيف و الصارم أو على أنّ بعضها اسم للصفه و الآخر لصفه الصفه كالناطق و الفصيح،و الثالث الأسماء المترادفه سواء كانت من لغه واحده كالليث و الأسد أو من لغتين كالماء و آب،و أمّا الرابع فإمّا أن يكون قد وضع اللفظ أوّلا-لأحد المعنيين ثمّ نقل منه إلى الآخر أو وضع لهما معا،أمّا الأوّل فذلك النقل إن كان لا لمناسبه بين المعنيين فهو مرتجل و إن كان لمناسبه فإمّا أن يكون دلاله اللفظ على المنقول إليه بعد النقل أقوى من دلالتها على المنقول عنه أو لا-يكون فإن كان الأوّل سمّى اللفظ بالنسبه إلى المنقول إليه منقولا فإن كان الناقل هو الشارع سمّى لفظا شرعيّا كالصلاه و الزكاه،و أهل العرف و يسمّى عرفيّا سواء كان العرف العامّ كالدابّه للفرس بعد وضعها لكلّ ما يدبّ و كالغائط للفضله الخارجه من الإنسان بعد وضعها للمكان المطمئنّ،و الخاصّ كالاصطلاحات الخاصّه بطائفه طائفه من أهل العلم مثلا-كالرفع و النصب و الجرّ عند النحاه،و كالجمع و القلب و الفرق عند الفقهاء،و كالموضوع و المحمول و الجنس و الفصل عند المنطقيّين و أمثاله،و أمّا إن لم يكن دلالته على الثانى أقوى فإمّا أن يتساوى بالنسبه إليهما عند الفهم أو يكون فى الأوّل أقوى فإن كان الأوّل كان ذلك لفظا مشتركا،و إن كان الثانى كان اللفظ بالنسبه إلى الأوّل حقيقه،و إلى الثانى مجازا أمّا إذا كان اللفظ موضوعا لهما معا فإمّا أن يتساوى دلالته عليهما عند الفهم أو ترجّح فى أحدهما فإن كان الأوّل سمّى اللفظ بالنسبه إليهما مشتركا و بالنسبه إلى كلّ واحد منهما مجملا لأنّ كون اللفظ موضوعا لكلّ واحد منهما هو الاشتراك و كونهما بحيث لا يدرى عين المراد منهما هو الإجمال.

تذنيب ظهر من هذا التقسيم أنّ الأقسام الثلاثه الاولى مشتركه فى أنّها ليست بمشتركه فكانت نصوصا،و أمّا الرابع فله اعتبارات ثلاثه أحدها اعتبار كون إفادته أرجح فى بعض مفهوماته و بذلك يسمّى ظاهرا و الثانى اعتبار كونها مرجوحه فى المفهوم المقابل للراجح و بذلك يسمّى مأوّلا،و الثالث كونها متساويه بالنسبه إلى المفهومين

بحيث لا يدرى المراد منهما و بذلك يسمّى مجملا. فالرجحان إذن قدر مشترك بين الظاهر و النصّ و عدم الرجحان قدر مشترك بين المجمل و المأوّل فيسمّى المشترك الأوّل محكما و الثانى متشابها.

البحث الخامس اللفظ المفرد إمّا أن لا يستقلّ معناه بالمفهوميّه

أو يستقلّ و الأوّل هو الحرف،و الثانى فإمّا أن يستلزم معناه الوقوع فى أحد الأزمنه الثلاثه المعيّنه و هو الفعل أو لا يستلزم و هو الاسم،و هو إمّا أن يدلّ على معنى هو نفس الزمان كالزمان أو على جزء الزمان كاليوم و الغد أو على معنى جزءه الزمان كالصبوح و الغبوق أو لا على واحد منها و هو إمّا أن يكون اسما لجزئى شخصى فإن كان مضمرا فهو المضمرات أو مظهرا فهو العلم كما مرّ و إن كان اسما لكلىّ فإمّا أن يكون اسما لنفس المهيّه كلفظ السواد و المسمّى باسم الجنس فى اصطلاح النحاه أو لأمر ماله صفه كذا و هو الاسم المشتقّ كلفظ الضارب فإنّ مفهومه أنّه أمر ما له صفه الضرب.

البحث السادس اللفظ المركّب إمّا أن يكون قابلا للتصديق و التكذيب

لذاته و هو الخبر أولا لذاته و هو إمّا أن يكون مفيدا لطلب شىء إفاده أوّليه أو ليس كذلك و الأوّل إن كان على طريقه الإستعلاء فهو الأمر،و إن كان على طريق التساوى فهو الالتماس و إن كان على طريق الخشوع و التضرّع فهو السؤال،و الثانى هو التنبيه و يدخل فيه التمنّى و الترجى و القسم و النداء.

البحث السابع اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا أو مركّبا

و على التقديرين فإمّا أن يدلّ على معنى أو لا يدلّ فهذه أقسام أربعه الأوّل لفظ مفرد دالّ على معنى مفرد كلفظ الكلمه و الاسم و الفعل و الحرف،و الثانى لفظ مفرد دالّ على لفظ مركّب دالّ على معنى مركّب كلفظ الخبر و الكلام و القول الدالّ على قولنا زيد كاتب الدالّ على معانيه الثالث لفظ مفرد دالّ على لفظ مفرد غير دالّ على معنى كقولنا-ا ب-و ساير حروف المعجم الرابع لفظ مفرد دالّ على لفظ مركّب غير دالّ كلفظ الهذيان و الهذر.

البحث الثامن اللفظ المفرد إذا دلّ بالالتزام على معنى

فذلك المعنى إمّا أن يكون شرطا للمدلول عليه بالمطابقه أو تابعا له و الأوّل تسمّى دلاله الاقتضاء و تلك

الشرطيّه إمّا عقليّه كشرطيّه نصب السلّم لصعود السطح عند الأمر به أو شرعيّه كشرطيّه الوضوء للصلاه عند الأمر بها،و أمّا التابع فكنفى الحكم المذكور لشىء حال تخصيصه بذكره من غيره عند من يقول به فإنّ معنى التخصيص مستلزم للنفى المذكور و كذلك اللفظ المركّب إذ استلزم تركيبه معنى فإمّيا أن يكون من متمّمات المعانى المذكوره بالمطابقه أو من توابعها،و الأوّل كدلاله تحريم التأفيف على تحريم الضرب،و أمّا الثانى فكاستلزام قوله تعالى: «فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ» إلى قوله «حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ» لعدم فساد صوم من أصبح جنبا و إلاّ لحرم الوطى فى آخر جزء من الليل يتّسع للغسل و باللّه التوفيق.

الفصل الثالث فى الاشتقاق و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى حقيقه الاشتقاق

الاشتقاق أخذ أحد اللفظين من الآخر لمشاركه بينهما فى الاشتمال على المعنى و الحروف الأصليه،و أركان الاشتقاق أربعه الأوّل اسم موضوع لمعنى،الثانى مسمّى آخر له نسبه إلى ذلك المعنى،الثالث مشاركه بين الاسمين فى الحروف الأصليّه،و الرابع تغيير يلحق الاسم الثانى إمّا فى حروف فقط أو فى حركه فقط أو فيهما معا و كلّ واحد من هذه الأقسام فإمّا بالزياده وحدها أو بالنقصان وحده أو بهما،و ظنّ الإمام أنّ الحاصل من هذه القسمه تسعه أقسام فقط و هو سهو نتحقّقه عند الاعتبار بأنّ الحاصل منها خمسه عشر قسما(آ)زياده الحرف(ب)زياده الحركه(ج)زيادتهما معا (د)نقصان الحرف(ه)نقصان الحركه(و)نقصانهما معا(ز)زياده الحرف مع نقصانه(ح)زياده الحرف مع نقصان الحركه(ط)زياده الحرف مع نقصانهما(ى)زياده الحركه مع نقصانها (يا)زياده الحركه مع نقصان الحرف(يب)زياده الحركه مع نقصانهما(يج)زيادتهما معا مع نقصان الحرف(يد)زيادتهما معا مع نقصان الحركه(ير)زيادتهما معا مع نقصانهما معا فهذه هى الأقسام الممكنه و على اللغوى طلب الأمثله.

البحث الثانى اختلف الناس فى أنّه هل يجوز صدق المشتقّ منفكّا

عن صدق المشتقّ منه أم لا،و الحقّ أنّه يجوز.لنا أنّ الاشتقاق و يكفى فيه أدنى ملابسه بين المشتقّ و المشتقّ منه فلا يشترط صدقه على ما يصدق عليه المشتقّ فإنّ المهلك و المميت و الضارّ

و المـذلّ ممّـا يصـدق على ذات اللّه تعـالى مع أنّ الامور المشـتقّ منها و هى الهلاك و الموت و الضـرر و الـذلّ غير صادقه و لا جائزه عليه لا يقال:المشتقّ مركّب من المشتقّ منه و من شىء آخر،و متى صدق المركّب صدق كلّ واحد من أجزائه لأنّا نقول:لا نسـلّم أنّ المشـتقّ منـه من حيث هـو مشـتقّ منه جزء من المشـتقّ و حاصـل فيه بـل الحاصـل فيه شـىء من أجزائه و هى الحروف الأصـليه،و بعض الحركات فإنّا بيّنا أنّ المشتقّ لا بدّ و أن يلحقه تغيير بأحد الوجوه المذكوره و القدر المتغيّر منه لا شكّ أنّه كان معتبرا فى حقيقته المشتقّ منه فبعد التغيير لم تبق تلك الحقيقه فلم يلزم صدقها حال صدق المشتقّ.

البحث الثالث اختلفوا أيضا فى أنّه هل يشترط فى صدق المشتقّ

بقاء صدق المعنى المشتقّ منه من لفظه أم لا،و الحقّ أنّه لا يشترط لوجوه أحدها أنّا نعلم بالضروره إطلاق أهل اللغه لفظ المشتقّ على الشـىء حـال ما لا يكون وجه الاشـتقاق باقيا كإطلاقهم لفظ القاتل فى الحال على من فعل القتل فيما قبل.الثانى أنّ الضارب مثلا هو من حصل منه الضـرب و لابسه ملابسـته فعليه و هو أعمّ من حصوله له فى الحال أو فى الماضى لإمكان تقسيمه إليهما و لاـ يلزم من نفى الخـاصّ نفى العامّ فلا يلزم من نفى الضـرب فى الحال نفى مطلق الضـرب فلا يلزم من صـدق المشـتقّ بقاء وجه الاشـتقاق الثالث المشـتقّات من المصادر السـيّاله كالمتكلّم و المخبر لا يمكن بقاء وجه الاشـتقاق فيها فإنّ الإنسان حال ما يتكلّم بـالحرف الثـانى فـات الحرف الأوّل فلا يمكن تحقّق مهيّه الكلمه فى الخارج فضـلا أن يقال إنّها تبقى مع أنّها صادقه بالإتّفاق.لا يقال:الضارب مثلا بعـد انقضاء الضـرب يصدق عليه أنّه ليس بضارب فى الحال و قولنا ليس بضارب جزء من قولنا ليس بضارب فى الحـال،و متى صـدق المركّب صـدق كلّ واحـد من أجزائه فإذن صـدق عليه أنّه ليس بضارب فوجب أن لا يصـدق عليه أنّه ضـارب لتناقضـهما فى العرف لأنّـا نقول:إن كـانت القضـيّتان موقتين منعنـا التناقض فى العرف و الحقيقه لأنّ المكـذّب لقولنا إنّه ليس بضـارب فى الحـال قولنـا إنّه ضـارب فى الحال و نحن ما أدّعينا صـدق قولنا إنّه ضارب فى الحال بل إنّه فى الحال يصـدق عليه أنّه ضارب و لا تناقض لعدم اتّحاد الوقت و إن كانتا مطلقتين فدعوى التناقض إمّا حقيقه و هو ظاهر الفساد لأنّ المطلقتين لا تتناقضان أو عرفا و هو أيضا ممنوع

و بتقدير تسليمه نمنع صدق قولنا بعد انقضاء الضرب أنّه ليس بضارب لصدق قولنا فى تلك الحال إنّه ضارب،و تناقضهما عرفا و باللّه التوفيق.

البحث الرابع اختلفوا أيضا فى أنّ المعنى القائم بالمحلّ

هل يجب أن يشتقّ منه اسم أم لا و الحقّ أن يقال:المعانى إن لم يكن لها أسماء كأنواع الروائح لم يجب ذلك فيها و إن كان لها أسماء لم يجب أيضا أن يشتقّ لمحالّها منها أسماء،و هل يجوز ان يشتقّ لغير محالّها منها أسماءام لا،و الحقّ جوازه فى الموضعين خلافا لقوم من الأشعريّه فإنّهم قالوا يجب الاشتقاق منها لمحالّها و لا يجوز لغيرها،لنا أنّ الجواز متّفق عليه،و أمّا الجواب و تخصيصه بالمحلّ فلم يذكر الخصم فيه دليلا،و أمّا جواز الثانى فلأنّ الاشتقاق يكفى فيه أدنى ملابسه فإنّ المشتقّ هو شىء ما ذو المشتقّ منه،و لفظه ذو لا يقتضى الحلول،و من الأمثله المشهوره اللابن و التامر فإنّهما مشتقّان من اللبن و التمر و هما غير قائمين بذات المشتقّ له.

البحث الخامس مفهوم المشتقّ كالماشى مثلا إنّه شىء ما ذو مشى

فأمّا ذلك الشىء فغير داخل فى مفهومه و إن علم فإنّما يعلم بطريق الالتزام برهانه أنّك تقول الماشى حيوان فلو كان مفهوم الماشى أنّه حيوان ذو مشى لكان ذلك بمنزله قولك الحيوان ذو المشى حيوان و هو هذر بل إنّما يعلم كونه حيوانا بدليل من خارج و باللّه التوفيق.

الفصل الرابع فى الترادف و التوكيد

اشاره

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى ماهيّتهما

أمّا الترادف فهو كون لفظين مفردين أو ما زاد عليهما دالّين بالوضع على معنى واحد باعتبار واحد،و بالإفراد احترزنا عن الاسم و الحدّ و باعتبار واحد عن اللفظين إذ ادّلا على شىء واحد باعتبارين كالصارم و السيف و باعتبار الصفه و صفه الصفه كالناطق و الفصيح فإنّ تلك متباينه،و أمّا التأكيد فهو تقويه ما يفهم من اللفظ بلفظ آخر،و للإمام فخر الدين-رحمه اللّه-تساهل فى هذا المقام إذ يحدّ التأكيد بأنّه اللفظ الموضوع لتقويه ما يفهم من لفظ آخر و لم يفرّق بين التوكيد و بين نفس المؤكّد و هو ظاهر.

البحث الثانى فى أسباب الترادف

إنّه يجوز وقوع الألفاظ المترادفه من واضع واحد،و يجوز وقوعها من واضعين و يشبه أن يكون الأوّل أقلّ وجودا و له سببان الأوّل التسهيل و الإقدار على الفصاحه لأنّه ربّما يمتنع وزن البيت و قافيته مع بعض أسماء الشىء

دون اسـمه الآخر،و ربّما حصلت رعايه السجع و المقلوب و الجنس و ساير أصناف البديع مع بعض أسماء للشىء و لا يحصل مع الآـخر الثانى و التمكّن من تأديه المقصود بإحـدى العبارتين عنـد الغفله عن الاخرى،و أمّا الثانى و هو السـبب الأكثرى فيجوز أن تصطلح إحدى قبيلتين على اسم للشىء غير الاسم الّذى اصطلحت عليه القبيله الاخرى ثمّ يشتهر الوضعان بعد ذلك معا.

البحث الثالث أنّه هل يصحّ إقامه كلّ واحد من المترادفين مقام الآخر

دائمـا أم لا الظاهر فى بادى الرأى ذلك لأنّ المترادفين هما اللـذان يفيـد كلّ واحـد منهما عين فايـده الآخر فلمّا صـحّ أن يقسّـم المعنى المدلول عليه بأحد اللفظين إلى معنى آخر فلا بدّ و أن تبقى الصحه حال ما يدلّ عليه باللفظ الثانى لأنّ صحّه الاقتران من عوارض المعـانى و فيه نظر لأـنّ صـحّه الاـقتران كـما يكون من عوارض المعـانى كـذلك يكون من عوارض الألفـاظ فإنّك لو أبدلت لفظ من بمرادفه من الفارسيّه لم يصحّ فكان هذا الامتناع من قبل الألفاظ أيضا قال الإمام فخر الدين:و إذا عقل ذلك فى لغتين فلم لاـ يجوز مثله فى لغه واحـده و الحقّ أنّه يصـحّ إقـامه أحـد المترادفين مقـام الآـخر بشـرطين أحـدهما أن يكونا من لغه واحده،و الثانى أن يتساويا فى فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما أو يقربا من التساوى.

تذنيب إذا كان أحد المترادفين أظهر فى الاسـتعمال عند قوم كان الجلى بالنسبه إلى الخفى شرحا له،و ربّما انعكس الأمر بالنسبه إلى قوم آخرين.

البحث الرابع فى أقسام التوكيد المؤكّد

إمّا أن يكون متقـدّما على المؤكّـد أو مؤخّرا عنه و الأوّل كصـبغه إنّ و ما فى حكمها ممّا يدخل على الجمل،و أمّا الثانى فإمّا أن يؤكّـد الشـىء بنفسه أو بغيره،و الأوّل كقوله عليه السّـلام و اللّه لأغزوّن قريشا ثلثا، و الثانى إمّا أن يختصّ بالمفرد كلفظ النفس و العين أو المثنّى ككلا و كلتا أو الجمع كأجمعون و أكتعون أبتعون أبصعون و كلّ هى امّ الباب.

البحث الخامس فى حسن استعماله

و الخلاـف فيه مع الملحـده الطـاعنين فى الوحى و النزاع إمّـا فى الجواز و هو معلوم بالضـروره لأـنّ شـدّه اهتمـام القائـل بالكلام يدعوه إلى

تأكيده،و إمّا فى الوقوع و هو أيضا معلوم من اللغات بعد تصفّحها و هو و إن كان حسنا إلاّ أنّه إذا تعارض حمل الكلام على التأكيد أو على فائده زائده وجب صرفه إلى الفائده الزائده.

الفصل الخامس فى المشترک

اشاره

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى حقيقته و إمكانه و وجوده

أمّا حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعا أوّلا-من حيث هو كذلك،و قولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين احتراز عن الأسماء المفرده،و قولنا وضعا أوّلا-احتراز عمّا يدلّ على الشىء بالحقيقه و على غيره بالمجاز،و قوله من حيث هو كذلك احتراز عن اللفظ المتواطى فإنّه يتناول المهيّات المختلفه لكن لا-من حيث هى مختلفه بل من حيث إنّها مشتركه فى معنى واحد، و أمّا إمكانه فمن وجوه.

أحدها أنّ الوضع تابع لغرض المتكلّم،و قد يكون للإنسان غرض فى تعريف غيره شيئا على التفصيل،و قد يكون غرضه تعريفه على سبيل الإجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسده،و الثانى أنّه ربّما لا يكون المتكلّم واثقا بصحّه الشىء على التعيين إلاّ أنّه يكون واثقا بصحّه أحد المعنيين لا محاله فحينئذ يطلق اللفظ المشترک كيلا يعدّ بتصريحه بأحد المعنيين كاذبا و بسكوته جاهلا،الثالث أنّه يجوز أن يضع أحد قبيلتين ذلک اللفظ لمعنى ثمّ تضعه قبيله اخرى لمعنى آخر ثمّ يشبه الوضعان و يخفى كونه موضوعا منهما،و أمّا وجوده فهو معلوم بالضروره إذ من خواصّ اللفظ المشترک أنّه إذا اطلق لم يتبادر الذهن إلى أحد مفهوميه دون الآخر بل يبقى الذهن عند سماعه متردّدا فى تعيين المراد منه إلى ظهور القرينه المعيّنه له و ذلک ظاهر الوجود كلفظ القرء للحيض و الطهر و إن كان ذلک أيضا قد يختلف بحسب كثره الاستعمال فى أحد المعنيين و قلّته إلاّ أنّه يكفينا فى ذلک تردّد بعض الأذهان فيه.

البحث الثانى فى أقسامه مفهوما

اللفظ المشترک إمّا أن يكونا متباينين أو متواصلين و الأوّل كالطهر و الحيض،و الثانى إمّا أن يكون أحدهما جزءا من الآخر أو لا يكون،و الأوّل كالممكن لغير الممتنع و لغير الضرورىّ،و الثانى إمّا أن يكون أحدهما علّه للآخر

أو صفه له و الأوّل كلفظ الواجب بالذات و الواجب بالغير،و الثانى كلفظ الأسود لذى السواد المسمّى أسود.

تنبيهان أحدهما إذا نسبت ذا السواد المسمّى أسود إلى ما يشاركه فى لونه كالقار كان إطلاق لفظ الأسود عليهما من تلك الجهه بالتشكيك و إن اعتبرته من جهه اسمه كان مقولا عليهما بالاشتراك،الثانى قال فخر الدين-رحمه اللّه-:النقيضان لا يجوز أن يوضع لهما لفظ واحد لأنّ المشترك لا يفيد إلّا الترديد و هو بين النفى و الإثبات أمر حاصل معلوم لكلّ أحد،و فيه نظر لأنّ الأسباب الّتى ذكرنا أنّه يجوز أن يكون أسبابا لوضع اللفظ المشترك عامّه لا تخصّ ببعض المعانى دون البعض و لأنّه إذا جاز وضع اللفظ الواحد للمعنى و ضدّه الّذى هو فى قوّه نقيضه كالقرء للحيض و الطهر إذا كان المحلّ لا يخلو عن أحدهما و الترديد بينهما معلوم لكلّ أحد فلم لا يجوز مثله فى النقيضين و اللّه أعلم.

البحث الثالث فى أسبابه

أمّا أسباب وجوده فيشبه أن يكون السبب الأكثرى فيه هو أن يضعه كلّ واحده من قبيلتين لمعنى ثمّ يشيع الوضعان و لا يتميّزان،و أمّا السبب الأقلّى فأن يضعه واحد لمعنيين لغرض التكلّم باللفظ المجمل و قد مرّ أنّ التكلّم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء.و أمّا السبب الّذى يعرف به وجوده فإمّا تصريح أهل اللغه بذلك أو تساوى المفهومين بالنسبه إلى السامع عند إطلاق اللفظ و تردّد ذهنه فى أيّهما المراد بعد العلم بالوضع لهما.

البحث الرابع فى أنّه هل يجوز استعمال اللفظ المشترك فى معانيه على الجمع

أم لا جوّز ذلك الشافعى و أبو بكر الباقلانى و أبو على الجبائى و القاضى عبد الجبار،و منع منه أبو هاشم و أبو الحسين البصرى و الكرخى ثمّ منهم من منع منه لأمر يرجع إلى القصد و منهم من منع منه لأمر يرجع إلى الوضع و هو اختيار الإمام فخر الدين-رحمه اللّه-حجّه المجوّزين من وجهين أحدهما أنّ الصلاه من اللّه رحمه و من الملائكه استغفار ثمّ إنّ اللّه تعالى أراد بهذه اللفظ كلى معنييها فى قوله «إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» ١الثانى قوله تعالى «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ» ٢الآيه

و السجود هاهنا مشترک بین الخشوع لأنّه هو المتصوّر من الملائکه و بین وضع الجبهه علی الأرض فی حقّ الناس و بین شهاده الحال بالحاجه إلی الصانع لأنّه هو المتصوّر من الجمادات ثمّ إنّ اللّه تعالی أراد به کلّ معانیه فی هذه الآیه.

حجّه المانعین أنّ المجموع غیر کلّ واحد واحد فالواضع إذا وضع لفظ المعنیین علی الانفراد فإمّا أن یضعه مع ذلک لمجموعهما أو لا یضعه فإن لم یضعه له کان استعماله فیه استعمالا للفظ فی غیر ما وضع له و أنّه غیر جائز و إن وضعه له فإذا استعمله فبه فإمّا أن یستعمله فیه لإفادته بانفراده فیکون ذلک استعمالا للفظ فی أحد مفهوماته لا فی کلّها، و إن استعمله لإفادته مع إفاده الأفراد فهو محال لأنّ استعماله لإفاده المجموع یستلزم عدم الاکتفاء بکلّ واحد من الأفراد و استعماله لإفاده الأفراد یستلزم الاکتفاء بکلّ واحد من الأفراد و الاکتفاء بکلّ واحد من الأفراد مع عدم الاکتفاء بکلّ واحد منها ممّا لا یجتمعان،و أقول:إنّ محلّ النزاع فی هذا البحث غیر ملخّص،فإنّه إن ارید أنّه یجوز استعماله فی مدلولاته علی الجمیع مطابقه فلیس بحقّ لما یلزم المستعمل له کذلک من التناقض فی القصد إلی المجموع و إلی الأفراد،و إن ارید أنّه یجوز استعماله فیها علی الجمیع لإفادتها کیف اتّفق فذلک جائز إذ یصحّ استعماله فی المجموع مطابقه مع دلالتها علی الأفراد تضمّنا،و قول المانع إنّه إذا لم یکن الواضع وضع اللفظ للمجموع کما وضعه للأفراد امتنع استعماله فیه إن أراد به حقیقه فهو حقّ،و إن أراد أنّه یمتنع استعماله فیه مجازا فهذا ممّا لا یقتضیه حجّته.

و أمّا حجج المجوّزین فضعیفه أمّا الاولی فلأنّ ضمیر الجمع فی قوله تعالی «سَیَصْلَوْنَ» بمنزله الضمائر المتعدّده المقتضیه للأفعال المتعدّده الّتی یراد بکلّ واحد منها معنی غیر ما یراد بالآخر و التقدیر إنّ اللّه یصلّی و ملائکته تصلّی،و أمّا الثانیه فلأنّ العطوف المتعدّده تستدعی تعدّد الأفعال فتقدیر قوله« «وَ لِلّٰهِ یَسْجُدُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ» من فی «اَلْأَرْضِ» »أی و یسجد من فی الأرض و کذا الباقی،و المراد بکلّ منها المعنی الّذی تقتضیه القرینه ثمّ لو سلّمنا أنّها استعملت فی کلّ مفهوماتها لکنّه یکون مجازا و إلاّ لزم التناقض کما هو مذکور فی حجّه المانعین و باللّه التوفیق.

ص:۱۷

البحث الخامس فیما یتعیّن به مراد اللافظ باللفظ المشترک.

اللفظ المشترک إن لم تقرن به قرینه تخصّص أحد معنییه بالمراد به بقی مجملا ـ و إن وجدت قرینه کذلک فإمّا أن تقتضی الاعتبار أو الإلغاء و علی التقدیرین فإمّا لکلّ المسّمیات أو لبعضها فهذه أقسام أربعه فالأوّل أن تفید اعتبار کلّ واحد فتلک المسّمیات إمّا أن تکون متنافیه بحیث لا ـ یمکن الجمع بینها فیبقی اللفظ مجملا إلی ظهور المرجّح و إن لم تکن متنافیه حمل اللفظ علی مجموعها مجازا،الثانی أن تفید إلغاء کلّ واحد فحینئذ یجب حمل اللفظ علی مجازات تلک الحقائق الملغاه ثمّ إمّا أن یکون بعض تلک الحقائق أرجح من بعض لو لم یقم الدلیل علی عدم إرادتها أو لا یکون فإن کان الأوّل فمجازاتها إمّا أن یتساوی فی القرب من الحقائق فیتعیّن حمل اللفظ علی مجاز الحقیقه الراجحه أو یتفاوت المجازات فإن کان الراجح منها هو مجاز الحقیقه الراجحه تعیّن الحمل علیه أو مجاز الحقیقه المرجوحه فیقع التعارض بینه و بین مجاز الحقیقه الراجحه لاختصاص کلّ منهما بنوع ترجیح إلی أن یظهر مرجّح آخر،و أمّا إن تساوت الحقائق فإن اختلفت مجازاتها بالقرب و البعد منها حمل اللفظ علی المجاز الأقرب و إن لم یختلف بقی التعارض بین مجازات تلک الحقائق لتساویها و تساوی حقائقها إلی أن یظهر الترجیح.

الثالث أن تفید إلغاء البعض فإن کانت اللفظه مشترکه بین معنیین فقط تعیّن الحمل علی الثانی و إن کانت الأکثر من معنیین فعند إلغاء بعضها إن کان الباقی واحد تعیّن الحمل علیه أو أکثر من واحد فیبقی اللفظ مجملا فیها.

الرابع أن تفید اعتبار البعض فیتعیّن الحمل علیه سواء کانت اللفظه لمعنیین أو أکثر.

القسم الثانی فی کیفیّات تلحق الألفاظ بالنسبه إلی معانیها

اشاره

فتوجب لها الحسن و الزینه و تعدّها أتمّ الأعداد لأداء المعانی و تهیّیء الذهن للقبول و هو مرتّب علی مقدّمه و جملتین.

أمّا المقدّمه

اشاره

ففیها بحثان.

البحث الأوّل فی حدّ البلاغه و الفصاحه

،أمّا البلاغه فهی مصدر قولک بلغ الرجل بالضمّ إذا صار بلیغا و هو أن یبلغ بعبارته أقصی مراده باللفظ من غیر إیجاز مخلّ

ص:۱۸

و لا تطويل مملّ،و أمّا الفصاحه فهو خلوص الكلام من التعقيد و أصله من الفصيح و هو اللبن إذا اخذت رغوته و ذهب لباؤه و قد فصح و أفصح إذا صار كذلك و أفصحت الشاه فصح لبنها ثمّ قالوا أفصح العجميّ فصاحه فهو فصيح إذا خلصت لغته عن اللكنه و اللحن،ثمّ إنّ الفصاحه عند أربابها ليست باستعمال الشوارد الّتى لا تفهم و إنّما هى باستعمال ما يقرب فهمه و يعذب استماعه و يعجب ابتداعه و تدلّ مطالعه على مقاطعه و تتمّ مباديه على تواليه،و أكثر البلغاء لا يكادون يميّزون بين البلاغه و الفصاحه بل يستعملونهما استعمال اللفظين المترادفين على معنى واحد و منهم من يجعل البلاغه فى المعانى و الفصاحه فى الألفاظ،و الأقرب أنّ الفصاحه سبب للبلاغه،و البلاغه أعمّ منها لغه إذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته أقصى مراده،و مساويه لها فى عرف العلماء.و تلخيص مفهوميهما أنّ الفصاحه هى خلوص الكلام فى دلالته على معناه من التعقيد الموجب لقرب فهمه و لذاذه استماعه،و البلاغه هى كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلّم إلى أقصى مراده و باللّه التوفيق.

البحث الثانى فى موضوع علم الفصاحه و البلاغه

لمّا كان المقصود من الكلام هو إفاده المعنى و كانت هذه الإفاده كما علمت قد تكون وضعيّه صرفه و قد تكون بمشاركه من الوضع و العقل فنقول:موضوع علم الفصاحه هو الكلام الدالّ على معناه بإحدى الدلالات الثلاث من حيث هو على حاله موجبه لقرب فهمه و لذاذه استماعه،و موضوع البلاغه هو الكلام الفصيح،و قال الإمام:إنّ الفصاحه و البلاغه إنّما يكون موضوعهما الكلام من جهه دلالته بالالتزام و ذلك لأنّ الإفاده الوضعيّه يستحيل تطرّق الزياده و النقصان إليها فإنّ السامع للفظ الموضوع إن كان عالما بكونه موضوعا لمعناه علم مفهومه بتمامه و إن لم تكن عالما بالوضع لم يتصوّر منه شيئا مثاله إنّك إذا أردت تشبيه زيد بالأسد فى الشجاعه و قصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلاله الوضعيّه فقلت زيد يشبه الأسد فى شجاعته فالزياده و النقصان فى هذه الإفاده بما يعود إلى مفردات هذه الألفاظ غير متصوّرين و لو أقمت مقام هذه الألفاظ ما يراد فها فالحال كذلك للدليل المذكور،و تبيّن من هذا أنّ الإيجاز و الاختصار و الحذف و الإضمار يستحيل تطرّقها إلى الدلالات الوضعيّه،و لهذا كان أكثر ما يستعمل فى العلوم العقليّه الدلالات الوضعيّه لعدم احتمالها الزياده و النقصان الموجبين

للغلط و الشبهه،و أمّا الإفاده الاخرى فلأجل أنّ حاصلها يعود إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه،ثمّ إنّ اللوازم كثيره و هى تاره تكون قريبه و تاره تكون بعيده فلا جرم صحّ تأديه المعنى الواحد بطرق كثيره و صحّ فى تلك الطرق أن يكون بعضها أكمل فى إفاده ذلك المعنى و بعضها أنقص.فهذا ما يتعلّق بالفصاحه من جهه المفردات و أقول:إنّ التحقيق يقتضى أنّ الزياده و النقصان ممّا يتطرّقان إلى الإفاده الوضعيّه أيضا فإنّ الإمام سلّم أنّ بعض الحروف أفصح جرسا و ألذّ سماعا كالعين،و بعضها أسهل على اللسان كحروف الذلاقه و بعضها أثقل،و لا شكّ أنّ الكلام المركّب عن أسهل الحروف و ألذّها سماعا أفصح و ألذّ سماعا عند النفس ممّا لا يكون كذلك،و سلّم أيضا أنّ الأفصح أدلّ على المعنى و أسرع إلى قبول النفس له ممّا لا يكون كذلك و ليس سبق العلم بالوضع قادحا فيما ذكرناه لأنّ الإنسان قد يسبق علمه بوضع اللفظ ثمّ يذهل عنه فعند سماعه يجد نفسه مسارعه إلى قبول المعنى من الأفصح دون غيره و ملتذّه بسماعه بسبب فصاحته و لا معنى لزياده الإفاده و رجحانها إلاّ ما يحصل للنفس من اللذّه بالمعنى و المسارعه إلى قبوله بتمامه من اللفظ الأسهل.و اللّه أعلم.و أمّا البلاغه العائده إلى النظم و التركيب فتحقيق القول فيها أنّ الكلام المنظوم لا محاله مركّب من المفردات،و المفردات يمكن تركيبها على وجه لا يفيد المقصود،و قد يمكن تركيبها على وجه يفيده ثمّ للتركيب المفيد مراتب كثيره و لها طرفان و وسط فالطرف الأعلى هو أن يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع أن يوجد ما هو أشدّ تناسبا و اعتدالا منه فى إفاده ذلك المعنى و الطرف الأدنى هو أن يقع على وجه لو صار أقلّ تناسبا منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى و بين هذين الطرفين مراتب و اختيار أحسنها يقتضى الفصاحه فى النظم و هذا معنى قول عبد القاهر الجرجانى-رحمه اللّه-النظم عباره عن توخّى معانى النحو فيما بين الكلم.إذا ثبت هذا فنقول:أمّا الطرف الأدنى فليس من البلاغه فى شىء و أمّا ساير المراتب فإنّ كلّ واحد منها إذا اعتبرته بالنسبه إلى ما تحته يكون مستلزما للبلاغه و الفصاحه،و أمّا الطرف الأعلى و ما يليه فهو المعجز فهذا هو التحقيق فى البلاغه و الفصاحه فى المفردات و المركّبات

الجمله الاولى فى المفردات

اشاره

و فيها مقدّمه و أبواب.

ص:٢٠

أمّا المقدّمه

فاعلم أنّ للأشياء فى الوجود أربع مراتب الأوّل وجودها و تحقّقها فى الأعيان،الثانى وجودها فى الذهن،الثالث وجودها فى اللفظ الـدالّ على ما فى الذهن،الرابع وجودها فى الكتابه الدالّه على ما فى اللفظه،و مزيّه الكلام فى الحسن تاره تكون بسبب الكتابه و تـاره تكون بسـبب اللفظ من حيث هو لفظ و تاره بحسب اللفظ من حيث له الـدلاله الوضـعيّه و تاره بحسـبه من حيث له الـدلاله الإلتزاميّه،و لمّا كانت المحاسن العائده إلى الكتابه لا تخلو عن تكلّف ما و كان الكلام الّذى نحن بصدد شرحه بريئا عن التكلّف خاليا عن جهات التعسّف لا جرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى فلذلك تركناه.

الباب الأوّل فى المحاسن العائده إلى اللفظ

من حيث هو لفـظ،و اعلم أنّ المحـاسن العائـده إلى اللفـظ إمّـا أنّ تعود إلى آحـاد الحروف أو إلى حـال تركيبهـا أو إلى الكلمه الواحده أو إلى الكلمات الكثيره فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين.

الفصل الأوّل فيما يتعلّق بآحاد الحروف و تركيبها

و حال الكلمه و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى مخارج الحروف و هى ستّه عشر

١أقصـى الحلق و هو مخرج ثلاثه حروف الهمزه و الألف و الهاء(ب)وسط الحلق و هو مخرج الحرفين العين و الهاء(ج)أدناه إلى الفم و هو مخرج للغين و الخـاء(د)اللسـان فمـا فوقه من الحنـك و هو مخرج القاف(ه)أسـفل من موضع القاف من اللسان قليلا و ممّـا يليه من الحنـك و هو مخرج الكـاف(و)من وسـط اللسان بينه و بين وسط الحنك و هو مخرج الجيم و الشـين و الياء(ز)أوّل حـافه اللسـان و مـا يليها من الأضـراس و هو مخرج الضاد(ح)حافه اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان ما بينها و بين ما يليها من الحنـك الأعلى فما فويق الضاحك و الناب و الرباعيّه و الثنيّه و هو مخرج اللام(ط)من طرف اللسان بينه و بين ما فويق الثنايا مخرج النون(ى)مخرج النون غير أنّه دخـل فى ظهر اللسـان قليلاـ لانحرافه إلى اللام و هو مخرج الراء(يا)فيما بين طرف اللسان و فويق الثنايـا مخرج الطـاء و التـاء و الـدال(يب)فيمـا بين طرف اللسـان و أطراف الثنايا مخرج الزاء و السـين و الصاد(يـح)فيما بين طرف اللسان و الطرف الأدنى من الثنايا مخرج الظاء و الثاء و الذال(يد)من باطن الشفه السفلى و أطراف الثنايا العليا مخرج

الفاء(يه)ما بين الشفتين مخرج الباء و الميم و الواو(يو)من الخياشيم مخرج النون الخفيفه قال الخليل:الذلاقه فى النطق إنّما هى بطرف أسلّه اللسان،و ذلق اللسان تحديد طرفه كذلق السنان قال:لا ينطق طرف شباه اللسان إلّا بثلاثه أحرف و هى الراء و اللام و النون فلذلك تسمّى هذه حروف الذلاقه و يلحق بها الحروف الشفهيّه و هى ثلاثه الفاء و الباء و الميم قال:و لمّا ذلقت هذه الحروف و سهلت على اللسان فى المنطق كثرت فى أبنيه الكلام فليس شىء من بناء الخماسىّ التامّ يعرى عنها فإن وردت عليك كلمه خماسيّه أو رباعيّه معرّاه عن حروف الذلق أو عن الحروف الشفهيّه فاعلم أنّ تلك الكلمه محدثه مبتدعه ليست من كلام العرب،و قال أيضا:

العين و القاف لا يدخلان فى بناء إلّا حسّناه لأنّهما أطلق الحروف أمّا العين فأفصح الحروف جرسا و ألذّها سماعا،و أمّا القاف فأمتن الحروف و أوضحها جرسا فإذا كانتا أو إحداهما فى بناء حسن البناء،و كذلك السين و الدال فى البناء إذا كان اسما لأنّ الدال لانت عن صلابه الطاء و كزازتها و ارتفعت عن خفوت التاء فصارت حال السين بين مخرج الصاد و الزاء كذلك قال،و الهاء تحتمل فى البناء للينها و هشاشتها،و لا بدّ من رعايه هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان و هى كالشروط للفصاحه و البلاغه.

البحث الثانى فى المحاسن بسبب آحاد الحروف و شروط تركيبها

أمّا الأوّل فمنها الحذف،و هو أن يحترز عن حرف أو حرفين فى الكلام إظهارا للمهاره فى تلك اللغه كان واصل ألثغ و كان يحترز عن الراء فجرّب فى أنّه كيف يعبّر عن معنى قولنا اركب فرسك و اطرح رمحك فقال فى الحال الق قناتك و اعل جوادك،و الحريرى بلغ الغايه حيث ذكر أشعارا حذف عنها الحروف المنقوطه و أشعارا حذف عنها غير المنقوطه،و منها الأعنات و هو التزام حرف قبل حرف الروىّ أو الردف من غير أن يجب ذلك فى السجع كقوله تعالى «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَ أَمَّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ» او قول على عليه السّلام فى مدح النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلم بلغ عن ربّه معذرا و نصح لأمته مبذرا و أمّا الثانى فالشرط أن يكون التركيب معتدلا فإنّ من التركيب ما يكون متنافرا كقوله.

و قبر حرب بمكان قفر و ليس قرب قبر حرب قبر.

و أن يكون خفيفا فإنّ منها ما يكون ثقيلا و إن كان دون الأوّل كقول أبی تمام كريم متى أمدحه أمدحه و الورى جميعا و مهما لمته لمته وحدی

و منهـا مـا يكون فيه بعض الكلفه إلاّ أنّه لا يبلغ أن يعـاب و السـبب فی هـذا التنافر إمّا تقارب مخارج الحروف فيحتاج فيها إلى جنس الصـوت فی زمـانين متلاصـقين فلا يظهر الحرف الأوّل،و إمّـا وجـوب العـود إلى مـامنه الابتـداء كقولهم:الهعخع و هـذه الدرجات كما تترتّب فی جانب الثقل فهی موجوده فی جانب السلاسه حتّى أنّ الكلمه تكون فی غايه السلاسه.

البحث الثالث فيما يتعلّق بالكلمه الواحده

و هو من وجهين الأوّل أن تكون متوسّطه فی قلّه الحروف و كثرتها فأمّا الحرف الواحد فلا يفيد و أمّا المركّبه عن الحرفين فليس فی غايه العـذوبه بل البالغ فی ذلک الثلاثيّات لاشـتمالها على المبـدأ و الوسط و النهايه و علّته أنّ الصوت من عوارض الحركه و الحركه لا بـدّ لهـا من هـذه الثلاـثه فمـتى ظهرت هـذه الثلاـثه فيهـا كـان الكلاـم أسـهل جريانـا على اللسـان،و أمّـا الرباعيّـات و الخماسيّات فلا يخفى ثقلها لزيادتها على الدرجات الثلاث الّتی يتعلّق بها كمال الصوت،الثانی الاعتدال فی حركات الكلمه فإذا توالت خمس حركات كان ذلک فی غايه الخروج عن الوزن و لـذلک لا يحتملها الشـعر،و أمّا أربع حركات فهی فی غايه الثقل أيضا بل المعتدل توالی حركتين يعقّبها سكون و إن كان و لا بدّ فإلی ثلاث حركات.

الفصل الثانی فيما يتعلّق بالكلمات المركّبه

و فيه نوعان.

النوع الأوّل ما يكفی فی تحقّقه اعتبار حال كلمتين

و فيه أربعه أبحاث.

البحث الأوّل فی التجنيس:

المتجانسـان إن كانـا مفردين فـإن تساويـا فی نوع الحروف و الحركـات و عـدادها و هيئاتهـا فهو التجنيس التامّ كقولهم:حـديث حديث،و كقول الحريرىّ:

و لأملاـء الراحـه مـن اسـتوطأ الراحـه و إن اختلفـا فإمّـا فی هيئـه الحركه كقـولهم:جبّه الـبرد جنّه الـبرد،أو فی الحركه و السـكون كقولهم:البـدعه شـرک الشـرک أو فی التخفيف كقولهم:الجاهـل إمّا مفرّط و إمّا مفرط و يسـمّى ذلک التجنيس الناقص،أو فی أعداد الحروف بأن تتساوى الكلمتان فی نفس الحروف و هيئاتها ثمّ تزيد فی إحداهما حرف ليس فی

الاـخرى أو يسـمّى المزيـل فإمّـا فى أوّل الكلمه كقوله تعالى« «وَ الْتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ إِلى رَبِّکَ يَوْمَئِـذٍ الْمَساقُ» » ۱و فى وسطها كقولهم:كبد كبيد،أو فى آخرها كقول بعضهم فلان سال من أحزانه سالم من زمانه،و قول أبى تمام:

يمدون من ايد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

و أمّا إن يختلفا فى أنواع الحروف و قـد يكون بحرف واحد و قد يكون بحرفين و يسـمّى المضارع و المطرف و ما به الاختلاف قـد يكـون فى أوّل الكلمـه كقـولهم بينى و بينهـم ليـل دامس و طريـق طـامس،أو فى وسطها مـن حرفيـن متقـاربين كقـولهم ما خصّصـتنى و لكن خسّسـتنى،أو فى آخرها كقول النبىّ صـلى اللّه عليه و آله:الخير معقود بنواصـى الخيل،و قـد يكون الاختلاف بحرفين غير متقـاربين و هو إمّـا فى آخر الكلمه كقوله تعـالى« «وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ» » ۲أو فى وسطها كقوله تعالى« «وَ إِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَـهِيدٌ وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» » ۳أو فى أوّلهـا كقول الحريرىّ لا أعطى زمامى من يخفر ذمامى،ثمّ المتجانسات إمّا أن يكون بعضـها فى مقـابله البعض حـال التسـجيع و هو ظاهر أو يضمّ بعضـها إلى بعض فى أواخر الأسـجاع و يسـمّى مزدوجا و مكرّرا كقولهم:النبيذ بغير نغم غمّ و بغير دسم سمّ و كقولهم:من طلب شيئا و جدّ وجد،و من قرع بابا و لجّ ولج،و من التجنيس ما يكون بالإشاره دون التصريح كقولهم:حلقت لحيه موسى باسمه و بهارون إذا ما قلّبا،و قد يكون التجنيس بحيث يتجاذبه أصلان و يسـمّى المشوّش كقولهم فلاـن مليـح البلاـغه كامـل البراعه فلو اتّحـدت عينا الكلمتين كان مصـحّفا و لو اتّفقت لا ما هما كان مضارعـا،و أمّـا إن كـان المتجانسـان مركّبين فإمّـا أن يكونا متشابهين خطّا فقط دون اللفظ و يسـمّى المصـحف كقول على عليه السّـلام:قصّـر ثيابک فإنّه أبقى و أتقى و أنقى،و كقولهم:عزّک غرّک فصار قصار ذلک ذلّک فاخش فاحش فعلک فعلّک تهدا بهذا،أو لفظا فقط و يسمّى المفروق كقوله كلّكم قد أخذ الجام فلا جام لنا ما الّذى ضرّ مدير الجام لو جاملنا،

أو خطّا و لفظا و يسمّى المقرون كقوله إذا لم يكن ملك ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه.

البحث الثانی فی الاشتقاق

و أمّا الاشتقاق فهو أنّ تأتی بألفاظ یجمعها أصل واحد باللغه کقوله تعالی« «فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ الْقَیِّمِ» » ۱و قول النبیّ صلی اللّه علیه و آله:الظلم ظلمات یوم القیامه،و قول علیّ علیه السّلام:جاهل خباط جهلات عاش رکاب عشرات،و أمّا ما یشبه لمشتقّ کقوله تعالی« «وَ جَنَی الْجَنَّتَیْنِ دانٍ» » ۲و« «قالَ إِنِّی لِعَمَلِکُمْ مِنَ الْقالِینَ» ».

البحث الثالث فی ردّ العجز علی الصدر

،و رسمه أنّه کلّ کلام وجد فی نصفه لأخیر لفظ یشبه لفظا موجودا فی نصفه الأوّل و له عدّه أقسام أ أن یتّفق لفظا الصدر العجز صوره و معنی و یکونان طرفین الأوّل فی أوّل الکلام،و الثانی فی آخره کقولهم:الحیله ؟؟رک الحیله،و قولهم:القتل أنفی للقتل،و کقول القائل.

سکران سکر هو و سکر مدامه أنّی یفیق فتی به سکران

(ب)أن یتّفقا صوره لا معنی و هما طرفان کقوله یسار من سجیّتها المنایا و یمنی من عطیّتها الیسار

(ج)بالعکس و یکونان طرفین أیضا کقول عمر بن أبی ربیعه:

و استبدّت مرّه واحده إنّما العاجز من لا یستبدّ

(د)أن یلتقیا فی الاشتقاق لا فی الصوره و هما طرفان أیضا کقول السری:

ضرائب ابدعتها فی السماح فلسنا نری لک فیها ضریبا

(ه)أن یلتقیا صوره و معنی و یکون أحدهما حشوا فی صدر البیت أو لآخر طرفا فی عجزه کقول أبی تمام:

و لم یحفظ مضاع المجد شیء من الأشیاء کالمال المضاع

(و)أن یقعا کذلک و یتّفقا صوره لا معنی کقول بعضهم:

لا کان إنسان یتمّ صائدا صید المها فاصطاده إنسانها

(ز)أن یقعا کذلک و یلتقیا معنی لا صوره کقول امرء القیس:

إذ المرء لم یخزن علیه لسانه فلیس علی شیء سواه بخزّان

(ح)أن یقعا طرفین فی آخر الصدر و العجر و یتّفقا صوره و معنی کقول أبی تمام:

و من كان بالبيض الكواكب مغرما فما زلت بالبيض الغواضب مغرما

ص:۲۵

(ط)أن يقعا كذلك و يتّفقا صوره لا معنى كقول الحريرىّ:

فمشعوف بآيات المثانى و مفتون برنّات المثانى

(ى)أن يقعا كذلك و يتّفقا فى الاشتقاق و يختلفا فى الصوره كقول البخترىّ:

ففعلك أن سئلت لنا مطيع و قولك أن سئلت لنا مطاع

(يا)أن يتّفقا فى شبه الاشتقاق و يختلفا صوره و معنى كقول الحريرىّ:

و مضطلع بتلخيص المعانى و مطّلع إلى تخليص عانى

(يب)أن يقع أحدهما فى أوّل العجز و الثانى فى آخره كقول الحماسى:

و إن لم يكن إلّا معرج ساعه قليلا فإنّى نافع لى قليلها

(يخ)أن يقعا و يلتقيا فى الاشتقاق دون الصوره كقول أبى تمام:

ثوى بالثرى من كان يحيى به الورى و يغمر صرف الدهر نائله الغمر

و وراء هذه الأقسام أقسام اخر لهذا النوع و فيما ذكرناه كفايه.

البحث الرابع فى القلب

و هو إمّا فى كلمه أو كلمات و الأوّل فإمّا أن يتقدّم كلّ واحد من حروفها على ما كان متأخّرا عنه و يسمّى مقلوب الكلّ كالفتح و الحتف فى قوله:

حسامك فيه للأحباب فتح و رمحك فيه للأعداء حتف

ثمّ إن وقع مثل هاتين الكلمتين على طرفى البيت سمّى مقلو بامجنّحا كقوله:

ساق هذا الشاعر الحين إلى من قلبه قاسى سارخى القوم فالهم علينا جبل راسى

أو يكون بعض حروفها كذلك فيسمّى مقلوب البعض كقوله عليه السّلام:اللّهم استر عوراتها و آمن روعاتنا،و أمّا فى الكلمات بحيث يكون قراءتها من أوّلها كقرائتها من آخر فكقول الحريرى:آس أرملا إذا عرا،و ارع إذا المرء اساء.

النوع الثانى ما يحتاج إلى أزيد من كلمتين

و فیه أبحاث.

البحث الأوّل فی السجع

و هو ثلاثه أقسام أحدها یسمّی المتوازی و هو أنّ تتساوی الکلمتان فی عدد الحروف و نوع الحرف الأخیر کقول علیّ علیه السّلام:کثره الوفاق نفاق و کثره الخلاف شقاق،و کقوله علیه السّلام:فی أهل البصره عهدکم شقاق و دینکم نفاق و ماءکم زعاق.

ص:۲۶

و ثانيها المطرف و هو أن يختلفا فى العدد و يتّفقا فى الحرف الأخير كقوله عليه السّلام لاحم صدوع انفراجها و لائم بينها و بين أزواجها.

و ثالثها المتوازن و هو أن يتّفقا فى عدد الحروف و لا يتّفقا فى الحرف الأخير كقول علىّ عليه السّلام:الحمد للّه غير مفقود الإنعام و لا مكافؤ الإفضال،و يعرف المتكلّف من السجع بأمرين أحدهما أن يكون الحرف الأخير إنّما يحتاج إليه للتقفيه لا للمعنى،الثانى أن يترك معناه الأوّل لأجل التقفيه.

البحث الثانى فى تضمين المزدوج

و هو أن يجمع المتكلّم بعد رعايه السجع فى أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتى الوزن و الروىّ كقوله تعالى« «وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ» » ۱و قوله صلى اللّه عليه و آله:المؤمنون هيّنون ليّنون و كقول علىّ عليه السّلام:كثره الوفاق نفاق.

البحث الثالث فى الترصيع

و هو أن يتساوى أوزان الألفاظ و يتّفق أعجازها كقوله تعالى« «إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وَ إِنَّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ» » ۲و قول على عليه السّلام:علا بحوله و دنى بطوله مانح كلّ غنيمه و فضل و كاشف كلّ عظيمه و أزل،و قوله فى صفه الدنيا:أوّلها عناء و آخرها فناء فى حلالها حساب و فى حرامها عقاب،و قد يجىء مع التجنيس كقوله عليه السّلام:

فى كتاب اللّه بيت لا تهدم أركانه و عزّ لا تهزم أعوانه.

الباب الثانى فيما يتعلّق بالدلاله الوضعيّه و المعنويّه

و اعلم أنّ البحث عن حسن الدلاله اللفظيّه يرجع إلى اشتراط أربعه امور.

الأوّل أن تكون الكلمه عربيّه غير مولّده و لا صاره عن خطأ العامّه،الثانى أن يكون أجرى على مقائيس العرب و قوانينها،الثالث المحافظه على قوانين النحو،الرابع الاحتراز عن الألفاظ الغريبه الوحشيّه و لذلك كانت فى الكتاب العزيز نادره.

و أمّا الكلام فى الدلاله المعنويّه فاعلم أنّه لمّا كان الألفاظ المفرده لا تستعمل لإفاده مدلولاتها الإلتزاميّه إلّا عند التركيب و كان الأصل فى أصناف التراكيب هو الخبر و هو الّذى يتصوّر بالصور الكثيره و تظهر فيه الأسرار العجيبه من علم المعانى و البيان رأينا أن نشير إلى قدر من مباحثه قبل الخوض فى ساير الأقسام و قد رتّبنا هذا الباب على فصول.

الفصل الأوّل فى أحكام الخبر

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى رسم الخبر

و قد رسّم بأنّه القول الّذى يقال لقائله إنّه صادق فيما قاله أو كاذب،و أورد الإمام فخر الدين عليه شكّا فقال:الصدق و الكذب لا يمكن تعريفهما إلّا بالخبر إذ يقال فى الصدق إنّه الخبر المطابق و فى الكذب إنّه الخبر الغير المطابق،و تعريف الخبر بهما دور،و أجاب أفضل المتأخّرين نصير الدين الطوسى-أبقاه اللّه-عنه فقال:

الحقّ أنّ الصدق و الكذب من الأعراض الذاتيّه للخبر فتعريفه بهما رسمى اورد تفسيرا للإسم و تعيينا لمعناه من بين ساير المركّبات و لا يكون ذلك دورا لأنّ الشىء الواضح بحسب مهيّته ربّما يكون ملتبسا فى بعض المواضع بغيره و يكون ما يشتمل عليه من أعراضه الذاتيّه الغنيّه عن التعريف أو غيرها ممّا يجرى مجراها عاريا عن الالتباس فايراده فى الإشاره إلى تعيين ذلك الشىء إنّما يلخّصه و يجرّده عن الالتباس و إنّما يكون دورا لو كانت تلك الأعراض أيضا مفتقره إلى البيان بذلك الشىء و هاهنا إنّما يحتاج إلى تعيين صنف واحد من أصناف المركّبات فيه اشتباه لأنّه لم يتعيّن بعد و ليس فى الصدق و الكذب اشتباه فيمكننا أن نقول:إنّا نعنى بالخبر التركيب الّذى يشتمل حدّ الصدق و الكذب عليه كما لو وقع اشتباه فى معنى الحيوان فيمكننا أن نقول:إنّا نعنى به ما يقع فى تعريف الإنسان موقع الجنس و لا يكون دورا،و قيل فى تعريفه أيضا:إنّه القول المقتضى بصريحه إسناد أمر إلى أمر بالنفى أو الإثبات و أمّا تسميه النحاه أحد جزء الخبر خبرا فمجاز.

البحث الثانى أنّه ليس الغرض الأوّل من وضع الألفاظ المفرده

إفادتها لمسمّاتها المفرده بيان ذلك أنّ إفادتها لها موقوفه على العلم بكونها موضوعه لها و هو مستلزم للعلم بها قبل الوضع فلو توقّفت إفادتها على الوضع لزم الدور و إنّه محال بل الغرض الأوّل منها تمكّن الإنسان من تفهّم ما يتركّب من تلك المسمّيات بواسطه تركيب تلك الألفاظ المفرده لا يقال:

ما ذكرتموه قائم بعينه فى المركّبات لأنّ اللفظ المركّب لا يفيد مدلوله إلّا عند العلم بكون تلك الألفاظ موضوعه لتلك المعانى فلو استفدنا العلم بتلك المعانى من تلك الألفاظ لزم الدور لأنّا نقول:لا نسلّم أنّ الألفاظ المركّبه لا تفيد مدلولها إلّا عند العلم بكون الألفاظ المركّبه موضوعه له بيان ذلك أنّا متى علمنا وضع كلّ واحد من تلك الألفاظ المفرده لكلّ واحد من تلك المعانى

المفرده فإذا توالت الألفاظ المفرده بحركاتها المخصوصه على السمع ارتسمت المعانى المفرده فى الذهن مستلزمه للعلم بنسبه بعضها إلى بعض استلزاما عقليّا و ذلک هو الترکیب فظهر أنّ استفاده العلم بالمعانى المركّبه لا يتوقّف على كون الألفاظ المركّبه موضوعه لها و باللّه التوفيق.

البحث الثالث فى الفرق بین الإخبار بالاسم و الإخبار بالفعل

قد عرفت أنّ الفعل مشعر بالزمان المعیّن دون الاسم فلذلک ظهر الفرق بین الإخبار به و الإخبار بالاسم فانّک إذا قصدت بالإخبار الإثبات المطلق غیر المشعر بالزمان وجب أن تخبر بالاسم کقوله تعالى« «وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ» » ١إذ ليس الغرض إلّا إثبات البسط لذراعى الكلب فأمّا تعریف زمان ذلک فغیر مقصود فأمّا إن قصدت الإشعار بزمان ذلک الثبوت فالصالح له هو الفعل کقوله تعالى« «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» » ٢فإنّ تمام المقصود إنّما يتحصّل بكونه معطيا فى كلّ حين و أوان لا بمجرد كونه معطيا.

البحث الرابع فى حكم المبتدأ و الخبر:

متى اجتمعت الذات و الصفه فالذات أولى بالمبتدئيّه و الصفه أولى بالخبريّه ثمّ إمّا أن يكون الأمر فى اللفظ كذلک أو بالعكس،و الأوّل إمّا أن لا يدخل لام التعريف فى الخبر كقولك زيد منطلق و ذلک يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير أن يفيد دوام ذلک الثبوت أو انقطاعه أو يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق أو زيد هو المنطلق فاللام فى الخبر يفيد انحصار المخبر به فى الخبر عنه ثمّ إمّا أن يكون لام العهد كما إذا اعتقدت وجود انطلاق معيّن و لكن لا تعلم أنّ المنطلق زيد أو عمرو فإذا قلت زيد المنطلق عنيت أنّ صاحب ذلک الانطلاق هو زيد فقد انحصر ذلک الانطلاق فى زيد،و إمّا لتعريف الطبيعه فيفهم من وصفه الحصر ثمّ هو للحصر إن أمكن ترك الكلام على حقيقته كقولك زيد هو الوفىّ إذا لم تظنّ بأحد خيرا غيره و إلّا حمل الكلام على المبالغه كقولك زيد هو العالم و هو الشجاع لامتناع حصر الحقيقه فيه و أمّا إذا عكس و اخّرت الذات عن الصفه كقولك المنطلق زيد فذاك إنّما يقال إذا اعتقد معتقد أنّ إنسانا انطلق و لكن لا يعلم شخصه فيقال له المنطلق زيد أى الّذى تعتقد انطلاقه هو زيد ثمّ الضابط أنّ الإخبار يجب أن يكون عمّا يعرف بما لا يعرف له.

الفصل الثانی فی الحقیقه و المجاز

و فیه أبحاث.

البحث الأوّل فی معنی الحقیقه و المجاز و حدّهما.

الحقیقه فعلیه بمعنی مفعوله من الحقّ و هو الثبات و سمّی ما خالف المجاز حقیقه لأنّه مثبت معلوم الدلاله،و المجاز مفعل من جازه یجوزه إذا تعدّاه،و إذا عدل باللفظ عن وضعه اللغویّ وصف بأنّه مجاز بمعنی أنّ الذهن انتقل من لفظه إلی المعنی غیر معناه فصار موضع الانتقال و المجاوزه،و أمّا حدّ الحقیقه فأمّا فی المفردات فهی کلّ کلمه افید بها ما وضعت له فی أصل الاصطلاح الّذی وقع التخاطب به و یدخل فی ذلک الحقیقه اللغویّه و العرفیّه و الشرعیّه فأمّا فی الجمل فکلّ جمله وضعتها علی أنّ الحکم المفاد بها علی ما هو علیه فی العقل و واقع موقعه فهی حقیقه کقولنا:خلق اللّه العالم،و أمّا حدّ المجاز فأمّا فی المفرد أیضا و هو ما افید به معنی غیر ما اصطلح علیه فی أصل المواضعه الّتی وقع التخاطب بها لعلاقه بینه و بین الأوّل و یدخل فی ذلک المجاز اللغویّ و العرفیّ و الشرعیّ و أمّا فی الجمل فکلّ جمله خرج الحکم المفاد بها عن موضوعه فی العقل بضرب من التأویل فهو مجاز کقوله تعالی« «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها» ».

البحث الثانی فیما به یتحقّق المجاز لا بدّ فیه من أمرین

أحدهما أن یکون منقولا-عن معنی وضع اللفظ بإزائه و إلاّ لبقی حقیقته،الثانی أن یکون ذلک النقل لمناسبه بین المعنیین و إلاّ لکان فی الثانی مرتجلا-و بهذا یظهر الفرق بین المجار و الکذب و الدعوی الباطله،و ذلک لأنّ المبطل إذا أخرج الحکم عن موضعه و أعطاه غیر المستحقّ لم یعرف أنّه إنّما أعطاه لکونه فرعا لأصل بل یجزم بأنّ ثبوت الحکم فی ذلک الموضع ثبوت أصلی و کذلک الکاذب یدّعی أنّ الأمر علی ما وضعه و لیس هو من التأویل فی شیء و المجاز لم یکن مجازا لأنّه إثبات الحکم لما لا یستحقّه للمناسبه بینه و بین المستحقّ.

البحث الثالث فی أقسام المجاز:

المجاز إمّا أن یقع فی اللفظ المفرد فقط أو فی المرکّب فقط أو فیهما معا مثال الأوّل إطلاق لفظ الأسد علی الرجل الشجاع و الحمار علی البلید، و أمّا الثانی و هو أن یستعمل کلّ واحد من الألفاظ المفرده فی موضعه الأصلی لکنّ الترکیب لا یکون مطابقا لما فی الوجود مثاله قوله تعالی« «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها» »و قول الشاعر:

أشاب الصغير و أفنى الكبير كرّ الغداه و مرّ العشىّ

و هذا المجاز عقلىّ لأنّ نسبه الإخراج إلى الأرض و الإشابه إلى كرّ الغداه و مرّ العشى حكم عقلى عدل به عن الفاعل الحقيقى و هو اللّه سبحانه إلى غير من هو له و هو الأرض و الغداه و العشىّ مثال الثالث كقولك لمن تحبّه أحيانى اكتحالى بطلعتك فإنّ لفظى الإحياء و الاكتحال مفرد ان استعملا فى غير موضوعهما الأصلى ثمّ نسب الإحياء إلى الاكتحال مع عدم المطابقه لما فى نفس الأمر أيضا و هذا التلخيص لعبد القاهر النحوى.

البحث الرابع فى أصناف المجاز

و الّذى ذكره الإمام فخر الدين منها إثنا عشر صنفا ١إطلاق اسم السبب على المسبب،و الأسباب أربعه أحدها الفا علىّ كاطلاق اسم النظر الّذى هو تقليب الحدقه نحو المرئىّ على الرؤيه كقولك نظرته أى رأيته،الثانى الغائى كتسميتهم العنب بالخمر،و الثالث الصورى كتسميتهم القدره يد،الرابع القابلى كقولهم سال الوادى(ب) إطلاق المسبّب على السبب كتسميتهم المرض الشديد بالموت و الأوّل أولى لاستلزام السبب المعيّن للمسبّب المعيّن من غير عكس،و أولى الأسباب بذلك هو السبب الغائى لحصول علاقه العلّيه و المعلوليه اللتين كلّ واحده منهما علّه لحسن المجاز فيه دون باقى الأسباب(ج)إطلاق اسم الشىء على ما يشابهه كإطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد و هو الاستعاره كما سيجىء بيانها(د)تسميمه الشىء باسم ضدّه كتسميه العقاب بسبب الجريمه بالجزاء المختصّ بمقابله الإحسان بمثله(ه)تسميه الجزء باسم الكلّ كإطلاق لفظ العامّ على الخاصّ(و)العكس كإطلاق لفظ الأسود على الزنجى لسواد جلده و الأوّل أولى لاستلزام الكلّ للجزء من غير عكس (ز)إطلاق ما بالفعل على ما بالقوّه كتسميه الخمر فى الدنّ مسكرا و هو قريب من إطلاق السبب الغائى على مسبّبه(ج)إطلاق المشتقّ بعد زوال المشتقّ منه كإطلاق لفظ ضارب على من فرغ من الضرب و قد عرفت أنّ ذلك هل هو مجاز أم حقيقه(ط)إطلاق اسم المجاور على مجاوره كإطلاق لفظ الروايه و هو الجمل الّذى يحمل عليه الماء على المزاده(ى)إطلاق اسم الحقيقه العرفيّه كالدابّه للفرس على الحمار و غيره مجازا عرفيّا(يا)المجاز بسبب النقصان و الزياده قال الإمام و تحقيقه أنّ الكلمه كما أنّها توصف بالمجاز لنقلها عن

معناها فقد توصف بالمجاز لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هى بحقيقه فيه كقوله تعالى« «وَ سْئَلِ الْقَرْيَهَ» »و التقدير و اسأل أهل القريه و الّذى يستحقّه فى الأصل الجرّ،و النصب فيها مجاز،و فيه نظر لأنّ الإعراب لا يراعى فيه صدق النسبه و كذبها و المطابقه و عدمها فإنّك لو قلت لمست السماء كان السماء مفعولا به للفعل المتقدّم و يستحقّ النصب حقيقه و كذلك القريه هاهنا تستحقّ النصب حقيقه بالمفعوليه أمّا أنّ النسبه فى نفسها صادقه أم لا فذاك بحث آخر بل الحقّ أنّه مجاز فى التركيب و النسبه فإنّ نسبه السؤال إلى أهل القريه حقيقه فيكون إليها مجازا و إن قطعنا النظر عن مباحث النحاه أمكن أن يكون الحقّ ما قاله الإمام،و أمّا المجاز بسبب الزياده فالحقّ أنّ الزياده إنّ غيّرت معنى الكلام الّذى يتمّ بدونها و لا يحتاج فيه إليها كقوله تعالى« «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» »فالمجاز حاصل فى النسبه إذ كانت نسبه النفى إلى من ليس له و إن لم تغيّر كما فى قوله تعالى« «فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ» »لم يتصوّر المجاز هاهنا(يب)إطلاق اسم المتعلّق على المتعلّق كتسميه المقدور قدره.

البحث الخامس المجاز بالذات لا يدخل إلاّ على أسماء الأجناس

و بيانه أمّا الحرف فلأنّ معناه فى غيره فإن ضمّ على حقيقه فهو حقيقه أو إلى مجاز كان مجازا فى التركيب فلم يدخله بالذات،و أمّا الفعل فلأنّ معناه مركّب من المصدر و غيره فما لم يكن المصدر متجوّزا به لم يكن الفعل كذلك فكان داخلا فيه بالعرض،و أمّا الاسم فإمّا علم و لا يدخله المجاز لأنّه مشروط بالعلاقه بين الأصل و الفرع و ليست موجوده فى الأعلام أو مشتقّ و معلوم أنّه لو لا تطرّق المجاز إلى المشتّق منه لم يتطرّق إلى المشتقّ فلم يبق إلاّ أسماء الأجناس.

البحث السادس فى الداعى إلى التكلّم بالمجاز:

العدول إلى المجاز إمّا لأجل اللفظ أو المعنى أولهما أمّا الأوّل فإمّا لأجل جوهر اللفظ أو لأحوال عارضه له أمّا الأوّل فأن يكون اللفظ الدالّ بالحقيقه ثقيلا على اللسان إمّا لثقل أجزائه أو لتنافر تركيبه أو لثقل وزنه و يكون المجاز عذبا و أمّا الثانى فأن يكون المجاز صالحا للشعر أو للسجع و أصناف البديع دون الحقيقه و أمّا الّذى لأجل المعنى فقد يقصد المجاز لتعظيم ليس فى الحقيقه كما يقال سلام على المجلس السامى أو لتحقير يكون فيها كما يعبّر بالغائط عن قضاء الحاجه

أو لزيـاده بيان إمّا تقويه لحال المـذكور كقولك رأيت أسـدا للإنسان الشـجاع فإنّه أتمّ من قولك رأيت إنسانا يشـبه الأسـد فى الشـجاعه،أو تقويه لحال الـذكر و هو المجاز الّـذى يذكر للتأكيد أو لتلطيف الكلام قال الإمام:و تقريره أنّ النفس إذا وقفت على كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها إليه شوق أصـلا لأنّ تحصيل الحاصل محال،و إن لم يقف على شىء منه أصلا لم يحصـل لها أيضا إليه شوق.أمّا إذا وقفت عليه من بعض الوجوه دون البعض فإنّ القـدر المعلوم يشوّقها إلى غير المعلوم فيحصـل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذّه و بسبب حرمانها عن الباقى ألم فيحصل هناك تعاقب آلام و لذّات،و اللذّه إذا حصلت عقيب الألم كانت أقوى و شعور النفس بها أتمّ.إذا عرفت ذلك فنقول:إذا عبّر عن الشـىء باللفظ الدالّ عليه على سبيل الحقيقه حصـل تمـام العلم به فلاـ تحصـل اللـذّه القويّه أمّـا إذا عبّر عنها بلوازمها الخارجيّه عرّفت لا على سبيل الكمال فتحصل الحاله المـذكوره الّتى هى كالدغـدغه النفسانيّه.مثـال هـذا إنّـك إذا قلت رأيت إنسـانا يشـبه الأسـد فى شـجاعته فقـد حصـلت المعانى بتمامها من ألفاظهـا الموضوعه لهـا فلم يحصل من اللـذّه ما يحصل من قولك رأيت أسـدا فى يـده سيف فإنّ الـذهن هاهنا يتصوّر من لفظ الأسـد معنـاه و لوازمه البيّنه كالشـجاعه ثمّ ينتقـل بسـبب القرينه إلى ملاـحظه وجه الشبه فى الإنسان الّـذى هو الشـجاعه فـذلك الانتقال هو محلّ الدغدغه و اللّذه النفسانيّه.

البحث السابع –فيما تنفصل به الحقيقه عن المجاز.

إنّه إمّـا أن يقع بالتنصيـص أو الاسـتدلال أمّا التنصيـص فمن وجوه:أحـدها أن يقول الواضع هـذا حقيقه و ذاك مجاز،و ثانيها أن يذكر واحدا منهما،و ثالثها أن يذكر خواصّـهما،و أمّا الاسـتدلال فالحقيقه تعرف من وجهين أحدهما أن يسـبق المعنى من ذلك اللفـظ إلى فهم بعض السـامعين من أهـل تلـك اللغه فيحكم بـأنّه حقيقه فيه إذ لو لاـ اضـطراره إلى فهم ذلـك المعنى من قصـد الواضـعين لما فهمه دون غيره،و ثانيهما أنّ أهل اللغه إذا أرادوا إفهام غيرهم معنى اقتصـروا على عبارات مخصوصه و إذا قصـدوا بـالتعبير الحسن بعـد الفهم عبّروا بعبـارات اخرى و قرّنوا بهـا قرائن فيعلم أنّ الأـوّل حقيقه إذ لو لا أنّه اسـتقرّ فى قلوبهم اسـتحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى لما اقتصروا عليه،و أمّا المجاز فيعرف أمّا أوّلا فمن عكوس ما ذكرناه فى تعريف الحقيقه،و أمّا ثانيا

فلأنّ الكلمه إذا علّقت بما يستحيل تعليقها به علم أنّها فى أصل اللغه غير موضوعه له فيعلم أنّها مجاز فيه كقوله تعالى« «وَ سْئَلِ الْقَرْيَهَ» »،و أمّا ثالثا فأن يعلم أنّ الواضع وضع لفظا لمعنى ثمّ استعمله فى بعض موارده ثمّ استعمله بعد ذلک فى غير ذلک الشىء كلفظ الدابّه الّذى وضع لكلّ ما يدّب ثمّ خصّ بالفرس فصار حقيقه عرفيّه ثمّ استعمل بعد ذلک فى الحمار فيعلم أنّه مجاز فيه إلى أن يغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقه عرفيّه أيضا.

الفصل الثالث فى التشبيه

و فيه أربعه أركان.

الركن الأوّل-فى المتشابهين.

إنّهما إمّا محسوسان أو معقولان أو المشبّه به محسوس و المشبّه معقول أو بالعكس أمّا الأوّل فكقول على عليه السّلام:لأهل البصره كأنّى بمسجدكم هذا كجؤجؤ سفينه،و قوله عليه السّلام:فى وصف الأتراک كأنّى أراهم قوما كان وجوههم المجانّ المطرقه،و أمّا الثانى فكقوله عليه السّلام:اداريكم كما تدارى البكار العمده و الثياب المتداعيه فإنّ المتشابهين هاهنا هو مداراته و مداراه أهل البكار لها،و المداراه معنى إضافى معقول،و ما به المشابهه هو الصعوبه هاهنا كالصعوبه هناک،و أمّا الثالث فكقوله عليه السّلام:فى حقّ مر و ان أما إنّ له إمره كلعقه الكلب أنفه فإنّ الإمره حاله معقوله أشبهت لعقه الكلب أنفه فى السرعه و هى أمر محسوس و قوله عليه السّلام أمّا بعد فإنّ الأمر ينزّل من السماء إلى الأرض كقطر المطر،و كقوله كأنّى بک يا كوفه تمدّين مدّ الأديم العكاظى،و أمّا الرّابع فكقول الشاعر.

كأنّ بصاص البدر من تحت غيمه نجاه من البأساء بعد وقوع

و كقول الصاحب بن عباد و قد أهدى عطرا إلى القاضى أبى الحسن.

أهديت عطرا كان مثل سنائه فكأنّما أهدى له أخلاقه

و قد منع الإمام فخر الدين من جواز هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه على أنّ العلوم العقليّه مستفاده من الحواسّ فكان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يقتضى جعل الأصل فرعا و الفرع أصلا و هو محال و هذا سهو،فإنّ الحواسّ و إن كانت طرقا للعلم إلّا أنّها ليست كلّ الطرق له سلّمناه لكنّ الممنوع إنّما هو جهه ما هو فرع لذلک الأصل لا مطلقا و هاهنا ليس كذلک فإنّ المعقول فرع للمحسوس من جهه ما هو مستفاد عنه فيمتنع أن يعود أصلا من تلک الجهه لكنّه لا يمتنع أن يكون فرعا له من تلک الجهه و مع ذلک يكون أصلا له فى التشبيه و الملاحظات الذهنيّه.

الركن الثانى فيما به التشبيه

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى أقسامه

-إنّه إمّا أن يكون صفه حقيقيّه أو إضافيّه،و الأوّل إمّا كيفيّه جسمانيّه أو نفسانيّه،و الأوّل إمّا كيفيّه محسوسه إحساسا أوّلا أو ثانيا،و الأوّل إمّا بحسّ البصر كتشبيه الخدّ بالورد فى الحمره و تشبيه الوجه بالنهار و الشعر بالليل، أو بحسّ السمع كتشبيه اطيط الرجل بأصوات الفراريج،و كتشبيه الصوت المنكر بصوت الحمار،أو بحسّ الذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوه بالعسل و السكّر،أو بحسّ الشمّ كتشبيه بعض الرياحين بالمسك و الكافور،أو بحسّ اللمس كتشبيه الجسم اللين الناعم بالخز و الخشن بالمسح،و أمّا المحسوسه ثانيا فهى الأشكال و المقادير و الحركات،و الأشكال إمّا مستقيمه أو مستديره مثال التشبيه فى الاستقامه تشبيه الرجل المعتدل القامه بالرمح،و مثال التشبيه فى الاستداره المستدير بالكره تاره و بالحلقه اخرى،و مثال التشبيه فى المقادير تشبيه عظيم الجثّه بالجمل و الفيل و مثاله فى الحركه تشبيه السريع بالسهم،و أمّا الاشتراك فى كيفيّه جسمانيّه غير محسوسه فكما يقال فلان كالحمار أى فى بلادته أو شبقه و هو كالنمر أى فى غضبه،و أمّا فى الكيفيّه النفسانيّه فكالاشتراك فى الغرائز و الأخلاق كالكرم و الحلم و الشجاعه و الذكاء و الفتنه و العلم و الزهد كقولك هو كالحاتم أى فى جوده و كعمرو بن معدى كرب أى فى شجاعته،و أمّا الاشتراك فى الحاله الإضافيّه فكقولهم هذه الحجّه كالشمس فالاشتراك هاهنا فى الجلاء بالنسبه إلى البصر و الفهم و هى حاله إضافيه و قد يكون جليّه كما ذكرنا و كقولهم ألفاظ فلان كالماء أى فى السلاسه و كالنسيم أى فى الرّقه و ذلك أنّه إذا لم يتنافر حروفه بل خفت على اللسان و لم يكن غريبا وحشيّا ارتاح له القلب فلسرعه وصوله إلى النفس صار كالماء الّذى يسرع نفوذه إلى الحلق و النسيم الّذى يسرى فى البدن و قد يكون خفيّه كقول من ذكر بنى المهلّب هم كالحلقه المفرغه لا يدرى أين طرفاها ألا ترى أنّه لا يفهم المقصود من ذلك إلّا من كان له ذهن يرتفع عن درجه العامّه.

البحث الثانى فى تقسيمه بوجه آخر

-إنّه قد يكون قريبا و قد يكون بعيدا و الأوّل كما إذا خطرت ببالك استداره للشمس و استنارتها فإنّه يخطر بقلبك المرآه المجلوّه و تلاحظ الشبه بينهما و كذلك إذا نظرت إلى الوشيّ المنشور لاح لك شبهه الروض الممطور

المفترّ عن أزهاره و أمّا الغريب البعيد فهو الّذى يحتاج فى إدراكه إلى دقّه نظر كتشبيه الشمس بالمرآه فى كفّ الأشلّ و تشبيه البرق بإصبع السارق كقول كشاجم.

أرقت أم نمت لضوء بارق مؤتلفا مثل الفؤاد الخافق

{ كأنّه إصبع كفّ السارق. }

ثمّ السبب فى القرب و البعد أمران:أحدهما أنّ الحسّ لا يعطى التميز بين جهه الاشتراك و الامتياز و إنّما يدرك المركّب من حيث هو شىء واحد و أمّا التفصيل و التميز فذاك حظّ العقل و أيضا فشعور الحسّ بالإجمال أقدم من شعوره بالتفصيل فإنّ المرئىّ فى أوّل النظر إليه لا يدرك البصر تفاصيله حتّى يتكرّر و كذلك المسموع فإنّك تقف فى إعاده الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع الأوّل و بادراك التفاصيل يقع التفاضل بين سامع و سامع و إذن كان إدراك الجمله أسهل و أقرب من إدراك التفصيل.

البحث الثالث فى بيان أنّ التشبيه بالوجه العقلى أعمّ

من التشبيه بالوجه الحسّى أمّا تشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن أن يكون لأجل الاشتراك فى وجه محسوس و يمكن أن يكون لأجل الاشتراك فى وجه معقول و يمكن لأجلهما جميعا مثال الأوّل تشبيه الخدّ بالورد مثال الثانى قوله صلى اللّه عليه و آله إيّاكم و خضراء الدمن فالتشبيه مأخوذ للمرأه من النبات و هما محسوسان و لكن وجه المشابهه هو مقارنه الحسن الظاهر للقبح الباطن و هو أمر عقلىّ،و مثال الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس لاشتراكهما فى النباهه الّتى هى أمر عقلىّ و فى الضياء الّذى هو أمر حسّى،و أمّا تشبيه المعقول بالمعقول و المعقول بالمحسوس و المحسوس بالمعقول فيمتنع أن يكون وجه المشابهه غير عقلىّ كأنّ وجه المشابهه مشترك بين الجانبين فلو كان محسوسا لم يصحّ وصف المعقول به و أمّا العقلىّ فيصحّ لصحّه أن يصدر عمّا لا يكون محسوسا أمر محسوس فثبت أنّ التشبيه بالوجه المعقول أعمّ.

البحث الرابع-التشبيه بالوصف المحسوس أتمّ من التشبيه بالوصف المعقول

بيانه من وجهين أحدهما أنّ أكثر الفرض فى التشبيه التخيّل الّذى يقوم مقام التصديق فى الترغيب و الترهيب،و الخيال أقوى على ضبط الكيفيّات المحسوسه منه على الامور الإضافيّه، الثانى أنّ الاشتراك فى نفس الصفه أسبق من الاشتراك فى مقتضاها لما أنّ الصفه فى نفسها

متقدّمه فى التصوّر على مقتضاها فكانت الصفه المحسوسه أتمّ فى التشبيه من الأمر المعقول

البحث الخامس فى تقسيم ما به المشابهه إلى المفرد و المركّب:

المشابهه إمّا أن يكون فى أمر واحد أو فى امور كثيره و الأوّل إمّا أن لا يكون مقيّدا بالنسبه إلى شىء أو يكون فالأوّل كتشبيه الكلام بالعسل فى أنّ كلّ واحد منهما يوجب للنفس لذّه و حاله محموده و أمّا الثانى فما إليه الانتساب أربعه أمور إمّا المفعول به فكقولهم أخذ القوس باريها لأنّ المقصود وقوع الأخذ فى موقعه و وجوده من أهله و هذا لا يحصل من الأخذ المطلق و لكن من حيث الحكم الحاصل له بوقوعه من بارىء القوس عليه،و إمّا إلى ما يجرى مجرى المفعول به و هو الجارّ و المجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد هو كالراقم على الماء فالتشبيه ليس بمنتزع من الرقم المطلق بل منه على الماء،و إمّا إلى الحال كقولهم كالحادى ليس له بعير أى الحادى حال ما لا يكون له بعير،و إمّا إلى المفعول به و الجارّ و المجرور معا كقولهم هو كمن يجمع السيفين فى غمد و هو كمن ينثر الجوز على القبّه فالجمع المعدى إلى السيفين لا يكفى فى التشبيه ما لم يشترط كونه جامعا لهما فى الغمد و منه قوله تعالى« «كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً» »فإنّه تضمّن التشبيه من اليهود لا لأمر يرجع إلى حقيقه الحمل المطلق بل لأمرين آخرين أحدهما تعديته إلى الأسفار و الآخر اقتران الجهل بما فيها لأنّ الغرض توجيه الذمّ إلى من أتعب نفسه بحمل ما يتضمّن المنافع العظيمه ثمّ لم ينتفع به بجهله و هذا المقصود لا يحصل من الحمل المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الآخرين ثمّ إذا كان ما به المشابهه وصفا مقيّدا فقد يمكن إفراد أحد جزئيه بالذكر و قد لا يمكن أمّا الأوّل فكقوله.

فكأنّ أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فإنّك لو قلت كأنّ النجوم درر و كأنّ السماء البساط أزرق كان التشبيه معقولا و إن تغيّر المعنى المراد للقائل إذ مقصوده من التشبيه هاهنا ذكر الامور العجيبه من طلوع النجوم مؤتلقه مفترقه فى أديم السماء و هى زرقاء زرقتها الصافيه و النجوم تتلألأ فى تلك الزرقه و معلوم أنّ هذا المقصود لا يبقى إذا فرقّ التشبيه و أمّا الثانى فكقوله.

كانّما المرّيخ و المشترى قدّامه فى شامخ الرفعه

منصرف بالليل عن دعوه قد أسرجت قدّامه الشمعه

فلو قلت كأنّ المريّخ منصرف عن دعوه و تركت حديث المشترى و الشمعه كان خلفا من القول إذ التشبيه للمريّخ حيث الحاله الحاصله له من تقدّم المشترى له فإذن لا يمكن إفراده بالذكر.

البحث السادس فى التشبيهات المتعدده المجتمعه

-إنّما يكون الأمر كذلك إذا كان التشبيه من امور كثيره لا يتقيّد بعضها بالبعض و حينئذ يكون التشبيهات مضموما بعضها إلى بعض لأغراض كثيره كلّ واحد منها قائم بنفسه و لهذا النوع خاصيّتان الاولى أنّه لا يجب فيها الترتيب فإنّك لو قلت زيد كالأسد بأسا و البحر جودا و السيف مضاء و البدر بهاء لم يجب عليك أنّ تحفظ فى هذا التشبيهات نظاما مخصوصا،الثانيه إذا سقط البعض فإنّه لا يتغيّر حال الباقى كقولهم:هو يصور و يكدر و يحلو و يمرّ،و لو تركت ذكر للكدوره و المراره لكان المعنى فى تشبيه بالماء الصافى و العسل فى الحلاوه باقيا.

البحث السابع-يجب مراعاه جهه التشبيه و لا يجوز تعدّيها

و إلّا وقع الخطاء مثاله ما قيل:النحو فى الكلام كالملح فى الطعام فإنّ جهه التشبيه هاهنا هى الإصلاح و المقصود أنّ الطعام كما لا يصلح إلاّ بالملح كذلك الكلام لا يصلح إلّا بالنحو فأمّا ما ظنّه بعضهم هو أنّ المقصود هو أنّ القليل من النحو مغن و الكثير مفسد كما أنّ القليل من الملح مغن و الكثير مفسد فهو ظنّ فاسد لأنّ النحو علم بمجموع قوانين مضبوطه يمتنع تطرّق الزياده و النقصان إلى جريانها فى الكلام كقولك كان زيد قائما فإنّه لا بدّ فيه من رفع الاسم و نصب الخبر فإن وجدا وجد النحو من غير زياده و لا نقصان و إن لم يحصلا عدم النحو فلا زياده و لا نقصان أيضا.

البحث الثامن فى اكتساب وجه المشابهه

-الطريق إليه تميز ما به المشابهه عمّا به الامتياز مثلا من أراد تشبيه شىء بشىء فى هيئه الحركه وجب أن يطلب الوفاق بين الهيئه و الهيئه المجرّده عن الجسم و سائر ما فيه من الأعراض كما فعل ابن المعتزّ فى قوله:

و كانّ البرق مصحف قار فانطباقا مرّه و انفتاحا

فلم ينظر فى جميع أوصاف البرق و معانيه إلاّ إلى الهيئه الّتى تجدها العين من انبساط يعقّبه انقباض ثمّ لمّا بحث عن أوصاف الحركات لينظر أيّها أشبه بها أصاب

ذلك فيما يفعله القارى بأوراق المصحف من فتحها مرّه و طبقها أخرى و لم يكن حسن التشبيه لكونه جامعا بين مختلفين بل لحصول الاتّفاق بينها من ذلك الوجه و لأجل اجتماع الأمرين أعنى الاتفاق التامّ و الاختلاف التامّ كان حسنا و ممّا يناسب ذلك فى كونه جامعا بين المختلفين محاوله الشاعر جعل الشىء سببا لضدّه كقوله:

أعتقنى سوء ما صنعت من الرقّ فيا بروزا على كبدى

فصرت عبدا للسوء فيك و ما أحسن سوء قبلى إلى أحد

الركن الثالث فى غرض التشبيه

-إنّه إمّا أن يكون عائدا إلى المشبّه،أو إلى المشبّه به أمّا الأوّل فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول و قد لا يكون أمّا الأوّل فإمّا أن يقصد بيان إمكانه عند ما لا يكون بيّنا فيحتاج إلى التشبيه لبيانه كقوله:

فإن تفق الأنام و أنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال

فإنّ مقصوده أن يقول إنّ الممدوح فان الأنام حتّى لم يبق بينهم و بينه مشابهه بل صار أصلا بنفسه و لمّا كان هذا فى الظاهر كالممتنع إذ يبعد أن يتناهى إنسان فى الفضائل إلى أن يخرج من نوعه احتجّ لدعواه بأنّ المسك و إن كان بعض دم الغزال فى أصله فقد خرج عن صفه الدم و حقيقه حتّى صار لا يعدّ دما،و إمّا أن يقصد بيان مقداره كقولك للشىء الأسود إنّه كحلك الغراب فإنّ المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار السواد فى الحلوكه لا إمكان وجوده، و أمّا الثانى و هو أن لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه أحد أمرين أحدهما نقل النفس من الغريب إلى القريب لأنّ ألف النفس مع الحسيّات أتمّ من العقليّات لتأخّر كثير من العلوم العقليّه عن الحسيّه فإذا ذكرت المعنى العقلىّ الجبلىّ ثمّ عقبّه بالتمثيل الحسى فقد نقلت النفس من الغريب إلى الغريب،الثانى أن يقصد المباعده بين المتشابهين لأنّ التشابه به حينئذ يكون أغرب فيكون إعجاب النفس بذلك التشبيه أكثر لأنّ شعف النفس بالغريب الّذى لم يعهد أكثر من المألوف المعتاد،و أمّا الأغراض العائده إلى المشبّه به فقد يقصد المادح على طريق التخييل أن يوهم فى الشىء القاصر عن نظيره أنّه زائد عليه و يشبه الزائد بذلك الناقص يقصد به إعلاء شأن ذلك الناقص أى هو بالغ إلى حيث صار أصلا للشىء الكامل فى ذلك الأمر كقوله.

و بدا الصباح كأنّ غرّته وجه الخليفه حين يمتدح

الا ترى أنّه جعل وجه الخليفه أعرف و أتمّ و أشهر فى النور و الضياء من الصباح حتّى شبّه الصباح به،و قد يقصد الذامّ عكس ذلك.

الركن الرابع فى التشبيه نفسه

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل-التشبيه ليس من المجاز

لأنّه معنى من المعانى و له حروف و ألفاظ مخصوصه كالكاف و كأنّ و نحو و مثل تدلّ عليه وضعا فإذا صرّح بالألفاظ الدالّه عليه كان حقيقه فإذا قلت زيد كالأسد لم يكن نقلا للفظ عن موضوعه الأصلى فلا يكون مجازا.

البحث الثانى فى التشبيه الذّى يصحّ عكسه

و الّذى لا يصحّ-قد يكون الغرض من التشبيه إلحاق الناقص بالزائد مبالغه فى إثبات الحكم للناقص كما إذا شبّهت شيئا أسودا بخافه الغراب أو وجها حسن البياض و الصوره بالبدر و الشمس و مثل هذا يمتنع العكس فيه لأنّ تنزيل الزائد منزله الناقص يضادّ المبالغه الاولى و قد يكون المقصود الجمع بين الشيئين فى مطلق الصوره أو الشكل و اللون كتشبيه الصبح بغرّه الفرس لا لأجل المبالغه فى الضياء بل لأجل ظهور بياض فى سواد مع كون البياض قليلا بالإضافه إلى السواد و العكس حينئذ جائز كما لو شبّهت غرّه الفرس بالصبح.

البحث الثالث فى التشبيه الواقع فى الهيئات

-إنّه قد يقع فى الهيئات الّتى يقع عليها الحركات،و قد يقع فى الهيئات التى يقع عليها السكنات أمّا الأوّل فعلى وجهين أحدهما أن يقرن الحركه بغيرها من الأوصاف و الشكل و اللون كقول ابن المعتزّ:و الشمس كالمرآه فى كفّ الأشلّ،أراد أنّ لها من الاستداره و الإشراق الحركه الّتى تراها إذا أمعنت التأمّل و ذلك أنّ للشمس حركه دائمه متّصله و لنورها بسبب ذلك تموّج و لا يحصل هذا التشبيه إلاّ أن تكون المرآه فى كفّ الأشلّ لدوام حركته فيتموّج بسببه نور المرآه و تلك حال الشمس،و ثانيها أن يكون التشبيه فى هيئه الحركه مجرّده من كلّ وصف يقارنها مثال قول الأعشىّ يصف السفينه و تلعب الأمواج بها:

نقص السفين بجانبيه كما ينزوا الرباح خلاله الكرع

و الربّاح القرد فى لغه أهل اليمن و أصله بتشديد الباء فخفّفه و قيل أراد الربح و هو

الفصيل فأشبع فتحه الباء فحدثت الألف و الكرع ماء السماء يكرع فيه شبه السفينه فى انحدارها و ارتفاعها بحركات القرد إذا نزا فى الماء فإنّه يكون له حركات مختلفه فى جهات مختلفه و يكون هناك تسفل و تصعد على غير ترتيب و هو أشبه شيء بحركات السفينه حين يتدافعها الموج،و أمّا التشبيه الواقع فى الهيئات الّتى يقع عليها السكنات فكقول الأخطل فى صفه المصلوب.

كأنّه عاشق قد مدّ صفحته يوم الوداع إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيّه من الكسل

فلطفه بسبب ما فيه من التفاصيل و لو قال كأنّه متمطّ من نعاس و اقتصر عليه لكان قريب التناول لأنّ هذا القدر من التشبيه يحصل فى نفس الرائى للمصلوب لكونه من باب الجمله،و أمّا على التفصيل الّذى قيّد به استدامه تلك الهيئه فلا يحصل إلاّ مع التأمّل لحاجته إلى أن ينظر إلى أحوال المتمطّى من مدّ ظهره و يده و يزيد على ذلك النظر إلى استدامته لذلك و إلى علّته و هى قيام اللوثه و الكسل فى القائم من النعاس و هذا أصل فيما يراد به التفصيل و هو أن يثبت فى الوصف أمر زائد على المعلوم المتعارف ثمّ يطلب علّته.

البحث الرابع فى مراتب التشبيه فى الخفاء و الظهور:

التشبيه قد يكون بالتخيّل الّذى لا وجود له فى الأعيان كتشبيه الشقائق بأعلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد،و قد يكون بماله وجوده فى الأعيان و حينئذ فالهيئه المغيّره فى ذلك إمّا أن توجد قليلا أو كثيرا بيانه أنّك إذا قايست بين قوله:

و كأنّ أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

و بين قول ذى الرّمه كأنّها فضّه قد مسّها ذهب.عرفت أنّ الأوّل أغرب من الثانى لأنّ الهيئه الاولى و هى وجود درر منثور على بساط أزرق أقلّ وقوعا من فضّه أجرى عليها الذهب،و كلّما كان الشيء عن الوقوع أبعد كان أغرب فكان التشبيه به ألذّ و أعجب.

البحث الخامس فى التمثيل و المثل:

قد خصّ التشبيه المنتزع من اجتماع امور يتقيّد بعضها بالبعض باسم التمثيل و قد يكون ذلك على وجه الاستعاره كقولك للمتردّد فى الأمر

أراك تقدّم رجلاـ و تؤخّر اخرى تريد أنّك فى تردّدك كمن يقدّم رجلا و يؤخّر اخرى و قد لا يكون كما إذ أبرزت ألفاظ التشبيه كقوله تعالى« «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ» » الآيه،و أمّا المثل فهو تشبيه سائر أى يكثر استعماله على معنى أنّ الثانى بمنزله الأوّل و الأمثال كلّها حكايات لاـ تغيّر لأنّ ذكرها على تقدير أن يقال فى الواقعه المعيّنه إنّها بمنزله ما يقال فيه هذا القول كقولك لمن لم يسمع رأيك لا يطاع لقصير أمر.ألا ترى أنّك تقول ذلك بالألفاظ الّتى قالها منشىء هذا المثل و لو غيّرت هذه الألفاظ لم يسمّ مثلا.

الفصل الرابع فى الاستعاره

و فيه ثلاثه أركان.

الركن الأوّل فى حقيقتها و أحكامها

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل-أجود ما قيل فى حدّ الاستعاره

إنّها استعمال اللفظ فى غير ما اصطلح عليه فى أصل المواضعه الّتى بها التخاطب لأجل المبالغه فى التشبيه،و بالقيد الأوّل احترزنا عن الحقائق الثلاث اللغويّه و العرفيّه و الشرعيّه و بقولنا لأجل المبالغه فى التشبيه عن سائر وجوه المجاز،و أعلم أنّ المستعار و إن كان صفه للفظ إلّا أنّه صفه للمعنى أوّلا فإنّ المعنى أوّلا يعار ثمّ بواسطته يعار اللفظ.بيانه من وجهين أحدهما أنّه حيث لا يكون نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعاره كالأعلام المنقوله فإنّك إذا سمّيت إنسانا بيزيد أو يشكر فإنّه لا يقال لهذه الألفاظ مستعاره إذا لم يكن نقلها تبعا لنقل معانيها تقديرا،الثانى أنّ العقلاء يجزمون بأنّ الاستعاره أبلغ من الحقيقه فإن لم يكن نقل الاسم تبعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغه إذ لا مبالغه فى إطلاق الاسم المجرّد عاريا عن معناه.

البحث الثانى الفرق بين الاستعاره و التشبيه:

إنّ التشبيه حكم إضافىّ يستدعى مضافين و ليس الاستعاره كذلك فإنّك إذا قلت رأيت أسدا لم يذكر شيئا آخر حتّى تشبّه بالأسد فلم يكن ذلك تشبيها بل اعطى المعنى لفظا ليس له لأجل المشابهه بينه و بين معناه الأصلى و ما هو لأجل شىء آخر لا يكون نفس ذلك الشىء،و اعلم أنّه متى قوّيت المشابهه بين الشيئين كان التصريح بالتشبيه قبيحا و ذلك لقرب الشبه من حقيقه المشبّه به مثاله إطلاق لفظ النور على العلم و الإيمان و الظلم على الكفر و الجهل فلا يحسن هاهنا

لقوّه المشابهه أن يقول العلم كالنور و بالجمله فالاستعاره إنّما تحسن حيث يكون التشبيه متقرّرا بين الناس ظاهرا فأمّا إذا خفى و احتاج إلى كلفه فلا بدّ من التصريح فإنّك لو قلت فى قوله عليه السّلام:مثل المؤمن كمثل النخله و أردت المؤمن كنت كما قال سيبويه ملغزا تاركا لكلام العرب.

البحث الثالث فى ترشيح الاستعاره و تجريدها

-أمّا ترشيح الاستعاره فأن تراعى جانب المستعار و تولّيه ما يستدعيه و تضمّ إليه ما يقتضيه كقول كثير:رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضرّ،فاستعار الرمى للنظر وراعى ما يستدعيه فأردفه بلفظ السهم،و قول امرء القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه أو أردف أعجاز أوناء بكلكل.

لمّا جعل لليل صلبا قد تمطّى به أردفه بما يقتضيه من الأعجاز و الكلكل،و أمّا تجريدها فأن يراعى جانب المستعار له كقوله تعالى« «فَأَذاقَهَا اللّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ» »و كقول زهير:لدىّ أسد شاكى السلاح مقذّف،لو نظر إلى المستعار هاهنا لقيل فكساهم لباس الجوع،و لقال زهير لدىّ أسد فى المخالب و البراثن.

البحث الرابع فى الاستعاره بالكنايه و تنزيلها منزله الحقيقه

-و أمّا الاستعاره بالكنايه فهو أن يذكر بعض لوازم المستعار للتنبيه عليه دون التصريح بذكره كقول أبى ذويب:و اذ المنيّه انشبت أظفارها.فكأنّه حاول استعاره السبع للمنيّته لكنّه لم يصرح بها بل ذكر بعض لوازمها تنبيها لها على المقصود،و أمّا تنزيلها منزله الحقيقه فاعلم أنّهم قد يستعيرون الوصف للشىء المعقول و يجعلون ذلك كالثابت لذلك الشىء فى الحقيقه و كأنّ الحقيقه لم توجد و ذلک كاستعاره العلوّ لزياده الرجل على غيره فى الفضل ثمّ وضعهم الكلام وضع من يذكر علوّا مكانيّا كقول أبى تمام.

و يصعد حتّى يظنّ الجهول بأنّ له حاجه فى السماء

فقصد هاهنا أن ينسى التشبيه و يرفعه رأسا و يجعل الممدوح صاعدا فى السماء صعودا مكانيّا و هكذا إذا استعاروا اسم الشىء لغيره من نحو بدر أو أسد فإنّهم يبلغونه إلى حيث يعتقد أن ليس هناك استعاره كقوله:

قامت تظلّلنى و من عجب شمس تظلّلنى من الشمس

فلو لا أنّه أنسى نفسه أنّ هاهنا استعاره لما كان لهذا التعجّب معنى و مدار أكثر هذا النوع على التعجّب و قد يجىء على عكس مذهب التعجّب كقوله.

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرّ أزراره على القمر

فقد ذكر كما ترى شيئا هو من خاصّه القمر فهو ينهاهم عن التعجّب من بلى الكتان بسرعه و يقول إنّه قد زرّ على القمر و من شأن القمر ذلك و هذا إنّما يتمّ بالجزم بكونه قمرا لأنّه لو اعترف بأنّه ليس بقمر و إنّما يشبه القمر لبطل كلامه.

البحث الخامس فى شرط حسن الاستعاره

-و اعلم أنّ الاستعاره إنّما تحسن بالمبالغه فى التشبيه مع الإيجاز كقوله:أيا من رمى قلبى بسهم فأنفذ.لا كقول أبى تمام:

لا تسقنى ماء الملام فإنّنى صبّ قد استغذيت ماء بكائى

فإنّ قوله ماء الملام ليس فيه لذاذه و لو أتى بالحقيقه فقال لا تلمنى لكان أوجز،و قد تكون الاستعاره عاميّه كقولك رأيت أسدا أو وردت بحرا و قد يكون خاصيّه كقوله و سالت بأعناق المطى الأباطح-شبّه سيرها الحثيث و غايه سرعته فى لين و سلاسه بسبيل وقع فى الأباطح فجرت به.

الركن الثانى فى أقسام الاستعاره

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل الاستعاره-قد تعتمد نفس التشبيه

كما إذا اشترك شيئان فى وصف و هو فى أحدهما أزيد فتعطى الناقص اسم الزائد كقولك رأيت أسدا و تريد رجلا شجاعا و عنّت لنا ظبيه و تريد امرأه و قد تعتمد لوازم التشبيه و هو إذا كانت جهه الاشتراك إنّما يثبت كما لها فى المستعار منه بواسطه أمر آخر فيثبت ذلك الأمر للمستعار له مبالغه فى إثبات المشترك كقوله:إذا صبحت بيد الشمال زمامها،فالشمال فى تصريف الغداه على حكم طبيعتها كالحيوان المنصرف إلاّـ أنّ تصرّف الحيوان لمّا كان فى أكثر الأحوال باليد كانت اليد كالآله الّتى يكمل بها التصريف،و لمّا كان الغرض هاهنا إثبات التصرّف و هو لا يكمل إلاّ بثبوت اليد لا جرم أثبت للريح يدا تحقيقا للغرض و كذلك قوله:

إذا هزّه فى عظم قرن تهلّلت نواجذ أفواه المنايا الضواحك

لمّا شبّه المنايا عند هزّه السيف بالمسرور و كمال الفرح إنّما يظهر بالضحك الّذى

يتهلّل فيه النواجذ أثبت الضحك مع تهلّل النواجذ تحقيقا للوصف المقصود.

البحث الثانى و اعلم أنّ القسم الأوّل على أربعه أقسام

،أحدها أن يستعار لفظ المحسوس للمحسوس و حينئذ فالاشتراك بينهما إمّا فى الذوات دون الصفات أو بالعكس فالأوّل كحقيقه تفاوتت آحادها فى الفضيله و النقص و القوّه و الضعف فيستعار لفظ الأكمل فى ذلك النوع للأنقص كاستعاره الطيران للعدو بسرعه فيقال:للعدو السريع طيران إذا الطيران و العدو يشتركان فى الحقيقه و هى الحركه المكانيّه و يختلفان فى القوّه و الضعف،و أمّا الثانى فكقولهم:رأيت شمسا و يريد إنسانا يتهلّل وجهه فهاهنا الإنسان مخالف للشمس فى الحقيقه مشارك لها فى الوصف،و كقول على عليه السّلام فى ذكر النبىّ صلى اللّه عليه و آله:اختاره من شجره الأنبياء،فإنّ الشجره و أصل النبوّه يختلفان بالحقيقه لكنّهما يشتركان فى أنّ كلّ واحد منهما أصل يتفرّع عليه الفروع،و ثانيها استعاره لفظ المعقول للمعقول و هو أيضا إنّما يكون فى أمرين يشتركان فى وصف أحدهما به أولى و هو فيه أكمل فينزّل الناقص منزله الكامل ثمّ إنّ المشتركين قد يكونان متعاندين إمّا تعاند النقيضين و هو كاستعاره المعدوم للموجود عند ما لا يكون فى ذلك الموجود فائده فيشارك المعدوم فى عدم الفائده فيستعار لفظه له أو كاستعاره الموجود للمعدوم عند ما يكون للمعدوم آثار باقيه يشارك بها الموجود إلاّ أنّ الموجود بمثلها أولى فيستعار لفظه له،و أمّا تعاند الضدّين حقيقه كان أو ظاهرا و هو كتشبيه الجاهل بالميّت لأنّ الموت و الحياه للجاهل اشتركا فى عدم الفائده المطلوبه منه و هى الإدراك و العقل إلا أنّ الموت بها أولى فيستعار لفظه لها،و منه قول علىّ عليه السّلام الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا،و قد لا يكونان متعاندين و هو كما يشترك موجودان فى وصف معقول إلاّ أنّ أحدهما أولى به فينزّل الناقص بمنزله الزائد كقولهم فلان لقى الموت إذا لقى شيئا من الشدائد لاشتراك الموت و الشدائد فى المكروهيّه لكنّ الموت أولى بها فينزّل الشدائد منزله الموت فيستعار لفظ الموت لها،و ثالثها استعاره لفظ المحسوس للمعقول و هو كاستعاره لفظ النور المحسوس للحجّه الواضحه و استعاره لفظ القسطاس المحسوس للعدل،و منه قوله عليه السّلام فى مدح القرآن:و إنّه حبل اللّه المتين و فيه ربيع القلب و ينابيع العلم فاستعار لفظ الحبل و الربيع و الينابيع لمعانى القرآن،و رابعها

استعاره لفظ المعقول للمحسوس و هو أن يجعل المعقول أصلا فی التشبيه و يبالغ فی تشبيه المحسوس به كقوله:فمنظرها شفاء من سقام و مخبرها حياه من حمام فإنّ الموضع المنظور إليه منهما لمّا شارك الشفاء فی الالتذاذ الحاصل عنهما و كان الشفاء أولى بذلک بالغ فی تشبيه المنظر به فأعاره اسمه و كذلک المخبر و هو محلّ الإخبار و هو إمّا أقوالها و أفعالها المحسوسه أو شیء آخر لمّا شارک الحياه فی الالتذاذ الحاصل عنهما و كانت الحياه أولى به من المخبر بالغ فی تشبيه المخبر بها فاستعار له لفظها.

الفصل الخامس فی الكنايه

و فيه بحثان.

البحث الأوّل فی حقيقتها:

أمّا حقيقتها فاعلم أنّ اللفظه إذا اطلقت و أريد بها غير معناها فإمّا أن يراد بها مع ذلک معناها أو لا يراد،و الأوّل هو الكنايه كقولک فلان طويل النجاد كثير رماد القدر فقولنا طويل ليس الغرض الأصلی به معناه بل ما يلزمه من طول القامه و كذلک المثال الآخر فإنّ المقصود منه ما يلزمه من إطعام الخلق و التكرّم عليهم فهذه هی الكنايه فی المفرد،و أمّا فی المركّب فهی أن يحاول إثبات معنی من المعانی لشیء فيترک لتصريح بإثباته له و يثبته لمتعلّقه كقوله:

إنّ المروّه و السماحه و الندى فی قبّه ضربت على بن الحشرج

لمّا أراد إثبات هذه المعانی للممدوح لم يصرّح بها بل عدل إلى ما ترى من الكنايه فجعلها فی قبّه ضربت عليه،و منه قولهم المجد بين ثوبيه و الكرم بين برديه،و مثاله فی جانب النفی قول من يصف امرأه بالعفّه.

تبيت بمنجاه من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالملامه حلّت

فتوّصل إلى نفی اللوم عنها بأن نفاه عن بيتها.

البحث الثانی فی الفرق بينها و بين المجاز:

الفرق بينهما أنّ الكنايه عباره عن أن تذكر لفظه و تفيد بمعناها معنی ثانيا هو المقصود و إذا أفدت المقصود بمعنی اللفظ وجب أن يكون معناه معتبرا فلم تكن قد نقلت اللفظه عن موضوعها فليست مجازا مثاله إنّک إذا قلت فلان كثير الرماد فأنت تريد أن تجعل كثره الرماد دليلا على جوده فقد استعملت هذه الألفاظ فی معاينها الأصليّه و قصدت بكونه كثير الرماد معنی ثانيا يلزم الأوّل و هو

الجواد بخلاف المجاز فإنّک تنقل اللفظه عن معناها الأصلی.و باللّه التوفیق.

الجمله الثانیه فی النظم

اشاره

و فیها فصول.

الفصل الأوّل فی حقیقته

-إنّه وضع الکلام علی النهج الّذی یقتضیه علم النحو و العمل فیه بقوانینه و اصوله بیانه أنّک تنظر فی وجوه کلّ باب و فروقه فتنظر فی الخبر مثلا إلی الفرق بین ما إذا کان الخبر المبتدأ اسما مشتقّا أو صریحا أو فعلا ماضیا أو مستقبلا،و بین إذخال الألف و اللام علیه أو عدمها،و الفصل بالضمیر و عدمه،و فی الشرط و الجزاء إلی الوجوه الّتی مختلف بحسب اختلاف کون الجملتین فعلیّتین أو إحداهما فعلیّه و الاخری اسمیّه،و إن کانتا فعلیّتین فتنظر الفرق بین ما إذا کان الفعلان ماضیین أو مستقبلین أو أحدهما ماضیا و الآخر مستقبلا،و فی الحال إذا کان اسما أو فعلا-و فی الحروف المشترکه فی معنی أین یکون وضعها ألیق نحو أن تجیء بما فی نفی الحال أو الماضی و بلا فی نفی الاستقبال و بإن فیما یتردّد بینهما و بإذا فیما علم أنّه کائن،و أن تعرف مواضع الفصل و الوصل و مواضع التعریف و التنکیر و التقدیم و التأخیر و الحذف و التکرار و الإضمار و الإظهار فتضع کلّ شیء مکانه،و اعلم أنّه لیس إذا حسن التنکیر مثلا-أو التعریف أو أحد هذه الأمور فی موضع حسن فی کلّ موضع بل إنّما یحسن بحسب الموضع الّذی یقصد،و حاصل هذا التقریر أنّ النظم إنّما یحصل فی کلمات تضمّ بعضها إلی البعض و ذلک النظم تعبّر فیه أحوال المفردات و أحوال انضمام بعضها إلی بعض فأمّا أحوال المفردات فإمّا أن یعتبر حال دلاله الألفاظ أو حال دلاله أحوالها و حرکاتها و سکناتها فهذه هی أقسام الاعتبار و النظم الکامل إنّما یحصل إذا اختیر من هذه الامور الثلاثه فی کلّ ما هو الألیق به.

الفصل الثانی فی أقسام النظم

إنّ الجمل الکثیره إذا نظمت نظما واحدا فإمّا ان تتعلّق بعضها بالبعض أو لیس فإن کان الثانی لم یحتج ذلک النظم إلی فکر فی استخراجه مثاله قول علی علیه السّلام:لا مال أعود من العقل و لاداء أعیی من الجهل،و لا عقل کالتدبیر و لا کرم کالتقوی،و إن کان الثانی فکلّما کانت أجزاء الکلام أشدّ ارتباطا کان أدخل فی الفصاحه و لیس له قانون یحفظ لمجیئه علی وجوه شتّی،و لنذکر بعض ما یعتبر منها و هو عشرون وجها.

الوجه الأوّل المطابقه:و هی الجمع بین المتضادّین فی الکلام مع مراعاه التقابل حتّی لا یضمّ الاسم إلی الفعل کقوله تعالی« «فَلْیَضْحَکُوا قَلِیلاً وَ لْیَبْکُوا کَثِیراً» »و قوله « «سَواءٌ مِنْکُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّیْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ» » ۱و قوله تعالی« «تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ» » ۲.

الوجه الثانی المقابله:و هی أن تجمع بین شیئین متوافقین و بین ضدّیهما ثمّ إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشترط ضدّیهما بضدّ ذلک الشرط کقوله تعالی «فَأَمّا مَنْ أَعْطی وَ اتَّقی وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنی فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْری وَ أَمّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنی وَ کَذَّبَ بِالْحُسْنی فَسَنُیَسِّرُهُ» » ۳فلمّا جعل التیسّر مشترکا بین الإعطاء و الإتّقاء و التصدیق جعل ضدّه و هو التعسیر مشترکا بین أضداد تلک الامور و هی المنع و الاستغناء و التکذیب.

الثالث المزاوجه بین معنیین فی الشرط و الجزاء کقول البختری:

إذا ما نهی الناهی فلج بی الهوی اصاخت إلی الواشی فلجّ بها الهجر

الرابع الاعتراض و هو أن یدرج فی الکلام ما یتمّ به الغرض دونه کقوله تعالی « «فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ» » ۴و قول علیّ علیه السّلام:أمّا بعد فإنّ اللّه خلق الخلق حین خلقهم غنیّا عن طاعتهم.

الخامس الالتفات:و هو العدول عن مساق الکلام إلی مساق آخر غیر مناف للأوّل فی المعنی بل متمّم له علی جهه المیل أو غیره کالعدول عن الغیبه إلی الخطاب کقوله تعالی « «مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ إِیّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّاکَ نَسْتَعِینُ» » ۵و بالعکس کقوله تعالی« «حَتّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ» » ۶و قول علی علیه السّلام:و بنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم یفقه الواعیه.

السادس الاقتباس:و هو أن تدرج کلمه من القرآن أو آیه منه فی الکلام تزیینا لنظامه کقول ابن شمعون فی وعظه:اصبروا عن المحرّمات و صابروا علی المفترضات و رابطوا بالمراقبات و اتّقوا اللّه فی الخلوات یرفع لکم الدرجات.

السابع التمليح:و هو أن يشار فى فحوى الكلام إلى مثل سائر و شعر نادر كقول علىّ عليه السّلام:فى خطبه الشقشقيّه.

شتّان ما يومى على كورها و يوم حيّان أخى جابر

الثامن إرسال المثلين:و هو الجمع بين المثلين كقوله ألا كلّ شىء ما خلا اللّه باطل و كلّ نعيم لا محاله زائل

التاسع اللفّ و النشر:و هو أن تلفّ شيئين و تورد تفسيرهما جمله ثقه بأنّ السامع يميّز ما لكلّ منهما كقوله تعالى« «وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» » ۱و يقرب منه أن تذكر لفظا يتوهّم أنّه يحتاج إلى البيان فتقصده مع تفسيره كقوله تعالى« «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النّارِ» »الآيه« «وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّهِ» » ۲الآيه.

العاشر التعديد:و هو إيقاع الأعداد من الأسماء المفرده فى النظم و النثر على مساق واحد فإن روعى فيه ازدواج أو تجنيس أو مطابقه أو مقابله حسن جدّا مثاله من النثر قولهم فلان إليه الحلّ و العقد و القبول و الرّد و الأمر و النهى و الإثبات و النفى،و من النظم قول المتنبّى:

الخيل و الليل و البيداء تعرفنى و الطعن و الضرب و القرطاس و القلم

الحادى عشر تنسيق الصفات:كقوله تعالى« «هُوَ اللّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ» »الآيه و قوله تعالى« «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً» ۳الآيه و قوله« «وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ» »الآيه،و التنسيق فى أوائل الخطب كثير.

الثانى عشر الإبهام:و هو أن يكون للّفظ ظاهر و تأويل فيسبق إلى فهم السامع الظاهر مع أنّ المراد هو التأويل كقوله تعالى« «وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ» » ۴الثالث عشر مراعات النظير:و هو جمع الامور المناسبه المتوازنه كقول علىّ عليه السّلام:

الحمد للّه غير مقنوط من رحمته و لا مخلوّ من نعمته و لا مأيوس من مغفرته.

الرابع عشر المدح الموجّه:و هو أن يمدح بشىء يقتضى المدح بشىء آخر كقول المتنبّى:

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنّئت الدنيا بأنّك خالد

فأوّله مدح بالشجاعه و آخره مدح بعلوّ الدرجه.

الخامس عشر المحتمل للضدّين:و هو أن يكون الكلام محتملا للمدح و الذّم على السواء كمن قال لرجل أعور:ليت عينيه سواء.

السادس عشر تجاهل العارف:كقوله تعالى «وَ إِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» و كقول المتنبّى: { أريقك أم ماء الغمامه أم خمر }

.

السابع عشر السؤال و الجواب:كقول تعالى «قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ» ... «قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» .

الثامن عشر الحذف:و هو أن يتكلّف حذف حرف من حرف المعجم كما حذف علىّ عليه السّلام الالف فى خطبه المسمّاه بالموقصه.

التاسع عشر التعجّب:كقوله فيا خجل المقصّرين من التوبيخ فى محفل القيامه!و يا حسره الظالمين إذا عاينوا أهل السلامه! العشرون الإغراق فى الصفه كقول امرء القيس.

من القاصرات الطرف لو دبّ محوّل من الذّر فوق الاتب منها لآثر.

و قول المتنبّى كفى بجسمى نحو لا أنّنى رجل لولا مخاطبتى إيّاك لم ترنى

الحادى و العشرون فى حسن التعليل:و هو أن يذكر وصفان أحدهما علّه للآخر و الغرض منهما ذكرهما جميعا كقول علىّ عليه السّلام فى ذمّ الدنيا:هانت على ربّها فخلط حلالها بحرامها و خيرها بشرّها،و كقوله:

فإن غادر الغدر ان فى صحن و جنتى فلا غرو منه لم يزل كان قادرا

و اعلم أنّ وجوه النظم كثيره و لمّا كان كثيره منها قلّما يوجد فى كلام المطبوعين من المتقدّمين و إنّما هى صناعات تكلّفها المحدثون لا جرم ذكرنا ما كان غالبا فى القرآن الكريم و الكلمات النبويّه و كلام علىّ عليه السّلام و المطبوعين على الكلام من سائر الفصحاء.

و ما أحدثه المتأخّرون و إن كان لا ينخرط فى سلك الأوّلين إلّا أنّه يدلّ على ذكاء مبتدعه و فطنه مخترعه و باللّه التوفيق.

الفصل الثالث فى التقديم و التأخير

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى فائدتهما

-إذا قدّم اللفظ على غيره فإمّا أن يكون فى النّيه مؤخّرا كخبر المبتدأ إذا قدم عليه و المفعول على الفاعل،و إمّا أن لا يكون على نيّه التأخير و لكن على أن ينقل الشىء من حكم إلى حكم آخر مثاله أن تذكرا سمين كلّ واحد منهما يصلح أن يكون مبتداء و الآخر خبرا فتقدّم هذا تاره و ذاك اخرى كقولك زيد المنطلق و عكسه.قال سيبويه عند ما يذكر الفاعل و المفعول:كأنّهم يقدّمون الّذى بيانه أهمّ و هم ببيانه أعنى،و إن كانا معا يهمّانهم مثاله إذا أرادوا الإخبار عن قتل شخص خارجىّ لا من حيث هو شخص معيّن قالوا قتل الخارجىّ زيد،و إذا صدر عن بعض الفضلاء قبيحه و أرادوا الإخبار عن ذلك قدّموا اسمه على فعله لأنّ ذكره أوّلا-ثمّ نسبه الفعل إليه أوقع فى النفوس من العكس فكان عند المخبر أهمّ.و لتذكر ما يهمّ تقديمه و ما لا-يهمّ فى الاستفهام و الخبر و النفى.

البحث الثانى فى التقديم و التأخير فى الاستفهام:

المذكور عقيب حرف الاستفهام إمّا الفعل أو الاسم فإن كان الأوّل كان هو المشكوك فى وجوده و المسئول عن معرفته مثاله قولك أبنا زيد داره فإنّ السؤال واقع عن وجود البناء و الشكّ فى وجوده،و إن كان الثانى فالسؤال واقع عن تعيين الفاعل كقولك أنت بنيت هذه الدار،ثمّ الاستفهام قد يجىء للإنكار تاره و للتقرير اخرى و الحال فيهما ما ذكرناه أمّا الإنكار فكقوله تعالى «أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ» «أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ» ١و الإنكار هاهنا للفعل فإذا قدّم الاسم كان الإنكار للفاعل كقولك لمن انتحل شعرا أ أنت قلت هذا الشعر،و أمّا التقرير فكقوله تعالى «أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها» - «أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ» ٢فإنّ المقصود تقرير الخرق و القتل عليه تمهيدا لتوجّه اللوم إليه،و أمّا تقديم الاسم فكقولك أ أنت الّذى قتلت زيدا فإنّه سؤال على سبيل التقرير لتعيينه للقتل،و اعلم أنّ حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل فإذا

قـدّمت المفعول توجّه الإنكار إلى كونه بمثابه أن يوقع به مثل هذا الفعل و لذلك قدّم فی قوله تعالی «قُلْ أَ غَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا» و قوله «أَ غَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ» و قوله «أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ» .

البحث الثالث فی التقديم و التأخير فی حرف النفی:

إذا أدخلته علی الفعل كقولك ما ضربت زيدا كنت قد نفيت فعلا لم يثبت أنّه فعل لأنّ نفيك لضرب زيد عن نفسك لا يقتضی وقوع الضـرب به و لاـ نفيه عنه لأـنّ نفی الخـاصّ لاـ يـدلّ علی نفی العـامّ و لا علی ثبوته،و إذا أدخلته علی الاسم كقولك ما أنا ضربت زيدا فهم من ذلك أنّه وقع به الضرب و كان القصد نفی كونك أنت الضارب،و الشاهد بهذه الفروق هو الذوق السليم.

لبحث الرابع فی التقديم و التأخير فی الخبر المثبت و المنفیّ:

هو كالتقديم و التأخير فی الاستفهام فإنّك إذا قدّمت الاسم فقلت زيد قد فعل اقتضی أن يكون القصد إلی الفاعل إمّا لتخصيص الفعل به كقولك أنا كتبت فی معنی هـذا الأمر تريـد أنّك اختصـصت بـذلك دون غيرك،و إمّا لأجل أنّ تقديم ذكر المحدث عنه آكـد لإثبات ذلك الفعل له كقولهم فلا يعطی الجزيل فلا يقصد الحصـر بل أن يتحقّق عند السامع أنّ إعطاء الجزيل دأبه، و بيان ذلك أنّك لمّا ذكرت الاسم المحـدث عنه و الاسم لا يعری عن العوامل إلاّ لحـديث قد نوی إسـناده إليه فإذا قلت عبد اللّه فقد استشـعرت بأنّك تريد الحديث عنه فتحصل شوق إلی معرفه ذلك فإذا أفدته ذلك قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه فيكون ذلك أبلغ فی التحقيق و نفی الشـبهه،و إن قدّمت الفعل اقتضـی أن يكون القصد إلی ذكر الفعل كقوله تعالی «وَ قَضـی رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ» فإنّ القصد هاهنا إلی ذكر القضاء و نسبته إلی اللّه تعالی،و يقرب من ذلك حكم المنفیّ كقولك أنت لا تحسن هذا الفعل،أو لا تحسن أنت هذا الفعل.

البحث الخامس فی تقديم حرف السلب علی العموم و تأخّره عنه:

أمّا الأوّل فإذا قدّمت حرف السـلب علی صيغه العموم فقلت ما أفعل كلّ كذا كان سلبا للعموم و ذلك لا يناقضه الإثبات الخاصّ حتّی لو قلت و أفعل بعضه لم يكن تناقضا أمّا إذا قدّمت صيغه العموم علی السلب نقلت كلّ كذا ما أفعله فهم منه عموم السلب و حينئذ يناقضه

قولک و أفعل بعضه فی العرف،و علی هـذا یظهر الفرق بین الرفع و النصب فی قول أبی النجم قد أصبحت أمّ الخیار تدعی علیّ ذنبا کلّه لم أصنع.

فإنّ نصب کلّ یقتضی سلب العموم و رفعه یقتضی عموم السلب.

البحث السادس فی استیفاء أقسام التقدیم و التأخیر:

و اعلم أنّه قـد یختلف حال الکلام فی التقـدیم و التأخیر اختلافا کثیرا و قد یدقّ الفرق بین تقدیم الکلمه و تأخیرها کقوله تعالی «وَ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَکاءَ الْجِنَّ» فبتقـدیم شـرکاء یفهم أنّه ما کان ینبغی أن یکون له شـریک لا من الجنّ و لا من غیرهم و الـذّم إنّما توجّه إلیهم لإثبـاتهم شـرکاء أمّـا لو قـدّم الجنّ لم یفهم إلاّ أنّهم عبـدوا الجنّ،و أمّا إنکار المعبود الثانی فغیر مفهوم منه و یکون الـذّم إنّمـا توجّه علیهم لعبـاده الجنّ دون غیرهم،فینبغی أن تلمـح الفروق فی تقـدیم بعض الکلام علی بعض و تأخیره،و لنـذکر مواضع حسن التقدیم و التأخیر أمّا التقدیم ففی مواضع عشره.

الأـوّل أن تکون الحـاجه إلی ذکره أتمّ و العلم به أهمّ کقوله تعالی «وَ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَکاءَ الْجِنَّ» ؛فإنّ تقدیم الشرکاء أولی لأجل أنّ المقصود التوبیخ علی جعل مطلق الشریک بخلاف ما لو اخّر.

الثـانی أن یکون التـأخیر ألیق باتّصـال الکلاـم کقوله تعـالی «وَ تَغْشـی وُجُوهَهُمُ النّـارُ» فهـذا ألیق بمـا قبله و بمـا بعـده من تـأخیر المفعول.

الثالث أن یکون الأوّل أعرف من الثانی کتقـدیم المبتـدأ علی الخبر و الموصوف علی الصـفه فینبغی أن تبتـدیء فی قولک زید قائم بزیـد لتتوصّل النفس بذکر ما یعرف إلی الإخبار عنه بما لا یعرف فتقع الفائده حینئذ علی حدّها و فی مرتبتها قال الإمام:و لا ینتقض هـذا بتقـدیم الفعـل لأـنّ الفعل لفظ دالّ علی ثبوت معنی لموضوع غیر معیّن فی زمان معیّن من الثلاثه و الإسـناد کالجزء الذاتی لمفهوم الفعل و الإسـناد أمر إضافیّ،و العقل إذا حصل له الشعور بالإضافه فلو توقّف هناک و لم ینتقل إلی ما إلیه الإسناد کانت الإضافه مستقلّه بالمفهومیّه و هو محال،و إن انتقل إلی ما اسند إلیه الفعل فذلک الشیء هو الفاعل

فإذن من ضروره الإسناد فهم المسند إليه و إذا أوجب هذا الترتيب فى الذهن وجب أيضا فى الألفاظ لمطابقه ما فى الذهن لما فى الخارج،و أقول:قد سبق أنّ الفعل إذا قدّم فى الإخبار كان لأجل أنّ ذكره أهمّ لأنّ المقصود من ذكر الجمله الفعليّه لا ذات الفاعل بل ذكر الحدث المخصوص فى الزمان المعيّن و نسبته إلى الفاعل و إذا كان كذلك جاز أن يقال:

إنّ تقديم الأعرف يكون واجبا و إذا كانت الكلمتان متساويتين فى الاهتمام بذكرهما و أمّا إذا كان ذكر أحدهما أهمّ كان تقديمه أولى.

الرابع تقديم الحروف الّتى لها صدر الكلام كحروف الاستفهام و النفى و النهى قال الإمام:تحقيقه أنّ الاستفهام طلب فهم الشىء و هو حاله إضافيّه إذا أدركها العقل انتقل منها إلى معروضها و إذا أوجب أن ينتقل منها إلى معروضها وجب أن يكون فى اللفظ كذلك فيقدّم ما يدلّ على الإضافه فيلحق بما يدلّ على معروضها،و أقول:يمكن أيضا أن يكون تقديم هذه الحروف من باب ما كان أهمّ و ذلك أنّ الاستفهام و النفى و النهى معان معقوله و هى المطلوبه من الجمله الداخله عليها بالذات فكانت أهمّ فكانت أولى بتقديم الذكر و كذلك الأدوات الدالّه على أحوال النسب بين أجزاء الكلام فإنّ و أخواتها،و كان و أخواتها، و عسى و بابها،و نعم و بئس فإنّها تقدّم لأنّ معانيها هى المقصوده بالقصد الأوّل من الجمل الداخله عليها.

الخامس تقديم الكلّى على جزئيّاته لأنّ الكلّى أعرف عند العقل و تقديم الأعرف أولى.

السادس تقديم الدليل على المدلول.

السابع تقديم الناقص على تمامه كتقديم الموصول على الصله،و المضاف على المضاف إليه لأنّ تمام الشىء لا يتقدّم عليه.

الثامن تقديم الأسماء المتبوعه على توابعها لأنّ التابع لا يتقدّم متبوعه.

التاسع تقديم المظهر على ضميره لأنّ الحاجه إلى الضمير إنّما هو لإلحاق أمر من الامور بذى الضمير و ذلك يتأخّر عن تحقّق ذى الضمير فى العقل فيجب كذلك فى الوضع كقولك ضرب زيد غلامه،و قضى زيد حاجته.

العاشر تقديم الفاعل على المفعولات و ما فى حكمها لأنّها امور تلحق الفاعل بالنسبه إلى فعله فكانت متأخّره عنه و إذا علمت من ذلک ما يجب تقديمه علمت من ذلک ما يجب تأخيره.

الفصل الرابع فى الفصل و الوصل

-حاصل معرفه الفصل و الوصل يعود إلى معرفه مواضع العطف و الاستيناف و التهدّى إلى كيفيّه إيقاع حروف العطف مواقعها،و هو باب عظيم عند البلغاء و لذلک جعله بعضهم حدّ البلاغه فقال:إذا سئل عن معناها أنّها معرفه الفصل و الوصل ما ذاک إلّا لغموضه و كون معرفته مؤدّيه للمعانى كما هى،و ذلک هو المقصود من علم البلاغه و لنحقّق الكلام فيه فى بحثين.

البحث الاول-فائده العطف التشريک فى الحكم بين المعطوف و المعطوف عليه

فمن أدواته ما لا يفيد إلّا هذا القدر كالواو،و منها ما يدلّ على زياده عليه كالفا و ثمّ فإنّهما يدّلان على التعقيب و إن كانت ثمّ تختصّ بالتراخى و مثل أو فإنّها تدلّ على الترديد،فلنبحث عن مطلق الاشتراک فنقول:العطف إمّا أن يكون فى المفردات و هو يقتضى التشريک فى الإعراب،و إمّا فى الجمل و حينئذ فالجمله إن كانت فى قوّه المفرد كقولک مررت برجل خلقه حسن و خلقه قبيح كانت الشركه فى الإعراب أيضا حاصله لكون الجملتين وصفين للنكره،و إن لم يكن فإمّا أن يكون إحدى الجملتين متعلّقه لذاتها بالأخرى أو لا يكون فإن لم يكن فإمّا أن يكون بينهما مناسبه أو لا يكون فهذه أقسام ثلاثه.

أمّا الأوّل فأن يكون إحدى الجملتين تأكيدا للاخرى كقوله تعالى «الم ذٰلِکَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ» ١فقوله «لا رَيْبَ» تأكيد للأوّل،و لا يجوز إدخال العاطف عليه لأنّ التأكيد يتعلّق بالمؤكّد لذاته فيستغنى عن لفظ يدلّ على التعلّق.

الثانى أن لا يكون بينهما مناسبه أصلا و هاهنا أيضا يجب ترک العاطف لأنّ العطف يستلزم المناسبه فيلزم من عدمها عدمه.

الثالث أن تصدق المناسبه بينهما مع عدم التعلّق الذاتى فهاهنا يجب ذكر العاطف ثمّ إمّا أن يكون المخبر عنه فى الجملتين شيئين أو شيئا واحدا أمّا الأوّل فالمناسبه إمّا بين المخبر بهما فقط أو بين المخبر عنهما فقط أو بينهما معا،و الأوّل و الثانى يختلّ معهما

النظم لأنّك إذا قلت زيد طويل و الخليفه قصير مع عدم تعلّق حديث زيد بحديث الخليفه اختلّ،و كذلك لو قلت زيد طويل و عمرو شاعر اختلّ أيضا لعدم المناسبه بين طول القامه و الشعر فتعيّن أنّ الواجب حصول المناسبتين،فأمّا إن كان المخبر عنه فيهما شيئا واحدا كقولك فلان يضرّ و ينفع و يأمر و ينهى و نحوه تعيّن دخول العاطف لأنّك إذا قلت هو يضرّ و ينفع أفاد العاطف أنّه هو الجامع لهما بخلاف ما لو حذفته.

البحث الثانى فى عطف الجمل على الجمل

-إنّه كما يجوز أن يعطف جمله على جمله كذلك يجوز أن يعطف مجموع جمل على مجموع جمل اخر،و بيان ذلك ظاهر فى صوره الشرط و الجزاء فإنّه قد يجعل مجموع جملتين شرطا و مجموع اخريين جزاء كقوله تعالى «وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ» ۱فإذا ظهر ذلك فى الشرط و الجزاء ظهر مثله فى العطف كقوله تعالى «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدِينَ وَ لكِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِی أَهْلِ مَدْيَنَ» ۲الآيه فقوله «وَ ما كُنْتَ ثاوِياً» عطف على قوله «وَ ما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدِينَ» مع ما يتعلّق بها إذا لو عطفتها على ما يليها لدخلت فى حكم لكن فصار التقدير لكنّك «ما كُنْتَ ثاوِياً» و هو باطل،و لو عطفتها على «وَ ما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدِينَ» دون و لكنّا أنشأنا لكان فى ذلك إزاله لكن عن موضعها و هو غير جائز.

الفصل الخامس فى الحذف و الإضمار

و فيه بحثان.

البحث الأوّل فى حذف المفعول و المبتدأ و الخبر

أمّا الأوّل فلأنّ الفعل المتعدّى قد يكون المقصود من ذكره مجرّد نسبته إلى الفاعل و حينئذ يكون حاله كحال غير المتعدّى فى عدم الحاجه إلى المفعول و التعرّض له كقولك فلا يحلّ و يعقد و يأمر و ينهى و يضرّ و ينفع و قوله تعالى «هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» و قد يلاحظ مع ذلك فى ذكره النسبه إلى المفعول إلاّ أنّ المفعول يحذف لأحد غرضين.أحدهما أن يكون المقصود ذكره لكن يحذف لإيهام التعظيم و التفخيم كقول البخترى.

شجو حسّاده و غيظ عداه أن يرى مبصر و يسمع واع

فإنّ المرئىّ و المسموع لا بدّ و أن يكون شيئا معيّنا فحذفه،و أوهم بذلك أنّ كلّ ما يرى منه و يسمع عظيم و أنّه فضيله تشجو حسّاده،و تغيظ عداه،و من هاهنا تحصل البلاغه و لو أبرز ذلك المفعول المعيّن لما حصل ذلك التعظيم الوهمى لتخصيص الذهن للتعظيم بالمفعول المذكور دون ما عداه،و قد يكون ذكر المفعول أولى و أبلغ و ذلك إذا كان أمرا عظيما بديعا كقوله:و لو شئت أن أبكى دما لبكيته،لمّا كان بكاء الدم أمرا عجيبا كان ذكره أولى، الثانى أن يحدف للعلم به كقول على عليه السّلام إن أشنق لها خرم أى أنفها،و أن أسلس لها أى قيادها تقحم أى المهالك،و الثالث أن يضمر على شريطه التفسير كقوله أكرمنى و أكرمت عبد اللّه،و أمّا المبتدأ و الخبر فقد ورد حذف كلّ واحد منهما تاره أمّا المبتدأ فكقوله تعالى «سُورَةٌ أَنْزَلْناها» و أمّا الخبر فقوله تعالى «طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ» و أمثاله كثير و قد حكم بحسن ذلك البلغاء قال عبد القاهر-رحمه اللّه-:ما من اسم حذف فى الحال الّتى ينبغى أن يحذف فيها إلاّ وجدته أحسن من ذكره،و حسنها فى المواضع الّتى يفهم عنها البلاغه.

البحث الثانى فى الإيجاز

و حدّه-التعبير عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف من غير إخلال مثاله قوله تعالى «وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ» ١و قد كان المثل يضرب بقولهم:القتل أنفى للقتل إلى أن اوردت هذه الآيه و الترجيح للآيه ظاهر من وجهين،أحدهما أنّه أوجز فإنّ حروفها عشره و حروف المثل أربعه عشر،الثانى أنّ القتل قصاصا لا ينفى القتل ظلما من حيث إنّه قتل بل من حيث إنّه قصاص و هذه الجهه غير معتبره فى كلامهم و لها ترجيحات اخر لا نطول بذكرها،و من ذلك قول على عليه السّلام:قيمه كل امرىء ما يحسنه، و قوله المرء عدّو لما جهله،و قوله:الجزع أتعب من الصبر،و قوله:تخفّفوا تلحقوا.

الفصل الثالث فى أحكام إنّ و إنّما و ما فى حكمها

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى فوائد إنّ

،و هى أربع:الأولى أنّها قد تربط إحدى الجملتين بالاخرى فيحصل النظم كقوله تعالى: «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ» و قوله تعالى:

«اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» ٢و قول علىّ عليه السّلام أيّها الناس إنّه لا يستغنى

الرّجل و إن كان ذا مال عن عشيرته،و قوله:عباد اللّه إنّ من أحبّ عباد اللّه إليه عبدا أعانه اللّه على نفسه،فلو أسقطت إنّ فى هذه المواضع لزالت المناسبه الّتى كانت بين الجملتين معها، و اعلم أنّك متى أسقطت إنّ من الجمله الثانيه فإن كانت إنّما ذكرت لتعليل الحكم فى الجمله الاولى فلا بدّ أن يعوّض منها الفاء كقوله ف «زلْزَلَهَ السّاعَهِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» الفائده الثانيه-إنّك تجد لدخولها على ضمير الشأن المعقّب بالجمله الشرطيه و غيرها من الحسن و المزيّه ما لم تجده عند عدمها كقوله تعالى «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ» و قول علىّ عليه السّلام أيّها الناس إنّه لا يستغنى الرجل كما ذكرناه.

الفائده الثالثه-إنّها تهيّىء النكره لأن يحدث عنها كقوله عليه السّلام:إنّ من أحبّ عباد اللّه إلى اللّه عبدا كما مرّ و لو أسقطتها لسقطت الحسن و البلاغه و قد يسقط المعنى أصلا كما لو أسقطتها من قول الشاعر:إنّ شواء و نشوه و خبب البازل الامون.

الفائده الرابعه-إذا دخلت على الجمله فقد تغنى عن الخبر كقولك إنّ مالا و إنّ ولدا على تقدير إنّ لهم مالا و كقول الأعشى.

إنّ محلا و إنّ مرتحلا و إنّ فى السفر إذ مضوا مهلا

و الحقّ أنّها لتأكيد النسبه و إذا كان الخبر تامّا ليس للمخاطب ظنّ أو و هم فى خلافه فلا حاجه إلى أنّ هناك و لذلك تزداد حسنا إذا كان الخبر أمرا يبعد مثله،و قد يجمع مع اللام للتأكيد فى خبرها إذا كانت فى جواب المنكّر لشدّه الحاجه هناك إلى التأكيد.

البحث الثانى فى فائده إنّما

-اتّفق جمهور النحاه على أنّها للحصر و هو المفهوم منها مثاله قول على عليه السّلام:و إنّما سمّيت الشبهه شبهه لإنّها تشبه الحقّ،و كقوله عليه السّلام:إنّا لم نحكم الرجال و إنّما حكمنا القرآن،و هذا القرآن إنّما هو خطّه مستور بين الدفّتين لا ينطق بلسان و إنّما ينطق عنه الرجال،و مراده بالحصر فى هذه الصور ظاهر،و قال بعضهم:إنّها ليست للحصر محتجّا بقوله تعالى «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» ١و بقوله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهٌ» ٢مع أنّ الإجماع على أنّ من لم يوجل من ذكر اللّه قد يكون مؤمنا،و أنّ الاخوّه غير منحصره فى المؤمنين،و الجواب أنّ منشأ الشكّ هو

الغفله عن ضابط الحصر،و ضابطه أنّ الجزء الأخير من الكلام الوارد عقيب إنّما هو المخصوص بحصر الحكم فيه سواء كان هو الموضوع كقولك إنّما قام زيد فإنّ المقصود حصر القيام فى زيد أو كان هو المحمول كقوله تعالى «إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» فإنّ المقصود حصر النبىّ فى البشريّه و نفى كونه غير بشر،و إذا تبيّن ذلك ظهر أنّها فى الصورتين المذكورتين تفيد الحصر أمّا فى الاولى فلأنّه يجوز أن يكون المقصود من الإيمان هناك أقوى مراتبه و هو الإخلاص،و حينئذ يتبيّن أنّ المؤمنين منحصرون فى الوجلين من ذكر اللّه،و أمّا فى الثانيه فلأنّ المؤمنين منحصرون فى صفه الاخوّه فى الدين كما هو المقصود من الاخوّه هاهنا،و أعلم أنّه قد يستعمل فى مفهومها عبارتان اخريان إحداهما قولك جائنى زيد لا عمرو و هو أضعف منها لأنّه يفيد حصر المجىء فى زيد بالنسبه إلى من أخرجه حرف النفى،الثانى ما جائنى إلّا زيد،و مفهومها مفهوم إنّما فى الحصر و التخصيص كقوله تعالى «ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ» و فرّق الإمام بينهما فقال:إنّ دلاله إنّما على نفى غير المذكور بالالتزام،و دلاله ما و إلّا على نفى الغير بالمطابقه فكانت أقوى فى ذلك من دلاله إنّما و لذلك يصحّ أن يقال إنّما زيد قائم لا قاعد و لا يصحّ أن يقال ما زيد إلّا قائم لا قاعد،و أقول إن صحّ ما ادّعاه من عدم الصحّه فى الصوره الثانيه كان للمانع أن يمنع تعليل ذلك المنع بكون ما و إلّا دالّه على نفى الغير بالمطابقه و يصرف ذلك القبح إلى قرب لا المقتضيه لنفى الغير إلى إلّا المقتضيه للحصر و بعدها عن إنّما فكان التأكيد عقيب إنّما حسنا لطول الزمان بينهما على أنّا لا نسلّم عدم الصحّه هاهنا بل قد يورد للتأكيد و إن كان عقيب إنّما أحسن،و قد يقام غير مقام إلّا فيفيد الحصر،و قد لا يكون كذلك كقولك ما جائنى غير زيد تريد نفى مجيء الغير فقط دون إثبات زيد.

البحث الثالث-إنّ ما و إلّا إذا دخلت على الجمله

كان المقصود بالحصر فيه هو ما يلى إلّا بعدها سواء كان مرفوعا كقولك ما ضرب زيدا إلّا عمرو أو منصوبا كقولك ما ضرب زيد إلّا عمروا،و هكذا إن كان المنصوب حالا أو ظرفا فإن تأخّر مثلا الفاعل و المفعول معا عن إلّا فالمقصود هو ما يليها أيضا كقولك ما ضرب إلّا زيد عمروا و كذلك لو قدّمت المفعول على الفاعل فهو المقصود و هكذا حكم المفعولين كقولك لم أكس إلّا زيدا جبّه فالّذى يلى إلّا

هو المقصود بالتخصيص،و هكذا المبتدأ و الخبر أيّهما أخّرته عن إلاّ فهو المراد بالتخصيص كقولك ما زيد إلاّ قائم فالمراد تخصيص هيئه القيام دون سائر الأحوال أو ما القائم إلاّ زيد فهو تخصيص لزيد دون غيره،و أمّا تحقيق ذلك فى إنّما فأمّا فى الفاعل و المفعول فأيّهما أخّرته عن صاحبه فهو المقصود أيضا كقولك إنّما ضرب عمروا زيد فالمقصود تخصيص زيد و منه قوله تعالى «إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» ١و لو قدّم العلماء لكان المقصود تخصيص خشيه اللّه و كذا الحال فى المبتدأ إن تركته على حاله فالاختصاص للخبر كقوله تعالى «إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَکَ» ٢و إن أخّرته عن الخبر صار التخصيص له كقوله تعالى «فَإِنَّما عَلَيْکَ الْبَلاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسابُ» فإنّ التخصيص فى الأوّل للخبر و فى الثانى للمبتدأ هذا بحسب المتبادر إلى المفهوم من ذوق العربيّه و باللّه التوفيق.

القاعده الثانيه فى الخطابه

اشاره

و فيه أبحاث و خاتمه.

البحث الأوّل فى حقيقه الخطابه و فائدتها

-الخطابه صناعه يتكلّف فيها الإقناع الممكن للجمهور فيما يراد أن يصدّقوا به،و قولنا يتكلّف فيها الإقناع أردنا أنّه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بأبلغ قصد ليتمّ،و الإقناع الممكن هو الفعل الّذى يتكلّف و أردنا به ما يمكن من الإقناع،و الخطابه فى الإقناع أنجح من غيرها و فائدتها فى تقرير المصالح الجزئيّه،و قد تفيد أيضا تقرير القوانين الكلّيه لتلك المصالح كالعقائد الإلهيّه و القوانين العمليّه و هى عظيمه النفع جدّا لأنّ الأحكام الصادقه ممّا هو عدل و حسن أتمّ نفعا و أعود على الناس فائده و أعمّ جدوى من أضدادها لأنّ نوع الإنسان إنّما هو مستبقى بالتشارك،و التشارك يحوج إلى التعامل و التحاور و هما محوجان إلى أحكام صادقه فى الأمور العمليّه ليثق كلّ بصاحبه و ينتظم شمل المصلحه بينهم و بأضداد الأحكام الصادقه يتشتّت فيحتاج أن يكون هذه الأحكام مقرّره فى النفوس متمكّنه من العقائد،و الخطابه هى المتكفّله بحمل الجمهور على التصديق بها فإنّ البرهان و الجدل و إن قصد بهما التصديق إلاّ أنّ الجمهور قاصرون عن درجه البرهان الجدل و إن كان صناعه ضعيفه بالقياس إلى البرهان فهو أيضا يسير الفائده للعامّه صعب بالقياس إلى فطنهم و هم عاجزون عن قبوله،و المخاطبه الّتى يجب

أن يتلقّاها العامىّ بعاميته ينبغى أن تكون من الجنس الّذى لا يرتفع عن مقامه ارتفاعا بعيدا بل تكون بألفاظه عذبه غير ر كيكه عاميّه و لا متينه ينبو فهمه عن قبوله كما سنذكره «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى،و قد أشار التنزيل الإلهى إلى هذه الصناعه فى قوله «ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» فسبيل ربّك هو الديانه الحقيقيه،و الحكمه هى البرهان،و ذلك لمن يحتمله، «وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ» هى الخطابه و هى لمن قصر عن درجه البرهان،أو «جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أى بالمشهورات المحموده و أخّر الجدل عن الصناعتين لأنّهما مصروفتان إلى الفائده،و المجادله مصروفه إلى المقاومه و الغرض الأوّل من المخاطبه إنّما هو الإفاده،و الغرض الثانى هو مجاهده من ينتصب للمعانده فإذن الخطابه صناعه وافره النفع فى مصالح المدن و بها تدمّر العامه و تنتظم أحوالهم.

البحث الثانى فى موضع الخطابه و أجزائها

و ليس للخطابه نظر فى موضوع معيّن،و ذلك لأنّ العامه لا يهتدون إلى تمييز بعض الموضوعات عن بعض إذ كان تخصيص الكلام فى موضوع معيّن مبنىّ على مبادئ تليق بذلك الموضوع وحده لا يعرفها العامىّ،و نظر الخطابه بالذات فى الجزئيات من أىّ مقوله اتّفقت و لا يخصّ جزئيّا دون آخر بل يقصد بها الإقناع من أىّ جزئىّ اتّفق على أنّ لها أن تنظر بالغرض فى الامور الكلّيه من الإلهيّات و الطبيعيّات و الخلقيّات و السياسيّات،و الخطابه لها أصل و متمّمات تتمّمها و تعين عليها أمّا الأصل فهو القول الّذى يظنّ أنّه لذاته يفيد إقناعا و أمّا المتمّمات فجملتها ترجع إلى حرف واحد و هو أنّه لمّا كان الغرض من الخطابه ليس إلاّ الإقناع كان كلّ مقنع ناسب الغرض منها فهو من متمّماتها و الامور المقنعه إمّا قوليّه يراد بها صحّه قول آخر كالقول الّذى يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين أو القول الّذى يروم به إثبات أنّ الشهاده مقنعه أو كون المعجزه حجّه،و إمّا شهاده،و إمّا حيله أمّا الشهاده فإمّا قوليّه و إمّا حاليّه أمّا القوليّه فكالاستشهاد بقول نبىّ أو إمام حكيم أو شاعر و تسمّى شهاده مأثوره،أو الاستشهاد بأقوال قوم يحضرون فيصدّقون قول القائل إنّ الأمر كان،أو الاستشهاد بشهاده الحاكم أو السامعين بأنّ القول مقنع و تسمّى شهاده محصوره،أمّا الحاليّه فإمّا أن تدرك بالعقل أو بالحسّ و الاولى فضيله القائل و اشتهاره بالصدق و التمييز،و أمّا الحال الّتى تدرك بالحسن فإمّا بواسطه القول أو بدونه أمّا

الأوّل فكالاستشهاد بالمعجزه عقيب التحدّى على صدق قول المدّعى،و كشهاده حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله،و كشهاده حال المتعاهدين على قبول أقوالهما بعد وضع العهود الّتى هى أقوال مدوّنه مكتوبه،و أمّا الحال المدركه بالحسّ من غير القول فإمّا أحوال تتبع إنفعالا نفسانيّا كشهاده سخنه وجه المخبر ببشاره على قبول قوله أو شهاده سخنه المذعور الخائف المخبر عن نزول عذاب أو حلول آفه على قبول قوله،أو تكون طاريه من خارج كشهاده جراح القائل أو غيره على قدوم العدوّ للحرب،و أمّا الحيله فتفيد الإعداد،و الإعداد إمّا للقائل بحيث يكون مقبول القول أو للقول بحيث يصير أنجع و أنفع أو للسامع بحيث يكون أقبل و أمّا القائل فإن يتكلّف الاستشهاد على فضيله نفسه و الدلاله عليها أو يتهيّىء بهيئه و يتزّيىء بصوره تجعل مثله مقبول القول و أمّا القول فإن يحسن فيه تصرّفه فتاره يرفع به صوته و تاره يخفضه و تاره يثقله و تاره يليّنه و يحزنه و يلاحظ فى ذلك حال من يقصد إسماعهم كما سيأتى فى التزئينيّات،و أمّا السامعون فإمّا مخاطب بالقصد الأوّل، و إمّا حاكم يحكم بين المتخاطبين و إمّا نظاره أمّا المخاطب فيحتاج أن يستعطف و يستمال ليبخع إلى تصديق القائل و كذلك الحاكم،و أمّا الناظر فيكفى فيه أن يهيّىء بالحيله بهيئه مذعن مصدّق و إن لم يقع له التصديق،و التأثر الحاصل للمستمع أمّا انفعال كالرقّه و الرحمه فى الاستعطاف،و القساوه و الغضب فى الإغراء،و إمّا ايهام خلق كايهام الشجاعه أو السخاوه أو غيرهما فعاد الأمر إلى أنّ الأقوال الخطابيّه الّتى يقصد بها التصديق ثلاثه أصناف أصل و يسمّى عمودا و هو القول الّذى يراد به التصديق نفسه،و الثانى النصره و هى القول الّذى ينصر به ماله تصديق كالشهاده،و الثالث الحيله و هى قول يفاد به انفعال شيء أو ايهام الخلق و هما متمّمات للأصل فهذه أجزائها.

البحث الثالث فى مبادئ الخطابه:

و اعلم أنّ مبادئ الأقوال الخطابيّه ثلاثه أحدها المشهورات المحموده و هى إمّا حقيقيّه اتّفق عليها الجمهور و تطابقت عليها الشرائع و السنن و هى الّتى إذا تعقّبت بالنظر لم يزل حمدها و إن اطّلع على كذبها كحسن الصدق و قبح الكذب و الظلم و غيرها،و إمّا محموده ظاهره فى بادىء الرأى و هى الّتى تعافص الذهن فيحكم بصدقها قبل التفطّن لها فإذا تعقّبت زال حمدها لظهور كذبها و شنعتها كقوله انصر أخاك

ظالما أو مظلوما و هذه أعمّ من الّتى قبلها و كلّ محمود حقيقىّ محمود فى الظاهر و لا ينعكس و استعمال الخطابى للأولى لا من جهه كونها حقيقه بل لكونها ظاهره،و إمّا محموده بحسب قوم أو شخص و ينتفع بها فى مخاطبتهم،و مثل هذه و إن نفعت فى الخطابه إلاّ أنّها لا تكون عمده فى صناعه الخطابه لكونها غير متناهيه أو غير مضبوطه فإنّ كلّ شخص يرى ما يهوى و يختلف الآراء بحسب الأهواء،و ثانيها المقبولات إمّا عن جماعه أو عن نفر أو عن نبىّ أو عن إمام كالشرائع و السنن أو عن حكيم كالطبّ المقبول عن جالينوس و بقراط أو عن شاعر كأبيات تورد شواهد و تكون مقبوله فقط من غير أن تنسب إلى مقبول منه كالأمثال المضروبه،و ثالثها المظنونات و هى الأحكام الّتى يتبع الإنسان فيها غالب الظنّ من دون جزم العقل بها كقولك زيد يسارّ العدوّ جهارا فهو عدوّ ربما يكون مقابله مظنونا كقولك زيد يسارّ العدو جهارا ليخدعه فهو صديق،و أمّا تأليفات هذه فهى ما يظنّ منتجا و هى مقنعه بحسب الموارد و الصور معا و يشتمل القياس و التمثيل و الاستقراء و ما يشبه الخلف فيها،أمّا القياس فيسمّى ضميرا لحذف كبراه و تفكيرا لاشتماله على أوسط يستخرج بالفكر،و هو إمّا على هيئه الشكل الأوّل كقول علىّ عليه السّلام مضوا قد ما على الطريقه و أوجفوا على المحجّه فظفروا بالعقبى الدائمه و الكرامه البارده،فإنّ تقدير الكبرى و كلّ من كان كذلك ظفر بالعقبى الدائمه و يسمّى هذا دليلا،و إمّا على هيئه الشكل الثانى كقولك فلان له ايمان فى يقين فليس من الفسّاق فإنّ تقدير الكبرى،و لا واحد من الفسّاق كذلك، أو على هيئه الشكل الثالث كقولك العارف شجاع جواد فالشجاع جواد لأنّ تقدير الكبرى العارف جواد و يسمّى ما كان على هيئه هذين الشكلين علامه،و القياس الظنّى قد لا يكون منتجا فى نفس الأمر إذ ليس من شرط الخطابه أن تكون على هيئه منتجه كموجبتين فى الشكل الثانى كقولك هذه منتفخه البطن فهى إذن حبلى و تقدير الصدق و الحبلى منتفخه البطن،و يسمّى هذه رواسم لرسمها فى الذهن ظنّا ما،و أما التمثيل فيسمّى اعتبارا لعبور الذهن من المشبّه به إلى المشبّه و يسمّى المنتج منه بسرعه برهانا و استعمال التمثيل و القياس يسمّى تثبيتا،و التمثيل إمّا أن يكون بأصول متّفق على القياس عليها سواء كانت امورا موجوده أو حوادث ماضيه أو أمثالا مضروبه سائره و إمّا أن لا يكون كذلك بل امور

يخبر عنها الخطيب كمثل و حكايه إمّا ممكنه أو غير ممكنه و الاوّل كاستشهاد على عليه السّلام فى تحذير أصحابه من الدنيا بالقرون الماضيه و أحوالهم،و أمّا الثانى فالممكن كما يقول المشير على صديقه لا تعاشر الجهال فإنّى عاشرتهم فندمت و قد لا يكون عاشرهم،و أمّا غير الممكن فكالاستشهاد بأقوال الحيوانات الموضوعه فى كتاب كليله و دمنه و أمثاله،و أمّا الاستقراء فيقع بجزئيّات كثيره كقولك لمن تشير عليه حصل السياده بتحصيل الفضيله لأنّ فلانا فضلوا فسادوا و ستعرفه فى كلام على عليه السّلام كثيرا،و أمّا ما يشبه الحلف فكتنصّله عليه السّلام من دم عثمان بقوله:لو أمرت به لكنت قاتلا فإنّه أراد تقرير عدم الأمر بإبطال لازم الأمر و هو كونه قاتلا المستلزم لإبطال الأمر المستلزم لإثبات المطلوب و هو عدم الأمر و كذلك التوبيخ كقوله عليه السّلام فى توبيخ العلماء فى اختلاف الفتيا أ فأمرهم اللّه تعالى بالاختلاف فأطاعوه فإنّه أراد بيان عدم صحّه اختلافهم بإبطال أمر اللّه تعالى إيّاهم المستلزم لإبطال نقيض المطلوب و هو صحّه الاختلاف،و المقدّمه الّتى من شأنها أن تصير جزء تثبيت تسمّى موضعا،و حقّها أن لا تكون دقيقه علميّه و لا واضحه يستغنى عن ذكرها كالضروريّات،و القوانين الّتى يستنبط منها المواضع تسمّى أنواعا،و البحث فى الخطابه عن الضروريّات أقلّى بل إنّما يبحث فيها فى الأكثر عن الأكثريّات،و الرأى قضيّه كلّيه ينتفع بها فى امور عمليّه فيختار أو يجنّب و نتائج الآراء آراء مثلها إلاّ أنّها غير مقنعه ما لم تقرن إليها العلّه كقولك لصديقك مثلا لا تحرص فى جمع المال فإنّه لا يقبل ما لم تقل ذلك لأنّك تشقى بجمعه فى الآخره خصوصا إذا كان الرأى شنيعا كقولك لا تحصل الفضائل فإنّه ما لم تقرن به العلّه كقولك كيلا تحسد لا يقبل ذلك و الرأى إما لا يحتاج إلى كلام يقرن به لظهوره فى نفسه أو عند أهل العقل أو عند المخاطب،أو يحتاج إلى ما يقرن به ليؤدّى إلى المطلوب و حينئذ فالقرينه إمّا نتيجه الرأى أو ما ينتجه فإن كانت نتيجه الرأى كقولنا الأصدقاء ناصحون فصديقك زيد ناصح فالضمير المقنع هاهنا ليس الرأى وحده بل مع نتيجته و هو جزء من الضمير و إن كان ما ضمّ إليه هو المنتج له كقولك لا تكتسب الفضائل فتحسد كان الرأى هو الضمير القريب فإنّه المقنع لذاته و باللّه التوفيق.

البحث الرابع فی أقسام الخطابه بحسب أقسام أغراضها:

و اعلم أنّ جمیع المغارضات الخطابیّه ثلاثه مشاوره و منافره و مشاجره و لکلّ واحد من هذه الأقسام غرض خاصّ.أمّا المشوره فهی مخاطبه یراد بها الإقناع فی أنّ الأمر الفلانی ینبغی أن یفعل لنفعه و أنّ الأمر الفلانی لا ینبغی أن یفعل لضرره،و أمّا المنافره فمخاطبه یراد بها الإقناع فی مدح شیء بفضیلته أو ذمّه بنقیصته،و أمّا المشاجره فمخاطبه یراد بها الإقناع فی شکایه ظلم أو اعتذار بأنّه لا ظلم،و ربّما لم یقع الاعتذار فی وقوع الأمر نفسه و لکن فی کونه نافعا أو ضارّا أو ظلما أو غیر ظلم کاعتذار الظالم أو من ینصره بأنّ الّذی یعلمه لیس بظلم أو باعتذار المذموم بأنّ الّذی فعله لیس بنقیصه أو أنّه فضیله.أمّا المشوره إنّما هی مشوره بسبب إقناعها فی أمر هو نافع بالحقیقه فإنّه قد لا یکون نافعا بالحقیقه و لا عند المشیر لکنّه إن تبیّن أنّه نافع رام الإقناع به فیکون المخاطبه مع ذلک مشوره،و قد لا یکون المشوره بالنافع بل بالجمیل الّذی ربّما کان فی العاجل ضارّ أوله نفع من جهه اخری و کذلک المدح و الذمّ و لا یلاحظ فیه دائما النافع و الضارّ حتّی یکون المدح بالنافع و الذّم بالضارّ بل ربّما کان المدح أیضا کاقتحام الأذی و الضرر و الرکوب الأهوال للذکر الجمیل فإنّه یشاربه و یمدح فاعله و یعظّم کالّذین یقاتلون فی سبیل اللّه فیقتلون و یقتلون و کثیرا ما یحمد العاقل بایثار الموت علی الحیاه،و الأمور المشوریّه عظیمه تبتنی علیها الشرائع و السنن و السیاسات،و أقسام الأمور المشوریّه العظیمه التامّه النفع دون الجزئیّات النافعه بحسب أحوال الأشخاص خمسه العدّه و الحرب و السلم و حمایه المدنیّه و مراعاه أمر الدخل و الخرج و تفریع الشرائع و وضع المصالح،و الخطیب المشیر فی أمر العدّه ینبغی أن یکون بصیرا بجنس ارتفاع المدنیّه و کمیّته النفقات إذا جرت علی القسط لیوازی الدخل الخرج و یشیر بنفی البطاله عن حرفه تعود بنفع المدنیّه و بالحجر علی المسرف و توقیفه علی القدر العادل و یتحفظ بجزئیّات الأخبار و بالعوائد التجربیّه لأنّها تذاکیر و أمثال،و علی المشیر فی أمر الحرب بعد أن یکون له بصیره بأنواع الحروب و سماع أخبار المتقدّمین من المقاتله فی مدنیّته و ما بلیها و رسومهم و مذاهبهم أن یحیط به علمه خیرا بمدنیّته و محاربیها و عدّتهم و عددهم و دربتهم بالحرب و عادتهم و نقاء دخیله قومهم و صفاء نیّتهم أو ضدّ ذلک و یوقع نظیره

عليهم فى كلّ وقت و يقيسهم إلى مقاتليهم و أن يعتبر الجزئيّات السالفه فإنّ الامور فى أشباهها و تحذو حذو أشكالها فإنّه يستنبط من هذه الأحوال مقدّمات ينتفع بها فى المشوره و أمّا المشير فى حفظ المدينه فينبغى أن يعلم أنواع الحفظ لأنواع البلاد المختلفه سهليّتها و جبليّتها و بريّتها و بحريّتها و ما يحيط بها و مواقع المسالح قربا و بعدا و المدارج المخوفه و الّتى يرتادها المغتالون فيشير فيها بالإرصاد فإنّ ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينه، و أن يعلم عدد الحفظه و الرصده و نيّاتهم ليمدّ قلّتهم و يبدّل خائنهم بالناصح و أن يعرف الحاصل من القوت و ما يحتاج إلى جبله و إعداده من خارج المدينه فإنّ القوت و ما يجرى مجراه إذا انحسمت مادّته لم يكن حفظ المدينه و تدبيرها،فينبغى أن يكون المشير عارفا بمقدار حاجه كلّ إلى كلّ و بأحوال أهل الفضائل و الثروه منهم فيشير بما ينبغى أن يستعان به فيه من أهل الفضائل و ما ينبغى أن يستعان به فيه بأهل الثروه فيما ينتظم به أمر المصلحه،و أمّا الخامس فهو المشوره فى أمر السنن و هو من أعظم الأبواب خطبا و أحوجها إلى فضل قوّه الخطابه و على السانّ أن يتحقّق عدد أنواع الاشتراكات المدنيّه و ما يتولّد من تركيبها،و أن يعلم ما يناسب كلّ امّه من الاشتراك بحسب عادتها و الأسباب الحافظه لذلك الاشتراك و القاسمه له و فساد المدينه الّتى لم يحكم تدبيرها يقع من أحد أمرين إمّا عنف المدبّرين لهم فى الحمل على الواجبات أو من إهمالهم و مسامحتهم،فينبغى أن يكون المشير بصيرا بأصناف السياسات و ما يعرض لكلّ واحد منها من العوارض و ما يؤول إليه كلّ واحد منها فيوضع كلّ واحد منها فى موضعه فلا يستعمل القهر و الغلبه فى موضع الرفق و مراعات مصلحه المرءوسين لإكرامهم و تعظيمهم و لا بالعكس فلا يحصل هناك قانون ناظم فقد عرفت بما ذكرنا المواضع الّتى منها ينتزع المقدمات المشوريّه فى الامور العظام و ممّا يعيّن على وضع السنن و تفريعها تأمل قصص الماضين و أحوالهم،و أمّا الامور المشوريّه النافعه بحسب أحوال شخص شخص فهى و إن كانت غير مضبوطه إلاّ أنّ جميعها يشترک فى أنّها يقصد بها صلاح الحال كان بالحقيقه أو بالظنّ و نعنى بصلاح الحال هو الفعل الممكن عن فضيله النفس و امتداد العمر مشفوعا بمحبّه القلوب و توافر الكرامه من الناس و فى رفاهيّه و طيب عيش و وقايه وسعه ذات اليد فى المال و العقد و تمكن من استدامه هذه الأحوال و الاستزاده منها،و أمّا

أجزائه،فمنها ما ينسب إلى الخير و منها ما ينسب إلى الشرّ أمّا الخيريّه فإمّا بدنيّه كذكاء الأصل و كثره الأخوان و الأولاد و صلاحهم و اليسار و الأنعام و القوّه و الصحّه و الجمال و الفصاحه و جميل الاحدوثه و الجاه و البخت،و إمّا نفسانيّه كالعلم و الذكاء و الزهد و الشجاعه و العفّه و حسن السيره و الأخلاق المرضيّه و حصول التجارات و الصناعات فعلى الخطيب أن يشير بأعداد هذه الأنواع،و كذلك ما ينسب إلى النافع و هو كلّ ما يوصل إلى شىء من الخيرات كالجدّ و الطلب و تحصيل الأسباب و الوسائل و انتهاض الفرض و مواتاه الحظ،و أمّا الامور الشريّه فهى ما يقابل هذه و على المشير أن يشير باجتناب عللها و ما يعوق عن الخيرات كايثار اللذّه و الكسل و اللهو و البطاله و فوات الأسباب و ضياع الفرض و سوء التوفيق، و كذلك قد يحتاج الخطيب إلى إعداد مقدمات فى أنّ هذا الخير أفضل و أنّ هذا النافع أنفع كالحكم بأن أفضل الخيرات أعمّها و أدومها و أكثرها نفعا و أولادها بالقصد لنفسه و أعزّها و أعظمها و أشهرها و أكثرها استلزاما للحاجه إليه و أكثرها استلزاما لرغبه الجمهور و الأكابر فيه،و كذلك يحتاج إلى مقدّمات بعدها فى أنّ هذا الشرّ أضرّ كالحكم بأنّ أشرّ الشرور أعمّها و أدومها و أولادها بالهرب منه و أكثرها استتباعا للشرور،و يجب أن يستكثر من ضرب الأمثال و إيراد التذاكير و اقتصاص أحوال الماضين،و أمّا المنافرات و هو باب المدح و الذّم فعلى الخطيب تحصيل الأنواع النافعه فى المدح و الذّم المتعلقه بالفضيله و الرذيله و أجزاء الفضيله هى البرّ و الشجاعه و العفّه و المروّه و كبر الهمّه و السخاوه و الحلم و الثبات و اللبّ و الحكمه،و قد يلزم بعض هذه خيرات تتعدّى إلى غير الفاضل كالخبر المتعدى من البرّ و الشجاع و السخّى إلى غيرهم،و أجزاء الرذيله أضداد ما ذكرنا كالجور المقابل للبرّ و الجبن للشجاعه و الفجور للعفّه و الدنائه للسخا و السفاله لكبر الهمّه و النذاله للمروه و الطيش للثبات و البلاهه للبّ،فهذه هى الفضائل و الرذائل و ما عداها فأسباب لها و علامات عليها مثلا كايجاب الغنى و الخشيه من اللّه تعالى و العلم و طلب الذكر الجميل للعدل و إيجاب الاحتياج و الوثوق بأن لا مقاوم له و عدم المبالات بالعاقبه و أمثالها للجور،و كذلك فى سائر الأسباب و كالانفعالات اللازمه للعادل عن لزوم العدل حتّى يحتمل شدّه العذاب مثلا فى انتزاع ما فى بده من الأمانه و لا يسلمها إلى غير ربّها،و من الممادح أيضا مقاومه الأعداء و

الانتقام منهم و الجزاء على الحسنه و السيّئه،و من ممادح الشجاع الغلبه و الكرامه،و أن يفعل أفعالا يذكر و ينشر و يسهل تخليدها فيرثها الأعقاب،و من الممادح أيضا علامات تختص الأشراف بها كإرسال شعر العلوى و طرحه العالم فإنّ ذلك من علامات شرفهم،و من الممدوحات أيضا الاستغناء عن الناس فى أىّ باب كان و قد يذكر المدح على سبيل التزويج و المغالطه فيعبّر عن الرذيله بعباره تنظمها فى سلك الفضيله إذا كانت قريبه من الفضيله أو كانا تحت حكم يعمّهما،و هذا لا يحتاج الخطيب إلى مدح الناقصين فيجعل القدر المشترك بين الفضيله و الرذيله مكان الفضيله فيمدح المتجربز بأنّه حسن المشوره و الفاسق بأنه لطيف العشره و الغنى بأنّه حليم و الغضوب بأنّه نبيل و الأبله الغافل عن اللذّات بأنّه عفيف و المتهوّر بأنّه شجاع و الماجن بأنّه ظريف و المبذّر فى الشهوات بأنّه سخىّ،و فى عكس ذلك إذا قصد ذمّ الفاضلين فيذكر الفضيله فى معرض الرذيله فيذمّ لطيف العشره بالفسق و الحليم بالغباوه و النبيل بالغضوب و العفيف بالأبله و الشجاع بالمتهوّر و الظريف بالماجن و كذلك فى سائرها،و أمّا الامور المشاجريّه فعلى الخطيب إعداد أنواع أسباب الجور،و الجور هو الإضرار الرافع بالقصد و المشيئه و لم ترخص الشريعه فيه بوجه،و أمّا الأسباب المحركه إليه فكالكسل من الكسلان فإنّه عند ما يتخيّل الدعه الّتى يهواها يكون سببا لخذلان صديقه و كالجبن الّذى يكون سببا لإضاعه الحريم و هلاكهم و كإيثار الراحه من التعبّ و حبّ البطاله و اللهو المؤدىّ إلى ترك اكتساب الفضائل و كالغضب المؤدىّ إلى العسف و عدم الظفر بالمطلوب عند الغلبه و الاقتحام و كاستباحه التصرّف فى مال الغير و عرضه و دمه و الاستهزاء بالخلق و الحرص و الوقاحه و أسباب العدل هو ما يقابل هذا الأسباب فهذه امور إذا علمها الخطيب أخذ منها مقدّمات فى أنه لمّا كان الجائز كذا أقدم على الجور و للجور أسباب كثيره مذكوره فى الكتب المبسوطه.

البحث الخامس فى أنواع مشتركه للأمور الخطابيّه الثلاثه:

و هاهنا أنواع مشتركه لأصناف الخطابه يجب على الخطيب إعدادها لينتفع بها فمنها ما يعدّ لاستدراجات من مبادى الانفعالات و الأخلاق مثلا ما يعدّ للغضب كالاستهانه و العنت و الشنيمه و قطع العاده فى الإحسان و مقابله النعمه بالسيّئه أو بالكفران و القعود عن جزاء الجميل بمثله أو يعدّ لضدّه و هو فتور الغضب كالاعتذار بعدم معرفه من قصده بالاستهانه أو بعدم قصد الإهانه و

كالاعتراف بالذنب و الاستغفار بالتوبه و التذلل و التلقى بالبشاشه و كذلك هيبه المهيب و الاستحياء من المستحى منه فإنّ الغضب لا يجامعها أو يعدّ للحزن كالأنواع الّتى توجب نصوّر فوت المرغوب فيه أو حصول المحذور منه أو عدم الانتفاع بالحياه و التدبير أو لضدّه و هو التسليه كالّتى يوجب الإقناع فى أنّ هذا الأمر يمكن أن يدفع أو يرجى التلافى فى التدارک أو باعتبار حال الغير فإنّ المصيبه إذا عمّت هانت،أو بالإرشاد إلى الحيّل بتحصيل الأمر الّذى لأجله الحزن أو يعدّ للخجل و الاستحياء كالفرار من الزحف و خيانه الأمانه و ارتكاب المظالم و معاشره الفسّاق و مداخلتهم فى مواضع الريبه و الحرص على المحقرات و مقارفه الدنايا كسلب السكين و نبش الكفن و التقيه مع اليسار و معارضه اللئام بالاستماحه و كاستشعار الشماته من الأعداء أو يعدّ لإبطال الخجل و هو أضداد هذه الأسباب أو للاهتمام بالغير و الشفقه عليه أو الأسباب الباعثه على الاهتمام كالعذاب المهلک و الأوجاع و الجهد و الكبر و السقم و الخصاصه و سوء البخت و عدم الأنصار،و علامات الاهتمام كايثار المهمّ له على النفس و الإحسان إليه بغير منّه و ستر عيوبه و نصرته فى مغيبه و الوفاء له أو لضدّه و هو الحسد كوصول خير إلى غير يرى الحاسد أنّه أولى به منه أو إلى من لا يحبّه أو للغيره كتخيّل مشاركه من لا حقّ له فى الحقّ من غير أن يدخله صاحبه فيه أو لشكر النعمه،و هو أن يقول الخطيب:إنّما اعطى فلان لنفس النفع لا لجزاء يتوقّعه،أو يقول:إنّه نفع فى وقت الحاجه أو فى وقت تعسّر المعونه من الناس أو أنّه أنعم بما لم تسمح نفس غيره به أو أنّه أولى من أنعم فيحرّک غيره للإنعام أو أنّه لم يرد بالصيغه ذكرا أو أنّه يستر الصيغه سترا أو للكفران و تحقير النعمه كأن يقول لم ترد بعطائک إلا غرضا و إنّک لم تتم النعمه و إنّک قصرت عن الواجب عليک بمثله و إنّک لم تصطنع بقصد بل لضروره أو إنفاق أو لرعيّه فى محاذات فإنّ ذلک كلّه ممّا يبطل المنّه أو للشجاعه كأن تقول المكروه عنک بعيد أو لا وجود له عندک و لا محلّ عندک للأقران و المبارزين،و كقوله أنت كثير الأنصار قويّهم و إنّک برىء عن الظلم قليل الاحتمال له،أو لضدّها و هو الجبن كقوله:إنّ فى المقاومات حصول المكاره و إنّ خصمک فى غايه القوّه فلا طاقه لک به لو أنّ أنصارک قليلون أو ضعفاء و أمثال ذلک،و كذلک يجب على الخطيب أن يحصل أنواعا تعين على كلّ خلق خلق يختصّ

بصنف صنف من الناس إمّا باعتبار الأسنان كأن يقول للشاب الّذى يغلب عليه طلب اللذّه إنّ هذا وقت السرور و الزّمان المساعد و الشباب بعد فنائه غير عائد و هذا الربيع قد أشرف أنواره و تصنفت أزهاره،و كمدح الماكل و المشارب و الملابس و المراكب،و يقول للشيخ الّذى يغلب على طباعه طلب النفع و الحرص على الدنيا ينبغى أن تقتصر على تحصيل منافعك و اللهو غير لائق بك و ينبغى أن تقلّل البذل لئلا يستضرّ عيالك و ينبغى أن لا تنخدع لفلان و لا تغلط معه لأنّك جريت الخداع،أو باعتبار أخلاقهم فى البلدان كأن يقول للعربى الّذى طبعه الفصاحه إنّك لذو فضيله عظيمه و لو لم يكن من فضل الفصاحه إلّا أنّها وجه إعجاز القرآن لكفى و أمثاله،و كأن يقول للقرب من جهه ما هم غلاظ الطباع كثير الإطماع إنّ بنى فلان أعداؤكم و لا ناصر لهم أو هم قليلون أو نعمهم كثيره أو إنّ القفل الفلانى كثير النعمه و لا حارس له فيغرّ بهم بذلك،و كما تحرك طباع الفرس إلى حسن التدبير الّذى هو عادتهم بما يناسبه أو إلى الملال الّذى هو طباعهم بما يناسبه،أو باعتبار الهمم كما يحرّك ما فى طباع الملوك من الكبر و عدم الالتفات إلى الغير بما يناسبه و ما فى طباع الساقتين من الدنائه بما يليق به،و من جمله الامور المشتركه ما يتعلّق بالممكن من الامور و غير الممكن كأن يقول الخطيب:إذا أراد أن يقنع بأنّ الأمر الفلانى ممكن فيقول هذا الأمر ممّا يستطاع فهو ممكن أو نقيصه ممكن فهو ممكن أو شبهه ممكن فهو ممكن أو الأصعب منه ممكن فهو ممكن أو أراد أن يقنع بأنّه متوقّع كونه فيقول:الأمر الفلانى مقدور عليه و مراد فلا بدّ أن يكون و النادر يكون فالأكثرى يكون و يمكنك أن يعلم أنواع ما لا يكون و أنواع ما لا يمكن من أنواع ما يكون و أنواع ما يمكن.فهذه جمله من الأمثله تهدى الخطيب إلى أمثالها،و ليس يجب عليه أن يضبط ما لا يتناهى من الامور بحسب شخص شخص فى كلّ واحد من اموره الجزئيّه فإنّ ذلك غير ممكن بل يضبط القوانين الكلّيه المتعلّقه بالأجناس الثلاثه للخطابه و يجتهد فى أن يخصّصها مهما أمكن فإنّه كلّما كان الحكم بالجزئىّ المتكلّم فيه أخصّ كان أنفع و أقنع مثاله إذا أردت أن تمدح زيدا فقلت هو شجاع لأنّه مستكمل الفضائل بأسرها فهذا و إن كان مقنعا إلا أنّك لو خصّصت فقلت لأنّه هزم جيش العدوّ وقت كذا أو قتل البطل الفلانى يوم كذا لكان ذلك أقنع و أليق بالممدوح،و قد تقع فى الخطابه القصايا المتقابله

و المغالطه بها للإقناع فيستعمل الضدّان فى ايجاب كلّ واحد من النقيضين كقولك اسكت فى المحافل لأنّك إن صدقت أبغضك الناس و إن كذبت أبغضك اللّه ثمّ تقول تكلّم فى المحافل لأنّك إن صدقت أحبّك اللّه و إن كذبت أحبّك الناس،و المقابله هاهنا إن أفادت إقناعا كانت من صناعه الخطابه مثالها إمّا من باب اشتراك الاسم كقولك بالذهب يبصر الإنسان لأنّه عين،أو من باب تركيب المفصّل كقولك فلان شاعر جيّد فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجوده و التقدير فلان جيّد،أو من باب وضع ما ليس بعلّه علّه كما يقال فلان مبارك القدم لأنّه مع قدومه تيسّر كذا،أو من باب المصادره على المطلوب كما يقال زيد يشرب الخمر فيقال لأنّ أخاه يشرب الخمر،و أمّا إن لم يوقع إقناعا كما يقال فلان لم يذنب باختياره لأنّه زنا و هو سكران لم يكن من صناعه الخطابه و باللّه التوفيق.

البحث السادس فى تحسينات الخطابه:

الامور المحسنه للخطابه إمّا أن تتعلّق بالألفاظ و إمّا أن تتعلّق بالترتيب و إمّا أن تتعلّق بهيئه الخطيب،أمّا الأوّل فاعلم أنّ تحسين الألفاظ فى الخطابه عظيم النفع فإنّ جزاله اللفظ توهم جزاله المعنى و ركاكه اللفظ تذهب ذوق المعنى،و محسنات اللفظ امور الأوّل أن يكون اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك صرف العاميّه و لا متين مرتفع عن أن يصلح المخاطبه الجمهور لأنّ الطباع العاميّه تنفر عن العباره العلميّه و لا ملحون لأنّ اللحن يهجن كلام و يرد له،و هذه الاعتبارات موجوده فى كلام علىّ عليه السّلام كثير،الثانى أن يراعى تمام الرباطات و هى الحروف الّتى يقتضى ذكرها أن تكرّر كقوله عليه السّلام فى صفه الملائكه:منهم سجود لا يركعون و منهم ركوع لا يسجدون و كذلك باقى الأقسام فلو لم يحصل التكرار هاهنا لنقص الكلام و كذلك قوله عليه السّلام:المرء المسلم البرىء من الخيانه ينتظر إحدى الحسنيين إمّا داعى اللّه فما عند اللّه خير له،و إمّا رزق اللّه و إذا هو ذو أهل و مال.ألّلهم إلّا أن يكون تكراره معلوما كقوله عليه السّلام فى كثير من خطبه أمّا بعد،فإنّ هذا الجزء مسبوق بأمّا قبل و إن لم يذكر لوضوحه،الثالث أن لا يباعد ما بين الرباطين بحشو دخيل ينسى الوصله بينهما،الرابع أن يراعى حقّه من التقديم و التأخير فإنّ تأخير الشرط عن المشروط و تقديم لإنّ على الدعوى قبيح سمج،و بعض هذه الأحكام قد يختصّ ببعض اللغات،الخامس أن يزيّن

بالتشبيه و الاستعاره و يكون تلك الألفاظ المستعاره خاصّه غير مشتركه و لا مغلطه فقد يورد اللفظ موهما للشىء و ضدّه كقول المنجم:إذا دخلت سنه كذا يتجدّ للإسلام أمر عظيم فذلك محتمل للخير و الشرّ موهم لهما،و فائده التشبيه و الاستعاره هاهنا الاستعانه بالتخييل الحاصل منه على تروبق المعنى فإنّه يحصل له رونقا لا يحصل بدونه و الألفاظ المستعاره و المخيّله و إن كانت أصلا فى الشعر فقد يستعملها الخطيب بالعرض فيكون فى الخطابه كالأبازير،السادس أن يراعى لفظ الواحد و التّثنيه و الجمع و ما يخصّها من التصاريف و كذلك التذكير و التأنيث ذى العلامه و غيره رفعا للغلط،السابع قد يزيّن اللفظ بالايجاز إذا اعتمد على فهم السامع من تعقّب الإقناع فرّد الحدود و الرسوم هناك إلى اللفظ المفرد،و قد يزيّن بالبسط فينعكس ذلك،و قد يبدّل اللفظ المفرد العلم لشناعته كما يقال عوره المرء،و وطيها،و دمها عوض أسمائها الصريحه و أكثر ما يستعمل أمثال هذه فى الإفراطات فى المدائح فيكره التصريح بالأسماء الصريحه احتشاما و تنزيها للمجالس عن ذكرها و كذلك يستعمل فى الاعتذار كثيرا و حيث يراد التهويل للتخويف فى المشوريّات،الثامن أن يزيّن بالمفاصل أى يكون ذا مصاريع و تسجيع و وزن ما لا الوزن الحقيقى و ذلك كقول علىّ عليه السّلام:أمّا بعد فإنّ الدّنيا قد أدبرت و أذنت بوداع و إنّ الآخره قد أقبلت و أشرفت باطلاع،و قد عرفت المتوازن فإنّ ذلك أقرب إلى ثبات اللفظ فى الخيال ثم تلك المفاصل ينبغى أن لا تطول لئلّا ينسى الأوّل و لا تقصر جدا فلا تحفل به النفس فيجعل انقطاعه عن استثبات النفس له ثمّ المفاصل قد تكون أقساما و يسمّى المقسم كما مرّ فى المثال فى صفه الملائكه،و قد يكون تلك الأقسام متقابله كقوله عليه السّلام:أمّا الآمره البرّه فيعمل فيها النفى و أمّا الآمره الفاجره فيمتنع فيها الشقى،و لكلّ واحده من الخطابه المسموعه و المكتوبه اسلوب خاصّ و كذلك أصنافهما،و أمّا الثانى و هو الترتيب و اعلم أنّ للأقاويل الخطابيّه صدرا و وسطا و خاتمه،فالصدر كالرسم الّذى ينقش عليه و يعرف السامع منه الغرض إجمالا،و أمّا الوسط فقد يكون اقتصاما لأمر واقع ليحكم بأنّه حسن أو قبيح كما فى المنافره و عدل أو جور كما فى المشاجره و قد يقدّم على الصدر اقتصاص لامور تستلزم الشكر و المدح من القائل و تهيّىء السامع لذلك كما جرت العاده بتقديم اقتصاص

صفات اللّه و حمده و صفات رسله عليهم السلام و قد يكون الوسط غير اقتصاص بل دالّه على مصلحه و حثّ عليها كما فى المشوره إذ ليس فيها ما يحكى و يشتكى و يحمد و يذمّ و ليس فيها منازعه و مواثبه و الصدر فيها حسن ليكون المشار عليه قد وعى الغرض و استعدّ للقبول و هو فى المشاجره قبيح،و أمّا الخاتمه فهى حسنه فى المشوره أيضا و الّذى يليق بها أن يكون أجزائها مفصّله غير مخلوطه بما قبلها و خصوصا فى المشوريّات و هو أن يقول المشير:قد قلت ما عندى من النصيحه و الرأى ما ترون،و كما يقول الخطيب:أقول قولى هذا و استغفر اللّه العظيم لى و لكم إنّه هو الغفور الرحيم و نحو ذلك،و أمّا الثالث و هو الامور الّتى تتعلّق بهيئه الخطيب فيخيّل معانى أو يخيّل أخلاقا و استعدادات الأفعال و انفعالات و يسمّى ذلك نفاقا و الأخذ بالوجوه فهى إمّا أن يتعلّق بصوته كرفعه فى موضع الرفع و خفضه فى موضع الخفض و بتذكيه نفسه أو بكونه على زىّ و هيئه و سمت حسن يصيد به القلوب،و هذا القسم إنّما يكثر الانتفاع باستعماله مع ضعفاء العقول إذا كانوا للاستدراجات بالامور المحسوسه أطوع و لذلك يكبر فى أعينهم من كان يرى النساك و المستكثرين من العباده و الخشوع الظاهر و إن كان جاهلا مرائيا،و لمّا لم يكن غرضنا من التعرّض بذكر الخطابه هاهنا إلاّ الإشاره إلى أقسامها الكلّيه لتبيّن معنى الخطابه و ما عسى أن نذكره من أنّ الخطابه الّتى نحن شارعون فى بيانها من أىّ أقسام الخطابه هى و ليتفطّن المطّلع على ما ذكرناه هاهنا لمّا لم نبيّنه من ذلك لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الإيراد،و أمّا البسط ففى الكتب المطوّله،و اعلم أنّ الغالب على كلام علىّ عليه السّلام هو المشوريّات و أمّا المنافريات و المشاجريّات فهما أقلّ كما ستعرف ذلك عند تصفّح أقواله إنشاء اللّه تعالى و باللّه التوفيق.

خاتمه لهذه القاعده:

و أمّا الخاتمه ففى بيان غايته عليه السّلام من الخطابه:و اعلم أنّه لمّا كان الغرض من وضع الشرائع و السنن إنّما هو نظام الخلق و جذبهم إلى الجناب المقدس عن دار الغرور و تذكيرهم لمعبودهم الحقّ و تعليمهم كيفيّه السلوك للصراط المستقيم كما أو مأنا إليه،و علم من ذلك أنّ عليّا عليه السّلام كان مقررا للشريعه و مثبتا لها و موّضحا لمقاصد سنن الرسول صلى اللّه عليه و آله و مفرّعا لأحكامها إذ كان هو الممنوع بجوامع العلم و المطّلع على الأسرار

الآلهيّه لم يكن مقصوده من جميع الأقوال المنقوله عنه إلاّ الغرض الأوّل من وضع الشرائع و السنن،بيان ذلك أنّک قد علمت أنّ الأقوال الخطابيّه تنقسم بحسب أغراضها ثلاثه أقسام مشاوره و منافره و مشاجره،و أمّا المشوره فإنّها الجزء الأكبر من كلامه عليه السّلام و أنت تعلم من تصفّح كلامه أن كلّ ما يشير به بالقصد الأوّل فإنّما هو الإقبال على اللّه تعالى بترک الدنيا و الإعراض عنها و الاستكمال فى الفضائل و ترک الرذائل و المنقصات الجاذبه إلى الخيبه السافله المانعه عن الوصول إلى اللّه سبحانه فإن عرض فى كلامه أمر بجزئيّ أو نهى عن أمر جزئيّ لا يلوح للغافلين منه هذا الشرّ كمصالح الحرب و العدّه و المدنيّه و غير ذلک فإنّه عند الاعتبار يرجع إليه لأنّ كلّ ذلک يرجع إلى نصره الدين و تقويته و نظام أمر العالم و ترتيب مصالحه،و أمّا المنافره فقد عرفت أن جميع ما ورد فى كلامه عليه السّلام من الذّم إنّما هو للدنيا و إتباع الهوى و ارتكاب الرذائل الموبقه و من ارتكبها و أشباه ذلک ممّا يبعد عن اللّه تعالى و ما ورد فيه من المدح فإنّما هو للّه سبحانه و للملائكته و رسله و الصالحين من عباده و ما هم عليه من الفضائل و ترک الهوى و الأعراض عن الدنيا و ما ينبغى أن يكون الخلق عليه من ذلک،و لا شکّ أنّ الأوّل جذب للخلق بتحقير ما تميل طباعهم إليه من الامور الفانيه و تصغيره و ذمّه و التنفير عنه و ذمّهم على ارتكابه ليتقهقروا عنه إلى ما ورائهم من النعيم الأبدى و الخير السرمدى و ليتذكروا معبودهم الحقّ سبحانه و لا يكونوا من المعرضين الهالكين،و الثانى أيضا جذب لهم بتعظيم ما ينبغى أن يلتفتوا إليه و تكبيره و مدحه و الترغيب فيه و فيما يكون وسيله من الفضائل و الإعراض عن الدنيا و غير ذلک،و أمّا الامور المشاجريّه فما كان فى كلامه عليه السّلام منها فإمّا بيان للظلم و الجور و أسبابهما و ما يؤولان إليه من سوء العاقبه و قبح الخاتمه عند اللّه تعالى أو بيان للعدل و أسبابه و ما يؤول إليه من حسن العاقبه و حميد المنقلب إلى اللّه كما يشتمل عليه كثير من كتبه إلى عماله و محاربيه،و لا شکّ أنّ كلّ ذلک جذب إلى اللّه تعالى بالتصريح و الإشاره و أمّا تظلّم من ظالم خرج عن ربقه الدين و أتبع هويه و شكايه عن أفعاله الخارجه عن نظام الشريعه المؤديه إلى ضدّ مقاصد الشارع و لا يخفى أنّ مقصوده من ذلک التظلّم و الشكايه إقناع الخلق بأنّ فلانا ظالم آخذ لما لا يستحقّه ليثبتوا على الحقّ و يفيئوا إليه و ينكسروهم

من عساه و یتوهّم أنّ خصمه علی الحقّ فربّما کان بقاء ذلک الوهم سببا للحقوق به و ذلک بالحقیقه تثبیت علی الحقّ و جذب عن الباطل و هو فی نفس الأمر مقصود الشارع و غایته و إمّا اعتذار ممّا یتخیّله الجاهلون فی حقّه ظلما و جورا کاعتذاره علیه السّلام عمّا تخیّله جماعه فی حقّه ظلما من العقود عن نصره عثمان حتّی نسبوه إلی أنّه قاتله و تضلّه من ذلک و کذلک اعتذاره فیما تخیّله الخوارج ذنبا من تحکیم الحکمین و غیر ذلک فإنّ الاعتذار فی هذه المواضع و أمثالها جذب إلی الحقّ و صرف عن الباطل إذ کان الاعتذار منه طلبا لإقناع من تخیّل فیه ظلما بأنّه لیس کما خیّل إلیهم و أنّ ما صدر لیس بظلم و لا جور لیفیئو إلی طاعته و الاقتداء به فیما هو علیه من اتّباع الحقّ و النصره للدین و الذبّ عنه،و معلوم أنّ ذلک کلّه جذب إلی اللّه سبحانه و إلی أسباب ما یوصل إلیه فقد علمت من هذا البیان أنّ غایته علیه السّلام من جمیع أقواله إنّما هو توجیه الخلق إلی جناب اللّه و التفاتهم إلی حضرته القدسیّه و هذه هی الغایه الّتی اتفق علیها الأنبیاء و الرسل و تطابقت علیها الشرائع و السنن و من تأمّل ما قلناه و ترک متابعه هواه و طبق ما أوردناه من القانون الکلّی علی کلامه علم صحّه ما أدعیّناه و باللّه التوفیق.

القاعده الثالثه فی بیان أنّ علیّا علیه السّلام کان مستجمعا للفضائل

اشاره

الإنسانیّه و فیها فصول.

الفصل الأوّل فی فضائله اللاحقه له من خارج

-و لنذکر منها وجوها نسبه من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و هو أبو الحسن علیّ بن أبی طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصیّ،و امّه فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف،و هی أوّل هاشمیّه ولدت هاشمیّا و کان علیّ علیه السّلام أصغر أولادها و عقیل أسن منه بعشر سنین و طالب أسن من عقیل بعشر سنین،و هی أوّل امرأه بایعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله من النساء و کان صلی اللّه علیه و آله یکرمها و یدعوها امّه و أوصت إلیه حین حضرتها الوفاه فقبل وصیّتها و صلّی علیها،و یروی أنّه نزل لحدها و اضطجع معها بعد أن ألبسها قمیصه فقال له أصحابه فی تخصیصها بذلک فقال إنّه لم یکن أحد بعد أبی طالب أبّری منها و إنّما ألبستها قمیصی لتکسی من حلل الجنّه و إنّما أضطجعت معها لتأمن ضغطه القبر(ب)سبقه إلی الإسلام و فضیلته فی ذلک ظاهره(ج)مجاهدته

أعداء اللّه و نصرته للدين و ذبّه عنه و مقاماته فى ذلك مشهوره مأثوره تكاد لا تحصى كثره (د)تخصيص الرسول صلى اللّه عليه و آله تزويجه فاطمه دون من خطبها من أكابر المهاجرين و الأنصار (ه)كون الحسن و الحسين اللذين هما سيّد اشباب أهل الجنّه ولـديه و ذلـك فضـل عظيم (و)قوله تعـالى «وَ لَمّـا ضُـرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِـدُّونَ» ١قيـل إنّهـا نزلت فى علىّ عليه السّـلام،و فى جعل عيسى عليه السّلام مثلا له فضل عظيم،و يؤيّد ذلك فى قول النبىّ صلى اللّه عليه و آله له:لو لا أن تقول فيك طوائف امّتى ما قالت النصارى فى عيسـى لقلت اليوم فيك مقالا لا تمرّ بعـده بملاء منهم إلاّ أخـذوا التراب من تحت قـدميك،و هذا الكلام يقتضـى أنّه لو وصـفه بشىء لما وصفه إلاّ بأوصاف عيسى عليه السّلام الّتى لأجلها قالت النصارى فيه ما قالوا (ز)قوله تعالى «وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْـكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ» ٢الآيه اتفق المفسّرون على أنّها نزلت فى علىّ عليه السّـلام و أهل بيته و سـبب نزولها مشـهور فى كتب التفسير و غيرها و كفى بذلك شرفا(ح)روى أنّه لمّا نزلت« «وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ» » ٣قال النبىّ صـلى اللّه عليه و آله:أللّهمّ اجعلنا اذن علىّ،و لا شكّ أنّ الرسول صـلى اللّه عليه و آله كان مجاب الـدعوه و لـذلك قال علىّ عليه السّـلام فما شـككت فى شـىء سـمعته بعـد ذلك و ذلك من أعظم الفضائل(ط)من طرق الكلّ قول النبىّ صلى اللّه عليه و آله فى حقّه أللّهمّ أدر الحقّ مع علىّ حيث دار،و لا شكّ فى استجابه دعائه،و من كان الحقّ وجه أقواله و أفعاله فلا مزيـد على فضـله(ى)من طرق الكلّ قول النبىّ صـلى اللّه عليه و آله:أنت منى بمنزله هرون من موسـى إلا أنّه لا نبىّ بعـدى،و الاسـتثناء هنـا يشـهد بإثبـات جميع المنـازل الّتى كانت لهارون من موسـى إلاّ النبوّه،و ما علم نفيه من الاخوه فبقى كونه وزيرا أو ناصـرا و قائما بناموس الشـريعه و مفرعا لأحكامها الكليّه و خليفه له كما كان هرون كذلك و من هنا تمسكت الشيعه بهذا الخبر فى اسـتحقاقه للخلافه و كفى بهـذه فضـيله(يـا)من طريق الكلّ قوله صـلى اللّه عليه و اله:من كنت مولاه فعلى مولاه،و سواء كان المراد هاهنا بالمولى الأولى بالتصرّف

ص:٧٦

أو الناصر فإنّ الفضل حاصل(يب)قوله صلى اللّه عليه و آله فى حقّه:أقضاكم علىّ،و لا شكّ أنّ القضاء محتاج إلى أنواع العلوم و كفى بشهاده الرسول صلى اللّه عليه و آله له بذلك فضلا(يج)قوله صلى اللّه عليه و آله اعطيت جوامع الكلم و اعطى علىّ جوامع العلم،و كفى بهذه الشهاده فضلا(يد)من طرق الشيعه أنّه خوطب بإمره المؤمنين فى حياه الرسول صلى اللّه عليه و آله و أنكره المحدثون من غيرهم و روى أحمد فى مسنده و فى كتابه فى فضائل الصحابه،و كذلك أبو نعيم الحافظ الأصفهانى فى كتاب حليه الأولياء أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله خاطبه بيعسوب المؤمنين،و اليعسوب أمير النحل و كلّ ذلك إشاره إلى فضله(يه)تربيته رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من أوّل عمره إلى أنّ أعدّه لا على مراتب الكمالات النفسانيّه قال عليه السّلام فى تربيه النبىّ صلى اللّه عليه و آله و اتباعه أثره فى خطبه المسماه بالقاصعه و قد علمتم موضعى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بالقرابه القريبه و المنزله الخصيصه وضعنى فى حجره و أنا وليد يضمّنى إلى صدره و يكنفنى فى فراشه و يمسّنى جسده و يشمّنى عرقه و كان يمضغ الشىء ثمّ يلقمنيه و ما وجد لى كذبه فى قول و لا خطله فى فعل و لقد قرن اللّه به صلى اللّه عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به من طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره و لقد كنت أتّبعه إتبّاع الفضيل أثر امّه يرفع لى فى كلّ يوم علما من أخلاقه و يأمرنى بالاقتداء به،و لقد كان يجاور فى كلّ سنه بحراء فأراه و لا يراه غيرى و لا يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و خديجه و أنا ثالثهما أرى نور الوحى و الرساله و أشمّ ريح النبوّه و لقد سمعت رنّه الشيطان حين نزل الوحى عليه صلى اللّه عليه و آله فقلت يا رسول اللّه ما هذه الرّنه؟فقال:هذا الشيطان قد آيس من عبادته إنّك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى إلاّ أنّك لست بنبىّ و لكنّك وزير و إنّك لعلى خير إلى آخر الكلام حتّى صار بهذه التربيه استاد العالمين بعده صلى اللّه عليه و آله فى جميع العلوم،و بيان ذلك إمّا جمله فلقول النبىّ صلى اللّه عليه و آله:أنا مدينه العلم و علىّ بابها،و لا شكّ أنّ المقصود أنّه صلى اللّه عليه و آله هو المنبع الّذى تفيض عنه العلوم الإسلاميّه و الأسرار الحكميّه الّتى اشتمل عليها القرآن الحكيم و السنّه الكريمه و هو مصدرها و المحيط بها لأنّ شأن المدينه بما تحتوى عليه كذلك،و أنّ عليّا عليه السّلام هو المفرع لتلك الأسرار و المهتدى لتفاصيل جملها و أحكامها الكلّيه بحسب ما له من كمال الحدس و قوّه الاستعداد بحيث تصير تلك الأسرار سهله التناول قريبه المأخذ بسائر الخلق لأنّ

الباب هو الجهه الّتى منها ينتفع الخلق من المدينه و يمكنهم تناول ما أرادوه منها،و أمّا تفصيلا فإنّا بحثنا العلوم بأسرها فوجدنا أعظمها و أهمّها هو العلم الإلهى،و قد ورد فى خطبه عليه السّلام من أسرار التوحيد و النبوات و القضاء و القدر و أسرار المعاد كما سنبيّنه ما لم يأت فى كلام أحد من أكابر العلماء و أساطين الحكمه،ثمّ وجدنا جميع فرق الإسلام تنتهى فى علومهم إليه،أمّا المتكلمون،فأمّا معتزله و انتسابهم إليه ظاهر فإنّ أكثر أصولهم مأخوذه من ظواهر كلامه فى التوحيد و العدل و أيضا فإنّهم ينتسبون إلى مشايخهم كالحسن البصرى و واصل بن عطا،و كانوا منتسبين إلى علىّ عليه السّلام و متلقفين عنه العلوم،و أمّا أشعريّه و معلوم أنّ استادهم أبو الحسن الأشعرى و قد كان تلميذا لأبى علىّ الجبائى و هو من مشايخ المعتزله إلاّ أنّه تنبّه لما وراء أذهان المعتزله فخالف استاده فى مواضع تعلّمها من مذهبه،و أمّا الشيعه فانتسابهم إليه ظاهر فإنّهم يتلقّفون العلوم عن أئمّتهم و أئمّتهم يأخذ بعضهم عن بعض إلى أن ينتهى إليه و هو إمامهم الأوّل،و أمّا الخوارج فهم و إن كانوا فى غايه من البعد عنه إلاّ أنّهم ينتسبون إلى مشايخهم و قد كانوا تلامذه علىّ عليه السّلام، و أمّا المفسّرون فرئيسهم ابن عبّاس-رضى اللّه عنه-و قد كان تلميذ علىّ عليه السّلام،و أمّا الفقهاء فمذاهبهم المشهوره أربعه أحدها مذهب أبى حنيفه و من المشهور أنّ أبا حنيفه قرء على الصادق عليه السّلام و أخذ عنه الأحكام و انتهاء الصادق عليه السّلام إلى علىّ عليه السّلام ظاهر،الثانى مذهب مالك و قد كان مالك تلميذ الربيعه الراى و ربيعه تلميذ عكرمه و عكرمه تلميذ عبد اللّه بن عبّاس و كان تلميذ العلىّ عليه السّلام،و الثالث مذهب الشافعى و قد كان الشافعى تلميذ المالك،الرابع مذهب أحمد بن حنبل و كان أحمد تلميذ الشافعى فرجع انتساب فقه الجميع إلى علىّ عليه السّلام و ممّا يؤيّد كما له فى الفقه قول الرسول صلى اللّه عليه و آله:أقضاكم علىّ و الأقضاء لا بدّ و أن يكون أفقه و أعلم بقواعد الفقه و اصوله،و أمّا الفصحاء فمعلوم أنّ جميع من ينسب إلى الفصاحه بعده يملئون أوعيه أذهانهم من ألفاظه و يضمّنونها كلامهم و خطبهم فتكون منها بمنزله ورد العقود كابن نباته و غيره و الأمر فى ذلك ظاهر،و أمّا النحويّون فأوّل واضع للنحو هو أبو الأسود الدئلىّ و كان ذلك بإرشاده له إلى ذلك و بدايه الأمر أنّ أبا الأسود سمع رجلا يقرأ« «أَنَّ اللّٰهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ» »بالكسر فأنكر ذلك و قال نغوذ باللّه من

الجور بعد الكور أى من نقصان الإيمان بعد زيادته و راجع عليّا عليه السّلام فى ذلك فقال له نحوت أن أضع للناس ميزانا يقومون به ألسنتهم فقال له عليه السّلام أنح نحوه و ارشده إلى كيفيّه ذلك الوضع و علّمه إيّاه،و أمّا علماء الصوفيّه و أرباب العرفان فنسبتهم إليه فى تصفيه الباطن و كيفيّه السلوك إلى اللّه تعالى ظاهره الانتهاء،و أمّا علماء الشجاعه و الممارسون إيّاه للأسلحه و الحروب و فهم أيضا ينتسبون إليه فى علم ذلك فثبت بذلك أنّه كان استاد الخلق و هاديهم إلى طريق الحقّ بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و مناقبه و فضائله أكثر من أن تحصى و باللّه التوفيق.

الفصل الثانى فى بيان فضائله النفسانيّه

اشاره

و هى إمّا أن يعتبر بالنسبه إلى قوّته النظريّه و إلى قوّته العلميّه فإذن هاهنا بحثان.

البحث الأوّل فى أنّه عليه السّلام كان مستجمعا لكمال قوّته النظريّه

قد علمت أنّ كمال القوّه النظريّه إنّما هو باستكمال الحكمه النظريّه و هى استكمال النفس الإنسانيّه بتصوّر المعارف الحقيقيه و التصديق بالحقائق النظريّه بقدر الطاقه البشريّه و لا شكّ أنّ هذه الدرجه كانت ثابته له عليه السّلام و بيان ذلك ببيان أنّه عليه السّلام كان سيّد العارفين بعد سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله و أنّه كان متسّنما لدرجه الوصول،و تحقيق ذلك أنّه قد ثبت فى علم كيفيّه السلوك أنّ وصول العارف إنّما يحقّ إذا غاب عن نفسه فلحظ جناب الحقّ من حيث إنّه هو فقط و إن لحظ نفسه فمن حيث هى لا حظ لا من حيث هى متزيّنه بزينه الحقّ ثمّ إنّه قد وجد فى كلامه و إشاراته ما يستلزم حصول هذه المرتبه له،و لنذكر منها مواضع ثلاثه،الأوّل قوله عليه السّلام لو كشف الغطاء ما أزددت يقينا،و قد عرفت أنّ ذلك إشاره إلى أنّ الكمالات النفسانيه المتعلّقه بالقوّه النظريه قد حصلت له بالفعل و ذلك يستلزم تحقق الوصول التام الّذى ليس فى قوّه الأولياء نيله،الثانى قوله عليه السّلام حكايه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى حقّه إنّك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى إلا أنّك لست نبىّ و لا إشكال فى أنّ النبىّ صلى اللّه عليه و آله كان له الإتّصال التامّ بالحقّ تعالى فكان هذا الاتّصال و الوصول حاصلا لعلىّ عليه السّلام بمقتضى شهاده الرسول و إن كان التفاوت بين المرتبتين قائما لأنّ للإتّصال بالجناب الأقدس درجات لا تتناهى و لذلك قال إلا أنّك لست بنبىّ،و ستعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء إ؟؟؟؟؟هذه

المرتبه له،الثالث قوله علیه السّلام:إلهی ما عبدتک خوفا من عقابک و لا رغبه فی ثوابک و لکن وجدتک أهلا للعباده فعبدتک،وجه الاستدلال أنّه حذف کلّ قید دنیاویّ و اخرویّ عن درجه الاعتبار سوی الحقّ تعالی و ذلک مما یتحقّق له الوصول،و ممّا یؤیّد ذلک إنّا سنبیّن «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالی تمکّنه علیه السّلام من الکرامات و صدورها عنه و ذلک من خواصّ الواصلین.

البحث الثانی فی بیان کماله فی قوّته العلمیّه

،و کما علمت أنّ کمال القوّه النظریّه إنّما هو باستکمال الحکمه النظریه فکذلک کمال القوه العملیّه إنّما هو باستکمال الحکمه العملیّه و هی استکمال النفس بکمال الملکه التامّه علی الأفعال الفاضله حتّی یکون الإنسان ثابتا علی الصراط المستقیم متجنّبا لطرفی الإفراط و التفریط فی جمیع أفعاله ثمّ قد ثبت فی علم الأخلاق أنّ اصول الفضائل الخلقیّه ثلاثه أحدها الحکمه الخلقیّه و هی الملکه الّتی تصدر عنها الأفعال المتوسطه بین الجریزه و الغباوه الّذین هما طرفا الإفراط و التفریط،و أنت تعلم من تصفح أفعاله و أقواله و تدابیره فی امور الحرب و نظام امور العالم ما تضطرّ معه إلی الحکم بأنّه کان مستلزما لهذه الفضیله و غیر واقف دونها فی حدّ الغباوه و لا متجاوز لها إلی طرف الجریزه لأنّ خبث المتجربز یمنعه عن الترقّی إلی درجه الکمال و یأبی طبعه إلّا الشرّ،و ثانیها العفّه و هی الملکه الصادره عن اعتدال حرکه القوّه الشهویّه بحسب تصریف العقل العملی لها علی قانون العدل و بها تصدر الأفعال المتوسطه بین الجمود و الفجور الّذین هما طرفا الإفراط و التفریط و نبیّن أنّ هذه الملکه کانت ثابته له علیه السّلام من وجهین الأوّل أنّه کان أزهد الخلق فی الدنیا بعد الرسول صلی اللّه علیه و آله و فیما عدا القبله الحقیقیه و أقدر علی حذف الشواغل الملغیته عن لقاء اللّه و کلّ من کان کذلک کان مالکا لهواه مصرّفا لشهوته بید عقله أمّا المقدّمه الاولی فمعلومه بالتواتر،و أمّا الثانیه فضروریّه أیضا،الثانی قول النبیّ صلی اللّه علیه و آله:أللّهمّ أدر الحقّ مع علیّ حیث دار،و لا شکّ فی استجابه دعائه و من کان الحقّ لازما لحرکاته و تصرّفاته استحال أن یلزمها باطل لأنّ الأمر الواحد لا یلزمه لا زمان مختلفان فاستحال أن یکون متّبعا للهوی ألبه و هو معنی العفّه،و ممّا یؤکّد حصول هذه الملکه ما روی أنّه علیه السّلام ما شبع من طعام قط و أنّه کان من أخشن الناس ملبسا و مأکلا یقنع بقرص الشعیر

و لا يأكل اللحم إلّا نادرا أو كان يقول:لا تجعلوا بطونكم مقبره للحيوان و يقصد بذلك التنفير عنه و كلّ ذلك زهاده فى الدنيا و لذّاتها،و ثالثها الشجاعه و هى الملكه الحاصله للنفس عن اعتدال القوّه الغضبيّه بحسب تصريف العقل فيما يضبطه لها،و بها تصدر الأفعال المتوسّطه بين أفعال الجبن و التهوّر،و ثبوت هذه الفضيله له عليه السّلام معلوم بالتواتر حتّى صارت شجاعته يضرب بها المثل مبالغه فى حقّ الرجل الشجاع،و إذا عرفت أنّ هذه الملكات الثلاث ثابته له كأتمّ ما يمكن و ثبت أنّها مستلزمه لفضيله العداله ثبت أنّ فضيله العداله ثابته له،و أمّا باقى أقسام الحكمه العمليّه كالحكمه السياسيّه و المنزليّه فقد علمت أنّ فائدتهما أن يعلم الإنسان وجه المشاركه الّتى ينبغى أن تكون من أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان و نظام مصالح المنزل و المدينه،و قد كان عليه السّلام فى ذلك سبّاق غايات و صاحب آيات،و يكفيك فى معرفه ذلك منه أمّا على سبيل الجمله فلأنّ الشريعه المصطفويّه سلام اللّه على شارعها وارده بمقاصدها بين الحكمتين على أتمّ الوجوه و أكملها بحيث يرجع أكابر الحكماء إليها فى تعلّمها،و معلوم أنّ عليّا عليه السّلام كان متمسّكا و مقرّرا لها و باسطا لأحكامها الكليّه و مفصّلا لإشاراتها الجمليّه لم يغيّر منها حرفا و لم يقف فيها دون غايه و ذلك يستلزم ثبوتهما له على أكمل وجه و أتمّه،و أمّا على سبيل التفصيل فعليك فى معرفه أنّه كان أكمل الخلق بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى هذا العلم بمطالعه كتبه و عهوده إلى عمّاله و ولاته و امرائه و قضاته خصوصا العهد الّذى كتبه للأشتر النخعى فإنّ فيه من لطائف تدبير أمر المدنيه و نظام أحوال الخلق ما لا يهتدى لحسنه و لا يوجد عليه مزيد فى هذا الباب هذا،مع ما تواتر من رجوع أكابر الصحابه المعترف بحسن تدبيرهم و إيالتهم إلى استشارته فى امورهم و تعرّف كيفيّه تدبير العساكر و الحروب و المصالح الكلّيه و الجزئيه منه فى مواضع كثيره تعلمها فى هذا الكتاب و فى غيره كرجوع عمر إلى رأيه فى الخروج مع المسلمين إلى غز و الروم،و غير ذلك مما هو مشهور مأثور و ما أشار عليهم به من الآراء الكافله بحسن التدبير و الإياله الوافيه بنظام الحركات المدنيّه كما ستعلم «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى و باللّه التوفيق.

الفصل الثالث فى صدور الكرامات عنه

اشاره

و فيه بحثان.

ص:٨١

البحث الأوّل فی إخباره عن الامور الغیبیّه

و النظر إمّا فی إمکان ذلک أو فی سببه أو فی وقوعه منه فهاهنا إذن ثلاث مقامات.

المقام الأوّل فی إمکانه:یجب علیک أیّها الأخ المتلقّی لنفحات اللّه إذا ذکر أنّ خلیفه من خلفاء اللّه أو ولیّا من أولیائه أخبر عن أمر سیکون مبشرّا به أو منذرا ممّا لا تفی تدرکه قوّتک و أنت أنت فالصواب أن لا تبادر إلی التکذیب بأمثال ذلک و تستنکره فإنّک عند مراجعه عقلک و تصفّحک لأحوال نفسک تجد کلّ ذلک ممکنا و إلیه سبیلا بیان ذلک أنّ معرفه الامور الغیبیّه فی النوم ممکنه فوجب أن تکون فی الیقظه کذلک أمّا الأوّل فلأنّ الإنسان کثیرا ما یری فی نومه شیئا و یقع بعده إمّا صریح تلک الرؤیا أو تعبیرها و ذلک یوضح ما قلناه أمّا فی حقّ الرائی ظاهر،و أمّا من لم یرزق ذلک فی حال النوم فإنّه یعلمه بالتواتر من أکثر الخلق،و أمّا الثانی فلأنّ ذلک لمّا صحّ فی حال النوم لم یکن الجزم بامتناعه حال الیقظه،فإنّ الناس لو لم یجرّبوا ذلک فی حال النوم لکان استبعادهم له فی تلک الحال أشدّ من استبعادهم لوقوعه فی حال الیقظه فإنّه عند عدم التجربه لو قیل لإنسان إنّ جماعه من الأولیاء اجتهدوا فی تلویح مفکّراتهم الصافیه حال ما هم أیقاظ فی تحصیل حکم غیبیّ فعجزوا،ثمّ إنّ واحدا من الکفّار لمّا نام و صار کالمیّت حصل له ذلک الحکم فلا بدّ و أن یکذّب بذلک و یستنکره لعدم حصوله مع کمال الحرکه و سلامه الحواسّ عن العطله و کمال العباده،و حصوله مع أضداد ذلک فقد بان بذلک أنّه لمّا کان فی حال النوم ممکنا کان فی حال الیقظه کذلک.

و أمّا المقام الثانی و هو بیان السبب فی الاطّلاع علی الامور الغیبیّه:فأمّا فی حال النوم فهو أنّه قد ثبت فی العلم الإلهیّ أنّ جمیع الامور الّتی یصدق علیها أنّها کانت أو ستکون معلومه للّه تعالی،و ثبت أنّ النفس الإنسانیّه من شأنها الاتّصال بجناب اللّه تعالی و إنّما یعوقها عن ذلک استغراقها فی تدبیر البدن فإذا حصل لها أدنی فراغ من ذلک کما فی حال النوم و انغلقت عنها أبواب الحواسّ الظاهره رجعت بطباعها إلی الاتّصال بالجناب المقدّس فینطبع فیها من الصور الحاصله هناک ما هو ألیق بها من أحوالها و أحوال ما یقرب منها من الأهل و الولد و ما یهتمّ به،ثمّ إنّ المتخیّله الّتی من طباعها المحاکاه تحاکی تلک

المعانى الكلّيّه الحاصله للنفس و تمثّلها بصور جزئيّه و تخطّها إلى لوح الخيال للصور فتبقى تلك الصور شاهده للحسّ المشترک،ثمّ إن كانت المناسبه حاصله بوجه ما كما إذا تصوّر المعنى بصوره ضدّه أو لازم من لوازمه احتيج حينئذ إلى التعبير،و فائده التعبير التحليل و رجوع الفكر بالعكس من الصوره الخياليّه إلى المعنى النفسانىّ،و إن لم تكن هناک مناسبه أصلا كانت الرؤيا أضغاث أحلام،و أمّا فى حال اليقظه فالسبب فى ذلک هو أنّ النفس الناطقه متى قويت و كانت وافيه بضبط الجوانب المتجاذبه و لم يكن اشتغالها بتدبير البدن عائقا لها عن ملاحظه مباديها و الاتّصال بالحضره الإلهيّه و كانت المتخيّله بحيث تقوى على استخلاص الحسّ المشترک و ضبطه عن الحواسّ الظاهره فإنّ النفس و الحال هذه إذا توجّهت إلى الجناب المقدّس لاستعلام ما كان أو ما سيكون افيضت عليها الصور الكلّيّه لتلک الامور،ثمّ إنّ النفس تستعين فى ضبط تلک الامور الكلّيّه بالقوّه المتخيّله فتحاكى تلک المعانى بما يشبهها من الامور المحسوسه ثمّ تحطّه إلى خزانه الخيال فيصير مشاهدا للحسّ فربما سمع الإنسان كلاما منظوما و شاهد منظرا بهيّا يخاطبه بكلام فيما يحبّه من أفعاله فان كان لا تفاوت بين تلک المعانى و الصور إلاّ فى الكلّيّه و الجزئيّه كان ذلک وحيا صريحا و إلهاما و إلاّ احتاج إلى التأويل.

و أمّا المقام الثالث-و هو صدور الإخبار بالامور الغيبيّه عنه فستعلمها فى مواضع كثيره من هذا الكتاب إنشاء اللّه تعالى لا يقال:لا نسلّم أنّ ذلک علم ألهمه اللّه إيّاه و أفاضه عليه بل الرسول صلى اللّه عليه و آله أخبره بوقائع جزئيّه من ذلک و حينئذ لا يبقى بينه و بين غيره فرق فى هذا المعنى فإنّ الواحد منّا لو أخبره الرسول صلى اللّه عليه و آله بشىء من ذلک لكان له أن يحكى ما قال الرسول،و أن وقع المخبر به على وفق قوله،و يدلّ على ذلک قوله بعد وصف الأتراک و قد قال له بعض أصحابه فى ذلک المقام:لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحک و قال للرجل و كان كلّبيّا:يا أخا كلب ليس هذا بعلم غيب و إنّما هو تعلّم من ذى علم و إنّما علم الغيب علم الساعه و ما عدّده اللّه سبحانه من قوله «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ» من ذكر و انثى و قبيح و جميل و شقىّ و سعيد و من يكون للنار حطبا أو فى الجنان للنبيّين مرافقا فهذا علم الغيب الّذى لا يعلمه أحد إلاّ اللّه و ما سوى

ذلك فعلم علّم اللّه نبيّه صلى اللّه عليه و آله فعلّمنيه و دعا لى بأن يعيه صدرى و تضطم عليه جوانحى و هذا تصريح بأنّه تعلّم من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لأنّا نقول:إنّا لم ندّع أنّه عليه السّلام يعلم الغيب بل المدّعى أنّه كان لنفسه القدسيّه استعداد أن تنتقش بالامور الغيبيّه عن إفاضه جود اللّه تعالى،و فرق بين الغيب الّذى لا يعلمه إلاّ اللّه و بين ما ادّعيناه فإنّ المراد بعلم الغيب هو العلم الّذى لا يكون مستفادا عن سبب يفيده و ذلك إنّما يصدق فى حقّ اللّه تعالى إذ كلّ علم لذى علم عداه فهو مستفاده من جوده إمّا بواسطه أو بغير واسطه فلا يكون علم غيب و إن كان اطّلاعا على أمر غيبىّ لا يتأهّل للاطلاع عليه كلّ الناس بل يختصّ بنفوس خصت بعنايه إلهيّه كما قال تعالى« «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً» » ۱فاذا عرفت ذلك ظهر أنّ كلامه عليه السّلام صادق مطابق لما أردناه فإنّه نفى أن يكون ما قاله علم غيب لأنّه مستفاد من جود اللّه تعالى،و قوله و إنّما هو تعلّم من ذى علم إشاره إلى وساطه تعليم الرسول له و هو إعداد نفسه على طول الصحبه بتعليمه و إشاره إلى كيفيّه السلوك و أسباب التطويع و الرياضه حتّى استعدّ للانتقاش بالامور الغيبيّه و الإخبار عنها و ليس التعليم هو إيجاد العلم و إن كان أمرا قد يلزمه إيجاد العلم فتبيّن إذن أنّ تعليم رسول صلى اللّه عليه و آله له لم يكن مجرّد توقيفه على الصور الجزئيّه بل إعداد نفسه بالقوانين الكلّيّه،و لو كانت الامور الّتى تلقّاها عن الرسول صلى اللّه عليه و آله صورا جزئيّه لم يحتج إلى مثل دعائه فى فهمه لها فإنّ فهم الصور الجزئيّه أمر ممكن سهل فى حقّ من له أدنى فهم و إنّ ما يحتاج إلى الدعاء و إعداد الأذهان له بأنواع الإعدادات هو الامور الكلّيّه العامّه للجزئيّات و كيفيّه انشعابها عنها و تفريعها و تفصيلها و أسباب تلك الامور المعدّه لإدراكها،و ممّا يؤيّد ذلك قوله عليه السّلام علّمنى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ألف باب من العلم فانفتح لى من كلّ باب ألف باب،و قول الرسول:صلى اللّه عليه و آله:اعطيت جوامع الكلم و اعطى علىّ جوامع العلم،و المراد بالانفتاح ليس إلاّ التفريع و انشعاب القوانين الكلّيّه عمّا هو أهمّ منها و بجوامع العلم ليس إلاّ ضوابطه و قوانينه،و فى قوله و اعطى بالبناء للمفعول دليل ظاهر على أنّ المعطى لعلىّ جوامع العلم ليس هو النبىّ بل الّذى أعطاه ذلك هو الّذى أعطى النبىّ صلى اللّه عليه و آله جوامع

الكلم و هو الحقّ سبحانه و تعالى،و أمّا الامور الّتى عدّدها اللّه سبحانه فهى من الامور الغيبيّه،و قوله لا يعلمها أحد إلاّ اللّه كقوله تعالى «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاّ هُوَ» ؛و هو محتمل للتخصيص كما فى قوله «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ» و هذا الأمر واضح لا يحتاج العاقل فى استشكافه إلى كلفه،و سيجىء فى أثناء الشرح ما يزيد ذلك وضوحا «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى.

البحث الثانى فى بيان صدور الأفعال الخارقه للعاده عنه

و النظر إمّا فى إمكان ذلك أو فى سببه أو فى نفس وقوعه منه.

المقام الأوّل فى إمكانه و أسبابه:واجب على من أهّله اللّه سبحانه لاستشراق أنواره إذا سمع أنّ وليّا من الأولياء أتى بفعل ليس فى وسع غيره من أبناء نوعه الإتيان بمثله كالإمساك عن الطعام المدّه المديده الّتى ليست فى وسع أبناء نوعه،و كالتحريك على الحركه الخارجه عن وسع مثله كما يشاهد من طوفانات تقع باستدعائهم و زلازل و استنزال عقوبات،و خسف قوم حقّ عليهم القول،و استشفاء المرضى،و استسقاء العطشى،و خضوع عجم الحيوانات و غيرها أن لا يبادر إلى التكذيب فإنّه عند الاعتبار يجد تلك الامور ممكنه فى الطبيعه.أمّا الإمساك عن القوت فتأمّل إمكانه فينابل وجوده عند عروض عوارض غريبه لنا إمّا بدنيّه كالأمراض الحادّه،و إمّا نفسانيّه كالخوف و الغمّ،و سبب الإمساك فى حال المرض أمّا فى الأمراض البدنيّه فإنّ القوى الطبيعيّه تشتغل بهضهم الموادّ الرديئه عن تحريك الموادّ المحموده فتجد الموادّ المحموده حينئذ محفوظه قليله التحلّل غنيّه عن طلب البدل لما يتحلّل،فربّما انقطع الغذاء عن صاحبها مدّه لو انقطع مثله عنه فى غير حالته تلك عشر تلك المدّه هلك و هو مع ذلك محفوظه الحياه،و أمّا النفسانيّه فإنّه قد يعرض بعروض الخوف للخائف سقوط الشهوه و فساد الهضم و العجز عن الأفعال الطبيعيّه الّتى كان متمكّنا منها قبل الخوف لوقوف القوى الطبيعيّه عن أفعالها بسبب اشتغال النفس بما أهمّها عن الالتفات إلى تدبير البدن،و إذا عرفت إمكان ذلك بسبب العوارض الغريبه فاعلم أنّ سبب تحقّقه فى حقّ العارف هو توجّه نفسه بالكلّيّه إلى عالم القدس المستلزم

لتشبيع القوى البدنيّه لها،و ذلک أنّ النفس المطمئنّه إذا راضت القوى البدنيّه انجذبت القوى خلفها فی مهمّاتها الّتی تنزعج إليها و اشتداد ذلک الانجذاب بشدّه الجذب فإذا اشتد الاشتغال عن الجهه المولّی عنها وقفت الأفعال الطبيعيّه المتعلّقه بالقوّه النباتيّه فلم يكن من التحليل إلاّ دون ما يكون فی حال المرض لاختصاص المرض فی بعض بما يقتضی الاحتياج إلی الغذاء كتحلّل رطوبات البدن بسبب عروض الحراره الغريبه المسمّاه بسوء المزاج الحارّ لأنّ الغذاء إنّما يكون لسدّ بدل ما يتحلّل من تلک الرطوبات،و شدّه الحاجه إلی الغذاء إنّما بحسب كثره التحليل و كقصور القوى البدنيّه بسبب المرض المضادّ له و إنّما الحاجه إلی حفظ تلک لرطوبات لحفظ تلک القوى إذا كانت مادّه الحراره الغريزيّه المقتضيّه لتعادل الأركان الّذی لا تقوم تلک القوى إلاّ معه و شدّه الحاجه إلی ما يحفظ تلک القوى إنّما هی بحسب شدّه فتورها.

و أمّا العرفان فإنّه مختصّ بأمر يوجب الاستغناء عن الغذاء و هو سكون البدن عند إعراض القوى البدنيّه عن أفعالها حال متابعتها للنفس و انجذابها خلفها حال توجيهها إلی الجناب المقدّس و تطعمها بلذّه معارفه الحقّ و إليه الإشاره بقوله:لست كأحدكم أبيت عند ربّی يطعمنی و يسقينی،و إذا عرفت ذلک ظهر أنّ المرض و إن اقتضی الإمساک الخارق للعاده إلاّ أنّ العرفان بذلک الاقتضاء أولی.

و أمّا القدره علی الحركه الّتی تخرج عن وسع مثله فهی أيضا ممكنه،و بيانها أنّک علمت أنّ مبدء القوى البدنيّه هو الروح الحيوانی فالعوارض الغريبه الّتی تعرض للإنسان تاره يقتضی انقباض الروح بحركه إلی داخل كالخوف و الحزن و ذلک يقتضی انحطاط القوّه و سقوطها،و تاره يقتضی حركه إلی خارج كالغضب و انبساطا معتدلا كالفرح المطرب و الانتشار المعتدل و ذلک يقتضی ازدياد القوّه و نشاطها،و إذا عرفت ذلک فاعلم أنّه لمّا كان فرح العارف ببهجه الحقّ و أعظم من فرح من عداه بما عداه و كانت الغواش الّتی تغشاه و تحرّكه اعتزازا بالحقّ ربانيّه أعظم ممّا يعرض لغيره لا جرم كان اقتداره علی حركه غير مقدوره لغيره أمكن.

و أمّا السبب فی الامور الباقيّه فهو أنّه قد ثبت فی غير هذا الموضع أنّ تعلق النفس

بالبدن ليس تعلّق انطباع فيه إنّما هو على وجه أنّها مدبّره له مع تجرّدها،ثمّ إنّ الهيئات النفسانيّه قد تكون مبادئ لحدوث الحوادث،و بيانه أمّا أوّلا فلأنّک تشاهد إنسانا يمشى على جذع ممدود على الأرض و يتصرّف عليه كيف شاء و لو عرض ذلک الجذع بعينه على جدار عال لوجدته عند المشى عليه راجفا متزلزلا يواعده،وهمه بالسقوط مرّه بعد اخرى لتصوّره و انفعال بدنه عن وهمه حتّى ربّما سقط،و أمّا ثانيا فلأنّ الأمزجه تتغيّر عن العوارض النفسانيّه كثيرا كالغضب و الخوف و الحزن و الفرح و غير ذلک و هو ضرورىّ، و أمّا ثالثا فلأنّ توهم المرض أو الصحّه قد يوجب ذلک و هو أيضا ضرورىّ إذا عرفت ذلک فنقول:إنّه لمّا كانت الأمزجه قابله هذه الأنفعالات عن هذه الأحوال النفسانيّه فلا مانع أن يكون لبعض النفوس خاصيّه لأجلها تتمكّن من التصرّف فى عنصر هذا العالم بحيث تكون نسبتها إلى كلّيه العناصر كنسبه أنفسنا إلى أبداننا فيكون لها حينئذ تأثير فى إعداد الموادّ العنصريّه لأن يفاض عليها صور الامور الغريبه الّتى تخرج عن وسع مثلها فإذا انضمّت إلى ذلک الرياضات فانكسرت صوره الشهوه و الغضب و بقيتا أسيرتين فى يد القوّه العاقله فلا شکّ أنّها حينئذ تكون أقوى على تلک الأفعال،و تلک الخاصيّه إمّا بحسب المزاج الأصلى أو بحسب مزاج طار غير مكتسب أو بحسب الكسب و الاجتهاد فى الرياضه و تصفيه النفس،و الّذى تكون بحسب المزاج الأصلى فذو المعجزات من الأنبياء أو الكرامات من الأولياء فإن انضمّ إليها الاجتهاد فى الرياضه بلغت الغايه القصوى فى ذلک الكمال،و قد يغلب على مزاج من له هذه الخاصيّه أن يستعملها فى طرف الشرّ،و فى الامور الخبيثه و كان يزكّى نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقى إلى درجه الكمال.

و اعلم أنّ الشروط الأوّل لنبوّه أن يكون الشخص مأمورا من السماء بإصلاح النوع ثمّ من لواحق مرتبه الأولياء أمور.الأوّل أن يستغنوا فى أكثر علومهم من معلّم بشرى بل يحصل لهم بحسب قواهم الحدسيّه القدسيّه الشريفه البالغه و شدّه اتّصال نفوسهم بالحقّ سبحانه.الثانى أن يكون هيولى العالم طوعا لما أرادوا من الامور العجيبه الخارقه للعاده كالخسف و التحريكات و التسكينات.الثالث أن يتمكّنوا من الإخبار عن المغيبات و الامور الجزئيّه الواقعه إمّا فى الماضى أو فى المستقبل،و الشرط الأوّل و هو العمده فى تمييز درجه

الأنبياء عن غيرهم و لا شكّ أنّ اختصاصهم به إنّما هو لشدّه اتّصالهم فإذن هم أشدّ اتّصالا بالمبدإ الأوّل،و أكمل قوّه من غيرهم،و كذلك اختلاف مراتبهم عائد أيضا إلى تفاوت نفوسهم فى قربها من البدء و اتّصالها به،و أمّا باقى الخصال فقد يشاركهم فيها الأولياء و يجتمع فيهم،و إلى هذا المعنى أشار النبىّ صلى اللّه عليه و آله بقوله:علماء امّتى كأنبياء بنى إسرائيل،و كان التفاوت بين المعجزه و الكرامه إنّما يرجع إلى أنّ الخصال المذكوره إن صدرت عمّن له الشرط الأوّل سمّيناها معجزا و إن صدرت عن غيرهم كانت فى حقّه كرامه و تحقيق هذه المباحث مبنىّ على مقدّمات و اصول ليس هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك من مظانّها و باللّه التوفيق.

المقام الثانى فى وقوع الفعل الخارق عنه عليه السّلام-و اعلم أنّ الطريق إلى ذلك هو النقل،و قد نقل عنه ذلك فى صور ثبت بعضها بحسب التواتر و بعضها بخبر الآحاد فمن الامور الخارقه المنقوله عنه بحسب التواتر فعله لباب خيبر لما انتهى إليه و كان من صخره واحده يعجز الجماعه عن تحريكه،و روى فى كيفيّه حاله فى ذلك أنّه لمّا اقتلعه رمى به أذرع و اجتمع عليه سبعون رجلا و كان جهدهم أن عادوه إلى مكانه،و روى أنّه قال:عالجت باب خيبر و جعلته مجنّا لى و قاتلت فلمّا أخزاهم اللّه وضعت الباب على حصنهم طريقا ثمّ رميت به فى خندقهم فقال له رجل:لقد حملت يا أمير المؤمنين منه ثقلا فقال:ما كان إلاّ مثل جنّتى الّتى فى يدى فى غير ذلك المقام،و معلوم أنّ ذلك لم يصدر عن قوّه بدنيّه و إلاّ لقدر على ذلك من هو أقوى صوره منه و لذلك قال عليه السّلام:ما قلعت باب خيبر بقوّه جسدانيّه و لكن قلعته بقوّه ربانيّه،و للشعراء فى هذه الآيه أشعار كثيره،و القصّه مشهوره فهذا القدر يكفينا فى بيان فضائله عليه السّلام و عليك فى باقى الامور المنقوله عنه فى ذلك بالكتب المصنّفه فى بيان معجزات الأنبياء و كرامات الأولياء،و لقد اجتهد بنو اميّه فى إخفاء فضائله و إطفاء نوره بالتحريف و وضع المعايب و المثالب حتّى سبّوه على جميع المنابر،و منعوا أن يروى حديث يتضمّن له فضيله و أن يسمّى باسمه أحد فلم يزدد بذلك الإخفاء إلاّ ظهورا،و لم يثمر ذلك الإطفاء إلاّ نورا« «وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ» »و كان مولده عليه السّلام قبل ظهور دعوه النبىّ صلى اللّه عليه و آله بثلاث عشره سنه،و قيل إثنى عشره سنه و قيل عشر سنين،و قتل ليله الجمعه لثلاث

عشره لیله بقین من شهر رمضان من سنه أربعین من هجره الرسول بجامع الکوفه،و هو ابن ثلاث و ستّین سنه،فهذا ما أوردنا من هذه المقدّمه،و لنشرع بعدها فی تقریر المطالب و قبله نذکر نسب السیّد الرضیّ الدین و نبیّن ما عساه أن یشکل من لفظه فی خطبه الکتاب أمّا نسبه،فهو السیّد الشریف رضیّ الدین ذو الحسین محمّد بن الطاهر ذی المناقب أبی أحمد الحسین بن موسی بن محمّد بن موسی بن إبراهیم بن موسی بن جعفر بن محمّد بن علیّ بن الحسین بن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام وصف بذی الحسین لاجتماع أصله الفاخر الّذی هو منبع الحسب مع فضیله نفسه و کما لها بالعلم و الأدب،و کان مولده ببغداد سنه تسع و خمسین و ثلاث مائه و توفی فی المحرم سنه ست و أربع مائه بالکرخ من بغداد و دفن مع أخیه المرتضی فی جوار جدّه الحسین علیه السّلام.

خطبه الکتاب

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» أمّا بعد حمد اللّه الّذی جعل الحمد ثمنا لنعمائه، و معاذا من بلائه،و وسیلا إلی جنانه،و سببا إلی زیاده إحسانه،و الصلاه علی رسوله نبیّ الرحمه،و إمام الأئمه،و سراج الامه.المنتخب من طینه الکرم،و سلاله المجد الأقدم، و مغرس الفخار المعرق،و فرع العلاء المثمر المورق،و علی أهل بیته مصابیح الظلم،و عصم الامم،و منار الدین الواضحه،و مثاقیل الفضل الراجحه صلّی اللّه علیهم أجمعین صلاه تکون ازاء لفضلهم،و مکافاه لعملهم،و کفاء لطیب فرعهم و أصلهم.ما أنار فجر ساطع،و خوی نجم طالع،فإنّی کنت فی عنفوان السن،و غضاضه الغصن ابتدأت بتألیف کتاب فی خصائص الأئمه علیهم السّلام یشتمل علی محاسن أخبارهم،و جواهر کلامهم حدانی علیه غرض ذکرته فی صدر الکتاب،و جعلته أمام الکلام،و فرغت من الخصائص الّتی تخصّ أمیر المؤمنین علیّا علیهم السّلام،و عاقت عن إتمام بقیّه الکتاب محاجزات الأیّام،و مماطلات الزمان،و کنت قد بوّبت ما خرج من ذلک أبوابا،و فصّلته فصولا،فجاء فی آخرها فصل یتضمّن محاسن ما نقل عنه علیه السّلام من الکلام القصیر فی المواعظ و الحکم و الأمثال و الآداب دون الخطب الطویله و الکتب المبسوطه،فاستحسن جماعه من الأصدقاء ما اشتمل علیه الفصل المقدّم ذکره معجبین ببدائعه،و متعجّبین من نواصعه،و سألونی عند ذلک أن أبتدئ بتألیف کتاب یحتوی علی مختار کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام فی جمیع فنونه،و متشعبّات غصونه من خطب و کتب،و مواعظ

و آداب علما أنّ ذلك يتضمّن من عجائب البلاغه،و غرائب الفصاحه،و جواهر العربيّه،و ثواقب الكلم الدينيّه،و الدنيويّه ما لا يوجد مجتمعا فى كلام،و لا مجموع الأطراف فى كتاب إذ كان أمير المؤمنين عليه السّلام مشرع الفصاحه و موردها،و منشأ البلاغه و مولدها،و منه عليه السّلام ظهر مكنونها،و عنه اخذت قوانينها،و على أمثلته حذا كلّ قائل خطيب،و بكلامه استعان كلّ واعظ بليغ،و مع ذلك فقد سبق و قصّروا،و تقدّم و تأخّروا،لأنّ كلامه عليه السّلام الكلام الّذى عليه مسحقه من العلم الإلهىّ،و فيه عبقه من الكلام النبوىّ،فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع،و منشور الذكر،و مذخور الأجر،و اعتمدت به أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذه الفضيله مضافه إلى المحاسن الدثره،و الفضائل الجمه،و أنّه عليه السّلام انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف الأوّلين الّذين إنّما يؤثر عنهم منها القليل النادر،و الشاذ الشارد فأمّا كلامه عليه السّلام فهو البحر الّذى لا يساجل،و الجمّ الّذى لا يحافل،و أردت أن يسوغ لى التمثيل فى الافتخار به عليه السّلام بقول الفرزدق:

اولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

و رأيت كلامه عليه السّلام يدور على أقطاب ثلاثه أوّلها الخطب،و الأوامر،و ثانيها الكتب و الرسائل،و ثالثها الحكم و المواعظ،فأجمعت بتوفيق اللّه تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب،ثمّ محاسن الكتب،ثم محاسن الحكم و الأدب مفردا لكل صنف من ذلك بابا،و مفصّلا فيه أوراقا لتكون لاستدراك ما عساه يشذ عنّى عاجلا و يقع إلىّ آجلا،و إذا جاء شىء من كلامه الخارج فى أثناء حوار أو جواب كتاب(سؤال ن خ)أو غرض آخر من الأغراض فى غير الأنحاء الّتى ذكرتها،و قرّرت القاعده عليها نسبته إلى أليق الأبواب به،و أشدّها ملامحه لغرضه،و ربّما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متّسقه،و محاسن كلم غير منتظمه، لأنّنى أورد النكت و اللمع،و لا أقصد التتالى و النسق،و من عجائبه عليه السّلام الّتى انفرد بها، و أمن المشاركه فيها أنّ كلامه الوارد فى الزهد و المواعظ،و التذكير و الزواجر إذا تأمّله المتأمّل،و فكّر فيه المتفكّر،و خلع من قبله أنّه كلام مثله ممّن عظم قدره،و نفذ أمره و أحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشكّ فى أنّه من كلام من لا حظّ له فى غير الزهاده،و لا شغل له بغير العباده قد قبع فى كسر بيت،أو انقطع إلى سفح جبل لا يسمع إلّا حسّه و لا يرى

إلاّ نفسه،و لا يكاد يوقن بأنّه كلام من ينغمس فى الحرب مصلتا سيفه فيقطّ الرقاب،و يجدّل الأبطال،و يعود به ينطف دما،و يقطر مهجا،و هو مع تلك الحال زاهد الزهاد،و بدل الأبدال، و هذه من فضائله العجيبه،و خصائصه اللطيفه الّتى جمع بها بين الأضداد،و ألّف بين الأشتات و كثيرا ما أذاكر الأخوان بها،و أستخرج عجبهم منها،و هى موضع للعبره بها،و الفكره فيها،و ربّما جاء فى أثناء هذا الاختيار اللفظ المردّد،و المعنى المكرّر،و العذر فى ذلك أنّ روايات كلامه عليه السّلام تختلف اختلافا شديدا فربّما اتّفق الكلام المختار فى روايه فنقل على وجهه،ثمّ وجد بعد ذلك فى روايه اخرى موضوعا غير موضعه الأوّل إمّا بزياده مختاره أو لفظ أحسن عباره،فتقضى الحال أن يعاد استظهار اللاختيار،و غيره على عقائل الكلام، و ربّما بعد العهد أيضا بما اختير أوّلا فاعيد بعضه سهوا أو نسيانا لا قصدا و اعتمادا،و لا أدّعى مع ذلك أنّى احيط بأقطار جميع كلامه عليه السّلام حتّى لا يشذّ عنى منه شاذّ و لا يندّ نادّ بل لا أبعد أن يكون القاصر عنى فوق الواقع إلىّ،و الحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدى، و ما علىّ إلاّ بذل الجهد،و بلاغ الوسع،و على اللّه سبحانه نهج السبيل،و رشاد الدليل إنشاء اللّه.و رأيت من بعد تسميه هذا الكتاب بنهج البلاغه إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، و يقرّب عليه طلاّبها،و فيه حاجه العالم و المتعلّم،و بغيه البليغ و الزاهد،و يمضى فى أثنائه من عجيب الكلام فى التوحيد و العدل،و تنزيه اللّه سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كلّ غلّه،و شفاء كلّ علّه،و جلاء كلّ شبهه،و من اللّه سبحانه أستمدّ التوفيق و العصمه،و أنتجز التسديد و المعونه،و أستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان،و من زلّه الكلم قبل زلّه القدم،و هو حسبى «وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» .

أقول: أمّا حرف يبتدء به الكلام المقسّم إلى قسمين أو أكثر و تصدر به الجمل فتخصّص معه كلّ واحده بحكم ليس للاخرى ،فقوله أمّا بعد حمد اللّه هو الجزء الثانى من الكلام، و تقدير الكلام مع الجزء الأوّل أمّا قبل الشروع فى المطلوب فالحمد للّه،و أمّا بعد حمد اللّه فإنّى كنت فى عنفوان السن،و إنّما حذف الجزء الأوّل اختصار الكلام و إيجاز له ثمّ استمرّ ذلك الحذف،و حسن استعماله فى الكلمات الخطابيّه و غيرها حتّى صار إظهار المحذوف هاهنا مستهجنا بقدر ما يستحسن الحذف،و قال سيبويه.إنّه مع الجمله الّتى يدخل

علیها فی قوّه شرطی متصّل فقال:إذا قلت أمّا زید فمنطلق:فکأنّک قلت مهما یکن من شیء فزید منطلق و نبّه علی ذلک بلزوم الفاء بجوابها،و جعل فیها الکلام مشتملا علی جملتین شرط و جزاء و المذکور هاهنا لیس إلاّ الجمله الجزائیّه و أمّا الشرط فمحذوف للاختصار،و هذا الحرف ینوب عنه کما ناب یا للنداء مناب أدعو و نعم مناب الجواب،و إنّما زحلفت الفاء عن موضعها و هو المبتدأ إلی الخبر لئلاّ یقع فی صدر الکلام مع أنّ حقّها التوسط ما بین مفردین أو جملتین،و قوله بعد ظرف یستدعی متعلّقا،و تقدیره و أمّا قولی بعد حمد اللّه فهو کذا و کذا و الحمد لفظ مشکّک یصدق علی معنی الشکر الّذی هو الاعتراف بالنعمه المتقدّمه و الثناء و التعظیم لربّها من الشاکر و علی الثناء المطلق ابتداء و التعظیم لغیر المحسن إلی المحامد إذا رأی منه فعلا جمیلا دون أن یکون فی حقّه فهو إذن أعمّ من الشکر و هو أخصّ من المدح لاختصاص إطلاقه فی حقّ العقلاء دون غیرهم إذ یقال مدحت الفرس و لا یقال حمدته ،و المعاذ الملجأ ،و الوسیل جمع وسیله و هی کلّ ما قربّک إلی اللّه تعالی أو إلی غیره ،و الصلاه لفظ مشترک بین معان و هو من اللّه تعالی رحمه ،و النبیّ مأخوذ إمّا من النبوّه و النباءه و هی الارتفاع لکونه مرتفعا علی الخلق رئیسا لهم فیکون أصله غیر الهمزه،و إمّا من النبأ و هو الخبر لأنّه یخبر عن اللّه تعالی ،و الأمّه الجماعه ،و المنتجب المستخلص المصطفی ،و سلاله الشیء ما استلّ منه و استخرج و النطفه سلاله الإنسان و منه السلیل للولد ،و المجد فی الأصل الکرم و المجید الکریم و کذلک الماجد ،و أعرق الرجل إذا صار عریقا و هو الّذی له عرق فی الکرم و أصل ،و العصم جمع عصمه و هی المنع و فلان عصمه الخلق إذا منع الأذی عنهم و حماهم منه ،و المنار علم الطریق و هو لفظ مفرد و أصل ألفه الواو و قد یستعمل جمعا لمناره کما أراده الرضیّ هنا و لذلک انّث صفته،و هذا الجمع علی غیر قیاس فإنّ وزن مناره مفعله و قیاس مفعله فی الجمع مفاعل و لذلک کان الجمع الأصلی لمناره مناور قال الجوهری و من قال منائر و همّز فقد شبّه الأصلی بالزائد و أراد فی حذفه فی الجمع ،و المثاقیل جمع مثقال و هو ما یوزن به الذهب و الفضّه و یکون حذاء لها ثم کثر استعماله حیّ عدّی إلی الموزون ایضا فیقال مثقال مسک و نحوه ثمّ عدّی إلی الامور المعقوله و المقادیر منها فقیل

مثقال فضل و هذا الشيء إزاء لذلك حذاء له و مقابل و كذلك المكافاه،و الكفاء يقال كافأت فلانا بالشيء إذا قابلته به و جزيته عليه و كفاء الشيء بالمدّ و الهمزه مثله و نظيره من جزاء و نحوه و منه كفأت الإناء إذا ملأته ،و خوى النجم بالتخفيف سقط و بالتشديد إذا مال للمغيب ،و عنفوان الشباب و السن أوله ،و الغضّ الطرى و غضاضه القصن طراوته و لينه ، و حدانى على كذا أى بعثنى و حملنى عليه و هو مأخوذ من حداء الإبل و هو رجزها ،و الغناء لها الباعث لها على السير و الحامل لها على السرعه فيه ،و الخصائص جمع خصيصه فعيله بمعنى فاعله و هى ما يختصّ بالإنسان من كمال و غيره ،و المحاجزات جمع محاجزه و هى الممانعه من الطرفين كان الأيّام ممانعه عن العمل و هو يمانعها منعها له ،و المماطلات جمع مماطله مفاعله أيضا من الطرفين كأن الزمان لاغتراره بطوله يعده بإنجاز العمل فيخلف و كأنّه هو لطول أمله بعد الزمان بوقوع العمل فيه فيخلف ،و اعجب فلان بكذا على البناء للمفعول فهو معجب إذا أحبّه و مال إليه و صار عنده فى محلّ أن يتعجّب منه،و منه قولهم أعجب فلان برأيه و عقله ،و البدائع جمع بديعه فعليه بمعنى مفعوله و هى الفعل على غير مثال ثمّ صار يستعمل فى الفعل الحسن و إن سبق إليه مبالغه فى حسنه فكأنّه لكمال حسنه لم يسبق إليه ،و التعجّب قولك ما أحسن كذا و نحوه من الألفاظ ،و النواصع جمع ناصعه و الناصع من كلّ شيء خالصه و تصع الأمر وضح و بان ،و معجبين و متعجّبين منصوبان على الحال و العجب بالشيء سبب للتعجّب منه ،و فنون الكلام أنواعه و أساليبه المختلفه ،و علما منصوب على المفعول له أو على أنّه مصدر سدّ مسدّ الحال أى عالمين،و العامل فيه قوله سألونى ،و القوانين جمع قانون و هو كل صوره كليّه يتعرّف منها أحكام جزئيّاتها المطابقه لها،و لفظه معرّب سريانىّ و قيل إنّه عربىّ مأخوذ لكونه ثابتا باقيا إمّا من القنّ و هو العبد الّذى ملك هو و أبواه فهو ثابت فى الملك من جهتين،أو من القنقن و هو الدليل الهادى و البصير بالماء فى حفر القنى و كذلك القناقن بضم القاف لكون القانون هاديا فى تعرّف جزئيّاته ،و يقال على فلان مسحه من جمال أى أثر و علامه و هو خاصّ بالمدح قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى جرير بن عبد اللّه البجلى:عليه مسحه من ملك أى أثر ذلك و قال ذو الرمه على وجه ميّ مسحه من ملاحه و تحت الثياب الشين لو كان باديا

و عبق به الطّيب أى لزق به و انتشرت عنه رائحته ،و العبقه واحده العبوق ،و اعتمدت أى قصدت ،و الدثره الكثيره و كذلك الجمّه ،و الأثر ما تبقى من رسم الشى ء،و سنن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله آثاره و يؤثر عنهم ينقل عنهم من الآثار ،و الشاذ المنفرد الّذى لا يصحب أمثاله ،و شرد البعير نفر عن الإبل و خرج عن نظامها ،و المساجله المغالبه و المفاخره فى سقى أو جرى و أصله من السجل و هو الدلو العظيمه إذا كان فيها ماء قال الفضل بن عبّاس:

من يساجلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

و حفل القوم و اختلفوا أى اجتمعوا و المحافله مفاعله من الطرفين،و قوله لا يحافل أى ليس فى كلام غيره مجمع للفضائل يقابل كلامه ،و قطب الرحى المسمار الّذى عليه تدور ثمّ استعمل فى كلّ أصل ينتهى إليه و يرجع فقيل قطب القوم لسيّدهم لكونه عليه مدار امورهم و قطبا الفلك لنهايتى محوره و هو الخطّ الّذى يتوهّم مارّا بمركز الفلك منتهيا فى الجهتين إلى طرفيه و عليه يدور و لأقسام الكلام الّتى تدخل أجزاه و تحتها و تدور عليه و الخطبه أعمّ من الوعظ ،و الوعظ التخويف و يختصّ فى العرف بالتذكير بأيّام اللّه و أمر الآخره و عذاب النار و نحوه ،و الرساله أعمّ من الكتاب لجواز أن تكون بالقول دون كونها مكتوبه ،و الصنف و النوع فى اللغه واحد و إن كان بينهما فى عرف آخر فرق ،و الإجماع تصميم العزم على الأمر و خلوصه من الترديد ،و أثناء الشىء تضاعيفه و هو جمع ثنّى بكسر الثاء و سكون النون تقول انفذت كذا بثنىّ كتابى أى فى طيّه ،و الحوار الخطاب و الجواب،و المحاوره و المجاوبه و التراد فى الكلام يقال كلّمته فلم يحر جوابا ،و الأنحاء جمع نحو و هو المقصد ،و قواعد البيت الأحجار الّتى يؤسّس عليها بناؤه و قال تعالى« «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰاهِيمُ الْقَوٰاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ» »و قواعد الهودج أخشابه الأربع المعترضات فى أسفله ثمّ عدّى إلى كلّ أصل يبنى عليه من كلام أو غيره ،و الملامحه المشابهه من قولهم فى فلان ملامح من أبيه أى مشابه، و أصله من لمح البصر و هو النظر الخفيف السريع الزوال و ذلك أنّ الملمح مفعل و هو موضع اللمح و المشابه محالّ اللمح فلذلك اشتقّت منها الملامحه و روى ملاحمه و هى الملائمه و روى ملائمه أيضا ،و المتّسق المنتظم يتلو بعضه بعضا و أصله المنتسق فأدغمت النون فى التاء ،و النكت جمع نكته و هى الأثر فى الشيء يتميّز بعض أجزائه عن بعض و يوجب له الامتياز

و التفات الذهن إليه كالنقطه فى الجسم و الأثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر و منه رطبه منكته إذا بدا أرطابها ثمّ عدىّ إلى الكلام و الامور المعقوله الّتى يختصّ بعضها بالدقه الموجبه لمزيد العنايه و الفكر فيها فسمّى ذلك البعض نكته ،و اللمع جمع لمعه،و هى البقعه من الكلاء و كذلك الجماعه من الناس و أصله من اللمعان و هو الإضافه و البريق لأنّ البقعه من الأرض ذات الكلاء كأنّها تضىء لخضرتها و نضارتها دون سائر البقاع و عدىّ إلى محاسن الكلام و بليغه لاستناره الأذهان به و لتمييزه عن سائر الكلام فكأنّه فى نفسه ذو ضياء و نور و اعتراض الشكّ خطوره بالبال المانع للجزم بأحد طرفى المشكوك فيه ،و قبع القنفذ قبعا و قبوعا إذا أدخل رأسه فى جلده و كذلك الرجل إذا أدخل رأسه فى قميصه و أصله من قبوع القنفذ ،و كسر البيت أسفل شقه البيت الّتى تلى الأرض من حيث تكسر جانباه من عن يمينك و شمالك حكاه ابن السكيت ،و سفح الجبل سطوحه و جوانبه الّتى يسيل عليها الماء من أعلاه،و قد يقال بالصاد أيضا ،و يوقن يعلم يقينا و إنّما صارت الياء الّتى هى الأصل واوا للضمّه قبلها ،و انغمس فى الأمر دخل فيه بكلّيته و أصله من الدخول فى الماء و نحوه من المايعات ،و أصلّت سيفه جرّده عن غمده ،و قطّ الشىء قطعه عرضا و قدّه و شقّه قطعه طولا و البطل الشجاع ،و جدّله أى ألقاه على الجداله و هى الأرض ،و نطف ينطف بضمّ الطاء فى المستقبل نطفانا أى سئل ،و المهج جمع مهجه و هى الدم و يقال هى دم القلب خاصّه و المهجه الروح أيضا و دما و مهجا منصوبان على التميز ،و الأبدال قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم و إذا مات واحد بدّل اللّه مكانه بآخر قال ابن دريد:الواحد بديل و قيل بدل أيضا ،و العبره الاسم من الاعتبار،و هو انتقال الذهن من أمر إلى أمر ،و الظهير المعين و الاستظهار للشىء الاستعانه بغيره لحفظه و بالشىء الاستعانه به و على الشىء الاستعانه بغيره لدفعه ، و الغيره بفتح الغين مصدر قولك غار الرجل على أهله يغار غيره و غارا و رجل غيور و امرأه غيور أيضا إذا كانا كثيرى الغيره،و الغيره ألم نفسانىّ يعرض لذى الحقّ عن تخيّل مشاركه غير المستحقّ لذلك الحقّ له فيه ،و العقائل جمع عقيله،و عقيله كلّ شىء أكرمه و أحسنه ،و الأقطار جمع قطر،و هى الناحيه و الجانب و ندّ البعير يندّ ندّا و ندودا نفر و شرد و الربق بكسر الراء و سكون الباء حبل فيه عرى كثيره تشدّ به البهم،الواحده من العرى

ربقه و فی الحدیث من فارق الجماعه قدر شبر فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه ،و الجدّ الحرص و الاجتهاد ،و البلاغ الاسم من التبلیغ و البلوغ اقیم مقام المصدر ،و النهج الطریق الواضح ،و البغیه بکسر الباء و ضمّها ما یراد و یبتغی من الشیء ،و البلال بکسر الباء القدر الّذی یبّل به الحلق من ماء أو لبن ،و الغلّه و الغلیل العطش الشدید ،و جلاء السیف و غیره صقاله و إزاله ما یعرض له من الکدر و جلاء القلب و النفس إزاله ما یعرض لهما من کدر الشبهه و الجهل ،و تنجزت الأمر سألت إنجازه و قضاه ،و الاستعاذه طلب العوذ و هو الالتجاء کقوله تعالی «فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیمِ» و زلّه اللسان الخطاء فی القول و زلّه القدم خطاء الطریق و الانحراف عنه و عدم التثبت علی الصراط المستقیم إذا عرفت ذلک فلنرجع إلی المعنی .

فقوله أمّا بعد حمد اللّه إلی قوله و زیاده إحسانه أقول:إنّ حمد اللّه تعالی سواء کان عباره عن الثناء و التعظیم المطلق أو عن الشکر المستلزم لتقدّم النعمه و الاعتراف بها و تعظیم ربّها فإنّ المستحقّ له فی الحقیقه لیس إلاّ اللّه سبحانه و مع ذلک فهو من أجل العبادات له و أکملها أمّا الأوّل فلأنّ کلّ محسن من الخلق إمّا یحسن طلبا لجلب منفعه أو رفع مضرّه و هذا الإحسان فی الحقیقه معامله و إن عدّ فی العرف إحسانا أمّا الحقّ سبحانه فلمّا کان منزّها عن طلب المنفعه و دفع المضرّه لم یکن إحسانه استفاده لأحدهما فکان المحسن الحقّ لیس إلاّ هو فکان المستحقّ لکلّ أقسام الحمد لیس إلاّ هو،و أمّا الثانی فبیانه أمّا فی الثناء المطلق للّه تعالی و تعظیمه فلاستلزامه ملاحظه جلال اللّه و کبریائه و تصوّر الجهه الّتی باعتبارها کان مستحقا للثناء و التعظیم دون غیره و هو کونه إلها و ربّا و خالقا لکلّ ما سواه و منزّها عن کلّ نقص مبرّئا عن کلّ عیب و هذه الملاحظه و الاعتبار هو مطلوب اللّه سبحانه من جمیع العبادات و هو جار منها مجری الروح للجسد و کذلک الشکر للّه سبحانه فإنّه مستلزم لمعرفته و محبّته و الالتفات إلیه و ملاحظه الجهه الّتی بها کان مستحقّا للشکر و هی إفاضه النعم الّتی لا تحصی علی العبد و لا یقدر غیره علی مثلها و هذه الملاحظات هی الأسرار المطلوبه من العبادات و بها تکون نافعه،و إذا علمت أنّ الحمد من أکمل العبادات و أتمّها للّه ثمّ علمت أنّ عبادته سبحانه هی المطلوبه له من خلقه دون غیرها کما قال تعالی« «وَ ما»

«خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ» ١علمت أنّ الحمد من أكمل المطالب للّه فالإتيان به يكون مستلزما لرضوان اللّه و ما يستلزمه الرضوان من الخيرات الدائمه و النعم الباقيه و إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ السيّد رضيّ الدين أشار بهذا الفصول الأربعه إلى أربعه أنواع من تلك الخيرات.الأوّل قبول الحمد و رضاء من العبد مع كونه أيسر شيء مؤنه و أخفّه على اللسان كلّفه ثمنا مقابلا كافيا لنعماء اللّه تعالى فى حقّه،و ذلك فى الحقيقه نعمه اخرى و موهبه كبرى يستدعى حمدا آخرا و هلمّ جرّا فسبحان الّذى لا تحصى نعماؤه و لا تستقصى آلاؤه،و قوله ثمنا استعاره لطيفه و وجه المشابهه أنّ الثمن لمّا كان مستلزما لرضا البايع به عوضا من مبيعه و كان الحمد مستلزما لرضا الحقّ سبحانه فى مقابله نعمه لا جرم أشبه الثمن فاستعير لفظه له،و فى الخبر إنّ اللّه تعالى أوحى إلى أيّوب عليه السّلام إنّى رضيت الشكر مكافاه من أوليائى فى كلام طويل،الثانى جعله الحمد معاذا من بلائه،و بيانه أمّا أوّلا فلقوله تعالى« «وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذٰابِي لَشَدِيدٌ» » ٢فإنّه تعالى لمّا توعّد بالعذاب فمن كفر نعمته مع إرادته للحمد و الشكر و أمره بهما فى غير موضع علمنا أنّ الشكر و الحمد من أسباب الخلاص من العذاب الأليم و البلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه و هو الكفران، و أمّا ثانيا فلأنّك علمت أنّ الآتى بالحمد مستحقّ لرضوان اللّه تعالى من جهه ما هو حامد و المستحقّ لرضوان اللّه ناج من عذاب اللّه فكان الحمد محلاّ للعوذ به من بلائه و سخطه الثالث جعله الحمد و سيلا إلى جنانه،و بيانه أمّا أوّلا فلكونه من أتمّ العبادات و كون العباده وسيله إلى الجنّه ظاهر،و أمّا ثانيا فما روى أنّ النبىّ صلى اللّه عليه و آله ينادى يوم القيامه ليقم الحمّادون فيقوم زمره فينصب لهم لواء فيدخلون الجنّه قيل و من الحمّادون؟قال:

الّذين يشكرون اللّه على كلّ حال فحكم بأنّ الحمّادين يدخلون الجنّه بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لزياده إلى إحسانه،و بيانه أمّا أوّلا فلقوله تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» فعلّق زياده النعمه بمجرّد الشكر،و أمّا ثانيا فلأنّ الجود الإلهى لا بخل فيه و لا منع و إنّما النقصان من جهه العبد لعدم الاستحقاق و إذا استعدّ لقبول النعم بالحمد أفاض اللّه تعالى عليه نعمه ثمّ لا يزال يستعدّ بالحمد و الشكر على النعم السابقه للمزيد

بالنعم اللاحقه إلى أن يخرج كلّ كمال له بالقوّه إلى الفعل فيلحق بدرجه الكروبيّين و مجاوره الملائكه المقرّبين المعتكفين فى حظيره الجبروت،و قد عرفت من هذا البيان أنّ كون هذه الامور لازمه للحمد إنّما هو بجعل اللّه تعالى ملاحظه العباده يعين عنايته و شمولا لهم بسعه رحمته .

قوله و الصلاه على رسوله نبىّ الرحمه إلى قوله و قوى نجم طالع .

أقول:أردف حمد اللّه تعالى بالصلوه على رسوله محمّد صلى اللّه عليه و آله و ذلك من الآداب الدينيّه الّتى استمرّت عليها العاده فى الخطب و ذكر له صلى اللّه عليه و آله أوصافا سبعه.

الأوّل كونه نبىّ الرحمه ملاحظه لقوله تعالى «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ» و تفصيل هذه الرحمه من وجوه.أحدها أنّه الهادى إلى سبيل الرشاد و القائد إلى رضوان اللّه سبحانه و بسبب هدايته يكون وصول الخلق إلى المقاصد العاليه و دخول جنّات النعيم الّتى هى غايه الرحمه.الثانى أنّ التكاليف الوارده على يديه صلى اللّه عليه و آله أسهل التكاليف و أخفّها على الخلق بالنسبه إلى سائر التكاليف الوارده على أيدى الأنبياء السابقين لأممها قال صلى اللّه عليه و آله بعثت بالحنيفيّه السهله السمحه،و ذلك عنايه من اللّه و رحمه اختصّ بها امّته على يديه الثالث أنّه ثبت أنّ اللّه يغفر عن عصاه امّته و يرحمهم بسبب شفاعته.الرابع إنّه رحم كثيرا من أعدائه كاليهود و النصارى و المجوس ببذل الأمان لهم و قبول الجزيه منهم و قال:من آذى ذميّا فقد آذانى و لم يقبل اللّه من الأنبياء الجزيه قبله.الخامس أنّه سأل اللّه تعالى أن يرفع عن أمّته بعده عذاب الاستيصال و دفع العذاب رحمه.السادس أنّ اللّه تعالى وضع فى شرعه الرخص تخفيفا و رحمه لامّته.الثانى كونه إمام الأئمّه أمّا صدق كونه إماما فلوجهين أحدهما أنّ الإمام هو الرئيس المقتدى به فى أقواله و أفعاله و الأنبياء عليهم السلام أحقّ الخلق بهذه الصفه إذ هم الأصل فى ذلك.الثانى قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام «إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً» ١و أمّا كونه إمام الأئمّه فلقوله صلى اللّه عليه و آله آدم و من دونه تحت لوائى يوم القيامه الثالث كونه سراج الامّه ،و بيانه قوله تعالى «إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ داعِياً إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً» ٢و هذه استعاره لطيفه له عليه السّلام فإنّ السراج لمّا كان

من خاصيّته إضاءه ما حوله و اهتداء الخلق به فى الظلمه و كان النبىّ صلى اللّه عليه و آله قد أضاء قلوب العالم بأنوار الوحى و الرساله حتّى اهتدى الخلق به فى ظلمه الجهاله لا جرم حسنت استعاره لفظ السراج،و هو استعاره لفظ المحسوس للمعقول على سبيل الكنايه عن كونه هاديا للخلق و مرشدا لهم إلى الطريق الحقّ .الرابع كونه منتجبا و مختارا من طينه الكرم،و طينه الكرم كنايه عن أصله،و الكرم حقيقه فى السخاء و مجاز فى مطلق الشرف،و المراد أنّ اللّه سبحانه اصطفاه من أصل هو محلّ الكرم و الشرف.الخامس كونه سلاله المجد الأقدم و إضافه سلاله إلى المجد إمّا على تقدير حذف المضاف الأصلىّ حتّى يكون التقدير سلاله أهل المجد الأقدم و إمّا أن يكون قد استعار لفظ المجد لأصله عليه السّلام فكأنّه خيّل أنّ الأصل كلّه مجد فاعطاه لفظه المجد و أضاف إليه بعد الاستعاره ثمّ وصف المجد بكونه أقدم لزيادته فى الفضل على المحدث بل على القديم .السادس كونه مغرس الفخار المعرق ،و قد استعار لفظ المغرس الّذى هو حنيفه فى الأرض لطبيعته و جبلته استعاره على وجه الكنايه عن شرفه و كماله و وجه المشابهه أنّ طبيعته عليه السّلام لظهور الفخار عنها كما أنّ الأرض الحره محلّ لظهور النبات الطيب الحسن عنها،و وصفه بكونه معرقا لزيادته على ما ليس كذلك و هذا من قبيل ترشيح الاستعاره فإنّه لمّا جعل للفخار مغرسا جعل له عرقا.السابع كونه فرع العلاء المثمر المورق لما استعار لفظ الفرع الّذى هو حقيقه فى أغصان الشجره المتفرّعه عن أصلها له عليه السّلام من جهه ما هو فرع فى الوجود عن آبائهم أهل العلوّ و الشرف أتى بما هو من كمال الفروع و هو كونه مثمرا مورقا و هو ترشيح للاستعاره أيضا فإنّ الغصن الخالى عن الثمر و الورق أو عن أحدهما ناقص الكمال و الحسن و هى استعاره على سبيل الكنايه عن شرفه بالنظر إلى شرف أصله و إضافه الفرع هاهنا إلى العلا كإضافه لفظ السلاله إلى المجد فالكلام فيهما واحد،و أمّا بيان صدق الأوصاف الأربعه الأخيره فمن وجوه.الأوّل ما روى عنه صلى اللّه عليه و آله أنّه قال:لم يزل اللّه تعالى ينقلنى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات لم يدنسنى بدنس الجاهليّه و كفى بذلك شرفا و كرما.الثانى أنّه صلى اللّه عليه و آله من ولد إسماعيل و إبراهيم عليهما السلام و كرمهما مشهور قال وهب:و كان إبراهيم عليه السّلام أوّل من أضاف الضيف و أوّل من ثرد الثريد و أطعمه المساكين.الثالث نسبه صلى اللّه عليه و آله من قريش و شرف قريش فى العرب

ظاهر فمنهم قصيّ الّذى جمع قبائل قريش و أنزلها مكّه،و بنى دار الندوه،و أخذ مفتاح الكعبه من خزاعه،و منهم هاشم بن عبد مناف الّذى هشم الثريد لقومه فى عام المحل و منه سمّى هاشما،و أصل اسمه عمرو قال الشاعر فيه.

عمرو العلى هشم الثريد لقومه و رجال مكّه مسنتون عجاف

و منهم عبد المطلّب بن هاشم و كان من حكماء العرب و محصّليها،و هو سيّد الوادى و شيبه الحمد سجد له الفيل الأعظم و ببركه النور الّذى كان فى صلبه دفع اللّه عن بيته كيد أصحاب الفيل و أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجاره من سجّيل،و ببركه ذلك النور رأى الرؤيا فى تعريف موضع زمزم و هو الّذى الهم النذر لمّا نذر أن يذبح العاشر من أولاده و كيفيّه الفداء له حتّى افتخر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بذلك و قال:أنا ابن الذبيحين و كان يأمر أولاده بترك الظلم و الزيغ و يحثّهم على مكارم الأخلاق،و ينهاهم عن دنيّات الامور،و كان لشرفه و فضل عقله قد سلّم إليه النظر فى حكومات العرب و فصل الخصومات بينهم فكان يوضع له وساده عند الملتزم فيستند إلى الكعبه و يحكم بينهم و جزئيّات فضله و شواهد عقله كثيره،و له أشعار كثيره و أخبار تدلّ على أنّه كان مقرّا بالصانع الحكيم موحدّا له معترفا بأمر المعاد من رامها طالع كتب التاريخ .

قوله و على أهل بيته إلى قوله و مثاقيل الفضل الراجحه .

أقول:اختلف الناس فى المراد بأهل البيت فى قوله تعالى «إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» ١فقال الجمهور:إنّ نساء النبىّ صلى اللّه عليه و آله مرادات بهذه الآيه و من الناس من حصّصها بهنّ مستدلّين بسياق الكلام قبلها و بعدها،و اتّفقت الشيعه على أنّها خاصّه بعلىّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام و هو قول أبى سعيد الخدرى و هو مراد الرضىّ هاهنا مع من بعدهم من الأئمّه الاثنى عشر،و قد وصفهم بأربعه أوصاف.أحدها كونهم مصابيح و هى استعاره لهم يكنّى بها عن كونهم مهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح فى الظلمه ،و ثانيها كونهم عصما للامم أى مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم إلى سلوك الصراط المستقيم عن التورّط فى أحد طرفى الإفراط و التفريط ،و ثالثها كونهم منار الدين الواضحه

و قد عرفت أنّ المنار هى محالّ الأنوار و هى أيضا استعاره حسنه كما مرّ ،و رابعها كونهم مثاقيل الفضل الراجحه و هذه الإضافه إمّـا بمعنى اللام أتى مثاقيل للفضل أى إذا اعتبر فضل غيرهم و نسب بعضه إلى بعض كانوا مثاقيل راجحه لذلك الفضل بغير رجحان بعضه على بعض بالنسبه إليها أو بمعنى من أى مثاقيل من الفضل متبوعه ترجح على غيرها،و لفظ المثاقيل هاهنا مستعار لهم أيضا و وجه المشابهه كونهم معيارا للخلق و موازين لهم كما أنّ المثقال كذلك .

قوله و صلّى اللّه عليهم أجمعين إلى قوله نجم طالع .

أقول:لمّـا دعى اللّه سبحانه لهم بالصلوه نبّه على استحقاقهم لها باعتبار ثلاثه امور أحدها اعتبار فضائلهم النفسانيّه كالعلوم و الملكات الخلقيّه الفاضلد،و ثانيها اعتبار أعمالهم الظاهره كالعبادات البد نيّه،و ثالثها اعتبار طيب اصولهم الزكيّه المطهّره و تفرّعهم عنها بأنّ هذه الامور هى جهات استحقاق الرحمه قوله فإنّى كنت فى عنفوان شبابى إلى آخر الكلام.

أقول:لمّا صدّر الخطبه بذكر اللّه تعالى و الثناء عليه و الصلاه على رسوله و أهل بيته صلى اللّه عليه و آله شرع فى اقتصاص حاله فى جمع هذا الكتاب و ذكر الأسباب الحامله له على ذلك و فى مدح كلام علىّ عليه السّلام ثمّ ذكر فى ذلك الاقتصاص امورا تحتاج إلى التنبيه.الأوّل أنّ هذا المجموع من الكلام جزء من كلّ من كلامه عليه السّلام و ذلك فى قوله: أن أبتدئ بتاليف كلام يحتوى على مختار كلام أمير المؤمنين و ذلك أمر ظاهر قال قطب الدين الراوندى -رحمه اللّه-:سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول إنّى وجدت بمصر مجموعا من كلام علىّ عليه السّلام فى نيف و عشرين مجلّد .الثانى أنّ قوله جواهر العربيّه و يواقيت الكلم الدينيّه و الدنيويّه استعارتان لطيفتان لهذين اللفظين من الحجرين المخصوصين للمعنيين اللّذين هما فصاحه الألفاظ العربيّه و الحكمه الفاضله الّتى يشتمل عليها كلامه عليه السّلام و وجه المشابهه هو ما اشتركا فيه من العزّه و النفاسه كلّ بالنسبه إلى جنسه فعزّه الحجرين بالنسبه إلى مطلق الأحجار و عزّه الألفاظ الفصيحه و الحكمه البالغه بالنسبه إلى سائر الألفاظ و المعانى المعقوله ،الثالث كونه عليه السّلام مشرعا للفصاحه و موردا لها و هى أيضا استعاره

لهذين اللفظين اللذين هما حقيقه فى النهر و العين و نحوهما له عليه السّلام و وجه المشابهه أنّ الشريعه من الماء كما يردّها العطشى للتروّى و الاستقاء كذلك هو عليه السّلام مرجع للخلق فى استفاده الفصاحه،و لو قال مصدرها و موردها لكان أبلغ إذ كان المشرع و المورد مترادفين أو قريبين من الترادف،و كذلك قوله منشأ البلاغه و مولدها استعاره أيضا تشبيها لذهنه عليه السّلام بالامّ و تشبيها للفصاحه بالولد فى الصدور عنه .الرابع قوله لأنّ كلامه عليه السّلام الكلام الّذى عليه مسحه من العلم الإلهىّ و فيه عقبه من الكلام النبوىّ قدّر العلم الإلهىّ كلّه حسنا و جمالا حتّى جعل فى كلامه عليه السّلام أثرا منه و قدّر الكلام النبوىّ طيبا كالمسك الأذفر حتّى جعل فى كلامه عليه السّلام عبقه منه و استلزم ذلك تخيّل حاسّتى البصر و الشمّ للعقل ليدرك بالاولى المسحه من العلم الإلهىّ،و بالثانيه العبقه من الكلام النبوىّ و هى استعاره على طريق الكنايه فكنّى بالمسحه عما أدركه العقل فى كلامه من الحكمه المشار إليها فى القرآن الكريم و الفصاحه و كنّى عما أدركه من الاسلوب و الطريقه الموجوده فيه مع الفصاحه و الحكمه فى الكلام النبوىّ فكان العقل يبصر و يسمع بقوته أثر العلم الإلهىّ فيه،و يشمّ رائحه الكلام النبوىّ منه قال أبو الحسن الكيدرى-رحمه اللّه-:إنّما خصّ الكلام الإلهىّ بالمسحه و الكلام النبوىّ بالعبقه لأنّ كلامه عليه السّلام شديد الشبهه بكلام الرسول صلى اللّه عليه و آله فهو كالجزء منه لأنّهما غصنا دوحه و قرعا اورومه،و لمّا كان معنى عبوق الشىء بالشىء لزومه له و التصاقه به صار لشدّه اتّصاله به كالجزء منه فلذلك قال عبقه من الكلام النبوىّ،و لمّا كان معنى المسحه الأثر من الجمال و لم يكن مجرّد الأثر من الشىء فى الشىء يوجب لزومه له و شدّه المشابهه به،و كان كلام البارى سبحانه بعيد الشبه بكلام الخلق لا جرم خصّه بالمسحه دون العبقه،و هذا الفرق مع تلخيصنا له فيه تكلّف،و يمكن أن يقرّر على وجه آخر فيقال:إنّ العبقه أدلّ على وجود العائق من المسحه على ما فى وجود ما هى منه فإنّ العبقه تدلّ على وجود العائق للمحلّ فى الظاهر و فى نفس الأمر و أمّا المسحه من الشىء و هى الأثر منه فإنّما تدلّ على وجوده للمحلّ فى الظاهر فقط أ لا ترى إلى قوله:

على وجه مىّ مسحه من ملاحه و تحت الثياب الشين لو كان باريا.

و أيضا فإنّ أثر الجمال أو الثروه و الملك قد يدلّ عند بعض الأذهان،و لا يدلّ عند

بعض آخر،و إذا عرفت ذلك فنقول:لمّا كان كلام عليّ عليه السّلام شديد المناسبه بكلام النبوّه فى الأسلوب الظاهر و فى الحكم الباطنه،كان كالجزء منه فكانت استعاره لفظه العبقه لكلام النبوّه أولى لدلالتها على شدّه تخيّل وجود ما هى منه و هو كلام النبوّه فى كلام عليّ عليه السّلام حتى كأنّه جزء منه،و لمّا كان الكلام الإلهى بعيد المناسبه لكلام الخلق و كانت نسبه كلام عليّ عليه السّلام إليه فى بعض الجهات إمّا فى اشتماله على بعض الحكم أو على الفصاحه دون الأسلوب،و كانت المسحه من الشىء إنّما تدلّ على وجوده من بعض الجهات و هى الظاهر فقط كانت استعاره لفظ المسحه للكلام الإلهى أولى و اللّه أعلم ،الخامس قوله: فهو البحر الّذى لا يساجل استعار لفظ البحر لكلامه عليه السّلام و أشار إلى وجه المشابهه بقوله لا يساجل فإنّ المساجله لمّا كانت هى المبالغه فى السقى و الجرى و كان كلامه عليه السّلام أكثر جريانا فى كلام البلغاء من غيره و كانت أوعيه أذهانهم قد امتلأت من فيضه لا جرم أشبه البحر الّذى لا يغلبه بحر آخر فى سقى و لا جرى أى لا يقاوم فى فصاحه و لا حكمه،و كذلك قوله لا يحافل استعاره للفظ المحافله الّتى هى وصف من أوصاف الإنسان لكلامه تشبيها له بالرجل ذى المحفل الجمّ و الجماعه الكثيره الّتى لا يمكن أن يكاثر بمثلها .السادس قوله: يسوغ إلى التمثّل .مجاز فى الإسناد فإنّ السوغ حقيقه فى الشراب فإسناده إلى التمثّل مجاز،و وجه العلاقه أنّ التمثيل بما يزيد إذا حسن بين الناس و صار كان ذلك لذيذا عنده فأشبه فى لذاذته و جريانه بين الناس الماء الزلال فى لذاذته و سهوله جريانه فى الحلق فحسن إسناد لفظ السوغ إليه ،السابع قوله: و خلع من قلبه إنّه كلام مثله إلى قوله لم يعترضه الشك الضمير فى مثله راجع إلى على عليه السّلام و من فى قوله ممّن لبيان الجنس،و معنى الكلام أنّ المفكّر فى كلامه إذا فرضنا أنّه لم يعرف أنّه أو كلام شخص آخر مثله فى كونه عظيم القدر نافذ الأمر خائضا فى غمرات الحروب مشانها بنفسه من كلامه تدبير امور الخلق و نظام أحوالهم قد ملك الأرض بل يفرض أنّه وجد هذا الكلام غير منسوب إلى شخص معروف الحال فإنّه و الحال هذه لا يعترضه شكّ فى أنّه كلام مخلص معرض عن غيره تعالى بقلبه غير مشغول بغيره بصدق نيّته إذا الشكّ الّذى عساه يعترض لبعض الأذهان الضعيفه فى أنّه ليس بكلامه إنّما ينشأ من معرفته بأنّه كلام شخص خائض فى تدبير الدنيا و أحوالها فتكون تلك المعرفه

منشأ لعروض الشکّ فی أنّ هـذا الکلام لیس بکلام رجل بهـذه الحال ،و إنّما قال: قد قبع فی کسـر بیت و انقطع إلی سـفح جبل لأنّ ذلک من شـعار الزّهاد المعرضـین عن الدنیا ، و الضمیر فی قوله یسمع و حسّه عائدان إلی من أی لا یسمع هو إلاّ حسّ نفسه ،الثـامن قوله ینغمس فی الحرب مصلتا استعاره حسـنه فی النسـبه أی فی نسـبه الانغمـاس إلی الحرب فـإنّ الانغمـاس حقیقه فی الدخول فی الماء و ما فی معناه إلاّ أنّ الحرب لمّا کانت فی غمارها و اختلاط المتحاربین فیما تشـبه الماء المتراکم الجمّ صـحّت نسـبه الانغمـاس إلیها کما صـحّت إلیه فیقال:انغمس فی الحرب و خاض فیها و نحوه ،و قوله یقطر مهجا إن فسّـرنا المهجه بالـدم کـانت نسـبه القطر إلیهـا حقیقه و إن فسّـرناها بـالروح کـانت مجـازا تشبیها للروح بالمایعات الخارجه من الإنسان کالـدم و نحوه ،التاسع قوله: و هو مع ذلک زاهـد الزهّاد و بـدل الأبـدال الواو للحال و ثبوت هـذین الوصـفین له علیه السّـلام معلوم من انتساب الصوفیّه و أهل التجرید إلیه،و قد بیّنا فی مقدّمه الکتاب أنّه علیه السّلام کان سیّد العارفین بعد سیّد المرسلین صلی اللّه علیه و آله و بیّنـا أیضـا أنّ نفسه القدسـیّه کـانت وافیه بضـبط الجوانب المتجـاذبه قویّه علیهـا فلـذلک لم یکن اشـتغاله بتـدبیر امور الـدنیا،و معالجـات الحروب،و نظـام شـمل المصـلحه مانعـا من الاشـتغال بالعبـاده التامّه،و الإقبال بوجه نفسه القدسـیّه علی الانتقاش بأنوار اللّه،و الإخلاص له،و الإعراض عن متاع الـدنیا و طیّباتها،و هـذه من فضائل نفوس الأنبیاء و کمالات نفوس الأولیاء أمّا الزهد فهو الإعراض من غیر اللّه و قد یکون ظاهرا و قد یکون باطنا إلاّ أنّ المنتفع به هو الباطن قال صـلی اللّه علیه و آله:إنّ اللّه لا ینظر إلی صورکم و لا ـ إلی أعمـالکم بل ینظر إلی قلوبکم و نیّاتکم و إن کان لا بـدّ من الزهـد الظاهری أوّلا إذ الزهـد الحقیقی فی مبـدء السـلوک لا یتحقّق،و السبب فیه أنّ اللـذّات البـدنیّه حاضـره،و الغایه العقلیّه الّتی یطلبها الزاهـد الحقیقیّ غیر متصوّره له فی مبدء الأمر،و أمّا الظاهریّ فهو ممکن متیسّر لمن قصده لیسیر غلبته و هی الریاء و السمعه و لذلک قال صلی اللّه علیه و آله:الریاء قنطره الإخلاص،و لمّا بیّنا أنّ علیّا علیه السّـلام کان سیّد العارفین بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فلا بدّ و أن یکون زهده حقیقیّا،و ستعرف فی أثناء کلامه بلوغه فی درجه الزهد الغایه،و أمّا کونه مع ذلک بالشـجاعه المشهوره فهو أنّک علمت أنّ نفس العارف یجب أن تکون مستلزمه للملکات الخلقیّه،و قد عرفت أنّ

ص:۱۰۴

الشجاعه أصل منها و لأنّ المانع من الإقدام على الأهوال و المكاره إنّما هو خوف الموت و حبّ البقاء،و العارف بمعزل عن تقيّه الموت إذ كانت محبّه اللّه تعالى شاغله عن الالتفات إلى كلّ شىء بل ربّما يكون الموت مشتهى له لكونه وسيله إلى لقاء محبوبه الأعظم و غايته القصوى،و قد بيّنا ذلك فى تفصيل أخلاق العارفين من كتاب مصباح العرفان،و أمّا الأبدال فقد نقل أنّهم سبعون رجلا منهم أربعون بالشام،و الثلاثون فى سائر البلاد،و فى الحديث عن علىّ عليه السّلام الأبدال بالشام،و النجباء بمصر،و العصائب بالعراق يجتمعون فيكون بينهم حرب :العاشر قوله: و قد استخرج عجبهم أى تعجّبهم منها من القوّه إلى الفعل،و من روى عجبهم بضم العين فالمراد أنّى اذاكرهم بهذه الفضيله لتظهر محبّتهم لها و ميلهم إليها قال أبو الحسن الكيدرى:و استخرج عجبهم أى أعرفهم أنّهم عاجزون عن أمثالها فلا يبقى لهم حينئذ عجب بأنفسهم منها أى من أجل معرفتها،و الظاهر أنّ هذا اللفظ لا يعطى هذا المعنى ،الحادى عشر قوله: و العذر فى ذلك أنّ روايات كلامه عليه السّلام تختلف إختلافا شديدا .أقول:سبب الاختلاف يحتمل الوجهين.أحدهما أنّه عليه السّلام ربّما تكلّم بالمعنى الواحد مرّتين أو أكثر بألفاظ مختلفه كما هو شأن البلغاء و أهل الفصاحه فينقله السامعون باللفظ الأوّل و الثانى فيختلف الروايه،الثانى أنّ الناس فى الصدر الأوّل كانوا يتلقّون الكلام من أفواه الخطباء و يحفظونها على الولاء فربّما لا يتمكّن السامع من حفظ كلّ لفظ و مراعاه ترتيبه فيقع بسبب ذلك اختلاف فى الترتيب أو نقصان فى الروايه،و ربّما راعى بعضهم حفظ المعنى من دون ضبط الألفاظ فأورد فى اللفظ زياده و نقصانا ،الثانى-عشر قوله: نهج البلاغه استعاره لطيفه لهذا الكتاب لانّ النهج حقيقه فى الطريق الواضحه المحسوسه،و وجه المشابهه أنّ الطريق لمّا كانت محلّ الانتقال بالمشى و قطع الأحياز المحسوسه من واحد إلى آخر كذلك الذهن ينتقل فى هذا الكتاب من بعض لطائف البلاغه و شعب الفصاحه إلى بعض انتقالا سهلا فلذلك صحّ نقل لفظ النهج إليه و استعارته له،و باللّه التوفيق. فهذا بيان ما عساه يشكل فى هذه الخطبه و باقى كلامه ظاهر و لنشرع فى شرح كلام علىّ عليه السّلام .

ص:۱۰۵

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السّلام

اشاره

و أوامره.

و يدخل فى ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات المحصوره،و المواقف المذكوره و الخطوب الوارده

۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض،و خلق آدم.و فيها ذكر الحج

الفصل الاول فى تصديرها بذكر اللّه جلّ جلاله و تمجيده و الثناء عليه بما هو أهله

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ- وَ لاَ يُحْصِى نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ- وَ لاَ يُؤَدِّى حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ- الَّذِى لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ- وَ لاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ- الَّذِى لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ- وَ لاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَ لاَ وَقْتٌ مَعْدُودٌ- وَ لاَ أَجَلٌ مَمْدُودٌ- فَطَرَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ- وَ نَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ- وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ:أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ- وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ- وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاَصُ لَهُ- وَ كَمَالُ الْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْىُ الصِّفَاتِ عَنْهُ- لِشَهَادَهِ كُلِّ صِفَهٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ- وَ شَهَادَهِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَهِ- فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ- وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَ مَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ- وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ وَ مَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ- وَ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ- وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ- وَ مَنْ قَالَ عَلاَ مَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ:كَائِنٌ لاَ عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لاَ عَنْ

عِدَمٍ- مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُقَارَنَةٍ وَ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُزَايَلَةٍ- فَاعِلٌ لاَ بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَ الْآلَةِ- بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ- مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَ لاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ أقول:اعلم أنّ هذه الخطبه مشتمله على مباحث عظيمه و نكت مهمه على ترتيب طبيعىّ فلنعقد فيها خمسه فصول.

الفصل الاول فى تصديرها بذكر اللّه جلّ جلاله و تمجيده و الثناء عليه بما هو أهله و هو قوله: الحمد للّه إلى قوله: و لا يستوحش لفقده .

أقول: المدح و المديح الثناء الحسن،و المدحه فعله من المدح و هى الهيئه و الحاله التى ينبغى أن يكون المدح عليها ،و الإحصاء إنهاء العدّ و الإحاطه بالمعدود يقال:أحصيت الشىء أى أنهيت عدّه،و هو من لواحق العدد و لذلك نسبه إلى العادّين ،و النعماء النعمه،و هو اسم يقام مقام المصدر ،و أدّيت حقّ فلان إذا قابلت إحسانه بإحسان مثله ،و الإدراك اللحوق و النيل و الإصابه و الوصول و الوجدان ،و الهمّه هى العزم الجازم و الإراده يقال:فلان بعيد الهمّه إذا كانت إرادته تتعلّق بعليّات الامور دون محقرّاتها ،و الغوص الحركه فى عمق الشىء من قولهم غاض فى الماء إذا ذهب فى عمقه ،و الفطن جمع فطنه و هى فى اللغه الفهم، و هو عند العلماء عباره عن جوده استعداد الذهن لتصوّر ما يرد عليه ،و حدّ الشىء منتهاه، و الحدّ المنع،و منه سمّى العلماء تعريف الشىء بأجزائه حدّا لأنّه يمنع أن يدخل فى المحدود ما ليس منه أو يخرج منه ما هو منه ،و النعت الصفه ،و الأجل المدّه المضروبه للشىء ،و الفطره الشقّ و الابتداع قال ابن عبّاس:ما كنت أدرى ما معنى قوله تعالى:

«فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» حتّى جائنى أعرابيّان يختصمان على بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدعتها ،و الخلائق جمع خليقه و هى إمّا بمعنى المخلوق يقال:هم خليقه اللّه و خلق اللّه أى مخلوقه أو بمعنى الطبيعه لأنّ الخليقه هى الطبيعه أيضا ،و النشر البسط ،و وتد بالفتح أى ضرب الوتد فى حائط أو فى غيره ،و الصخوره الحجاره العظام ،و الميدان الحركه بتمايل و هو الاسم من ماد يميد ميدا و منه غصن ميّاد متمايل ،و الدين فى أصل

اللغه يطلق على معان،منها العاده،و منها الإذلال يقال دانه أى أذّله و ملّكه و منه بيت الحماسه دنّاهم كما دانوا،و منها المجازاه كقوله تعالى «إِنّا لَمَدِينُونَ» أى مجزيّون،و المثل المشهور كما تدين تدان،و منها الطاعه يقال:دان له أى أطاعه كقول عمرو بن كلثوم:

عصينا لملك فينا أن تدينا،و يطلق فى العرف الشرعى على الشرائع الصادره بواسطه الرسل عليهم السّلام و قرنه أى جعل له قرينا و المقارنه الاجتماع مأخوذ من قرن الثور و غيره و منه القرن للمثل فى السنّ و كذلك القرن من الناس أهل الزمان الواحد قال إذا ذهب القرن الّذى أنت فيهم و خلّفت فى قرن فأنت قريب

و المزائله المفارقه و هى مفاعله من الطرفين و المتوحّد بالأمر المنفرد به عمّن يشاركه فيه ،و السكن بفتح الكاف كلّ ما سكت إليه ،و الاستيناس بالشىء ميل الطبع إليه و سكون و كذلك التأنّس و منه الأنيس و هو المونس ،و الاستيحاش ضدّ الاستيناس و هو نفره الطبع بسبب فقد المؤانس ،و اعلم أنّا نفتقر فى بيان نظام كلامه عليه السّلام فى هذا الفصل إلى تقديم مقدّمه فنقول:الصفه أمر يعتبره العقل لأمر آخر و لا يمكن أن يعقل إلاّ باعتباره معه،و لا يلزم من تصوّر العقل شيئا لشىء أن يكون ذلك المتصوّر موجودا لذلك الشىء فى نفس الأمر بيان ذلك ما قيل فى رسم المضاف:إنّه الأمر الّذى تعقّل ماهيّته بالقياس إلى غيره و ليس له وجود سوى معقوليّته بالقياس إلى ذلك الغير،و الصفه تنقسم باعتبار العقل إلى حقيقيّه و إضافيّه و سلبيّه،و ذلك لأنّ نسبه العقل للصفه إلى غيرها إمّا أن يعقل معها نسبته من المنسوب إليه أو لا يعقل فإن كان الأوّل فهو المضاف الحقيقىّ و حقيقته أنّه المعقول بالقياس إلى غير يكون بإزائه يعقل له إليه نسبه و لا يكون له وجود سوى معقوليّته بالقياس إليه ككونه تعالى خالقا و رازقا و ربّا فإنّ حقيقه هذه الصفات هى كونها معقوله بالقياس إلى مخلوقيّه و مرزوقيّه و مربوبيّه موازيه،و إن كان الثانى فالمنسوب إليه إمّا أن يكون موجودا للمضاف أو ليس بموجود له،و الأوّل هو الصفات الحقيقيّه ككونه تعالى حيّا فإنّه أمر يعقل بالقياس إلى صحّه العلم و القدره له و ليس بإزاء أمر يعقل منه نسبه إليه،و الثانى هو الصفات السلبيّه ككونه تعالى ليس بجسم و لا بعرض و غيرها فإنّها امور تعقل له بالقياس إلى امور غير موجوده له تعالى ثمّ نقول:إنّه لا يلزم من

اتّصاف ذاته سبحانه بهذه الأنواع الثلاثه من الصفات تركيب و لا كثره فى ذاته لأنّها اعتبارات عقليّه تحدثها عقولنا عند المقائسه إلى الغير و لم يلزم من ذلك أن تكون موجوده فى نفس الأمر و إن لم تعقل،و لمّا كان دأب العقلاء أن يصفوا خالقهم سبحانه بما هو أشرف طرفى النقيض لما تقرّر فى عقولهم من أعظميته و مناسبه اشرف الطرفين للأعظميّته كان ما وصف به تعالى من الصفات الحقيقيّه و الإضافيّه و السلبيّه كلّها كذلك،فإذا عرفت ما قلناه فاعلم أنّه عليه السّلام شرع أوّلا فى الاعتبارات السلبيّه و قدّمها على الثبوتيّه لدقيقه و هى أنّه قد ثبت فى علم السلوك إلى اللّه أنّ التوحيد المحقّق و الإخلاص المطلق لا يتقرّر إلاّ بنقض كلّ ما عداه عنه و تنزيهه عى كلّ لا حق له و طرحه عن درجه الاعتبار و هو المسمى فى عرف المجرّدين و أهل العرفان بمقام التخليّه و النقض و التفريق،و ما لا يتحقّق الشىء إلاّ به كان اعتباره مقدّما على اعتباره،و لهذا الترتيب كان أجلّ كلمه نطق بها فى التوحيد قولنا: «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» إذ كان الجزء الأوّل منها مشتملا على سلب كلّ ما عدا الحقّ سبحانه مستلزما لغسل درن كلّ شبهه لخاطر سواه،و هو مقام التنزيه و التخليه حتّى إذا أنزح كلّ ثان عن محلّ عرفانه استعدّ بجوده للتخليه بنور وجوده و هو ما اشتمل عليه الجزء الثانى من هذه الكلمه،و لمّا بيّنا أنّه عليه السّلام كان لسان العارفين و الفاتح لأغلاق الطريق إلى الواحد الحقّ تعالى و المعلّم المرشد لكيفيّه السلوك،و كانت الأوهام البشريّه حاكمه بمثليته تعالى لمدركاتها و العقول قاصره عن إدراك حقيقته و الواصل إلى ساحل عزّته و المنزّه له عمّا لا يجوز عليه إذا أمكن وجوده نادرا لم يكن للأوهام الواصفه له تعالى بما لا يجوز عليه معارض فى أكثر الخلق بل كانت جاريه على حكمها قائده لعقولها إلى تلك الأحكام الباطله كالمشبّهه و نحوهم لا جرم بدء عليه السّلام بذكر السلب إذ كان تقديمه مستلزما لغسل درن الحكم الوهمىّ فى حقّه تعالى عن لوح الخيال و الذكر حتّى إذا أورد عقب ذلك ذكره تعالى بما هو أهله ورد على ألواح صافيه من كدر الباطل فانتقشت بالحقّ كما قال:فصادف قلبا خاليا فتمكّنا،ثمّ إنّه عليه السّلام بدء بتقديم حمد اللّه تعالى على الكلّ هاهنا و فى سائر خطبه جريا على العاده فى افتتاح الخطب و تصديرها،و سرّ ذلك تأديب الخلق بلزوم الثناء على اللّه تعالى،و الاعتراف بنعمته عند افتتاح كلّ خطاب لاستلزام ذلك ملاحظه حضره الجلال و الالتفات إليها عامّه الأحوال

ص:١٠٩

و قد بيّنا أنّ الحمد يفيد معنى الشكر و يفيد ما هو أعمّ من ذلك و هو التعظيم المطلق و بجميع أقسامه مراد هاهنا لكون الكلام فى معرض التمجيد المطلق.

قوله الّذى لا يبلغ مدحته القائلون .

قوله الّذى لا يبلغ مدحته القائلون.

أقول أراد تنزيهه تعالى عن إطّلاع العقول البشريّه على كيفيّه مدحه سبحانه كما هى،و بيان هذا الحكم أنّ الثناء الحسن على الشىء إنّما يكون كما هو إذا كان ثناء عليه بما هو كذلك فى نفس الأمر،و ذلك غير ممكن فى حقّ الواجب الوجود سبحانه إلّا بتعقّل حقيقته و ما لها من صفات الجلال و نعوت الكمال كما هى و عقول البشر قاصره عن هذا المقام فالقول و إن صدر عن المادحين بصوره المدح المتعارف بينهم و على ما هو دأبهم من وصفه تعالى بما هو أشرف من طرفى النقيض فليس بكمال مدحه فى نفس الأمر لعدم اطّلاعهم على ما به يكون المدح الحقّ فى حقّه تعالى و إن تصوّر بصوره المدح الحقّ و أشار إلى تأديب الخلق و تنبيههم على بطلان ما تحكّم به أوهامهم فى حقّه تعالى من الصفات و أنّه ليس الأمر كما حكمت به إذ قال فى موضع آخر،و قد سأله بعضهم عن التوحيد فقال:التوحيد أن لا تتوهّمه،فجعل التوحيد عباره عن سلب الحكم الوهميّ فى حقّه تعالى فاستلزم ذلك أنّ من أجرى عليه حكما وهميّا فليس بموحّد له على الحقيقه،و إلى هذا النحو أشار الباقر محمّد بن علىّ عليه السّلام مخاطبا و هل سمّى عالما قادرا إلّا لأنّه وهب العلم للعلماء،و القدره للقادرين فكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم فى أدّق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم،و البارى تعالى واهب الحياه و مقدّر الموت،و لعلّ النمل الصغار تتوهّم أن للّه تعالى زبانيين كما لها فإنّها تتصوّر أنّ عدمها نقصان لمن لا يكونان له،فهكذا شأن الخلق فيما يصفون به بآرائهم فإنّ أوهامها حاكمه له بكلّ ما يعدّونه كمالا فى حقّهم ما لم تقو عقولهم على ردّ بعض تلك الأحكام الوهميّه و لولا رادع الشرع كقوله عليه السّلام تفكّروا فى الخلق و لا تتفكّروا فى الخالق لصرّحوا بكثير من تلك الأحكام فى حقّه سبحانه «وَ تَعالى عَمّا يَصِفُونَ» ،و يحتمل أن يكون المراد تنزيهه تعالى عن بلوغ العقول و الأوهام تمام الثناء الحسن عليه و إحصائه أتى أنّ العبد كان كلّما بلغ مرتبه من مراتب المدح و الثناء كان ورائها أطوار من استحقاق الثناء و التعظيم أعلى كما أشار إليه سيّد المرسلين

صلى اللّه عليه و آله بقوله:لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك،و فى تخصيصه عليه السّلام القائلين دون المادحين بالذكر نوع لطف فإنّ القائل لمّا كان أعمّ من المادح و كان سلب العامّ مستلزما لسلب الخاصّ من غير عكس كان ذكر القائلين أبلغ فى التنزيه إذا التقدير لا واحد من القائلين ببالغ مدحه اللّه سبحانه.

قوله و لا يحصى نعماؤه العادّون .

قوله و لا يحصى نعماؤه العادّون.

أقول:المراد أنّ جزئيّات نعم اللّه و أفرادها لا يحيط بها حصر الإنسان و عدّه لكثرتها و بيان هذا الحكم بالنقل و العقل أمّا النقل فقوله تعالى «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها» ۱و هذه الآيه هى منشأ هذا الحكم و مصدره،و أمّا العقل فلأنّ نعم اللّه تعالى على العبد منها ظاهره و منها باطنه كما قال تعالى «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً» ۲و يكفينا فى صدق هذا الحكم التنبيه على بعض جزئيّات نعم اللّه تعالى على العبد فنقول:إنّ من جمله نعمه تعالى على الإنسان أن أكرمه بملائكته و جعله مسجودا لهم و مخدوما،و جعلهم فى ذلك على مراتب فلنذكر أقربهم إليه و أخصّهم به،و هم الملائكه الّذين يتولّون إصلاح بدنه و القيام بمهمّاته و حوائجه،و إن كانوا فى ذلك أيضا على مراتب فجعل سبحانه لهم رئيسا هو له كالوزير الناصح المشفق من شأنه تمييز الأصلح و الأنفع له و الأمر به،و جعل بين يدى ذلك الوزير ملكا آخرا هو كالحاجب له و المتصرّف بين يديه من شأنه تمييز صداقه الأصدقاء للملك من عداوه الأعداء له،و جعل لذلك الحاجب ملكا خازنا يضبط عنه ما يتعرّفه من الامور ليطالعها الوزير عند الحاجه،ثمّ جعل بين يديه ملكين آخرين أحدهما ملك الغضب و هو كصاحب الشرطه موكّل بالخصومات و الغلبه و البطش و الانتقام،و الثانى ملك اللذّه و المتولّى لمشتهيات الإنسان بالطلب و الأمر بالاستحضار،و بين يديه ملائكه اخرى تسعى فى تحصيل ما يأمر به و يطلبه،ثمّ جعله سبحانه وراء هؤلاء سبعه اخرى من الملائكه دأبهم إصلاح غذاء الإنسان،فالأوّل موكّل بجذب الغذاء إلى داخل المعده إذ الغذاء لا يدخل بنفسه فإنّ الإنسان لو وضع اللقمه فى فيه و لم يكن لها جاذب لم تدخل،و الثانى موكّل بحفظه

ص:۱۱۱

فى المعده إلى تمام نضجه و حصول الغرض منه،و الثالث موكّل بطبخه و تنضيجه،و الرابع موكّل بتفريق صفوته و خلاصته فى البدن سدّ البدل ما يتحلّل منه،و الخامس موكّل بالزياده فى أقطار الجسم على التناسب الطبيعى بما يوصله إليه الرابع فهما كالبانى و المناول،و السادس موكّل بفصل صوره الدم من الغذاء،و السابع الّذى يتولّى دفع الفضله الغير المنتفع بها عن المعده،ثمّ وكّل تعالى خمسه اخرى فى خدمته شأنهم أن يوردوا عليه الأخبار من خارج،و جعل لكلّ واحد منهم طريقا خاصّا و فعلا خاصّا به،و جعل لهم رئيسا يبعثهم و يرجعون إليه بما عملوه،و جعل لذلک الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنه ما يصل إليه من تلک الأخبار،ثمّ جعل بين هذا الخازن و بين الخازن الأوّل ملكا قويّا على التصرف و الحركه سريع الانتقال بحيث ينتقل فى اللحظه الواحده من المشرق إلى المغرب و من تخوم الأرض إلى السماء العليا قادرا على التصرّفات العجيبه،و جعله مؤتمرا للوزير تاره و للحاجب اخرى و هو موكّل بتفتيش الخزانتين و مراجعه الخازنين بإذن الوزير واسطه الحاجب إذا أراد استعلام أمر من تلک الامور،فهذه الملائكه الّتى خصّ اللّه تعالى بها بدنه و جعلها أقرب الملائكه المتصرفين فى خدمته إليه،ثمّ إنّ وراء هؤلاء أطوارا اخر من الملائكه الأرضيّه كالملائكه الموكّلين بأنواع الحيوانات الّتى ينتفع بها الإنسان و بها تكون مسخّره له و أنواع النبات و المعادن و العناصر الأربعه و الملائكه السماويه الّتى لا يعلم عددهم إلاّ اللّه سبحانه و تعالى كما قال «وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلاّ هُوَ» ۱فإنّ كلّ واحد منها موكّل بفعل خاصّ و له مقام خاصّ لا يتعدّاه و لا يتجاوزه كما قال تعالى حكايه عنهم «وَ ما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» ۲و هم بأسرهم متحرّكون بمصالح الإنسان و منافعه من أوّل حياته إلى حين وفاته بإذن المدبّر الحكيم دع ما سوى الملائكه من سائر الموجودات فى هذا العالم المشتمله على منافعه و ما أفاض عليه من القوّه العقليّه الّتى هى سبب الخيرات الباقيه و النعم الدائمه الّتى لا تنقطع موادّها و لا يتناهى تعدادها فإنّ كلّ ذلک فى الحقيقه نعم إلهيّه و مواهب ربانيّه للعبد بحيث لو اختلّ شىء منها لاختلّت منفعته من تلک الجهه،و معلوم أنّه لو قطع وقته أجمع

بالنظر إلى آثار رحمه اللّه تعالى فى نوع من هذه النعم لانتها دونها فكره و قصر عنها إحصاؤه و حصره،و هو مع ذلک كلّه غافل عن شكر اللّه جاهل بمعرفه اللّه مصرّ على معصيه اللّه فحقّ أن يقول سبحانه و تعالى بعد تنبيهه له على ضروب نعمه و الامتنان بها عليه «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها» «إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ» ١ظلوم لنفسه بمعصيه اللّه معتاد للكفر بآلاء اللّه قتل الإنسان ما أكفره إنّ الإنسان لكفور مبين فسبحان الّذى لا تحصى نعماؤه و لا تستقصى آلاؤه،و غايه هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعه على لزوم شكر اللّه سبحانه،و الاعتراف بنعمه المستلزم لدوام إخطاره بالبال .

قوله و لا يؤدّى حقّه المجتهدون.

قوله و لا يؤدّى حقّه المجتهدون.

أقول:هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين أحدهما أنّه لمّا كان أداء حقّ النعمه هو مقابله الإحسان بجزاء مثله و ثبت فى الكلمه السابقه أنّ نعم اللّه سبحانه لا تحصى لزم من ذلک أنّه لا يمكن مقابلتها بمثل.الثانى أنّ كلّ ما نتعاطاه من أفعالنا الاختياريّه مستندا إلى جوارحنا و قدرتنا و إرادتنا و سائر أسباب حركاتنا و هى بأسرها مستنده إلى جوده و مستفاده من نعمته،و كذلک ما يصدر عنّا من الشكر و الحمد و سائر العبادات نعمه فتقابل نعمه بنعمه،و روى أنّ هذا الخاطر خطر لداود عليه السّلام و كذلک لموسى عليه السّلام فقال:يا ربّ كيف أشكرک و أنا لا أستطيع أن أشكرک إلاّ بنعمه ثانيه من نعمک،و فى روايه اخرى و شكرى ذلک نعمه اخرى توجب علىّ الشكر لک فأوحى اللّه تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتنى، و فى خبر آخر إذا عرفت أنّ النعم منّى رضيت منک بذلک شكرا،فأمّا ما يقال فى العرف:

من أنّ فلانا مؤدّ لحقّ اللّه تعالى فليس المراد منه جزاء النعمه بل لمّا كانت المطلوبات للّه تعالى من التكاليف الشرعيّه و العقليّه تسمّى حقوقا له لا جرم سمّى المجتهد فى الامتثال مؤدّيا لحقّ اللّه،و ذلک الأداء فى الحقيقه من أعظم نعمه تعالى على عبده إذ كانت الامتثال و سائر أسباب السلوک الموصل إلى اللّه تعالى كلّها مستنده إلى جوده و عنايته و إليه الإشاره بقوله تعالى «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» ٢و ما كان فى الحقيقه نعمه اللّه لا يكون أداء لنعمه اللّه و جزاء

لها و إن اطلق ذلک فی العرف إذ کان من شأن الحقّ المفهوم المتعارف بین الخلق استلزامه وجوب الجزاء و الأداء لیسارعوا إلی الإیتان به رغبه و رهبه فیحصل المقصود من التکلیف حتّی لو لم یعتقدوا أنّه حقّ للّه بل هو مجرّد نفع خالص لهم لم یهتمّوا به غایه الاهتمام إذ کانت غایته غیر متصوّره لهم کما هی،و قلمّا تهتمّ النفوس،بأمر لا تتصوّر غایته و منفعته خصوصا مع المشقّه اللازمه فی تحمّله إلاّ بباعث قاهر من خارج .

قوله الّذی لا یدرکه بعد الهمم و لا یناله غوص الفطن.

استعاره قوله الّذی لا یدرکه بعد الهمم و لا یناله غوص الفطن.

أقول:إسناد الغوص هاهنا إلی الفطن علی سبیل الاستعاره إذ الحقیقه إسناده إلی الحیوان بالنسبه إلی الماء و هو مستلزم لتشبیه المعقولات بالماء،و وجه الاستعاره هاهنا أنّ صفات الجلال و نعوت الکمال لمّا کانت فی عدم تناهیها و الوقوف علی حقائقها و أغوارها تشبه البحر الخضم الّذی لا یصل السائح له إلی ساحل،و لا ینتهی الغائص فیه إلی قرار،و کان السائح لذلک البحر و الحائض فی تیّاره هی الفطن الثاقبه لا جرم کانت الفطنه شبیهه بالغائص فی البحر فأسند الغوص إلیها،و فی معناه الغوص فی الفکر و الغوص فی النوم،و یقرب منه إسناد الإدراک إلی بعد الهمم إذ کان الإدراک حقیقه فی لحقوق جسم لجسم آخر و إضافه الغوص إلی الفطن و البعد إلی الهم إضافه لمعنی الصفه بلفظ المصدر إلی الموصوف،و التقدیر لا تناله الفطن الغائصه و لا تدرکه الهمم البعیده،و وجه الحسن فی هذه الإضافه و تقدیم الصفه أنّ المقصود لمّا کان هو المبالغه فی عدم إصابه ذاته تعالی بالفطنه من حیث هی ذات غوص و بالهمّه من حیث هی بعیده کانت تلک الحیثیّه مقصوده بالقصد الأوّل،و قد بیّنا أنّ البلاغه تقتضی تقدیم الأهمّ و المقصود الأوّل علی ما لیس کذلک ،و برهان هذا المطلوب ظاهر فإنّ حقیقته تعالی لمّا کانت بریّه عن جهات الترکیبات عریّه عن اختلاف الجهات مترعه عن تکثّر المتکثّرات،و کانت الأشیاء إنّما تعلم بما هی من جهه حدودها المؤلّفه من أجزائها فإذن صدق أنّ واجب الوجود لیس بمرکّب و ما لیس بمرکّب لیس بمدرک الحقیقه و صدق أنّ واجب الوجود لیس بمدرک الحقیقه فلا تدرکه همّه و إن بعدت و لا تناله فطنه و إن اشتدّت فکلّ سائح فی بحار جلاله غریق فکلّ مدّع للوصول فبأنوار کبریائه حریق «لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» «سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمّا یَقُولُونَ عُلُوًّا کَبِیراً » .

ص:۱۱۴

قوله الّذی لیس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود.

قوله الّذی لیس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود.

أقول:المراد لیس لمطلق ما تعتبره عقولنا له من الصفات السلبیّه و الإضافیّه نهایه معقوله تقف عندها فیکون حدّا له،و لیس لمطلق ما یوصف به أیضا وصف موجود یجمعه فیکون نعتا له و منحصرا فیه قال ابو الحسن الکندری-رحمه اللّه-:و یمکن أن یؤول حدّ محدود علی ما یأوّل به کلام العرب:و لا یری الضبّ بها ینحجر،أی لیس بها ضبّ فینحجر حتّی یکون المراد أنّه لیس له صفه فتحدّ إذ هو تعالی واحد من کلّ وجه منزّه عن الکثره بوجه ما فیمتنع أن یکون له صفه تزید علی ذاته کما فی سائر الممکنات،و صفاته المعلومه لیست من ذلک فی شیء إنّما هی نسب و إضافات لا یوجب وصفه بها کثره فی ذاته قال:و ممّا یؤکّد هذا التأویل قوله بعد ذلک فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه ،و هذا التأویل حسن و هو راجع إلی ما ذکرناه فی المعنی،و أمّا وصفه الحدّ بکونه محدودا فللمبالغه علی طریقه قولهم شعر شاعر،و علی هذا التأویل یکون قوله و لا نعت موجود سلبا للنعت عن ذاته سبحانه إذ التقدیر لیس له صفه تحدّ و لا نعت،و قیل معنی قوله لیس لصفته حدّ أی لیس لها غایه بالنسبه إلی متعلّقاتها کالعلم بالنسبه إلی المعلومات و القدره إلی المقدورات .

قوله و لا وقت معدود و لا أجل ممدود.

قوله و لا وقت معدود و لا أجل ممدود.

أقول:وصف الوقت بکونه معدودا کقوله تعالی «فِی أَیّامٍ مَعْدُوداتٍ» و کقوله «وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلاّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ» ١و هو المعلوم الداخل فی الإحصاء و العدّ،و ذلک أنّ العدّ لا یتعلّق بالوقت الواحد من حیث هو واحد فإنّه من تلک الحیثیه لیس معدودا بل مبدء للعدد و إنّما یتعلّق به من حیث إنّه داخل فی الأوقات الکثیره الموجوده فی الزمان إمّا بالفرض أو بالفعل الّتی یلحق جملتها عند اعتبار التفصیل کونها معدوده إذ یقال:هذا الفرد معدود فی هذه الجمله أی داخل فی عدّها و مراده فی هذین الحکمین نفی نسبه ذاته و ما یلحقها إلی الکون فی الزمان و أن یکون ذات أجل ینتهی إلیه فینقطع وجودها بانتهائه و بیان ذلک من وجهین أحدهما أنّ الزمان من لواحق الحرکه الّتی هی من لواحق الجسم فلمّا کان الباری سبحانه منزّها عن الجسمیّه استحال أن یکون فی زمان،الثانی أنّه

ص:١١٥

تعالى إن أوجد الزمان و هو فى الزمان لزم كون الزمان متقدّما على نفسه و إن أوجده بدون أن يكون فيه كان غنيّا فى وجوده عنه فهو المطلوب فإذن صدق هذين السلبين فى حقّه معلوم، السجع المتوازى-التجنيس و قد حصل فى هذه القرائن الأربع السجع المتوازى مع نوع من التجنيس .

قوله الّذى فطر الخلائق بقدرته و نشر الرياح برحمته .

قوله الّذى فطر الخلائق بقدرته و نشر الرياح برحمته و وتد بالصخور ميدان أرضه.

أقول:لمّا قدّم الصفات السلبيّه شرع فى الصفات الثبوتيّه و هذه الاعتبارات الثلاثه موجوده فى القرآن الكريم أمّا الأوّل فقوله تعالى «الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ» ۱و أمّا الثانى فقوله تعالى «وَ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ» ۲و أمّا الثالث فقوله تعالى «وَ أَلْقى فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» ۳و قوله «وَ الْجِبالَ أَوْتاداً» ۴أمّا المراد استعاره بقوله فطر الخلائق بقدرته فاعتباره من حيث استناد المخلوقات إلى قدرته و وجودها عنها، و لمّا كانت حقيقه الفطر الشقّ فى الأجسام كانت نسبته هاهنا إلى الخلق استعاره،و للإمام فخر الدين فى بيان وجه الاستعاره فى أمثال هذا الموضع بحث لطيف قال:و ذلك أنّ المخلوق قبل دخوله فى الوجود كان معدودا محضا و العقل يتصوّر من العدم ظلمه متّصله لا انفراج فيها و لا شقّ،فإذا أخرج الموجد المبتدع من العدم إلى الوجود فكأنّه بحسب التخيّل و التوهّم شقّ ذلك العدم و فطره و أخرج ذلك الموجود منه.قلت:إلّا أنّ ذلك الشقّ و الفطر على هذا التقدير لا يكون للموجود المخرج بل للعدم الّذى خرج هذا الموجود منه اللّهم إلّا على تقدير حذف المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه حتّى يكون التقدير الّذى فطر عدم الخلائق.و هو استعمال شائع فى العرف و العربيّه كثيرا و حسنه بين الناس ظاهر و مثله فالق الحبّ و النوى على قول بعض المفسّرين كما سنبيّنه ،و قال ابن الأنبارى:لمّا كان أصل الفطر شقّ الشىء عند ابتدائه فقوله فطر الخلائق أى خلقهم و أنشأهم بالتركيب و التأليف الّذى سبيله أن يحصل فيه الشقّ و التأليف عند ضمّ بعض الأشياء إلى بعض، ثمّ إنّ الفطر كما يكون شقّ إصلاح كقوله تعالى «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» كذلك يكون شقّ إفساد كقوله تعالى «إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ» و «هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ» و أمّا

قوله و نشر الرياح برحمته فبيانه أنّ نشر الرياح و بسطها لمّا كان سببا عظيما من أسباب بقاء أنواع الحيوان و النبات و استعدادات الأمزجه للصحّه و النموّ و غيرها حتّى قال كثير من الأطبّاء:إنّها تستحيل روحا حيوانيّا،و كانت عنايه اللّه سبحانه و تعالى و عموم رحمته شامله لهذا العالم و هى مستند كلّ موجود لا جرم كان نشرها برحمته،و من أظهر آثار الرحمه الإلهيّه بنشر الرياح حملها للسحاب المقرع بالماء و إثارتها له على وفق الحكمه ليصيب الأرض الميته فينبت بها الزرع و يملاء الضرع كما قال سبحانه «مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ» ١و قال «يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» ٢و قال «وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ» ٣و المراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم اللّه بذكر هذه النعمه الجليله ليستديموها بدوام شكره و المواظبه على طاعته كما قال تعالى «وَ اذْكُرُوا نِعْمَهَ اللّهِ عَلَيْكُمْ» و لقوله «ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَهَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ» ۴قال إنّ بعض العرب يستعمل الريح فى العذاب و الرياح فى الرحمه و كذلك نزل القرآن الكريم قال تعالى «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ» و قال «الرِّيحَ الْعَقِيمَ» و قال «يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» -و «الرِّياحَ لَواقِحَ» و أمثاله .

قوله و وتد بالصخور ميدان أرضه.

اشاره

قوله و وتد بالصخور ميدان أرضه.

أقول:المراد نسبه نظام الأرض إلى قدرته سبحانه،و هاهنا بحثان.

البحث الأوّل فى أنّ قول القائل وتدت كذا بكذا

معناه جعلته و تداله و الموتود هاهنا فى الحقيقه إنّما هو الأرض و قد جعل الموتود هنا هو ميدان الأرض و هو عرض من الأعراض لا يتصوّر جعل الجبل وتدا له إلاّ أنّا نقول:لمّا كان الميدان علّه حامله على إيجاد الجبال و إيتاد الأرض بها كان الاهتمام به أشدّ فلذلك قدمّه و أضافه إضافه الصفه إلى الموصوف و إن كان التقدير وتد بالصخور أرضه المائده.

البحث الثانى أنّ تعليل وجود الجبال بميدان الأرض

ورد هاهنا و فى القرآن الكريم فى مواضع كقوله تعالى «وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» و كقوله «وَ الْجِبالَ»

«أَوْتاداً» و لا بدّ من البحث عن وجه هذا التعليل،و فيه خمسه أوجه

الوجه الأوّل

قال المفسّرون فى معنى هذه الآيات:

إنّ السفينه إذا القيت على وجه الماء فإنّها تميل من جانب إلى جانب و تتحرّك فإذا وضعت الأجرام الثقيله فيها استقرّت على وجه الماء و سكنت قالوا فكذلك لمّا خلق اللّه تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت و مادت فخلق اللّه عليها هذا الجبال و وتدها بها فاستقرّت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال قال الإمام فخر الدين و يتوجّه على هذا الكلام أن يقال:لا شكّ أنّ الأرض أثقل من الماء و الأثقل يغوص فيه و لا يبقى طافيا عليه و إذا لم يبق كذلك امتنع أن يقال:إنّها تميد و تميل بخلاف السفينه إذ كانت مركّبه من الأخشاب و داخلها مجوّف مملوّ من الهواء فلذلك تبقى طافيه على الماء فلا جرم تميل و تضطرب إلى أن ترسى بالأجرام الثقيله فإذن الفرق ظاهر.

الوجه الثانى ما ذكره هو

قال:إنّه قد ثبت بالدلائل اليقيتيه أنّ الأرض كره، و ثبت أيضا أنّ هذه الجبال على سطح الأرض جاريه مجرى خشونات و تضريسات حاصله على وجه الكره فإذا ثبت هذا فلو فرضنا أن هذه الخشونات ما كانت حاصله بل كانت الأرض كره حقيقيه خاليه عن الخشونات و التضريسات لصارت بحيث تتحرّك بالاستداره بأدنى سبب لأنّ الجرم البسيط يجب كونه متحرّكا على نفسه و إن لم يجب ذلك عقلا إلّا أنّها تصير بأدنى سبب تتحرّك على هذا الوجه أمّا إذا حصل على سطح كره الأرض هذه الجبال فكانت كالخشونات الواقعه على وجه الكره فكلّ واحد من هذه الجبال إنّما يتوجّه بطبعه إلى مركز العالم و توجّه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم و قوّته الشديده يكون جاريا مجرى الوتد الّذى يمنع كره الأرض من الاستداره و كان تخليق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المعدوده فى الكره المانعه من الحركه المستديره.

الوجه الثالث أن نقول:

استعاره لمّا كانت فائده الوتد أن يحفظ الموتود فى بعض المواضع عن الحركه و الاضطراب حتّى يكون قارّا ساكنا،و كان من لوازم ذلك السكون فى بعض الأشياء صحّه الاستقرار على ذلك الشىء و التصرّف عليه و كان من فائده وجود الجبال و التضريسات الموجوده فى وجه الأرض أن لا يكون مغموره بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار و التصرّف عليها لا جرم كان بين الأوتاد و الجبال الخارجه من الماء فى الأرض اشتراك فى كونهما

مستلزمين لصحّه الاستقرار مانعين من عدمه لا جرم حسنت استعاره نسبه الإتياد إلى الصخور و الجبال،و أمّا إشعاره بالميدان،فلانّ الحيوان كما يكون صادقا عليه أنّه غيره مستقرّ على الأرض بسبب انغمارها فى الماء لو لم توجد الجبال كذلك يصدق على الأرض أنّهما غير مستقرّه تحته و مضطربه بالنسبه إليه فثبت حينئذ أنّه لو لا وجود الجبال فى سطح الأرض لكانت مضطربه و مائده بالنسبه إلى الحيوان لعدم تمكّنه من الاستقرار عليها .

الوجه الرابع قال بعض العلماء:

إنّه يحتمل أن تكون الإشاره بالصخور إلى الأنبياء و الأولياء و العلماء و بالأرض إلى الدنيا أمّا وجه التجوّز بالصخور عن الأنبياء و العلماء فلأنّ الصخور و الجبال لمّا كانت على غايه من الثبات و الاستقرار مانعه لما يكون تحتها من الحركه و الاضطراب عاصمه لما يلتجىء إليها من الحيوان عمّا يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه و قلقه أشبهت الأوتاد من بعض هذه الجهات،ثمّ لمّا كانت الأنبياء و العلماء هم السبب فى انتظام امور الدنيا و عدم اضطراب أحوال أهلها كانوا كالأوتاد للأرض فلا جرم صحّت استعاره لفظ الصخور لهم،و لذلك يحسن فى العرف أن يقال:فلان جبل منيع يأوى إليه كلّ ملهوف إذا كان يرجع إليه فى المهمّات و الحوائج و العلماء أوتاد اللّه فى الأرض.

الوجه الخامس

أنّ المقصود من جعل الجبال كالأوتاد فى الأرض أن يهتدى بها على طرقها و المقاصد فيها فلا تميد جهاتها المشتبهه بأهلها و لا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم و مقاصدهم و باللّه التوفيق .

قوله أوّل الدين معرفته.

قوله أوّل الدين معرفته.

أقول:لمّا كان الدين فى اللغه الطاعه كما سبق و فى العرف الشرعىّ هو الشريعه الصادره بواسطه الرسل عليهم السلام و كان اتّباع الشريعه طاعه مخصوص كان ذلك تخصيصا من الشارع للعامّ بأحد مسمّياته و لكثره استعماله فيه صار حقيقه دون سائر المسمّيات لأنّه المتبادر إلى الفهم حال إطلاق لفظه الدين،و اعلم أنّ معرفه الصانع سبحانه على مراتب فأوليها و أدناها أن يعرف العبد أنّ للعالم صانعا،الثانيه أن يصدّق بوجوده،الثالثه أن يترقّى بجذب العنايه الإلهيّه إلى توحيده و تنزيهه عن الشركاء،الرابعه مرتبه الإخلاص له،الخامسه نفى الصفات الّتى تعتبرها الأذهان له عنه و هى غايه العرفان و منتهى قوّه

الإنسان،و كلّ مرتبه من المراتب الأربع الاولى مبدء لما بعدها من المراتب،و كلّ من الأربع الأخيره كمال لما قبلها،ثمّ إنّ المرتبتين الأولیین مركوزتان فى الفطر الإنسانيّه بل فيما هو أعمّ منها و هى الفطر الحيوانيّه و لذلك فإنّ الأنبياء عليهم السلام لم يدعوا الخلق إلى تحصيل هذا القدر من المعرفه،و أيضا فلو كان حصول هذا القدر من المعرفه متوقّفا على دعوه الأنبياء و صدقهم مع أنّ صدقهم مبنيّ على معرفه أنّ هاهنا صانعا للخلق أرسلهم للزم الدور،و إنّما كانت أوّل مرتبه دعوا إليها من المعرفه هى توحيد الصانع و نفى الكثره عنه المشتمل عليها أوّل كلمه نطق بها الداعى إلى اللّه و هى قولنا: «لا إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ» فقال صلى اللّه عليه و آله من قال «لا إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ» خالصا مخلصا دخل الجنّه.ثمّ استعدّت أذهان الخلق بما نطقت به من التوحيد الظاهر نبّههم على أنّ فيها قوّه إعداد لتوحيد أعلى و أخفى من الأوّل فقال:من قال «لا إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ» خالصا مخلصا دخل الجنّه،و ذلك إشاره إلى حذف كلّ قيد من درجه الاعتبار مع الوحده المطلقه إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه يحتمل أن يكون مراده بالمعرفه المرتبه الاولى من مراتب المعرفه و حينئذ يكون معنى قوله أوّل الدين معرفته ظاهرا فإنّ ذلك القدر أوّل متحصّل فى النفس من الدين الحقّ،و يحتمل أن يكون مراده المعرفه التامّه الّتى هى غايه العارف و نهايه مراتب السلوك و حينئذ يكون المراد من كونها أوّل الدين هو أوليّتها فى العقل و هو إشاره إلى كونها علّه غائيّه إذ العلّه الغائيّه متقدّمه فى العقل على ما هى علّه له و إن تأخّرت فى الوجود،و بيان ذلك أنّ المعرفه التامّه الّتى هى غايه سعى العارف غير حاصله فى مبدء الأمر بل يحتاج فى كمال ما حصل له من مراتب المعرفه و تحصيل المعرفه التامّه إلى الرياضه بالزهد و العباده و تلقى الأوامر الإلهيّه بالقبول الّتى هى سبب إتمام الدين فيستعدّ أوّلا بسببها للتصديق بوجوده يقينا ثمّ لتوحيده ثمّ للإخلاص له ثمّ لنفى كلّ ما عداه عنه فيغرق فى تيّار بحار العظمه و كلّ مرتبه أدركها فهى كمال لما قبلها إلى أن تتمّ المعرفه المطلوبه له بحسب ما فى وسعه و بكمال المعرفه يتمّ الدين و ينتهى السفر إلى اللّه .

قوله و كمال معرفته التصديق إلى قوله نفى الصفات عنه.

قوله و كمال معرفته التصديق إلى قوله نفى الصفات عنه.

أقول:ترتيب هذه المقدّمات على هذا الوجه يسمّى قياسا مفصولا و هو القياس المركّب

ص:۱۲۰

الّذى تطوى فيه النتائج و عند ذكرها يتبيّن أنّ المقصود منها بيان أنّ كمال معرفته نفى الصفات عنه،و هذا القياس تنحلّ إلى قياسات تشبه قياس المساواه لعدم الشركه بين مقدّمتى كلّ منها فى تمام الأوسط فيحتاج فى إنتاج كلّ منها إلى قياس آخر،و المطلوب من التركيب الأوّل و هو قوله و كمال معرفته التصديق به و كمال التصديق به توحيده أنّ كمال معرفته توحيده،و إنّما يلزم عنه هذا المطلوب بقياس آخر،صورته أنّ معرفته كمال و كمالها توحيده و كلّما كان كمال كماله توحيده كان كماله توحيده فينتج أنّ كمال معرفته توحيده،أمّا المقدّمه الاولى فإنّ التوحيد كمال التصديق و هو كمال المعرفه، و أمّا الثانيه فلأنّ كمال كمال الشىء كمال الشىء و هكذا فى باقى التركيب و المطلوب من تركيب هذه النتيجه مع المقدّمه الثالثه و هى قوله و كمال توحيده الإخلاص له أنّ كمال معرفته الإخلاص له،و من تركيب هذه النتيجه مع المقدّمه الرابعه و هى قوله كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه يحصل المطلوب،و اعلم أنّ فى إطلاق الكمال هاهنا تنبيها على أنّ معرفه اللّه تعالى مقوله بحسب التشكيك إذ كانت قابله للزياده و النقصان،و بيان ذلك أنّ ذات اللّه تعالى لمّا كانت بريّه عن أنحاء التركيب لم يكن معرفته ممكنه إلاّ بحسب رسوم ناقصه تتركّب من سلوب و إضافات تلزم ذاته المقدّسه لزوما عقليّا فتلك السلوب و الإضافات لمّا لم تكن متناهيه لم يمكن أن تقف المعرفه بحسبها عند حدّ واحد بل تكون متفاوته بحسب زيادتها و نقصانها و خفائها و جلائها،و كذلك كمال التصديق و التوحيد و الإخلاص،و إذا تقرّر ذلك فلنشرع فى تقدير المقدّمات،أمّا المقدّمه الاولى و هى أنّ كمال معرفته التصديق به،و بيان ذلك أن المتصوّر لمعنى إله العالم عارف به من تلك الجهه معرفه ناقصه تمامها الحكم بوجوده و وجوبه إذ من ضروره كونه موجد للعالم كونه موجودا فإنّ ما لم يكن موجودا استحال بالضروره أن يصدر عنه أثر موجود فهذا الحكم اللاحى هو كمال معرفته،و أمّا الثانيه و هى قوله و كمال التصديق به توحيده فبيانها أنّ من صدّق بوجود الواجب ثمّ جهل مع ذلك كونه واحدا كان تصديقه به تصديقا ناقصا تمامه توحيده،إذ كانت الواحده المطلقه لازمه لوجود الواجب فإنّ طبيعه واجب الوجود بتقدير أن تكون مشتركه بين اثنين فلا بدّ لكلّ واحد منهما من مميّز وراء ما به الاشتراک فيلزم التركيب فى ذاتيهما و كلّ

مركّب ممكن فيلزمه الجهل بكونه واجب الوجود و إن تصوّر معناه و حكم بوجوده،و أمّا الثالثه و هى قوله و كمال توحيده الإخلاص له ففيها إشاره إلى أنّ التوحيد المطلق للعارف نّما يتمّ بالإخلاص له و هو الزهد الحقيقىّ الّذى هو عباره عن تنحيه كلّ ما سوى الحقّ الأوّل عن سنن الإيثار،و بيان ذلك أنّه ثبت فى علم السلوك أنّ العارف ما دام ملتفتا مع ملاحظه جلال اللّه و عظمته إلى شىء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع اللّه غيرا حتّى أنّ أهل الإخلاص ليعدّون ذلك شركا خفيّا كما قال بعضهم:من كان فى قلبه مثقال خردله سوى جلالك فاعلم أنّه مريض و إنّهم ليعتبرون فى تحقّق الإخلاص أن يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال اللّه و أن لحظها فمن حيث هى لاحظه لا من حيث هى متزيّنه بزينه الحقّ فإذن التوحيد المطلق أن لا يعتبر معه غيره مطلقا،و ذلك هو المراد بقوله و كمال توحيده الإخلاص له ،و أمّا المقدّمه الرابعه و هى أنّ كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه فقد بيّن عليه السّلام صدقها بقياس برهانىّ مطوىّ النتائج أيضا استنتج منه أنّ بحانه فقد جهله،و ذلك قوله عليه السّلام لشهاده كلّ صفه أنّها غير الموصوف،و شهاده كلّ موصوف أنّه غير الصفه إلى قوله و من جزّاه فقد جهله ،و بيان صحّه المقدّمات أمّا قوله لشهاده كلّ صفه أنّها غير الموصوف و بالعكس فهو توطئه الاستدلال ببيان المغائره بين الصفه و الموصوف،و المراد بالشهاده هاهنا شهاده الحال فإنّ حال الصفه تشهد بحاجتها إلى الموصوف و عدم قيامها بدونه و حال الموصوف تشهد بالاستغناء عن الصفه و القيام بالذات بدونها فلا تكون الصفه نفس الموصوف،و أمّا قوله فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه فهو ظاهر لأنّه لمّا قرّر كون الصفه مغايره للموصوف لزم أن تكون زائده على الذات غير منفكّه عنها فلزم من وصفه بها أن تكون مقارنه لها و إن كانت تلك المقارنه على وجه لا يستدعى زمانا و لا مكانا،و أمّا قوله و من قرنه فقد ثنّاه فلأنّ من قرنه بشىء من الصفات فقد اعتبر فى مفهومه أمرين أحدهما الذات و الآخر الصفه فكان واجب الوجود عباره عن شيئين أو أشياء فكانت فيه كثره و حينئذ ينتج هذا التركيب أنّ من وصف اللّه سبحانه فقد ثنّاه،و أمّا قوله و من ثنّاه فقد جزّاه فظاهر أنّه إذا كانت الذات عباره عن مجموع امور كانت تلك الامور أجزاء لتلك الكثره من حيث إنّها تلك الكثره و هى مبادئ لها،و ضمّ هذه

المقدّمه إلى نتيجه التركيب الأوّل ينتج أنّ من وصف اللّه سبحانه فقد جزّاه،و أمّا قوله و من جزّاه فقد جهله فلأنّ كلّ ذى جزء فهو يفتقر إلى جزء و جزئه غيره فكلّ ذى جزء فهو مفتقر إلى غيره و المفتقر إلى الغير ممكن فالمتصوّر فى الحقيقه لأمر هو ممكن الوجود لا الواجب الوجود بذاته فيكون إذن جاهلا به و ضمّ هذه المقدّمه إلى نتيجه ما قبلها ينتج أنّ من وصف اللّه سبحانه فقد جهله و حينئذ يتبيّن المطلوب و هو أنّ كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه إذ الإخلاص له و الجهل به ممّا لا يجتمعان،و إذا كان الإخلاص منافيا للجهل به الّذى هو لازم لإثبات الصفه له كان إذن منافيا لإثبات الصفه له لأنّ معانده اللازم تستلزم معانده الملزوم،و إذ بطل أن يكون الإخلاص فى إثبات الصفه له تثبت أنّه فى نفى الصفه عنه و عند هذا يظهر المطلوب الأوّل و هو أنّ كمال معرفته نفى الصفات عنه و ذلك هو التوحيد المطلق و الإخلاص المحقّق الّذى هو نهايه العرفان و غايه سعى العارف من كلّ حركه حسيّه و عقليّه و ما يكون فى نفس الأمر من غير تعقّل نقص كلّ ما عداه عنه معه فهو الوحده المطلقه المبرّاه عن كلّ لاحق،و هذا مقام حسرت عنه نوافذ الأبصار،و كلّت فى تحقيقه صوارم الأفكار،و أكثر الناس فيه الأقوال فانتهت بهم الحال إلى إثبات المعانى و ارتكاب الأحوال فلزمهم فى ذلك الضلال ما لزمهم من المحال فإن قلت:هذا يشكل من وجهين أحدهما أنّ الكتب الإلهيّه و السنن النبويّه مشحونه بوصفه تعالى بالأوصاف المشهوره كالعلم و القدره و الحياه و السمع و البصر و غيرها و على ما قلتم يلزم أن لا يوصف سبحانه بشىء منها،الثانى أنّه عليه السّلام صرّح بإثبات الصفه له فى قوله ليس لصفته حدّ محدود و لو كان مقصوده بنفى الصفات ما ذكرتم لزم التناقض فى كلامه عليه السّلام فالأولى إذن أن يخصّ قوله نفى الصفات عنه بنفى المعانى كما ذهب إليه الأشعرى، و نفى الأحوال كما ذهب إليه المثبتون من المعتزله و بعض الأشعريّه ليبقى للصفات المشهوره الجاريه عليه تعالى و لإثباته عليه السّلام الصفه للّه فى موضع آخر محمل،أو يختصّ بنفى صفات المخلوقين كما أشار عليه السّلام فى آخر الخطبه لا يجرون إليه صفات المصنوعين،و كما ذكره الشيخ المفيد من الشيعه فى كتاب الإرشاد عنه جلّ أن تحلّه الصفات لشهاده العقول أنّ كلّ من حلّته الصفات مصنوع.قلت:قد سبق منّا بيان أنّ كلّ ما يوصف به تعالى من

الصفات الحقيقيّه و السلبيّه و الإضافيّه اعتبارات تحدّثها عقولنا عند مقائسه ذاته سبحانه إلى غيرها،و لا يلزم تركيب فى ذاته و لا كثره فيكون وصفه تعالى بها أمرا معلوما من الدين ليعمّ التوحيد و التنزيه كلّ طبقه من الناس،و لمّا كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الإخلاص الّذى ذكره عليه السّلام أقصى ما تنتهى إليه القوى البشريّه عند غرقها فى أنوار كبرياء اللّه و هو أن تعتبره فقط من غير ملاحظه شىء آخر،و كان إثباته عليه السّلام الصفه فى موضع آخر و وصفه فى الكتاب العزيز و سنن النبويّه إشاره إلى الاعتبارات الّتى ذكرناها إذ كان من هو دون درجه الإخلاص لا يمكن أن يعرف اللّه سبحانه بدونها و باللّه التوفيق .

قوله و من أشار إليه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه.

قوله و من أشار إليه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه.

أقول:يشير إلى البرهان على أحد أمرين أحدهما أنّه يحتمل أن يكون مراده امتناع الإشاره العقليّه إليه و تعلّقها به فعلى هذا يكون تقرير المقدّمه الاولى من هذا البرهان أنّ من وجّه ذهنه طالبا لكنه ذاته المقدّسه و زعم أنّه وجدها و أحاط بها و أشار إليها من جهه ما هى فقد أوجب له حدّا يقف ذهنه عنده إذ الحقيقه إنّما تعلم من جهه ما هى و يشير العقل إلى كنهها إذا كانت مركّبه و قد علمت أنّ كلّ مركّب محدود فى المعنى و لأنّ الإشاره العقليّه ملوّثه بالإشاره الوهميّه و الخياليّه مشوبه بهما و هما مستلزمان لإثبات الحدّ كما سيأتى،و أمّا تقرير المقدّمه الثانيه فظاهر إذ كان حدّ الشىء إنّما يتألّف من كثره معتبره فيه و كلّ ذى كثره معدود فى نفسه و نتيجه هذا البرهان أنّ من أشار إليه فقد عدّه،و أمّا استحاله أن يكون معدودا فلما علمت فيما سبق أنّ الكثره مستلزمه للإمكان،الثانى أنّه يحتمل أن يكون مراده أيضا نفى الإشاره الحسيّه الظاهره و الباطنه إليه و بيان تنزيهه عن الوحده العدديّه،و يكون تقرير المقدّمه الاولى أنّ من أشار إليه بأحد الحواسّ فقد جعل له حدّا أو حدودا أو نهايات تحيط به،و ذلك أنّ كلّ ما يشار إليه بالحسّ أيضا أو الباطن فلا بدّ و أن يشار إليه فى حيّز مخصوص و على وضع مخصوص و ما كان كذلك فلا بدّ و أن يكون له حد أو حدود فإذن لو كان مشار إليها بأحدها لكان محدودا،و أمّا تقرير المقدّمه الثانيه فالمراد بالعدّ هاهنا جعله مبدء كثره يصلح أن

يكون عادّا لها،و ذلك أنّ كلّ ما أدرك على وضع مخصوص و فى جهه فالعقل حاكم بإمكان وجود أمثاله فمن حدّه بالإشاره الحسيّه فقد جعله مبدء كثره يصلح أن يعدّ بها و يكون معدودا بالنسبه إليها،و أمّا كونه فى نفسه معدودا و ذلك كونه مركّبا من امور لأنّ الواحد بهذا المعنى ليس مجرّد الوحده فقط و إلاّ لما تعلّقت الإشاره الحسيّه به بل لا بدّ معها من الوضع كما علمت و على الوجهين يكون مجتمعا من أمرين أو أمور فيكون مركّبا و كلّ مركّب ممكن على ما مرّ و إذا استحال أن يكون واحدا بهذا المعنى كانت الإشاره إليه مطلقا يستلزم الجهل به من حيث هو واحد واجب الوجود،و أعلم أنّه ليس إذا بطل أن يكون واحدا فإنّ للواحد مفهومات اخر بها يقال له واحد فإنّه يقال واحد لما لا يشاركه فى حقيقه الخاصّه به غيره و يقال واحد لما لا تتركّب حقيقته و تأتلف من معانى متعدّده الأجزاء قوام و لا أجزاء حدّ و يقال واحد لما لم يفته من كماله شىء بل كلّ كمال ينبغى أن يكون له فهو حاصل له بالفعل و البارى سبحانه واحد بهذه الاعتبارات الثلاثه

قوله و من قال فيم فقد ضمنّه و من قال علام فقد أخلى منه.

قوله و من قال فيم فقد ضمنّه و من قال علام فقد أخلى منه.

أقول:أصل فيم و علام فيما و على ما حرفان دخلا على ما الاستفهاميّه فحذف ألفها لاتّصالها بهما تخفيفا فى الاستفهام خاصّه و هاتان القضيّتان فى تقدير شرطيّتين متّصلتين يراد منهما تأديب الخلق أن يستفهموا عنه سبحانه على هذين الوجهين،و بيان المراد منهما باستثناء نقيضى تاليهما و حذف الاستثناء هاهنا الّذى هو كبرى القياس على ما هو المعتاد فى قياس الضمير،و اعلم أنّ تقدير المتّصله الاولى لو صحّ السؤال منه بفيم لكان له محلّ يتضمّنه و يصدق عليه أنّه فيه صدق العرض بالمحلّ لكنّه يمتنع كونه فى محلّ فيمتنع السؤال عنه بفيم بيان الملازمه أنّ مفهوم فى لمّا كان موجودا فى ما كان الاستفهام بفيم استفهاما عن مطلق المحلّ و الظرف و لا يصحّ الاستفهام عن المحلّ لشىء إلاّ إذا صحّ كونه فيه بيان بطلان التالى أنّه لو صحّ كونه فى محلّ لكان إمّا أن يجب كونه فيه فيلزم أن يكون محتاجا إلى ذلك المحلّ و المحتاج إلى الغير ممكن بالذات و إن لم يجب حلوله فيه جاز أن يستغنى عنه و الغنىّ فى وجوده عن المحلّ يستحيل أن يعرض له و إذا استحال أن يكون فى محلّ كان السؤال عنه بفيم جهلا،و أمّا تقدير المتّصله الثانيه فهو أنّه لو جاز السؤال عنه بعلام لجاز خلوّ بعض

الجهات و الأماكن عنه لكنّه لا يجوز خلوّ مكان عنه فامتنع الاستفهام عنه بعلام بيان الملازمه هو أن مفهوم على و هو العلوّ و الفوقانيّه لمّا كان موجودا فى ما كانت استفهاما عن شىء هو فوقه و عال عليه،و ذلك يستلزم أمرين أحدهما بواسطه الآخر و لازم له فالّذى هو بواسطه و لا لازم لها هو أخلا سائر الجهات عنه و هو ما ذكره عليه السّلام و أمّا الواسطه الملزومه فهى إثبات الجهه المعيّنه و هى جهه فوق إذا كان اختصاصه بجهه معيّنه يستلزم نفى كونه فى سائر الجهات،و إنّما جعل عليه السّلام لازم هذه المتّصله كونه قد أخلى منه ليستلزم من إبطال اللازم و هو الخلوّ عنه بطلان اختصاصه بالجهه المعيّنه ليلزم منه بطلان المقدّم و هو صحّه السؤال عنه بعلام،فأمّا بطلان التالى فلقوله «وَ هُوَ اللّٰهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ» ١»و قوله «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ» فإن قلت:إنّ مثبت الجهه لا يجهل هذه الآيات بل له أن يقول:لا تنافى بين إثبات الجهه المعيّنه و بين مقتضى هذه الآيات لأنّ المقصود من كونه فى السماء و الأرض أى بعلمه و كذلك من معيّته للخلق و كونه فى جهه فوق إنّما هو بذاته فحينئذ لا يكون هذه الآيات منافيه لغرضه قلت:إنّما جعل عليه السّلام قوله فقد أخلى منه لازما فى هذه القضيّه لأنّ نفى هذا اللازم بهذه الآيات ظاهر و كذلك إنّ مثبت الجهه إنّما يعتمد فى إثباتها على ظواهر الآيات الدالّه على ذلك كقوله تعالى «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» فكانت معارضه مقتضاها بظواهر هذه الآيات أنفع فى الخطابه و أنجع فى قلوب العامّه من الدلائل العقليّه على نفى الجهه،و دلاله هذه الآيات على عدم خلوّ مكان من الأمكنه منه تعالى يستلزم دلالتها على عدم اختصاصه بجهه فوق،و المعارضه كما تكون بما يقتضى إبطال مقتضى الدليل كذلك تكون بما يقتضى إبطال لازم مقتضاه فكانت مستلزمه لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام و لو قال:و من قال علام فقد أثبت له جهه لم يمكن إبطال هذا اللازم إلّا بالدليل العقلىّ لكون الظواهر النقليّه مشعره بإثبات الجهه له فلذلك عدل عليه السّلام إلى هذا اللازم كما بيّنه لوجود ما يبطله فى القرآن الكريم و هى الآيات المذكوره حتّى إذا عدل المثبت للجهه عن ظواهر هذه الآيات إلى التأويل بإحاطه العلم مثلا ألزمناه مثله فى نحو قوله «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ»

«اسْتَوى» فقلنا:المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدره أو العلم كما هو مذكور فى الكتب الكلاميّه، و إنّما خصّ عليه السّلام جهه العلوّ بإنكار اعتقادها و التحذير منه لكون كلّ معتقد للّه جهه يخصّصه بها لما يتوهّم من كونها شرف الجهات و لأنّها نطق بها القرآن الكريم فكانت الشبهه فى إثباتها أقوى فلذلك خصّها بالذكر .

قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم.

قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم.

أقول:الكائن اسم الفاعل من كان و هو يستعمل فى اللغه على ثلاثه أوجه،أحدها أن تكون بصيغتها دالّه على الحدث و الزمان و يسمّى فى عرف النحاه كان التامّه كقوله:إذا كان الشتاء فاد فئونى أى إذا حدث و وجد،الثانى أن تدلّ على الزمان وحده و يحتاج فى الدلاله على الحدث إلى خبر يتمّ به و هى الناقصه و استعمالها هو الأكثر كقوله تعالى «إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ» الثالث أن تكون زائده خاليه عن الدلاله على حدث أو زمان كقوله:على كان المسوّمه العراب أى على المسوّمه.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ مفهوم كائن أنّه شيء ما له كون،و لمّا كان ذلك الشيء هو ذات اللّه تعالى و كانت ذاته مقدّسه عن الزمان استحال أن يقصد وصفه بالكون الدالّ على الزمان،و لمّا احترز بقوله لا عن حدث استحال أن يدلّ كونه على الحدث و هو المسبوقيّه بالعدم أيضا و إذا بطل أن يكون كونه مستلزما للزمان و مسبوقيّه العدم لم يكن له دلاله إلاّ على الوجود المجرّد عن هذين القيدين،و من هذا القبيل قوله تعالى «وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً» و أمثاله و قول الرسول صلى اللّه عليه و آله كان اللّه و لا شيء،و أمّا قوله موجود لا عن عدم فالمراد أيضا أنّ وجوده ليس بحادث،و بيانه أنّ الموجود من حيث هو موجود إمّا أن يكون وجوده مسبوقا بالعدم و حاصلا عنه و هو المحدث أو لا يكون و هو القديم فأمّا كليّه هذا الحكم فلأنّه لو كان محدثا لكان ممكنا و لو كان ممكنا لما كان واجب الوجود فينتج أنّه لو كان محدثا لما كان واجب الوجود لكنّه واجب الوجود فينتج أنّه ليس بمحدث،أمّا المقدّمتان فجليّتان،و أمّا بطلان تالى النتيجه فمقتضى البراهين الإلهيّه،و اعلم أنّ هذه القضيّه مؤكّده لمقتضى القضيّه الاولى و ليس مقتضاها عين ما أفادته الاولى إذ كان فى الكلمه الاولى مقصود آخر و هو تعليم الخلق كيفيّه إطلاق لفظه الكون على اللّه تعالى و إشعارهم أنّ المراد منها ليس ما يتبادر إليه الذهن من

ص:۱۲۷

مفهومها حال إطلاقها و هو الحدوث و يحتمل أن يكون مراده فی الاولی نفی الحدوث الذاتی أو ما أعمّ منه و من الزمان،و فی الثانیه نفی الحدوث الزمانی و اللّه أعلم .

قوله مع کلّ شیء لا بمقارنه و غیر کلّ شیء لا بمزائله.

قوله مع کلّ شیء لا بمقارنه و غیر کلّ شیء لا بمزائله.

أقول:إنّ کونه تعالی مع غیره و غیره غیره إضافتان عارضتان له بالنسبه إلی جمیع الموجودات إذ کلّها منه و یصدق علیه أن یقال:إنّه معها و إنّه متقدّم علیها و لکن باعتبارین مختلفین فإنّ المعیّه نفس إضافه تحدثها العقول بنسبته إلی آثاره و مساوقه وجوده لوجوداتها و إحاطه علمه بکلّیتها و جزئیّتها کما قال «وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ» و التقدّم نسبه تحدثها له باعتبار کونه علّه لها ثمّ لمّا کانت المعیّه أعمّ من المقارنه لاعتبار الزمان و المکان فی مفهومها المتعارف لم یکن معیّه للأشیاء علی سبیل المقارنه لها لبرائه ذاته المقدّسه عن الزمان و المکان فلذلک احترز بقوله لا بمقارنه و أمّا أنّه غیرها لا بمزائله فیحتمل وجهین،أحدهما و هو الأظهر أنّ المغائره لمّا کانت أعمّ من المزائله لدخول الزمان و المکان فی مفهومها أیضا کانت مغایرته للأشیاء غیر معتبر فیها المزائله لتقدّس ذاته عن الزمان و المکان فلذلک احترز بقوله لا بمزائله ،الثانی أن یقال:إنّ کونه تعالی غیر کلّ شیء معناه أنّه ممیّز بذاته عن کلّ شیء إذ لا یشارک شیئا من الأشیاء فی معنی جنسی و لا نوعی فلا یحتاج أن ینفصل عنها بفصل ذاتی أو عرضیّ بل هو مباین لها بذاته لا بمزائله، و یکون معنی المزائله المفارقه بأحد الامور المذکوره بعد الاشتراک فی أحد الامور المذکوره، و اعلم أن هذین القیدین کاسران للأحکام الوهمیّه باعتبار الزمان و المکان و الأوصاف المخلوقه المتعارفه بین الخلق المعتبره بینهم فی مفهوم المعیّه و الغیریّه متبّهان للعقول علی ما وراء حکم الوهم من عظمه اللّه سبحانه و تقدّس ذاته عن صفات الممکنات و کذلک قوله کائن لا-عن حدث موجود لا-عن عدم فإنّه ردّ للوهم الحاکمه بمماثلته تعالی للمحدثات .

قوله فاعل لا بمعنی الحرکات و الآله.

قوله فاعل لا بمعنی الحرکات و الآله.

أقول:الحرکه عباره عن حصول المتحیّز فی حیّز بعد أن کان فی حیّز آخر إن قلنا بثبوت الجوهر الفرد و إلاّ فهی عباره عن انتقال المتحیّز من حیّز إلی حیّز آخر أو غیره من التعریفات،و الآله هی ما یؤثّر الفاعل فی منفعله القریب منه بواسطه،و المراد بیان

أنّه فاعل إلّا أنّ ما صدر عنه تعالى من الآثار ليس بحسب حركه و لا بتوسّط آله كما يفتقر غيره فى نسبه صدور الفعل عنه إليه أمّا أنّه لا يفتقر إلى الحركه فلأنّ معنى الحركه إنّما يعرض للجسم و البارى تعالى منزّه عن الجسميّه فيستحيل صدق مسمّى الحركه فى حقّه،و أمّا أنّ فعله ليس بتوسّط آله فبيانه من وجهين:أحدهما لو كان كذلك لكانت تلك الآله إن كانت من فعله فإمّا بتوسّط آله اخرى أو بدونها فإن كانت بدونها فقد صدق أنّه فاعل لا بمعنى الآله و إن كان فعله لها بتوسّط آله اخرى فالكلام فيها كالكلام فى الأولى و يلزم التناقض،و أمّا إن لم تكن تلك الآله من فعله و لم يمكنه الفعل بدونها كان البارى تعالى مفتقرا فى تحقّق فعله إلى الغير و المفتقر إلى الغير ممكن بالذات فالواجب بالذات ممكن بالذات هذا خلف.الثانى أنّه تعالى لو فعل بالآله لكان بدونها غير مستقلّ بإيجاد الفعل فكان ناقصا بذاته مستكملا بالآله،و النقص على اللّه تعالى محال فتوقّف فعله على الآله محال فإذن هو الفاعل المطلق بالإبداع و محض الاختراع المبرء عن نقصان الذات المنزّه عن الحاجه إلى الحركات و الآلات .

قوله بصير إذ لا منظور إليه من خلقه.

مجاز قوله بصير إذ لا منظور إليه من خلقه.

أقول:البصير فعيل بمعنى الفاعل من البصر،و البصر حقيقه فى حاسّه العين مجاز فى القوّه الّتى بها العلم،و المنظور إليه هو المشاهد بتقليب الحدقه نحوه،و المراد وصفه تعالى بكونه بصيرا حال مالا يتحقّق المبصرات،و إذ ليس كونه بصيرا،بمعنى أنّ له آله البصر لتنزّهه عن الحواسّ وجب العدول إلى المجاز و هو أن يكون بصيرا بمعنى أنّه عالم،و قرينه ذلك.

قوله إذ لا منظور إليه من خلقه لأنّ البصر أمر إضافىّ يلحق ذاته بالنسبه إلى مبصر و هو أمر يلحق ذاته أزلا و أبدا و لا شىء من المبصرات بالحسّ موجود أزلا لقيام البراهين العقليّه على حدوث العالم حتّى يمكن أن يلحقه النسبه بالقياس إليه فوجب أن لا يكون من حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ،و يحتمل أنّ الإشاره بإذ فى قوله إذ لا منظور إليه إلى اعتبار كونه مقدّما على آثاره من جهه ما هو متقدّم فإنّه بالنظر إلى تلك الجهه لا منظور إليه من خلقه معه و هو عالم لذاته و بذاته مطلقا و إذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو إذن بصير بالصفه الّتى ينكشف بها كمال نعوت المبصرات،و بها تظهر الأسرار و الخفيّات فهو الّذى يشاهد و يرى حتّى لا يعزب عنه ما تحت الثرى «وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى»

و هذه الآله و إن عدّت كمالا فإنّما هى كمال خاصّ بالحيوان،و كماله بها و إن كان ظاهرا إلّا أنّه ضعيف قاصر إذ لا يمتدّ إلى ما بعد و لا يتغلغل فى باطن و إن قرب بل يتناول الظواهر و يقصر عن البواطن،و قد قيل:إنّ الحظّ الّذى للعبد من البصر أمران،أحدهما أن يعلم أنّه خلق له البصر لينظر إلى الآيات و عجائب ملكوت السماوات فلا يكون نظره إلّا اعتبارا حكى أنّه قيل لعيسى عليه السّلام هل أحد من الخلق مثلك؟فقال:من كان نظره عبره و صمته فكره و كلامه ذكرا فهو مثلى،الثانى أن يعلم أنّه من اللّه بمراى و مسمع فلا يستهين بنظره إليه و إطّلاعه عليه و من أخفى من غير اللّه ما لا يخفيه من اللّه تعالى فقد استهان بنظر اللّه تعالى،إليه و المراقبه إحدى ثمرات الإيمان بهذا الصفه فمن قارب معصيته و هو يعلم أنّ اللّه يراه فما أجرئه و ما أخسره،و من ظنّ أنّ اللّه تعالى لا يراه فما أكفره .

قوله متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده.

قوله متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده.

أقول:المراد وصفه تعالى بالتفرّد بالوحدانيّه و أشار بقوله إذ لا سكن إلى اعتبار أنّ تفرّده بالوحدانيّه لذاته فهو من تلك الحيثيّه متفرّد بالوحدانيّه لا على وجه الانفراد عن مثل له كما هو المفهوم المتعارف من انفراد بعض الناس عن بعض ممّن عادته مشاركته فى مشاوراته و محادثاته،و انفراد أحد المتألّفين من الحيوانات عن الآخر و هو الأنيس الّذى يستأنس بوجوده معه و يستوحش لفقده و غيبته عنه إذ كان الاستيناس و الاستيحاش متعلّقين بميل الطبع إلى الشىء و نفرته عنه و هما من توابع المزاج،و لمّا كان البارى سبحانه منزّها من الجسميّه و المزاج وجب أن يكون منزّها عن الاستيناس و التوحش فهو المنفرد بالوحدانيّه المطلقه لا بالقياس إلى شىء يعقل ذلك التفرّد بالنسبه إليه.و اعلم أنّ القيود الثلاثه الزائده على قوله فاعل و بصير و متوحّد فى الفصول الثلاثه مستلزمه للتنبيه على عظمه اللّه تعالى كما بيّناه فى قوله لا بمقارنه و لا بمزائله ،و ذلك لأنّ الأوهام البشريّه حاكمه بحاجه الفاعل إلى الآله و البصير إلى وجود المبصر و المتوحّد إلى أن يكون فى مقابلته أنيس مثله انفرد عنه،و لمّا كانت ذات اللّه سبحانه منزّهه عن جميع ذلك أراد عليه السّلام كسر الوهم و معارضه أحكامه بتنبيه العقول عليها فذكر هذه القيود الثلاثه و باللّه التوفيق.

الفصل الثانى فى نسبه إيجاد العالم إلى قدره اللّه تعالى جملا و تفصيلا و فى كيفيّه

اشاره

ذلك و هو اقتصاص فى معرض المدح.

ص:١٣٠

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً- بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَ لَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا- وَ لَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا وَ لَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا- أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَ لَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا- وَ غَرَّزَ غَرَائِزَهَا وَ أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا- عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا- مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَ انْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَ أَحْنَائِهَا:ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ- وَ شَقَّ الْأَرْجَاءِ وَ سَكَائِكَ الْهَوَاءِ- فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ- مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ- وَ الزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ- وَ سَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ وَ قَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ- الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ وَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ- ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا- وَ أَدَامَ مُرَبَّهَا وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا- وَ أَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ- وَ إِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ- وَ عَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ- تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ وَ سَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ- وَ رَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ- فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَ جَوٍّ مُنْفَهِقٍ- فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ- جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً- وَ عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ سَمْكاً مَرْفُوعاً- بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا وَ لَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ ضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ- وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَ قَمَراً مُنِيراً- فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَ سَقْفٍ سَائِرٍ وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ.ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ

ص:۱۳۱

السَّمَوَاتِ الْعُلاَ- فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ- مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ وَ رُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ- وَ صَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ- لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَ لاَ سَهْوُ الْعُقُولِ- وَ لاَ فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَ لاَ غَفْلَةُ النِّسْيَانِ- وَ مِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ وَ أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ- وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ- وَ مِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ- وَ مِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ- وَ الْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ- وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ- وَ الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ- نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ- مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ- وَ أَسْتَارُ الْقُدْرَةِ- لاَ يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ- وَ لاَ يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ- وَ لاَ يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَ لاَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ

اللغه

أقول:لم أجد لأهل اللغه فرقا بين الإنشاء و الابتداء و هو الإيجاد الّذى لم يسبق بمثله إلاّ أنّه يمكن أن يفرق هاهنا بينهما صونا لكلامه عليه السّلام عن التكرار بأن يقال:

المفهوم من الإنشاء هو الإيجاد الّذى لم يسبق غير الموجد إليه و المفهوم من الابتداء هو الإيجاد الّذى لم يقع من الموجد قبل ،و الرويّه الفكر ،و همامه النفس اهتمامها بالامور و من روى همامه نفس فالمراد ترديد العزوم مأخوذ من الهمهمه و هى ترديد الصوت الخفىّ، و روى أيضا همّه نفس ،و الإحاله التحويل و النقل و التغيير و الانقلاب من حال إلى آخر،و روى أجال بالجيم،و روى أيضا أجلّ أى وقّت ،و الملائمه الجمع ،و الغرائز جمع غريزه و هى الطبيعه الّتى طبع عليها الإنسان كأنّها غرّزت فيه ،و النسخ الأصل ،و روى أشباحها جمع شبح و هو

الشخص ،و القرائن جمع قرينه و هی ما یقترن بالشیء ،و الأحناء جمع حنو و هی الناحیه ،و الأجواء جمع جوّ و هو الفضاء الواسع ،و فتقها شقّها ،و الأرجاء جمع رجاء مقصور و هی الناحیه ، و السکائک جمع سکاکه کذؤابه و ذوائب و هی الفضاء ما بین السماء و الأرض و کلّ مکان خال فهو هواء ،و أجار أی أجری و من روی أحار أی أدار و جمع ،و تلاطم الماء تراد أمواجه و ضرب بعضها بعضا ،و الزخّار مبالغه فی الزاخر و هو الممتلی ،و متن کلّ شیء ما صلب منه و اشتدّ ، و عصف الریح شدّه جریانها ،و ریح زعزع تحرّک الأشیاء بقوّه و تزعزعها ،و الریح العاصفه الشدیده کأنّها لشدّتها تکسّر الأشیاء و تقصفها ،و سلّطها أی جعل لها سلاطه و هی القهر ،و الفتیق المنفتق و الدقیق المندفق .و الاعتقام الشدّ و العقد و اعتقم الأرض مهبّها أی جعله خالیا لا نبت به من قولهم عقمت الرحم إذا لم یقدر بها ولد،و روی بغیر تاء أی جعلها عقیمه لا تلقح شجرا و لا سحابا ،و المربّ المجمع ،و العصف الجری بشدّه و قوّه ،و الصفق و التصفیق الضرب المترادّ المصوّت ،و إناره الموج رفعه و هیّجه ،و أصل البحر الماء المتّسع الغمر،و ربّما خصّص فی العرف بالمالح،و تموّج البحر اضطرابه و توجّه ما ارتفع منه حال هیجانه و حرکته ،و الخض التحریک ،و السقاء وعاء اللبن و الماء أیضا ،و المائر المتحرّک ، و العباب بالضمّ معظم الماء و عبّ أی علا و تدفّق ،و الرکام الماء المتراکم ،و المنفهق الواسع ، و التسویه التعدیل ،و المکفوف الممنوع من السقوط الجوهری ، السقف اسم للسماء ،و سمک البیت سقفه و السموک الارتفاع ،و العمد جمع کثره لعموم البیت و عامه البیت عموده و ما یمنعه من السقوط ،و الدسار کلّ شیء أدخلته فی شیء لشدّه کمسمار و حبل و نحوهما ، و المستطیر المنتشر ،و الفلک من أسماء السماء قیل مأخوذ من فلکه المغزل فی الاستداره ، و الرقیم اسم للفلک أیضا و اشتقاقه من الرقم و هو الکتابه و النقش لأنّ الکواکب به تشبه الرقوم ،و الأطوار الحالات المختلفه و الأنواع المتباینه قال الکسائی: أصل الملائکه مئالکه بتقدیم الهمزه من الألوک و هی الرساله ثمّ قلّبت و قدّمت اللام،و قیل ملأک ثمّ ترکت همزته لکثره الاستعمال فقیل ملک فلمّا جمعوه ردّوها إلیه فقالوا ملائکه و ملائک ،و السأم الملال ،و السدنه جمع سادن و هو الخازن ،و مرق السهم من الرمیه إذا خرج من الجانب الآخر ،و القطر الناحیه ،و الرکن الجانب ،و تلفع بثوبه التحف به ،و النظائر

الأمثال ،

و لنرجع إلى المعنى

اشاره

فنقول:

أنشأ الخلق إنشاء و ابتدئه ابتداء

انشاء الخلق إنشاء و ابتدئه ابتداء يشير إلى كيفيّه، إيجاد الخلق على الجمله عن قدره اللّه تعالى بعد أن يتبّه على أصل الإيجاد بقوله فطر الخلائق بقدرته و أتى بالمصدرين بعد الفعلين تأكيدا لنسبه الفعلين إلى اللّه تعالى و صدق هاتين القضيّتين ظاهر فإنّ البارى تعالى لمّا لم يكن مسبوقا بغيره لا جرم صدق الإنشاء منه،و لمّا لم يكن العالم موجودا قبل وجوده لا جرم صدق ابتداؤه له .

قوله بلا رويّه أجالها و لا تجربه استفادها و لا حركه أحدثها و لا همامه نفس اضطرب فيها.

قوله بلا رويّه أجالها و لا تجربه استفادها و لا حركه أحدثها و لا همامه نفس اضطرب فيها.

أقول:لمّا كانت هذه الكيفيّات الأربع من شرائط علوم الناس و أفعالهم الّتى لا يمكن حصولها إلاّ بها أراد تنزيه اللّه سبحانه عن أن يكون إيجاده للعالم موقوفا على شيء منها أمّا الرويّه و الفكر فلمّا كانت عباره عن حركه القوّه المفكّره فى تحصيل مبادئ المطالب و الانتقال منها إليها أو عن تلك القوّه أيضا نفسها كان ذلك فى حقّ اللّه تعالى محالا لوجهين:أحدهما أنّ القوّه المفكّره من خواصّ نوع الإنسان،الثانى أنّ فائدتها تحصيل المطالب المجهوله و الجهل على اللّه تعالى محال،و أمّا التجربه فلمّا كانت عباره عن حكم الفعل بأمر على أمر بواسطه مشاهدات متكرّره معدّه لليقين بسبب انضمامه قياس خفىّ إليها و هو أنّه لو كان هذا الأمر اتّفاقيّا لمّا كان دائما و لا أكثريّا كان توقّف فعل اللّه تعالى على استفاده الأحكام منها محالا لوجهين:أحدهما أنّها مركّبه من مقتضى الحسّ و العقل، و ذلك أنّ الحسّ بعد مشاهدته وقوع الإسهال مثلا عقيب شرب الدواء مرّه و مرّه ينتزع العقل منها حكما كليّا بأنّ ذلك الدواء مسهل،و معلوم أنّ اجتماع الحسّ و العقل من خواصّ نوع الإنسان،الثانى أنّ التجربه إنّما يفيد علما لم يكن فالمحتاج إلى التجربه لاستفاده العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها و المستكمل بالغير محتاج إليه فيكون ممكنا على ما مرّ و ذلك على اللّه محال،و أمّا الحركه فقد عرفت أنّها من خواصّ الأجسام و البارى سبحانه منزّه عن الجسميّه فيمتنع صدق المتحرّك عليه و إن صدق أنّه محرّك الكلّ لأنّ المتحرك ما قامت به الحركه و المحرّك أعمّ من ذلك،و أمّا الهمامه أو الهمّه فلمّا كانت مأخوذه من الاهتمام،و حقيقته الميل النفسانىّ الجازم إلى فعل الشيء مع التألّم و الغمّ

بسبب فقد كان ذلك فى حقّ اللّه تعالى محالا-لوجهين:أحدهما أنّ الميل النفسانىّ من خواصّ الإنسان طلبا لجلب المنفعه و البارى سبحانه منزّه عن الميول النفسانيّه و جلب المنافع، الثانى أنّه مستلزم للتألّم المطلوب و التألّم على اللّه تعالى محال،و إذ ليس إيجاده تعالى للعالم على أحد الأنحاء المذكوره فهو إذن بمحض الاختراع و الإبداع البرىء من الحاجه إلى أمر من خارج ذاته المقدّسه «بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» ،فاعلم أنّه عليه السّلام أردف كلّا من هذه الامور بما هو كيفيّه فى وجوده فأردف الرويّه بالإحاله و التجربه بالاستفاده و الحركه بالإحداث و الهمامه بالاضطراب لتنتفى الكيفيّه بانتفاء ما هى له عن ذاته المقدّسه و باللّه التوفيق .

قوله أحال الأشياء لأوقاتها و لائم بين مختلفاتها و غرّز غرائزها و ألزمها أشباحها.

قوله أحال الأشياء لأوقاتها و لائم بين مختلفاتها و غرّز غرائزها و ألزمها أشباحها.

أقول:لمّا نبّه على نسبه إيجاد العالم إلى اللّه تعالى جمله أشار بعده إلى أنّ ترتيبه و ما هو عليه من بديع الصنع و الحكمه كان مفصّلا فى علمه و على وفق حكمته البالغه قبل إيجاده،و المراد بقوله أجال الأشياء لأوقاتها الإشاره إلى ربط كلّ ذى وقت بوقته بحسب ما كتب فى اللوح المحفوظ بالقلم الإلهىّ بحيث لا يتأخّر متقدّم و لا يتقدّم متأخّر منها،و معنى الإجاله نقل كلّ منها إلى وقته،و تحويله من العدم و الإمكان الصرف إلى مدّته المضروبه لوجوده،و اللام فى لأوقاتها لام التعليل أى لأجل أوقاتها إذ كلّ وقت يستحقّ بحسب قدره اللّه و علمه أن يكون فيه ما لا يكون فى غيره،و على النسخه الاخرى فمعنى تأجيلها جعل أوقاتها أجلالها لا تتقدّم عليها و لا تتأخّر عنها كما قال «إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ» لا يستقدمون ساعه و لا يَسْتَأْخِرُونَ»و نبّه بقوله و لائم بين مختلفاتها على كمال قدره اللّه تعالى،و بيان ذلك فى صورتين:إحداهما أنّ العناصر الأربع متضادّه الكيفيّات،ثمّ إنّها إذا اجتمعت بقدره اللّه تعالى و على وفق حكمته حتّى انكسرت صوره كلّ واحد منها بالآخر و هو المسمّى بالتفاعل حصلت كيفيّه متوسّطه بين الأضداد متشابهه و هى المزاج فامتزاج اللطيف بالكثيف على ما بينهما من تضادّ الكيفيّات و غايه البعد بقدرته التامّه من أعظم الدلائل الدالّه على كمالها،الثانيه أنّ الملائمه بين الأرواح اللطيفه و النفوس المجرّده الّتى لا حاجه بها فى قوامها فى الوجود إلى مادّه أصلا و بين هذه الأبدان المظلمه

الکثیفه و اختصاص کلّ نفس ببدن منها و تدبیره و استعماله فیما یعود إلیها من المصالح علی النظام الأقصد و الطریق الأرشد ممّا یشهد بکمال قدرته و لطیف حکمته،و استعاره قوله و غرّز غرائزها إشاره إلی رکن القویّ الجسمانیّه النفسانیّه فیما هی قوی له و خلق کلّ ذی طبیعه علی خلقه و مقتضی قواه الّتی غرّزت فیه من لوازمه و خواصّه مثلا کقوّه التعجّب و الضحک للإنسان،و قوّه الشجاعه للأسد و الجبن للأرنب،و المکر للثعلب و غیر ذلک، و عبّر عن إیجادها فیها بالغرز و هو الرکز استعاره لما یعقل من المشابهه بینها و بین العود الّذی یرکز فی الأرض من جهه المبدأ و من جهه الغایه،و ذلک أنّ اللّه سبحانه لمّا غرّز هذه الغرائز فی محالّها و اصولها و کانت الغایه من ذلک ما یحصل منها من الآثار الموافقه لمصلحه العالم أشبه ذلک غرز الإنسان العود فی الأرض لغایه أن یثمر ثمره منتفعا بها، و قوله و ألزمها أسناحها إشاره إلی أنّها لا تفارق اصولها و لا یمکن زوالها عنها لأنّ اللازم هذا شأنه،و من روی أشباحها بالشین المعجمه فالمراد أنّ ما غرّز فی الأشخاص من اللوازم و الغرائز لا تفارقها سواء کانت تلک الغرائز من لوازم الشخص کالذکاء و الفطنه بالنسبه إلی بعض الناس و البلاده و الغفله لآخر أو من لوازم المهیّات و طباعها لوجود المهیّات فی أشخاصها هذا إن قلنا إنّ الضمیر فی قوله و ألزمها عائد إلی الغرائز أمّا إن قلنا إنّه عائد إلی الأشیاء کان المراد أنّ اللّه سبحانه لمّا أجال الأشیاء لأوقاتها و لائم بین مختلفاتها و غرّز غرائزها فی علمه و قضائه ألزمها بعد کونها کلّیّه أشخاصها الجزئیّه الّتی وجدت فیها.لا یقال:إنّ لوازم المهیّات مقتضی المهیّات فکیف یمکن نسبه إلزامها لاصولها إلی قدره اللّه تعالی لأنّا نقول:المستند إلی مهیّه الملزوم لیس إلاّ مهیّه لازمه،و أمّا وجوده له فبقدره اللّه تعالی فیکون معنی إلزامها لأصولها إیجادها فی اصولها تبعا لإیجاد اصولها علی تقدیر وجودها .

قوله عالما بها قبل ابتدائها محیطا بحدودها و انتهائها عارفا بقرائنها و أحنائها.

قوله عالما بها قبل ابتدائها محیطا بحدودها و انتهائها عارفا بقرائنها و أحنائها.

أقول:المنصوبات الثلاثه و هی قوله عالما و محیطا و عارفا منصوبه علی الحال،و العامل فیها قوله ألزمها إعمالا للأقرب،و الأحوال الثلاثه مفسّره لمثلها عقیب الأفعال الثلاثه الأول إذ کانت صالحه لأن یکون أحوالا عنها،و المراد فی القضیّه الاولی إثبات الأفعال الأربعه له

حال کونه عالما بالأشیاء قبل إیجادها حاضره فی علمه بالفعل کلّیها و جزئیّها،و فی القضیّه الثانیه نسبه تلک الأفعال إلیه حال إحاطه علمه بحدودها و حقائقها الممیّزه لبعضها عن بعض و إنّ کلاّ منته بحدّه واقف عنده و هو نهایته و غایته،و یحتمل أن یرید بانتهائها انتهاء کلّ ممکن إلی سببه و انتهاء الکلّ فی سلسله الحاجه إلی اللّه،و فی القضیّه الثالثه نسبه الأفعال إلی قدرته حال علمه بما یقترن بالأشیاء من لوازمها و عوارضها،و علمه بکلّ شیء یقترن بشیء آخر علی وجه الترکیب أو المجاوره کاقتران بعض العناصر ببعض فی أحیازها الطبیعیّه علی الترتیب الطبیعی، و علمه بأحنائها و جوانبها الّتی بها تنتهی و تقارن غیرها،و بیان هذه الأحکام له تعالی ببیان أنّه عالم بکلّ المعلومات من الکلّیّات و الجزئیّات و ذلک ممّا علم فی العلم الإلهیّ فإن قلت:إطلاق اسم العارف علی اللّه تعالی لا یجوز لقول النبیّ صلی اللّه علیه و آله:إنّ للّه تسعه و تسعین اسما من أحصاها دخل الجنّه،و إجماع علماء النقل علی أنّ هذا الاسم لیس منها قلت:

الأشبه أنّ أسماء اللّه تعالی تزید علی التسعه و التسعین لوجهین أحدهما قول النبیّ صلی اللّه علیه و آله أسئلک بکلّ اسم سمیّت به نفسک أو أنزلته فی کتابک أو علّمته أحدا من خلقک و استأثرت به فی علم الغیب عندک فإنّ هذا صریح فی أنّه استأثر ببعض الأسماء،الثانی أنّه صلی اللّه علیه و آله قال فی رمضان:إنّه اسم من أسماء اللّه تعالی و کذلک کان الصحابه یقولون فلان اوتی الاسم الأعظم و کان ذلک ینسب إلی بعض الأنبیاء و الأولیاء و ذلک یدلّ علی أنّه خارج من التسعه و التسعین،فإذا کان کذلک کان کلّ الکلام فی قوله صلی اللّه علیه و آله إنّ للّه تسعه و تسعین اسما من أحصاها دخل الجنّه قضیّه واحده معناها الإخبار بأنّ من أسماء اللّه تعالی تسعه و تسعین من أحصاها یدخل الجنّه و یکون تخصیصها بالذکر لاختصاصها بمزید شرف لا یکون لباقی الأسماء و هی کونها مثلا جامعه لأنواع من المعانی المنبئه عن الکمال بحیث لا یکون لغیرها لا لنفی أن یکون اللّه تعالی اسم غیرها،و إذا کان کذلک جاز أن یکون العارف من تلک الأسماء.لا یقال:إنّ الاسم الأعظم غیر داخل فیها لاشتهارها و اختصاص معرفته بالأنبیاء و الأولیاء و إذا کان کذلک فکیف یصدق علیها أنّها أشرف الأسماء.لأنّا نقول:یحتمل أن یکون خارجا منها و یکون شرفها حاصلا بالنسبه إلی باقی الأسماء الّتی هی غیره و یحتمل أن یکون داخلا فیها إلاّ أنّا لا نعرفه بعینه و یکون ما یختصّ به

النبیّ أو الولی إنما هو تعیینه منها .

قوله ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء إلی قوله فسوّی منه سبع سماوات

قوله ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء إلی قوله فسوّی منه سبع سماوات أقول:لمّا أشار علیه السّلام فی الفصل المتقدّم إلی نسبه خلق العالم إلی قدره اللّه تعالی علی سبیل الإجمال شرع بعده فی تفصیل الخلق و کیفیّه إیجاده و الإشاره إلی مبادیه و لذلک حسن إیراد ثمّ هاهنا.و فی هذا الفصل أبحاث:

البحث الأوّل

-اعلم أنّ خلاصه ما یفهم من هذا الفصل أنّ اللّه قدّر أحیازا و أمکنه أجری فیها الماء الموصوف و خلق ریحا قویّه علی ضبطه و حفظه حمله علیها و أمرها بضبطه، و یفهم من قوله الهواء من تحتها فتیق و الماء من فوقها دفیق أنّ تلک الأحیاز و الأمکنه تحتها و أنّها امرت بحفظه و ضبطه لتوصّله إلی تلک الأحیاز،و ربّما فهم منه أنّ تلک الأحیاز تحتها للماء و هی سطح الریح الحاوی له،و أنّ تحت تلک الریح فضاء آخرا واسعا و هی محفوظه بقدره اللّه تعالی کما ورد فی الخبر ثمّ خلق سبحانه ریحا آخرا لأجل تموّج ذلک الماء فأرسلها و عقد مهبّها أی أرسلها بمقدار مخصوص علی وفق الحکمه و المصلحه الّتی أرادها بإجرائها و لم یرسلها مطلقا،و من روی بالتاء فالمراد أنّه أخلی مهبّها عن العوائق أو أنّه أرسلها بحیث لا یعرف مهبّها و أدام حرکتها و ملازمتها لتحریک الماء و أعصف جریانها و أبعد مبتداهما ثمّ سلّطها علی تموّج ذلک الماء فلمّا عبّ عبابه و قذف بالزبد رفع تعالی ذلک الزبد فی الفضاء و کوّن منه السماوات العلی.

البحث الثانی- أنّ هذه الإشاره وردت فی القرآن الکریم

فإنّه اشیر فیه إلی أنّ السماوات تکوّنت من الدخان کقوله تعالی «ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ» و المراد بخار الماء کذلک وردت فی أقوال کثیره: ۱ما روی عن الباقر محمّد بن علی علیهما السلام قال:لمّا أراد اللّه سبحانه و تعالی أن یخلق السماء أمر الریاح فضربن البحر حتّی أزبد فخرج من ذلک الموج و الزبد دخان ساطع من وسطه من غیر نار فخلق اللّه منه السماء(ب)ما نقل أنّه جاء فی السفر الأوّل من التوریه أنّ مبدء الخلق جوهر خلقه اللّه ثمّ نظر إلیه نظر الهیبه فذابت أجزاؤه فصارت ماء فثار من الماء بخار کالدخان فخلق منه السماوات و ظهر علی وجه الماء زبد البحر فخلق منه الأرض ثمّ أرسلها بالجبال و فی روایه اخری فخلق منه أرض مکّه

ص:۱۳۸

ثمّ بسط الأرض من تحت الكعبه و لذلك تسمّى مكه امّ القرى(ج)نقل عن كعب ما يقرب من ذلك قال إنّ اللّه تعالى خلق ياقوته خضراء ثمّ نظر إليها بالهيبه فصارت ماء يرتعد ثمّ خلق الريح فجعل الماء على متنها ثمّ وضع العرش على الماء كما قال تعالى «وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ» (د)ما نقل عن تاليس الملطى و كان من مشاهير الحكماء القدماء فإنّه نقل عنه بعد أن وحّد الصانع الأوّل للعالم و تنزّهه أنّه قال:لكنّه أبدع العنصر الّذى فيه صور الموجودات و المعلومات كلّها و سمّاه المبدع الأوّل،ثمّ نقل عنه أنّ ذلك العنصر هو الماء قال:و منه أنواع الجوهر كلّها من السماء و الأرض و ما بينهما و هو علّه كلّ مبدع و علّه كلّ مركّب من العنصر الجسمانىّ فذكر أن من جمود الماء تكوّنت الأرض و من انحلاله تكوّن الهواء و من صفوته تكوّنت النار و من الدخان و الأبخره تكوّنت السماء،و قيل:

إنّه أخذ ذلك من التوراه(ه)ما وجدته فى كتاب بلينوس الحكيم الّذى سمّاه الجامع لعلل الأشياء قريبا من هذه الإشاره و ذلك أنّه قال:إنّ الخالق تبارك و تعالى كان قبل الخلق و أراد أن يخلق الخلق فقال:ليكن كذا و كذا فكان ما أراد بكلمته فأوّل الحدث كلمه اللّه المطاعه الّتى كانت بها الحركه ثمّ قال:بعده إنّ أوّل ما حدث بعد كلام اللّه تعالى الفعل فدلّ بالفعل على الحركه و دلّ بالحركه على الحراره ثمّ لمّا نقصت الحراره جاء السكون عند فنائها فدلّ بالسكون على البرد،ثمّ ذكر بعد ذلك أنّ طبائع العناصر الأربعه إنّما كانت من هاتين القوّتين أعنى الحرّ و البرد قال:و ذلك أنّ الحراره حدث منها اللين و من البروده أ ليس فكانت أربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبائع الأربع و كانت هذه الكيفيّات قائمه بأنفسها غير مركّبه فمن امتزاج الحراره و اليبس حصلت النار و من الرطوبه و البروده حدث الماء و من الحراره و الرطوبه حدث الهواء و من امتزاج البرد و اليبس حصلت الأرض ثمّ قال:إنّ الحراره لمّا حرّكت طبيعه الماء و الأرض تحرّك الماء للطفه عن ثقل الأرض و أثقلت ما أصابه من الأرض فصار بخارا لطيفا هوائيّا رقيقا روحانيّا و هو أوّل دخان طلع من أسفل الماء و امتزج بالهواء فسما إلى العلو لخفّته و لطافته و بلغ الغايه فى صعوده على قدر قوّته و نفرته من الحراره فكان منه الفلك الأعلى و هو فلك زحل،ثمّ حرّكت النار الماء أيضا فطلع منه دخان هو أقلّ لطفا ممّا صعد

أوّلا و أضعف فلمّا صار بخارا سما العلوّ بجوهره و الطاقته و لم يبلغ فلک زحل لعلّه لطافته عمّا قبله فکان منه الفلک الثانی و هو فلک المشتری و هکذا بیّن فی طلوع الدخان مرّه مرّه و تکون الأفلاک الخمسه الباقیه عنه.فهذه الإشارات کلّها متطابقه علی أنّ الماء هو الأصل الّذی تکوّنت عنه السماوات و الأرض و ذلک مطابق لکلامه علیه السلام.

البحث الثالث-قوله و أدام مربّها

.قال قطب الدین الراوندی:أی أدام جمع الریح للماء و تسویتها له.قلت:تقریر ذلک أنّ الماء لمّا کان مقرّ الریح الّذی انتهت إلیه و عملت فی تحریکه کان ذلک هو مربَّها أی الموضع الّذی لزمته و أقامت به، تشبیه فقوله و أدام مربّها أی أدام حرکه الماء و اضطرابه،و محتضه و هو محلّ إربابها و یحتمل أن یکون قد استعمل اسم الموضع استعمال المصدر،و التقدیر أدام إربابها أی ملازمتها لتحریک الماء و أیضا فیحتمل أن یکون قد شبّهها فی کونها سببا للآثار الخیریّه و فی کثرتها و قوّتها بالدیمه فکان محلّها و مقرّها الّذی تصل إلیه و تقیم بها قد أدامه اللّه أی سقاه اللّه دیمه ،و قوله و أبعد منشأها قال:أی أبعد ارتفاعها قلت:المنشأ محلّ النشو و هو الموضع الّذی أنشأها منه فلا یفهم منه الارتفاع اللهمّ إلاّ علی تقدیر استعماله لموضع الإنشاء استعمال المصدر أی بلغ بإنشائها غایه بعیده،و الأقرب أنّه یشیر إلی أنّها نشأت من مبدء بعید و لا یمکن الوقوف علی أوّله و هو قدره الحقّ سبحانه وجوده، مجاز و قوله و أمرها .قال-رحمه اللّه-:أمر المؤکّلین بها من الملائکه بضرب الماء بعضه بعضا و تحریکه کمحض اللبن للزبد و أطلق الأمر علیها مجازا لأنّ الحکیم لا یأمر الجماد.قلت:بل حمله علی أمر الریح أولی لأنّ فی التقدیر الّذی ذکره یکون التجوّز فی لفظ الأمر لعدم القول المخصوص هناک فیحمل علی قهر ملائکتها و فی نسبته الی الریح أیضا مجاز إذا ارید ملائکتها أمّا إذا حملناه علی ظاهره کان التجوز فی لفظ الأمر دون النسبه فکان أولی ،و قوله مخض السقاء و عصفها بالفضاء أی مثل مخض السقاء و مثل عصفها فحذف المضاف الّذی هو صفه المصدر و أقام المضاف إلیه مقامه فلذلک نصبه نصب المصادر،و اعلم أنّ اللام فی قوله بتصفیق الماء للمعهود السابق فی قوله ماء متلاطما لأنّ المائین واحد،و مثل هذا التکرار جاز فی الکلام الفصیح کقوله تعالی «کَما أَرْسَلْنا إِلی فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصی فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ» فإن قلت:إنّ الأجواء و الأرجاء و سکائک

الهواء امور عدميّه فكيف يصحّ نسبتها إلى الإنشاء عن القدره.قلت:إنّ هذه الأشياء عباره عن الخلاء و الأحياز،و الخلاف فى أنّ الخلاء و الحيّز و المكان هل هى امور وجوديّه أو عدميّه مشهور فإن كانت وجوديّه كانت نسبتها إلى القدره ظاهره،و يكون معنى فتقها و شقّها و نسبتها إلى القدره تقديرها و جعلها أحيازا للماء و مقرّا له لأنّه لمّا كان تمييزها عن مطلق الهواء و الخلاء بإيجاد اللّه فيها الماء صار تعيّنها له بسبب قدرته تعالى فيصحّ نسبتها إلى إنشائه فكأنّه سبحانه شقّها و فتقها بحصول الجسم فيها،روى أنّ زراره و هشاما اختلفا فى الهواء أهو مخلوق أم لا؟فرفع بعض موالى الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام إليه ذلك و قال:إنّى متحيّر و أرى أصحابنا يختلفون فيه فقال عليه السّلام:ليس هذا بخلاف يؤدّى إلى الكفر و الضلال، و اعلم أنّه عليه السّلام إنّما أعرض عن بيان ذلك لأنّ أولياء اللّه الموكّلين بإيضاح سبيله و تثبيت خلقه على صراط المستقيم لا يلتفتون بالذات إلاّ إلى أحد أمرين،أحدهما ما يؤدّى إلى الهدى أداء ظاهرا واضحا،و الثانى ما يصرف عن الضلال و يردّ إلى سواء السبيل،و بيان أنّ الهواء مخلوق أو غير مخلوق لا يفيد كثير فائده فى أمر المعاد فلا يكون الجهل به ممّا يضرّ فى ذلك فكان ترك بيانه و الاشتغال بما هو أهمّ منه أولى.

البحث الرابع أنّ القرآن الكريم نطق بأنّ السماء تكوّنت من الدخان

استعاره و كلامه عليه السّلام ناطق بأنّها تكوّنت من الزبد و ما ورد فى الخبر أنّ ذلك الزبد هو الّذى تكوّنت منه الأرض فلا بدّ من بيان وجه الجمع بين هذه الإشارات.فنقول:وجه الجمع بين كلامه عليه السّلام و بين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر عليه السّلام و هو قوله فيخرج من ذلك الموج و الزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء و لا شكّ أنّ القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لأنّ ذلك إنّما يكون عن النار و اتّفق المفسّرون على أنّ هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفّس الماء و تبخيره بسبب تموّجه،فهو إذن استعاره للبخار الصاعد من الماء و إذا كان كذلك فنقول:إنّ كلامه عليه السّلام مطابق للفظ القرآن الكريم و ذلك أنّ الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حراره حركته إلاّ أنّه ما دامت الكثافه غالبه عليه و هو باق على وجه الماء لم ينفصل فإنّه يخصّ باسم الزبد و ما لطف و غلبت عليه الأجزاء الهوائيّه فانفصل خصّ باسم البخار،و إذا كان الزبد بخارا و البخار هو المراد بالدخان

فى القرآن الكريم كان مقصده و مقصد القرآن واحد فكان البخار المنفصل هو الّذى تكوّنت عنه السماوات و الّذى لم ينفصل هو الّذى تكوّنت عنه الأرض و هو الزبد،و أمّا وجه المشابهه بين الدخان و البخار الّذى صحّت لأجله استعاره لفظه فهو أمران:أحدهما حسّى و هو الصوره المشاهده من الدخان و البخار حتّى لا يكاد يفرق بينهما فى الحسّ البصرى، و الثانى معنوىّ و هو كون البخار أجزاء مائيّه خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حراره الحركه كما أنّ الدخان كذلك و لكن عن حراره النار فإنّ الدخان أيضا أجزاء مائيّه انفصلت من جرم المحترق بسبب لطافتها عن حرّ النار فكان الاختلاف بينهما ليس إلّا بالسبب فلذلك صحّ استعاره اسم أحدهما للآخر و باللّه التوفيق.

البحث الخامس

قال المتكلّمون:إنّ هذه الظواهر من القرآن و كلام علىّ عليه السّلام لمّا دلّت على ما دلّت عليه من كون الماء أصلا تكوّنت عنه السماوات و الأرض و غير ذلك و ثبت أنّ الترتيب المذكور فى المخلوقات أمر ممكن فى نفسه و ثبت أنّ البارى تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات ثمّ لم يقم عندنا دليل عقلىّ يمنع من أجزاء هذه الظواهر على ما دلّت عليه بظاهرها وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر و لا حاجه بنا إلى التأويل.

لا يقال:إنّ جمهور المتكلّمين يتّفقون على إثبات الجواهر الفرد و أنّ الأجسام مركّبه عنه فبعضهم يقول:إنّ الجوهر كانت ثابته فى عدمها و الفاعل المختار كساها صفه التأليف و الوجود، و بعضهم و إن منع ثبوتها فى العدم إلّا أنّه يقول:إنّ اللّه تعالى يوجد أوّلا تلك الجواهر ثمّ يؤلّف بينها فيوجد منها الأجسام فكيف يقال إنّ السماوات و الأرض تكوّنت من الماء لأنّا نقول:هذا ظاهر لأنّه يجوز أن يخلق اللّه تعالى أوّل الأجسام من تلك الجواهر ثمّ تكوّن باقى الأجسام عن الأجسام الأول،و أمّا الحكماء فلمّا لم يكن الترتيب الّذى اقتضته هذه الظواهر فى تكوين الأجسام موافقا لمقتضى أدلّتهم لتأخّر وجود العناصر عندهم عن وجود السماوات لا جرم عدل بعضهم إلى تأويلها توفيقا بينها و بين مقتضى أدلّتهم و ذكروا من التأويل وجهين:

الوجه الأوّل

-قالوا:العالم عالمان عالم يسمّى عالم الأمر و هو عالم الملائكه الروحانيّه و المجرّدات،و عالم يسمّى عالم الخلق و هو عالم الجسمانيّه و على ذلك حملوا قوله تعالى« «ألا»

«لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» ثمّ قالوا:ما من موجود فى عالم الجسمانيّه إلاّ و له نسبه إلى عالم الروحانيّه و هو مثال له بوجه ما و لو لا ذلك لأنسدّ طريق الترقّى إلى العالم الروحانىّ و تعذّر السفر إلى الحضره الإلهيّه،ثمّ كان من بحثهم أن بيّنوا أنّ قدره اللّه سبحانه ترجع إلى كون ذاته عامله بالكلّ علما هو مبدء الكلّ مبدئيّه بالذات غير مأخوذه عن شىء و لا متوقّفه على وجود شىء،ثمّ لمّا دلّ دليلهم على أنّ رتبه صدور عالم الأمر أعلى فى الوجود و أسبق نسبه إلى قدره المبدع الأوّل من عالم الخلق إذ كان صدور عالم الخلق إنّما هو بواسطه عالم الأمر كان اعتبار إيجاد عالم الأمر عن القدره أمرا أوّلا و اعتبار إيجاد عالم الخلق عنها أمرا ثانيا متأخّرا عنه فعند ذلك قالوا:إنّ الّذى أشار إليه عليه السّلام هاهنا موافق لما أصّلناه و متناسب له،و ذلك أنّه أشار بالأجواء و الأرجاء و سكائك الهواء إلى سلسله وجود الملائكه المسمّاه بالعقول الفعّاله على مراتبها متنازله،و بإنشائها إلى إيجادها،و بفتقها و شقّها إلى وجودها،و بالماء المتلاطم المتراكم إلى الكمالات الّتى وجبت عنه سبحانه و بإجرائها فيها إلى افاضته على كلّ واحد منها ما استحقّه بواسطه ما قبله،و بالريح العاصف إلى الأمر الأوّل الّذى أشرنا إليه عن القدره،و أمّا وجه المناسبه بين هذه الامور و بين ما ذكره فأمّا فى التعبير عن العقول بالأرجاء و الأجواء و السكائك فمن جهه أنّها قابله للفيض و الكمالات عن مبدئها الأوّل كما أنّ الأرجاء و الأجواء و سكائك الهواء قابله للماء عمّا يخرج عنه من سحاب أو ينبوع، تشبيه و أمّا فى تشبيه الفيض بالماء فلأنّه لمّا لم يكن بحيث يتوقّف إلاّ على تمام القابل فحيث وجد سال بطبعه إليه كذلك الفيض الإلهىّ لا يتوقّف صدوره عن واهبه إلاّ على تمام القابل لكون الفاعل تامّ الفاعليّه فى ذاته،و لأنّ الماء لمّا كان به قوام كلّ حىّ جسمانىّ فى عالم الكون كذلك الفيض الإلهىّ هو مبدء قوام كلّ موجود قالوا:و مثل هذا التشبيه جاء فى القرآن الكريم قال جمهور المفسّرين و منهم ابن عباس-رضى اللّه عنه-فى قوله تعالى «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها» ۱:إنّ المراد بالماء هو العلم،و بالأوديه قلوب العباد،و بإنزاله إفاضته على القلوب،و بقوله «فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها» أنّ كلّ قلب منها يصل إليه مقدار ما يستحقّه و يقبله .قالوا:و ذلك أنّ اللّه سبحانه أنزل من سماء الكبرياء و الجلاله

و الإحسان ماء بيان القرآن و علومه على قلوب العباد لأنّ القلوب يستقرّ فيها أنوار علوم القرآن كما أنّ الأوديه يستّقر فيها المياه النازله من السماء و كما أنّ كلّ واد فإنّما يحصل فيه من مياه الأمطار ما يليق بسعته و ضيقه فكذلك هاهنا كلّ قلب إنّما يحصل فيه أنوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب من طهارته و خبثه و قوّه فهمه و بصره و تمام التشبيه فى الآيه مذكور فى التفاسير، تشبيه و أمّا تشبيه الأمر الأوّل بالريح العاصفه فلأنّ وقوعه لمّا كان دفعه غير منسوب إلى زمان يتوقّف عليه كان أنسب ما يشبه به من الأجسام فى السرعه و النفوذ و هو الريح العاصف لكونها أسرع الأجسام حركه و لذلك أكّدها بوصف العصف تقريرا للسرعه التامّه و ما أمرنا إلاّ واحده كلمح بالبصر و بوصف الزعزعه و القصف تحقيقا للقوّه العاليه و الشدّه الشديده ،و أمّا أمره لها بردّه و تسليطها على شدّه فلأنّه لمّا صوّرها بصوره الريح ساغ أن يقال:إنّه أمرها و هو عباره عن نسبه ذلك الأمر إلى ذاته تعالى النسبه الّتى تحدثها عقولنا الضعيفه،و فائده الردّ و الشدّ هاهنا ضبط أمره سبحانه على وفق حكمته الكمالات الفائضه عنه على كلّ مورد مورد بحسب نوعه المستلزم لردّه عمّن ليس له ذلك الكمال المعيّن،و أمّا قرنها إلى حدّه فإشاره إلى إحاطه أمره سبحانه بما لتلك القوابل من الكمالات الفائضه و اشتماله،و قوله الهواء من تحتها فتيق إشاره إلى قبول القوابل المذكوره،و الماء من فوقها دفيق إشاره إلى ما يحمله أمر اللّه من الفيض المذكور و يلقيه على تلك القوابل و كلّ ذلك بترتيب عقليّ لأزمان تلحقه فيعقل فيه التراخى،و أمّا الريح الثانيه فأشار بها عليه السّلام إلى الأمر الثانى و وصفها باعتقام مهبّها إشاره إلى عقد ذلك الأمر و إيقاعه على وفق الحكمه الإلهيّه و إلى عدم مانع لجريان ذلك الأمر، تشبيه و بإدامه مربّها إلى إفاضه مقارّ ذلك الأمر فكأنّه شبّه الفيض الصادر بهذا الأمر على هيولى الأجسام الفلكيّه بالديمه الهاطله على الأماكن الّتى يجتمع بها و يقيم،أو أراد أنّ المحالّ القابله لذلك الأمر المستلزمه له ذاتيّه دائمه ،و أشار بعصف مجراها إلى سرعه ذلك الأمر كما وصف به الريح الاولى،و ببعد منشأها إلى عدم أوّليّه مبدؤه، و بأمره لهذه الريح إلى نسبه ذلك الأمر إلى ذاته كما مرّ،و بتصفيق الماء الزخّار و إثاره أمواج البحار إلى نسبه فيضان صور الأفلاك و كمالاتها إلى أمره سبحانه بواسطه تلك

الکمالات الفعلیّه للملائکه و أنّها غیر مستقلّه بإیجاد شیء بل علی شرائط بعضها لبعض و لغیرها،و بالبخار إلی تلک الملائکه و بمخضها له مخض السقاء و عصفها به کعصفها بالفضاء و تردید بعضه علی بعض و إلی قوّه أمر اللّه علیها و تصریفها علی حسب علمه بنظام الکلّ و تقدیر ما لکلّ فلک من الکمالات فی ذات کلّ مبدء من تلک المبادیء،و قوله حتّی عبّ عبابه إشاره إلی بلوغ کمالات تلک الملائکه الحاصله لها بالفعل عن أمر اللّه إلی رتبه أن یعطی بواسطتها الفیض لغیرها،و کذلک قوله ورمی بالزبد رکامه إشاره إلی إعطاء صور الأفلاک و کمالاتها بواسطتها،و لمّا کانت صور الأفلاک محتاجه فی قیامها فی الوجود إلی الهیولی کانت نسبتها إلی الملائکه المجرّده نسبه أخسّ إلی أشرف فبالحریّ أن اطلق علیها اسم الزبد و لأنّ هذه الصور حاصله من تلک الکمالات العقلیّه و فائضه عنها کما أنّ الزبد منفصل عن الماء و مکوّن عنه فتشابها،و أمّا رفعه فی أهواء منفتق و جوّ منفهق فإشاره إلی إلحاق صور الأفلاک بموادّها المستعدّه أو إلی تخصیص وجودات الأفلاک بأحیازها و رفعها إلیها،و قوله فسوّی عنه سبع سماوات إشاره إلی کمال الأفلاک بما هی علیه من الوضع و التعدیل و الترتیب،و أمّا تخصیصه بالسبع فلأنّ الفلکین الباقیین فی الشریعه معروفان باسمین آخرین و هما العرش و الکرسیّ،ثمّ قالوا:و إلی هذا أشار الحکماء السابقون أیضا فإنّ مرادنا لیس الملطی بالعنصر الأوّل هو المبدع الأوّل و کونه هو الماء لأنّ المبدع الأوّل واسطه فی باقی الموجودات و فیه صورها و عنه تفاض کمالاتها کما أنّ بالماء قوام کلّ حیّ عنصریّ و بواسطته تکوّن و کذلک سرّ ما جاء فی التوراه فإنّ المراد بالجوهر المخلوق للّه أوّلا هو المبدع الأوّل و کونه تعالی نظر إلیه نظر الهیبه،و ذوبان أجزائه إشاره إلی صدور الفیض عنه بأمر اللّه سبحانه و قدرته،و الزبد الّذی تکوّنت منه الأرض و الدخان الّذی تکوّنت منه السماوات إشاره إلی کمالات السماوات و الأرض و صورها الصادره عن کمالات عللها صدور البخار و الزبد عن الماء و کلّ هذا تجوّزات و استعارات یلاحظ فی تفاوت حسنها قرب المناسبه و بعدها.

الوجه الثانی

-قالوا:یحتمل أن یکون مراده بالریح الأولی هو العقل الأوّل فإنّه الحامل للفیض الإلهیّ إلی ما بعده و هو المحیط بصور الموجودات،و یؤیّد ذلک قوله الهواء

ص:۱۴۵

من تحتها فتيق و الماء من فوقها دفيق فإنّ الهواء إشاره إلى القوابل بعده و بواسطته، و بالماء إشاره إلى الفيض الصادر عن الأوّل سبحانه فإنّ التدفّق لمّا كان مستلزما لسرعه حركه الماء و جريانه عبر به عن الفيض الّذى لا توقّف فيه،و الريح الثانيه عن العقل الثانى فإنّه هو الواسطه فى إفاضه أنوار اللّه سبحانه على ما بعده من العقول الّتى بواسطتها تصوّر السماوات السبع،و وصف الريحين بالعصف و القصف إشاره إلى ما يخصّ هذين المبدئين من القدره،و أمره للريح الثانيه بتصفيق الماء الزخّار و إثاره موج البحار إشاره إلى تحريك العقل الثانى للعقول الّتى بعده إلى إفاضه كمالات الأفلاك باقى التأويل كما فى التأويل الأوّل .

قوله جعل سفلاهنّ مفوفا إلى قوله و سقف سائر و رقيم مائر.

قوله جعل سفلاهنّ مفوفا إلى قوله و سقف سائر و رقيم مائر.

أقول:هاهنا أبحاث.

البحث الأوّل-هذا الكلام يجرى مجرى الشرح و التفسير لقوله فسوّى

لانّ التسويه عباره عن التعديل و الوضع و الهيئه الّتى عليها السماوات إنّما فيهنّ،و الغرض بهذا التفصيل تنبيه الأذهان الغافله عن حكمه الصانع سبحانه فى ملكوت السماوات و بدائع صنعه و ضروب نعمه ليتذكّروا نعمه ربّهم فيواظبوا على عبادته و حمده على تمام ذلك الإحسان كما قال تعالى «تَذْكُرُوا نِعْمَهَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنّا لَهُ مُقْرِنِینَ» ۱فإنّ كلّ هذه نعم على العباد و هى إن كان فيها ما يبعد عن الأذهان الضعيفه كونه نعمه على العباد كحركات السماوات مثلا فإنّى أحسب أنّ كثيرا من الغافلين يقولون:و ما فائده حركه السماء فى حقّنا لكنّه إذا انتبهت أذهانهم لذلك علمت أنّه لو لا تلك الحركه لم يحصل شىء من المركّبات فى هذا العالم أصلا فلم يكن العبد فى نفسه فضلا عمّا يجرى عليه من النعم الخارجه عنه إلّا أنّ تلك الحركه قد تستلزم نعمه هى أقرب إلى العبد من غيرها كالاستضاءه بنور الكواكب و الاهتداء بها فى ظلمات البرّ و البحر و إعدادها الأبدان للصحّه و نحو ذلك،و قد يستلزم نعما اخرى إلى أن يتّصل بالعبد كإعدادها الأرض مثلا لحصول المركّبات الّتى منها قوام حياه العبد،و اعلم أنّ اللّه

سبحانه ذکر أمر السماوات فی کتابه فی مواضع کثیره،و لا شکّ أن إکثاره من ذکرها دلیل عظم شأنها و علی أنّ له سبحانه فیها أسرار لا تصل إلیها عقول البشر إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ قوله علیه السّلام: و علیاهنّ سقفا محفوظا کقوله تعالی «وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً» ۱و قوله تعالی «وَ حَفِظْناها مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ رَجِیمٍ» ۲و قوله «وَ حِفْظاً مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ مارِدٍ» ۳و قوله: و سمکا مرفوعا بغیر عمد تدعمها و لا دسار ینتظمها کقوله تعالی «خَلَقَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها» ۴و قوله «وَ یُمْسِکُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَی الْأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ» ۵و قوله: ثمّ زیّنها بزینه الکواکب و ضیاء الثواقب کقوله تعالی «إِنّا زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِزِینَهٍ الْکَواکِبِ» و قوله: فأجری فیها سراجا مستطیرا و قمرا منیرا کقوله «وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً» ۶

البحث الثانی-فی هذا الفصل استعارات:

الأولی قوله: استعاره جعل سفلاهنّ موجا مکفوفا.

استعار لفظ الموج للسمکه لما بینهما من المشابهه فی العلوّ و الارتفاع و ما یتوهّم من اللون، و قال بعض الشارحین:أراد أنّها کانت فی الاولی موجا ثمّ عقدها و کفّها أی منعها من السقوط،و الثانیه استعاره قوله: سقفا محفوظا استعار لفظ السقف من البیت للسماء فی الأصل لما بینهما من المشابهه فی الارتفاع و الإحاطه ثمّ کثر ذلک الاستعمال حتّی صار اسما من أسماء السماء و یحتمل أن لا یکون منقولا،و أراد بقوله محفوظا أی من الشیاطین قال ابن عبّاس -رضی اللّه عنه-:کانت الشیاطین لا تحجب عن السماوات و کانوا یدخلونها و یختبرون أخبارها فلمّا ولد عیسی علیه السّلام منعوا من ثلاث سماوات فلمّا ولد محمّد صلی اللّه علیه و آله منعوا من السماوات کلّها فما منهم أحد استرق السمع إلاّ رمی بشهاب فلذلک معنی قوله تعالی «وَ حَفِظْناها مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ رَجِیمٍ إِلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِینٌ» و سنشیر إلی سرّ ذلک إنشاء اللّه تعالی.

قوله بغیر عمد تدعمها و لا دسار ینتظمها.

أقول:لمّا كان مقتضى قدره العبد و غايتها إذا تمكّن من بناء بيت و إنشاء سقف أنّه لا بدّ له من أساطين و عمد يقوم عليها ذلك السقف و روابط تشدّ بعضه إلى بعض و كانت قدره الحقّ سبحانه و تعالى أجلّ و أعلى من الحاجه إلى أمثال ذلك أراد أن يشير إلى عظمته سبحانه و قوّه قهره بسلب صفات المخلوقين عنه و شرائط آثارهم عن قدرته و المعنى أنّ هذه الأجرام العظيمه بقيت واقعه فى الجوّ العالى و يستحيل أن يكون وقوفها هناك لذواتها لأنّ الأجسام متساويه فى الجسميّه فلو وجب حصول جسم فى حيّز لوجب حصول كلّ جسم فى ذلك الحيّز و لأنّ الأحياز و الخلاء متشابهه فلا اختصاص فيه لموضوع دون آخر و لا يجوز أن يقال:إنّها معلّقه بجسم آخر و إلاّ لكان الكلام فى وقوف ذلك الجسم فى الجوّ كالكلام فى الأوّل و يلزم التسلسل فلم يبق إلاّ أن يقال:إنّ وقوفها بقدره الصانع الحكيم القادر المختار،و إن قلت:قوله تعالى «تَرَوْنَها» يفهم منه أنّ هناك عمد و لكنّها غير مرئيّه لنا و ذلك ينافى سلبه عليه السّلام للعمد مطلقا قلت:الجواب عنه من وجوه.

أحدها أنّه يحتمل أن يكون قوله «تَرَوْنَها» كلاما مستأنفا و التقدير غير عمد و أنتم ترونها كذلك.

الثانى يحتمل أن يكون فى الكلام تقديم و تأخير كما نقل عن الحسن البصرىّ أنّه قال:التقدير ترونها بغير عمد.

الثالث و هو الألطف ما ذكره الإمام فخر الدين-رحمه اللّه-فقال:إنّ العماد هو ما يعمد عليه و السماوات معتمده و قائمه على قدره اللّه تعالى فكانت هى العمد الّتى لا ترى و ذلك لا ينافى كلامه عليه السّلام الرابع و هو الأحقّ ما ذكرته و هو أنّه قد ثبت فى اصول الفقه أنّ تخصيص الشىء بحكم لا يدلّ على أنّ حكم غيره بخلاف ذلك الحكم فتخصيص العمد المرئيّه للسماوات بالسلب لا يستلزم ثبوت العمد غير المرئيّه لها. استعاره الثالثه الثواقب استعاره فى الأصل للشهب عن الأجسام الّتى يثقب جسما آخر و ينفذ فيه،و وجه المشابهه الّتى لأجلها سمّى الشهاب ثاقبا أنّه يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم جسما لكنّه لكثره الاستعمال فيه صار إطلاقه عليه حقيقه أو قريبا منها .الرابعه استعاره قوله: سراجا مستطيرا استعاره للشمس و وجه المشابهه أنّ

السراج القوىّ المستطير لمّا كان من شأنه أن يضىء ما حوله و ينتشر فى جميع نواحى البيت و يهتدى به من الظلمه كذلك الشمس مضيئه لهذا العالم و يهتدى بها المتصرّف فيه .الخامسه استعاره رقيم استعاره أصليّه للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه ثمّ كثر استعمال هذا اللفظ فى الفلك حتّى صار اسما من أسمائه .

البحث الثالث-

تشبيه اعلم أنّ هذه الاستعارات تستلزم ملاحظه اخرى و هو تشبيه هذا العالم بأسره ببيت واحد فالسماء كقبّه خضراء نصبت على الأرض و جعلت سقفا محفوظا محجوبا عن أن تصل إليه مرده الشياطين كما تحمى غرف البيت بالسهام و الخراب عن مرده اللصوص،ثمّ هو مع غايه علوّه و ارتفاعه غير محمول بعمد يدعمه و لا منظوم بدسار يشدّه بل بقدره صانعه و مبدعه،ثمّ إنّ القبّه متزيّنه بالكواكب و ضيائها الّذى هو أحسن الزينه و أكملها فلو لم يحصل صور الكواكب فى الفلك ليبقى سطحا مظلما فلمّا خلق اللّه تعالى هذه الكواكب المشرقه فى سطحه لا جرم استنار و ازدان بذلك النور و الضوء كما قال ابن عبّاس فى قوله «بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ» أى بضوئها و أنت إذا تأمّلت هذه الكواكب المشرقه المضيئه فى سطح الفلك وجدتها عند النظر إليها كجواهر مرصوصه فى سطح من زمرّد على أوضاع اقتضتها الحكمه أو كما قال:

و كأنّ أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

ثمّ جعل من جملتها كوكبين هما أعظم الكواكب جرما و أشدّها إشراقا و أتمّها ضياء مع اشتمالهما على تمام الحسن و الزينه جعل أحدهما ضياء للنهار و الآخر ضياء للّيل ثمّ لم يجعل ذلك السقف ساكنا بل جعله متحرّكا ليكون أثر صنعه فيه أظهر و صنع حكمته فيه أبدع و لم يجعل ذلك السقف طبقا واحدا بل طباقا أسكن فى كلّ طبق ملاء من جنوده و خواصّ ملكه الّذين ضربت بينهم و بين من دونهم حجب العزّه و أستار القدره فلا يستطيع أحد أن ينظر إليهم فضلا عن أن يتشبّه بمالكهم و خالقهم سبحانه و تعالى عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا هذا هو الحكمه الظاهره الّتى يتنبّه لها من له أدنى فطنه فيحصل منها عبره شامله لأصناف الخلق بحيث إذا لاحظوا مع جزئىّ من جزئيّات آثار هذه القدره أىّ أثر كان استعظم و استحسن من أىّ ملك فرض من ملوك الدنيا لم يكن بينهما

من المناسبه إلّا خيال ضعيف،فإنّ أىّ ملك فرض إذا همّ بوضع بنيان و بالغ فى تحسينه و تزريق سقوفه و ترصيعها بأنواع الجواهر و تزيينه بالأوضاع المعجبه لأبناء نوعه و بذل فيه جهده و استفرغ فيه فكره لم يكن غايته إلّا أن يلحظ ممّا عمله نسبه خياليّه بعيده إلى ظاهر هذا الصنع العجيب و الترتيب اللطيف هذا مع ما اشتمل عليه من الحكم الخفيّه و الأسرار الإلهيّه الّتى يعجز القوى البشريّه عن إدراكها و يحتاج فيها لاح منها إلى لطف قريحه و توقّد ذهن «فَسُبْحانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فانظر أيّها المستبصر بعين بصيرتک المناسبه بين بيتک الّتى تبنيه و هذا البيت العظيم و قس سراجک إلى سراجه و زينتک إلى زينته ثمّ لاحظ مع ذلک أنّه إنّما خلقه لک و لأبناء نوعک ليكون فيه و منه قوام حياتكم و وجودكم و لتستدلّوا بملكوت ما خلق على كمال قدرته و حكمته لترجعوا بذلک إلى حضرته طاهرين من الرجس متشبّهين بسكّان سقف هذا البيت و غرفه لا أنّ له حاجه إليه فإنّه الغنىّ المطلق الّذى لا حاجه به إلى شىء،و العجب من الإنسان أنّه ربما رأى خطّا حسنا أو تزريقا على حائط فلا يزال يتعجّب من حسنه و حذق صانعه ثمّ يرى هذا الصنع العجيب و الإبداع اللطيف فلا يدهشه عظمه صانعه و قدرته و لا يحيّره جلال مبدعه و حكمته .

البحث الرابع-الشرع و البرهان قد تطابقا على أنّ هاهنا تسع أفلاک بعضها فوق

بعض

فمنها سبع سماوات ثمّ الكرسىّ و العرش بعباره الناموس الإلهى ثمّ أكثرها يشتمل على الكواكب و هى أجرام نورانيّه مستديره مصمته مركوزه فى أجرام الأفلاک فأوّل الأفلاک ممّا يلينا ليس فيه من الكواكب إلّا القمر،و ليس فى الثانى إلّا عطارد،و ليس فى الثالث إلّا الزهره،و ليس فى الرابع إلّا الشمس،و ليس فى الخامس إلّا المرّيخ،و ليس فى السادس إلّا المشترى،و ليس فى السابع إلّا زحل،و هذه هى المسمّاه بالكواكب السبعه السياره و ما سواها من الكواكب فيشتمل عليها الفلک الثامن،و أمّا التاسع فخال عن الكواكب و إن كان فليس بمدرک لنا،ثمّ قد دلّ البرهان على أنّ الأفلاک هى المتحرّكه بما فيها من الكواكب و أنّ تلک الحركه دوريّه و كان كلامه عليه السّلام مطابقا لذلک حيث قال: فى فلک دائر و سقف سائر و رقيم مائر .إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ اللّه سبحانه خلق الموجودات كلّها

على أتمّ أنحاء الوجود و أكمله فجميع الموجودات من الأفلاك و مقاديرها و أعدادها و حركاتها المختلفه و هيئاتها و هيئه الأرض و ما عليها من حيوان و نبات و معدن و نحوه إنّما وجد على الوجه الّذى وجد عليه لحصول النظام الكلّى للعالم و لو كان بخلاف ما عليه لكان شرّا،و ناقصا فخلق الأفلاك و الكواكب و ما هى عليه من الحركات و الأوضاع و جعلها أسبابا لحدوث الحوادث فى عالم الكون و الفساد بواسطه كيفيّات تحدثها فيها من حراره و بروده و رطوبه و يبوسه يوجب ذلك امتزاج بعضها ببعض امتزاجات مختلفه و مستعدّه لقبول صور مختلفه من حيوان و نبات و معدن،و أظهر الكواكب تأثيرا هو الشمس و القمر فإنّ بحركه الشمس اليوميّه يحصل النهار و الليل فالنهار هو زمان طلوعها يكون زمان التكسب و الطلب للمعاش الّذى به يحصل قوام الحياه و يكون سببا إلى السعاده الاخرويّه ثمّ إنّها فى مدّه حركتها اليوميّه لا تزال تدور فتغشى جهه بعد جهه حتّى تنتهى إلى المغرب و قد أخذت كلّ جهه من الجهات حظّا من الإشراق و الاستعداد به،و أمّا الليل و هو زمان غروبها فإنّ فيه هدوء الخلق و قرارهم الّذى به تحصل الراحه و انبعات القوّه الهاضمه و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء كما قال تعالى «هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً» ۱«وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً» ۲ثمّ كانت الشمس من جهه ضوئها كسراج يرتفع لأهل كلّ بيت بمقدار حاجتهم ثمّ يرفع عنهم فصار النور و الظلمه على تضادّها متظاهرين على ما فيه مصلحه هذا العالم،و أمّا بحسب حركاتها الجنوبيّه و الشماليّه فقد جعل سبحانه ذلك سببا لإقامه الفصول الأربعه ففى الشتاء تغور الحراره و النبات فيتولّد منها موادّ البحار و يكثر السحاب و الأمطار و يقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحراره الغريزيّه فى البواطن،و فى الربيع تتحرّك الطبائع و تظهر الموادّ المتولدّه فى الشتاء فيطلع النبات و ينوّر الشجر و يهيجّ الحيوان للفساد،و فى الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار و تنحلّ فضول الأبدان و يجفّ وجه الأرض و يتهيّء للبناء و العماره،و فى الحزيف يظهر اليبس و البرد فينتقل فيه الأبدان على التدريج إلى الشتاء فإنّه لو وقع

الانتقال دفعه لهلكت و فسدت،و أمّا القمر فإنّ بحركته تحصل الشهور و الأعوام كما قال سبحانه «لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ» ۱فيتمكّن العبد بالحساب من ترتيب معاشه بالزراعه و الحراثه و إعداد مهمّات الشتاء و الصيف،و باختلاف حاله فى زيادته و نقصانه يختلف أحوال الرطوبات فى هذا العالم،فلو أنّه سبحانه خلق الأفلاك دون الكواكب لكان إن خلقها مظلما لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول و الحرّ و البرد فلم يتمّ فى هذا العالم ما كانت أسبابا فيه من الاستعدادات و لم يتميّز لها فصل عن فصل كما قال تعالى «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» ۲و قوله: «وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و ان خلقها مضيئه تشابه أثرها فى الأمكنه و الأزمنه.بل خلق فيها الكواكب و لم يخلقها ساكنه و إلاّ لأفرط أثرها فى موضع بعينه فيفسد استعداده و يخلو موضع آخر عن التأثيرات، و لمّا تميزّت فصول السنه و لمّا حصل البرد المحتاج إليه و الحرّ المحتاج إليه فلم يتمّ نشو النبات و الحيوان،و على الجمله فالنظام الكلىّ لا يحصل إلاّ بهذا الوجه فهو أكمل أنحاء الوجود كلّ ذلك يدلّ على كمال رحمه اللّه بخلقه و شمول عنايته لهم إذ كان جميع ما ذكرناه من المنافع الحاصله فى هذا العالم مستنده إلى علوّ تدبيره و كمال حكمته كما قال تعالى «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ» ۳لا يقال:السؤال على ما ذكرتم من وجهين أحدهما أنّ الترتيب الّذى ذكرتموه فى تخصيص كلّ فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى «إِنّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَهٍ الْكَواكِبِ» ۴و قوله تعالى «وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ» ۵الثانى أنّ الشهب الثواقب الّتى جعلت رجوما للشياطين على ما نطق به القرآن الكريم إمّا أن يكون من الكواكب الّتى زيّنت بها السماء أو لا تكون،و الأوّل باطل لأنّ هذه الشهب تبطل بالانقضاض و تضمحلّ فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان فناء

الكواكب و نقصان أعدادها،و معلوم أنّه لم يوجد ذلك النقصان البتّه،و الثانى أنّه يشكل بقوله تعالى«انا «زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ» فإنّه نصّ على كون الشهب الّتى جعلت رجوما للشياطين هى تلك المصابيح و الكواكب الّتى زيّنت بها السماء لأنّا نجيب عن الأوّل بأنّه لا تنافى بين ظاهر الآيه و بين ما ذكرناه،و ذلك أنّ السماء الدنيا لمّا كانت لا تحجب ضوء الكواكب و كانت أوهام الخلق حاكمه عند النظر إلى السماء و مشاهده الكواكب بكونها مزيّنه بها لا جرم صحّ قوله تعالى «إِنّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَهٍ الْكَواكِبِ» لأنّ الزينه بها إنّما هى بالنسبه إلى أوهام الخلق للسماء الدنيا،و عن الثانى أنّا نقول:هذه الشهب غير تلك الثواتب الباقيه فأمّا قوله: «زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ» فنقول:كلّ مضىء حصل فى الجوّ العالى أو فى السماء فهو مصباح لأهل الأرض إلاّ أنّ تلك المصابيح منها باقيه على طول الزمان و هو الثوابت و منها متغيّره و هى هذه الشهب الّتى يحدثها اللّه تعالى و يجعلها رجوما للشياطين و يصدق عليها أنها زينه للسماء أيضا باالنسبه إلى أوهامها و باللّه التوفيق .

قوله ثمّ فتق ما بين السماوات و العلى إلى قوله و لا يشيرون إليه بالنظائر

قوله ثمّ فتق ما بين السماوات العلى إلى قوله و لا يشيرون إليه بالنظائر ،و فيه أبحاث.

البحث الأوّل-هذا الفصل أيضا من تمام التفسير

لقوله فسوّى منه سبع سماوات إذ كان ما أشار إليه هاهنا من فتق السماوات إلى طبقاتها و إسكان كلّ طبقه منها ملاء معيّنا من ملائكته هو من تمام التسويه و التعديل لعالم السماوات فإن قلت:لم أخّر ذكر فتق السماوات و إسكان الملائكه لها عن ذكر إجراء الشمس و القمر فيها و تزيينها بالكواكب،و معلوم أنّ فتقها متقدّم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب.قلت:إنّ إشارته عليه السّلام إلى تسويه السماوات إشاره جمليّه فكأنّه قدّر أوّلا أنّ اللّه خلق السماوات كره واحده كما عليه بعض المفسّرين لقوله تعالى «أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً» ثمّ ذكر علياهنّ و سفلاهنّ لجريانهما مجرى السطحين الداخل و الخارج لتلك الكره،ثمّ أشار إلى بعض كمالاتها و هى الكواكب و الشمس و القمر جمله،ثمّ بعد ذلك أراد التفصيل فأشار إلى تفصيلها و تمييز بعضها عن بعض بالفتق،و إسكان كلّ واحده منهنّ ملاء معيّنا من الملائكه ثمّ عقّب

ذلک بتفصیل الملائکه،و لا شکّ أنّ تقدیم الإجمال فی الذکر و تعقیبه بالتفصیل أولی فی الفصاحه و البلاغه فی الخطابه من العکس.إذا عرفت ذلک فنقول:قوله علیه السّلام ثمّ فتق ما بین السماوات العلی کقوله تعالی «أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» ۱و قوله:

فملأهنّ أطوارا من ملائکته منهم سجود لا یرکعون کقوله تعالی «وَ لِلّهِ یَسْجُدُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و قوله: «وَ لَهُ یَسْجُدُونَ» و نحوه و قوله: و صافّون لا یتزایلون کقوله تعالی «وَ إِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ» «وَ الصَّافّاتِ صَفًّا» و قوله: و مسبّحون لا یسأمون کقوله تعالی «یُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا یَسْأَمُونَ» و قوله: و لافتراه الأبدان کقوله تعالی «لا یَفْتُرُونَ» و قوله:

و منهم امناء علی وحیه کقوله تعالی «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ» و قوله: و ألسنه إلی رسله کقوله تعالی «جاعِلِ الْمَلائِکَهِ رُسُلاً» و قوله: مختلفون بقضائه و أمره کقوله «تَنَزَّلُ الْمَلائِکَهُ وَ الرُّوحُ فِیها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ» ۲و قوله تعالی «تَنَزَّلُ الْمَلائِکَهُ وَ الرُّوحُ فِیها» ... «مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» و قوله: و منهم الحفظه لعباده کقوله تعالی «یُرْسِلُ عَلَیْکُمْ حَفَظَهً» ۳و قوله: «وَ إِنَّ عَلَیْکُمْ لَحافِظِینَ» ،و قوله: «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ» ،و قوله: و السدنه لأبواب جنانه کقوله تعالی «وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها» و قوله: و المناسبه لقوائم العرش أکنافهم کقوله تعالی «وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمانِیَهٌ» ۴و قوله: بأجنحتهم کقوله تعالی «أُولِی أَجْنِحَهٍ»

البحث الثانی

اعلم أنّ للناس فی تفسیر قوله «أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» أقوالا:أحدها قال ابن عبّاس و الضحّاک و عطاء و قتاده:

«أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا» شیئا واحدا ملتزمتین ففصّل اللّه بینهما فی الهواء،الثانی قال کعب: «خَلَقَ اللّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» بعضها علی بعض ثمّ خلق ریحا توسّطها ففتحها بها، الثالث قال مجاهد و السدی:کانت السماوات طبقه واحده ففتقها و جعلها سبع سماوات و کذلک الأرض،الرابع قال عکرمه و عطیّه و ابن عبّاس بروایه اخری عنه:إنّ معنی

کون السماء رتقا أنّها کانت لا تمطر و کانت الأرض رتقا أی لا تنبت نباتا ففتق اللّه السماء بالمطر و الأرض بالنبات،و یؤیّد ذلک قوله تعالی بعد ذلک «وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ» و نظیره قوله تعالی «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ» و قوله: «وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ» و قوله تعالی «أَنّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنا فِیها حَبًّا» الآیه،الخامس قال بعض الفضلاء:إنّ معنی قوله «کانَتا رَتْقاً» أی کانت امورا کلیّه فی علم اللّه تعالی و فی اللوح المحفوظ،و قوله «فَفَتَقْناهُما» إشاره إلی تشخّصاتها فی الوجود الخارجیّ و تمییز بعضها عن بعض،و هذا القول مناسب للأقوال الثلاثه الاول و یصحّ تحقیقا لها و یحمل الریح الّتی ذکرها کعب علی أمر اللّه تعالی استعاره لما بینهما من المشابهه فی السرعه،السادس قال بعضهم:إنّ معنی الرتق فی هذه الآیه هو انطباق دائره معدّل النهار علی ذلک البروج ثمّ إنّ الفتق بعد ذلک عباره عن ظهور المیل قالوا:و ممّا یناسب ذلک قول ابن عبّاس و عکرمه فإنّهم لمّا قالوا إنّ معنی کون السماء رتقا أنّها لا تمطر و معنی کون الأرض رتقا أنّها لا تنبت کان الفتق و الرتق بالمعنی الّذی ذکرناه إشاره إلی أسباب ما ذکروه إذ انطباق الدائرتین و هو الرتق یوجب خراب العالم السفلی و عدم المطر،و ظهور المیل الّذی هو الفتق یوجب وجود الفصول و ظهور المطر و النبات و سائر أنواع المرکّبات.إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ قوله علیه السّلام ثمّ فتق ما بین السماوات العلی إنّما هو موافق للأقوال الثلاثه الاول مع القول الخامس و التحقیق به ألیق،و أمّا القول السادس فهو بعید المناسبه لقوله علیه السّلام و بیان ذلک أنّ قوله ثمّ فتق ما بین السماوات العلی إنّما هو فی معرض بیان کیفیّه تخلیق العالم الأعلی و لذلک أردفه و عقّبه بالفاء فی قوله فملأهنّ أطوارا من ملائکته ،و الرتق و الفتق فی هذا القول متأخّر عن کلام الأجرام العلویّه بما فیها و ما یتعلّق بها و لا یقبل تقدّم ظهور المیل بوجه ما علی وجود الملائکه السماویّه و إسکانها أطباق السماوات و باللّه التوفیق.

البحث الثالث-الملائکه علی أنواع کثیره و مراتب متفاوته

،فالمرتبه الاولی الملائکه المقرّبون کما قال تعالی «لَنْ یَسْتَنْکِفَ الْمَسِیحُ أَنْ یَکُونَ عَبْداً لِلّهِ وَ لاَ الْمَلائِکَهُ الْمُقَرَّبُونَ» ١

الثانيه الملائكه الحاملون للعرش كقوله «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ» و قوله «وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ» الثالثه الحافّون حول العرش كما قال تعالى «وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ» ١و قوله«و من حوله»الرابعه ملائكه السماوات و الكرسىّ،الخامسه ملائكه العناصر،السادسه الملائكه الموكّلون بالمركّبات من المعدن و النبات و الحيوان،السابعه الملائكه الحفظه الكرام الكاتبين كما قال تعالى «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ» و يدخل فيهم المعقّبات المشار إليه بقوله تعالى «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ» ،الثامنه ملائكه الجنّه و خزنتها كما قال تعالى «وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ» ،التاسعه ملائكه النار كما قال تعالى «عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ» و قال «عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ» و قال «وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلاّ مَلائِكَةً» إذا عرفت ذلك فنقول اتّفق الكلّ على أنّ الملائكه ليس عباره عن أشخاص جسمانيّه كثيفه تجىء و تذهب كالناس و البهائم بل القول المحصّل فيها قولان:الأوّل هو قول المتكلّمين إنّها أجسام نورانيّه إلهيّه خيّره سعيده قادره على التصرّفات السريعه و الأفعال الشاقّه ذوات عقول و أفهام و بعضها أقرب عند اللّه من البعض و أكمل درجه كما قال تعالى حكايه عنهم «وَ ما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» ٢،و القول الثانى قول غيرهم و هى أنّها ليست بأجسام لكنّ منها ما هو مجرّد عن الجسميّه و عن تدبير الأجسام،و منها من له الأمر الأوّل دون الثانى،و منها من ليس بمجرّد بل جسمانىّ حالّ فى الأجسام و قائم بها و لهم فى تنزيل المراتب المذكوره على قولهم تفصيل،أمّا المقرّبون فإشاره إلى الذوات المقدّسه عن الجسميّه و الجهه و عن حاجتها إلى القيام بها و عن تدبيرها،و أمّا حمله العرش فالأرواح الموكّله بتدبير العرش،و قيل هم الثمانيه المذكوره فى القرآن الكريم« «وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ» »و هم رؤساء الملائكه المدّبرين للكرسىّ و السماوات السبع،و ذلك أنّ هذه الأجرام لها كالأبدان فهى بأبدانها أشخاص حاملون للعرش فوقهم،و أمّا الحافّون حول العرش هى الأرواح الحامله للكرسى، و الموكّله و المتصرّفه فيه،و أمّا ملائكه السماوات فالأرواح الموكّله بها و المتعرّفه فيها

بالتحریک و الإراده بإذن اللّه عزّ و جلّ،کذلک ملائکه العناصر و الجبال و البحار و البراری و الغفار و سائر المرکّبات من المعدن و النبات و الحیوان المسخّر کلّ منها لفعله المخصوص علی اختلاف مراتبها،فأمّا الملائکه الحافظون الکرام الکاتبون فلهم فیها أقوال.أحدها قال بعضهم:إنّ اللّه تعالی خلط الطبائع المتضادّه و مزّج بین العناصر المتنافره حتّی استعدّ ذلک الممتزج بسبب ذلک الامتزاج لقبول النفس المدبّره و القوی الحسیّه و المحرّکه، فالمراد بتلک الحفظه الّتی أرسلها اللّه هی تلک النفوس و القوی الّتی یحفظ تلک الطبائع المقهوره علی امتزاجاتها و هی الضابطه علی أنفسها أعمالها،و المکتوب فی ألواحها صور ما تفعله لتشهد به علی أنفسها یوم القیامه کما قال تعالی «قالُوا شَهِدْنا عَلی أَنْفُسِنا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَیاهُ الدُّنْیا وَ شَهِدُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ کانُوا کافِرِینَ» ۱و هی المعقّبات من بین یدی الإنسان و من خلفه الحافظون له من أمر اللّه،و قیل:الحفظه للعباد غیر الحفظه علی العباد و الکاتبین لأعمالهم،و سنشیر إلی ذلک.و الثانی قال بعض القدماء:إنّ هذه النفوس البشریّه و الأرواح الإنسانیّه مختلفه بجواهرها،فبعضها خیّره و بعضها شریره،و کذا القول فی البلاده و الزکاء و الفجور و العفّه و الحریّه و النذاله و الشرف و الدنائه،و غیرها من الهیئات،و لکلّ طائفه من هذه الأرواح السفلیّه روح سماویّ هو لها کالأب المشفق و السیّد الرحیم یعینها علی مهمّاتها فی یقظتها و مناماتها تاره علی سبیل الرؤیا و اخری علی سبیل الإلهامات،و هی مبدء لما یحدث فیها من خیر و شرّ،و تعرف تلک المبادیء فی مصطلحهم بالطیاع التامّ یعنی أنّ تلک الأرواح الفلکیّه فی تلک الطباع و الأخلاق تامّه کامله بالنسبه إلی هذه الأرواح السفلیّه و هی الحافظه لها و علیها کما قال تعالی «فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَهٍ مَرْفُوعَهٍ مُطَهَّرَهٍ بِأَیْدِی سَفَرَهٍ کِرامٍ بَرَرَهٍ» ۲الثالث قول بعضهم:إنّ للنفوس المتعلّقه بهذه الأجساد مشاکله و مشابهه مع النفوس المفارقه عن الأجساد فیکون لتلک المفارقه میل إلی النفوس الّتی لم تفارق فیکون لها تعلّق أیضا بوجه ما بهذه الأبدان بسبب ما بینها و بین نفوسها من المشابهه و الموافقه فتصیر معاونه لهذه النفوس علی مقتضی طباعها،و شاهده علیها کما قال تعالی:

«ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» ...- «وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ» ١،و أمّا ملائكه الجنّه فاعلم أنّ الجنان المذكوره فى القرآن ثمان،و هى جنّه النعيم و جنّه الفردوس و جنّه الخلد و جنّه المأوى و جنّه عدن و دار السلام و دار القرار «وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» ،و من وراء الكلّ عرش الرحمن ذى الجلال و الإكرام.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ لهذه الجنان سكّانا و خزّانا من الملائكه،أمّا السكّان فهم «الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ» و لا يستحضرون «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ» و هم الّذين يتلّقون عباد اللّه الصالحين المخلصين بالشفقه و البشاره بالجنّه،و ذلك أنّ الإنسان الطائع إذا اكملت طاعته و بلغ النهايه فى الصوره الإنسانيّه و استحقّ بأعماله الصالحه و ما اكتسبه من الأفعال الزكيّه صوره ملكيّه و رتبه سماويّه تلقّيه الملائكه الطيّبون بالرأفه و الرحمه و الشفقه،و تقبّلوه بالروح و الريحان،و قبلوه كما تقبل القوابل و الدايات أولاد الملوك بفاخر امور الدنيا و طيّبات روائحها من مناديل السندس و الإستبرق،و بالفرح و السرور مرّوا به إلى الجنّه فيعاين من البهجه و السرور ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر،و يبقى معهم عالما درّاكا ما شاء ربّك عطاء غير مجذوذ،و يتّصل بإخوانه المؤمنين فى الدنيا أخباره و أحواله و يتراءى لهم فى مناماتهم بالبشاره و السعاده و حسن المنقلب،و إذا كان يوم القيامه الكبرى عرجت به ملائكه الرحمه إلى جنان النعيم و السرور المقيم لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموته الاولى فى غرف من فوقها غرف مبنيّه تجرى من تحتهم الأنهار «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» .قال بعض حكماء الإسلام:إنّ تلك الملائكه المتلّقيه له بالروح و الريحان هى روحانيّات الزهره و المشترى و كأنّ القائل يقول:إنّ النفوس الإنسانيّه السعيده إذا فارقت أبدانها و حملت القوّه المتوهّمه معها و الهيئات المتخيّله الّتى حصلت من الوعد الكريم فى دار الدنيا من الجنان و الحدائق و الأنهار و الأثمار و الحور العين و الكأس المعين و اللؤلؤ و المرجان و الولدان و الغلمان فإنّه يفاض عليها بحسب استعدادها و طهارتها و رجاء ثواب الآخره صور عقليّه فى غايه البهاء و الزينه مناسبه لما كانت متخيّله من الامور المذكوره مناسبه ما،و لمّا كان لهذين الكوكبين أثر تامّ فى إعداد النفوس

للمتخيّلات البهيّه الحسنه و للفرح و السرور كما ينسب فى المشهور إلى روحانيّتهما من الأفعال الحسنه نسب تلقّى الإنسان بعد المفارقه بالرأفه و الرحمه و الشفقه إلى روحانيّتهما،و اللّه أعلم،و أمّا الخزنه للجنان فيشبه أن يكون هم السكّان لها أيضا باعتبار آخر،و ذلك أنّه لمّا كان الخازن هو المتولّى لأحوال أبواب الخزانه بفتحها و تفريق ما فيها على مستحقّها بإذن ربّ الخزانه و مالكها و غلقها و منعها عن غير مستحقّها و كانت الملائكه هم المتولّون لإفاضه الكمالات و تفريق ضروب الإحسان و النعم على مستحقيّها و حفظها و منعها من غير مستحقّيها و المستعدّين بالطاعه لها بإذن اللّه و حكمته لا جرم صدق أنّهم خزّان الجنان بهذا الاعتبار،و هم الّذين يدخلون على المؤمنين من كلّ باب «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ» .قال بعض الفضلاء:إنّ العبد إذا راض نفسه حتّى استكمل مراتب القوّه النظريه و مراتب القوّه العمليّه فإنّه يستعدّ بكلّ مرتبه من تلك المراتب لكمال خاصّ يفاض عليه من اللّه تعالى و يأتيه الملائكه فيدخلون عليه من كلّ باب من تلك الأبواب فالملك الّذى يدخل على الإنسان منه رضاء اللّه كما قال تعالى «رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ» هو رضوان خازن الجنان و اللّه أعلم،و أمّا ملائكه النار فقال بعض الفضلاء:هى تسعه عشر نوعا من الزبانيه لا يعصون اللّه ما أمرهم و هم الخمسه الّذين ذكرنا أنّهم يوردون عليه الأخبار من خارج، و رئيسهم و الخازنان و الحاجب و الملك المتصرّف بين يديه بإذن ربّه،و ملكا الغضب و الشهوه، و السبعه الموكّلون بأمر الغذاء و ذلك أنّه إذا كان يوم الطامّه الكبرى و كان الإنسان ممّن طغى و آثر الحياه الدنيا حتّى كانت الجحيم هى المأوى كانت اولئك التسعه عشر من الزبانيه هم الناقلين له إلى الهاويه بسبب ما استكثر من المشتهيات،و اقترف من السيّئات و أعرض عن قوله تعالى «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى وَ أَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى» و اعلم وفّقك اللّه أنّ هؤلاء الّذين ذكر هذا القائل أنّهم ملائكه النار ربّما كانوا أيضا مع إنسان آخر من ملائكه الجنان و ذلك إذا استخدمهم ذلك الإنسان فى دار الدنيا على وفق أوامر اللّه و أوفقهم على طاعه اللّه دون أن يطلب منهم فوق ما خلقو الأجله و امروا به من طاعته و يعبّر بهم إلى معصيه اللّه و ارتكاب نواهيه و محارمه و باللّه التوفيق.

البحث الرابع-أنّه عليه السّلام ذكر من الملائكه أنواعا

مجاز من باب إطلاق لفظ الملزوم على لازمه و أشار بالسجود و الركوع و الصفّ و التسبيح إلى تفاوت مراتبهم فى العباده و الخشوع،و ذلك أنّ اللّه سبحانه قد خصّ كلاّ منهم بمرتبه معيّنه من الكمال فى العلم و القدره لا يصل إليها من دونه،و كلّ من كانت نعمه اللّه عليه أكمل و أتمّ كانت عبادته أعلى و طاعته أوفى ثمّ إنّ السجود و الركوع و الصفّ و التسبيح عبادات متعارفه بين الخلق و متفاوته فى استلزام كمال الخضوع و الخشوع،و لا يمكن حملها على ظواهرها المفهومه منها لأنّ وضع الجبهه على الأرض و انحناء الظهر و الوقوف فى خطّ واحد و حركه اللسان بالتسبيح امور مبتيّه على وجود هذه الآلات الّتى هى خاصّه بعض الحيوانات فبالحرىّ أن يحمل تفاوت المراتب المذكوره لهم على تفاوت كمالاتهم فى الخضوع و الخشوع لكبرياء اللّه و عظيمته إطلاقا للّفظ الملزوم على لازمه على أنّ السجود فى اللغه هو الانقياد و الخضوع كما مرّ.إذا عرفت ذلك فنقول:يحتمل أن يكون قوله عليه السّلام منهم سجود إشاره إلى مرتبه الملائكه المقرّبين لأنّ درجتهم أكمل درجات الملائكه فكانت نسبه عبادتهم و خضوعهم إلى خضوع من دونهم كنسبه خضوع السجود إلى خضوع الركوع.فإن قلت إنّه قد تقدّم أنّ الملائكه المقرّبين مبرّؤن عن تدبير الأجسام و التعلّق بها فكيف يستقيم أن يكونوا من سكّان السماوات و من الأطوار الّذين ملئت بهم.قلت:إنّ علاقه الشيء بالشيء و إضافته إليه يكفى فيها أدنى مناسبه بينهما،و المناسبه هاهنا حاصله بين الأجرام السماويّه و بين هذا الطور من الملائكه و هى مناسبه العلّه للمعلول أو الشرط للمشروط فكما جاز أن ينسب البارى جلّ جلاله إلى الاختصاص بالعرش و الاستواء عليه فى لفظ القرآن الكريم مع تنزيهه تعالى و تقدّسه من هذا الظاهر و لم يجر فى الحكمه أن يكشف للخلق من عظمه الحقّ سبحانه أكثر من هذا القدر فكذلك جاز أن ينسب الملائكه المقرّبون إلى الكون فى السماوات بطريق الأولى و إن تنزّهوا عن الأجسام و تدبيرها لأنّ عليّا عليه السّلام قاصد قصد الرسول صلى اللّه عليه و آله و قصد القرآن الكريم و ناطق به فليس له أن يفصح بما تنبوا عنه الأفهام،و باللّه التوفيق.

قوله و ركوع يشبه أن يكون إشاره إلى حمله العرش إذا كانوا أكمل ممّن دونهم فكانت نسبه عبادتهم الى عباده من دونهم كنسبه خضوع الركوع إلى خضوع الصفّ.

قوله و صافّون يحتمل أن يكون إشاره إلى الملائكه الحافّين من حول العرش قيل:

إنّهم يقفون صفوفا لأداء العباده كما أخبر تعالى عنهم «وَ إِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ» و تحقيق ذلك أنّ لكلّ واحد منهم مرتبه معيّنه و درجه معيّنه من الكمال يخصّه و تلك الدرجات باقيه غير متغيّره و ذلك يشبه الصفوف،و ممّا يؤيّد القول بأنّهم الحافّون حول العرش ما جاء فى الخبر أنّ حول العرش سبعين ألف صفّ قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل و التكبير و من ورائهم مائه ألف صفّ قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلاّ و هو يسبّح.

قوله و مسبّحون يحتمل أن يكون المراد بهم الصافّون و غيرهم من الملائكه،و الواو العاطفه و إن اقتضت المغائره إلاّ أن المغائره حاصله إذ هم من حيث هم صافّون غيرهم من حيث هم مسبّحون و تعدّد هذه الاعتبارات يسوّغ تعديد الأقسام بحسبها و عطف بعضها على بعض،و يؤيّد ذلك الجمع بين كونهم صافّين و بين كونهم مسبّحين فى قوله تعالى «وَ إِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَ إِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» و يحتمل أن يريد نوعا و أنواعا اخر من ملائكه السماوات،فأمّا سلب الركوع عن الساجدين،و سلب الانتصاب عن الراكعين،و سلب المزائله عن الصافّين،و سلب السأم عن المسبّحين فإشاره إلى كمال فى مراتبهم المعينّه كلّ بالنسبه إلى من هو دونه و تأكيد لها بعدم النقصانات اللاحقه فإنّ الركوع و إن كان عباده إلاّ أنّه نقصان بالنسبه إلى السجود،و الانتصاب نقصان فى درجه الراكع بالنسبه إلى ركوعه،و كذلك التزايل عن مرتبه الصفّ نقص فيها، و كذلك السأم فى التسبيح نقصان فيه و إعراض عن الجهه المقصوده به و أيضا فالسأم و الملال عباره عن إعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعيّه عن أفعالها،و ذلك غير متصوّر فى حقّ الملائكه السماويّه،و أمّا سلب غشيان النوم عنهم فى قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو ظاهر الصدق،و بيانه أنّ غشيان النوم لهم مستلزم لصحّه النوم عليهم و اللازم باطل فى حقّهم فالملزوم مثله أمّا الملازمه فظاهره،و أمّا بطلان اللازم فلأنّ النوم عباره عن تعطيل الحواسّ الظاهره عن أفعالها لعدم انصباب الروح النفسانىّ إليها و رجوعها بعد الكلال و الضعف،و الملائكه السماويّه منزّهون عن هذه الأسباب و الآلات،فوجب أن يكون النوم غير صحيح فى حقهم فوجب أن لا يغشاهم،و أمّا سلب سهو العقول و غفله النسيان،فاعلم أنّ الغفله عباره عن

عدم التفطّن للشیء و عدم تعقّله بالفعل و هی أعمّ من السهو و النسیان و کالجنس لهما،بیان ذلک أنّ السهو هو الغفله عن الشیء مع بقاء صورته أو معناه فی الخیال أو الذکر بسبب اشتغال النفس و التفاتها إلی بعض مهّماتها،و أمّا النسیان فهو الغفله عنه مع انمحاء صورته أو معناه عن إحدی الخزانتین بالکلّیه و لذلک یحتاج الناسی للشیء إلی تجشّم کسب جدید و کلفه فی تحصیله ثانیا،و بهذا یظهر الفرق بین الغفله و السهو و النسیان،و إذا عرفت ذلک ظهر أنّ هذه الامور الثلاثه من لواحق القوی الإنسانیّه فوجب أن تکون مسلوبه عن الملائکه السماویّه لسلب معروضاتها عنهم،و لمّا ذکر سهو العقول و نفاه عنهم أردفه بسلب ما هو أعمّ منه و هو الغفله لاستلزام سلبها سلب النسیان،و قد کان ذلک کافیا فی سلب النسیان إلاّ أنّه أضاف الغفله إلیه لیتأکّد سلبه بسلبها،و أمّا قوله و لا فتره الأبدان ،فلأنّ الفتره هی وقوف الأعضاء البدنیّه عن العمل و قصورها بسبب تحلّل الأرواح البدنیّه و ضعفها و رجوعها للاستراحه،و کلّ ذلک من توابع المزاج الحیوانیّ فلا جرم صدق سلبها عنهم.

قوله و منهم امناء علی وحیه و ألسنه إلی رسله مختلفون بقضائه و أمره یشبه أن یکون هذا القسم داخلا فی الأقسام السابقه من الملائکه،و إنّما ذکره ثانیا باعتبار وصف الأمانه علی الوحی و الرساله و الاختلاف بالأمر إلی الأنبیاء علیهم السلام و غیرهم لأنّ من جمله الملائکه المرسلین جبرئیل علیه السلام و هو من الملائکه المقرّبین،و اعلم أنّه لمّا ثبت أنّ الوحی و سائر الإفاضات من اللّه تعالی علی عباده إنّما هو بواسطه الملائکه کما علمت کیفیّه ذلک لا جرم صدق أنّ منهم امناء علی وحیه و ألسنه إلی رسله إذ کان الأمین هو الحافظ لما کلّف بحفظه علی ما هو علیه لیؤدّیه إلی مستحقّه،و إفاضه الوحی النازل بواسطه الملائکه محفوظه نازله کما هی مبرّاه عن الخلل الصادره عن سهو لعدم معروضات السهو هناک أو عن عمد لعدم الداعی إلیه و لقوله تعالی «یَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ یَفْعَلُونَ ما یُؤْمَرُونَ» ١استعاره و أمّا کونهم ألسنه إلی رسله فهی استعاره حسنه إذ یقال:فلان لسان قومه أی المفصح عن أحوالهم و المخاطب عنهم فیطلق علیه اسم اللسان لکونه مفصحا عمّا فی النفس،و لمّا کانت الملائکه وسائط بین الحقّ سبحانه و بین رسله فی تأدیه خطابه الکریم إلیهم لا جرم حسن استعاره

هذا اللفظ لهم لمكان المشابهه ،و المراد هاهنا بالاختلاف التردّد بأمر اللّه و ما قضى به مرّه بعد اخرى و بالقضاء الامور المقضيّه إذ يقال:هذا قضاء اللّه أى مقضىّ اللّه،و لا يراد به المصدر فإنّ معنى ذلك هو سطر ما كان و ما يكون فى اللوح المحفوظ بالقلم الإلهى و ذلك أمر قد فرغ منه كما قال صلى اللّه عليه و آله:جفّ القلم بما هو كائن،فإن قلت:كيف يصحّ أن يكون هذا القسم داخلا فى السجود لأنّ من كان أبدا ساجدا كيف يتصورّ أن يكون مع ذلك متردّدا فى الرساله و النزول و الصعود مختلفا بالأوامر و النواهى إلى الرسل عليهم السلام قلت:إنّا بيّنا أنّه ليس المراد بسجود الملائكه هو وضع الجبهه على الأرض بالكيفيه الّتى نحن عليها، و انّما هو عباره عن كمال عبوديّتهم للّه تعالى و خضوعهم تحت قدرته و ذلّتهم فى الإمكان و الحاجه تحت ملك وجوب وجوده،و معلوم أنّه ليس بين السجود بهذا المعنى و بين تردّدهم بأوامر اللّه تعالى و اختلافهم بقضائه على وفق مشيئته و أمره منافاه بل كلّ ذلك من كمال عبوديّتهم و خضوعهم لعزّته و اعترافهم بكمال عظمته.

قوله و منهم الحفظه لعباده .فاعلم أنّ فى هذا القسم مطلوبين أحدهما ما الحفظه؟، و الثانى ما المراد منهم؟ثمّ الحفظه منهم حفظه للعباد كما قال تعالى «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ» ١و منهم حفظه على العباد كما قال تعالى «وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» و المراد من الأوّلين حفظ العباد بأمر اللّه تعالى من الآفات الّتى تعرض لهم و من الآخرين ضبط الأعمال و الأقوال من الطاعات و المعاصى كما قال «كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ» و كقوله «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» قال ابن عبّاس:إنّ مع كلّ إنسان ملكين أحدهما على يمينه و الآخر على يساره فإذا تكلّم الإنسان بحسنه كتبها من على يمينه،و إذا تكلّم بسيّئه قال من على اليمين لمن على اليسار:انتظر لعلّه يتوب منها فإن لم يتب كتبت عليه قال المفسّرون:فائده ذلك أنّ المكلّف إذا علم أنّ الملائكه موكّلون به يحضرون عليه أعماله و يكتبونها فى صحائف تعرض على رؤس الأشهاد فى موقف القيامه كان ذلك أزجر له عن القبائح،و اعلم أنّه يحتمل أن يكون التعدّد المذكور فى الحفظه تعدّدا بحسب الذوات،و يحتمل أن يكون بحسب الاعتبار.قال بعض من زعم أنّ

الحفظه للعباد هی القوی الّتی أرسلها اللّه تعالی من سماء جوده علی الأبدان البشریّه:

یحتمل أن یکون الحفظه علی العباد هی مبادئ تلک القوی،و یکون معنی کتبه السیّئات و الحسنات و ضبطهما علی العباد إمّا باعتبار ما یصدر و یتعدّد عن العبد من السیّئات و الحسنات فی علم تلک المبادیء أو یکون معناها کتبه صور الأفعال الخیریّه و الشریه إلی العبد بقلم الإفاضه فی لوح نفسه بحسب استعدادها لذلک قال:و یشبه أن تکون إشاره ابن عبّاس بانتظار ملک الیسار کاتب السیّئات توبه العبد إلی أنّه ما دامت السیّئه حاله غیر ممکنه من جوهر نفس العبد فإنّ رحمه اللّه تعالی تسعه فإذا تاب من تلک السیّئه لم تکتب فی لوح نفسه،و إن لم یتب حتّی صارت ملکه راسخه فی نفسه کتبت و عذّب بها یوم تقوم الساعه.قال:و یحتمل أن یکون الحفظه علی العباد هم بأعیانهم من الحفظه لهم فإنّ النفس تحفظ فی جوهرها ما یفعله من خیر و شرّ و تحصیه یوم البعث علی نفسها إذا زالت عنها الغواشی البدنیّه و تجده مصوّرا مفصّلا لا تغیب عنها منه شیء کما قال تعالی «یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَها وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً» ۱و کما قال تعالی «وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ کِتاباً یَلْقاهُ مَنْشُوراً اِقْرَأْ کِتابَکَ کَفی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً» ۲و کما قال «إِذا بُعْثِرَ ما فِی الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ ما فِی الصُّدُورِ» ۳و قال:

و أمّا معنی کونهم من ملائکه السماء فلأنّ أصلهم من ملائکه السماء ثمّ ارسلوا إلی الأرض، و اللّه اعلم،و أمّا السدنه لأبواب جنانه فقد عرفت ما قیل فیهم.

قوله فمنهم الثابته فی الأرضیین السفلی أقدامهم المارقه من السماء العلیا أعناقهم و الخارجه من الأرکان أقطارهم و المناسبه لقوائم العرش أکنافهم :فاعلم أنّ هذه الأوصاف وردت فی صفه الملائکه الحاملین للعرش فی کثیر من الأخبار فیشبه أن یکونوا هم المقصودون بها هاهنا،و روی عن میسره أنّه قال:أرجلهم فی الأرض السفلی رؤسهم قد خرقت العرش و هم خشوع لا یرفعون طرفهم و هم أشدّ خوفا من أهل السماء السابعه،و أهل السماء السابعه أشدّ خوفا من أهل السماء السادسه و هکذا إلی سماء الدنیا،و عن ابن عباس قال:قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:لا تتفکرّوا فی عظمه ربّکم و لکن تفکّروا فیما خلق من الملائکه فإنّ خلقا منهم یقال له إسرافیل زاویه من زوایا العرش علی کاهله و قدماه فی الأرض السفلی و قد مرق رأسه

من سبع سماوات و أنّه ليتضاءل من عظمه اللّه حتّى يصير كأنّه الوصع،و الوصع طائر صغير، و عن ابن عبّاس أيضا أنّه قال:لمّا خلق اللّه تعالى حمله العرش قال لهم احملوا عرشى فلم يطيقوا فقال لهم:قولوا لا حول و «لا قُوَّةَ إِلاّ بِاللّهِ» فلمّا قالوا ذلك استقل فنفذت أقدامهم فى الأرض السابعه على متن الثرى فلم تستقرّ فكتب فى قدم كلّ ملك منهم اسما من أسمائه فاستّقرت أقدامهم،و وجه هذا الخبر أنّ وجودهم و بقائهم و حولهم و قوّتهم الّتى بها هم على ما هم إنّما هو من حوله و قوّته و هيبته فلو أنّه سبحانه خلقهم و قال لهم:احملوا عرشى و لم تكن لهم استعانه و لا مدد بحول اللّه و قوّته و معونه لم ينتهضوا بحمل ذرّه من ذرّاه مبدعاته و مكوّناته فضلا عن تدبير العرش الّذى هو أعظم الأجرام الموجوده فى العام.إذا عرفت ذلك فنقول:

أمّا من قال بأنّ الملائكه أجسام كان حمل صفاتهم المذكوره فى هذه الأخبار فى كلامه عليه السلام على ظاهرها أمرا ممكنا و أنّه تعالى قادر على جميع الممكنات،و أمّا من نزههم عن الجسميّه فقال إنّ اللّه سبحانه لمّا خلق الملائكه السماويّه مسخّرين لأجرام السماوات مدبّرين لعالمنا عالم الكون و الفساد و أسبابا لما يحدث فيه كانوا محيطين بإذن اللّه علما بما فى السماوات و الأرض فلا جرم كان منهم من ثبت فى تخوم الأرض السفلى أقدام إدراكاتهم الّتى ثبتت و استقرّت باسم اللّه الأعظم و علمه الأعزّ الأكرم و نفذت فى بواطن الوجودات الموجودات خبر او مرقت من السماء العليا أعناق عقولهم و خرجت من أقطارها أركان قواهم العقليّه،و قوله المناسبه لقوائم العرش أكتافهم يريد أنّهم مشبّهون و مناسبون لقوائم العرش فى بقائهم و ثباتهم عن الزائل من تحته أبدا إلى «ما شاءَ اللّهُ» .فإن قلت:فهل هناك قوائم غير الحاملين للعرش الّذى أشار إليهم،و تكون هذه الطائفه من الملائكه مناسبه لتلك القوائم أم لا قلت:قد جاء فى الخبر أنّ العرش له قوائم،روى عن جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عليه السلام عن جدّه صلى اللّه عليه و آله أنّه قال:إنّ بين القائمين من قوائم العرش و القائمه الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام قال بعض المحقّقين:إنّ هناك قوائم ثمان قد فوّض اللّه تعالى إلى كلّ ملك من الملائكه الثمانيه الحاملين للعرش تدبير قائمه منها و حملها و وكلّه بها.إذا عرفت ذلك فنقول: استعاره يحتمل أن يكون قد أشار عليه السلام بقوله تلك القوائم و وجه المناسبه أنّ الكتف لمّا كان محلّ القوّه و الشدّه استعاره عليه السلام هاهنا للقوّه و القدره الّتى يخصّ كلّ ملك من

تلک الملائکه و بها یـدبّر تلک القوائم من العرش،و لا شکّ أنّ بین کلّ قائمه من تلک القوائم و بین کلّ قدره من تلک القدره مناسـبه ما لأجلها خصّ اللّه سبحانه ذلک الملک بحمل تلک القائمه و ذلک معنی قوله المناسبه لقوائم العرش أکتافهم و یحتمل أن یکون کما اسـتعار لهم لفظ الأقدام اسـتعار لهم أیضا لفظ الأکتاف ثمّ شبّه قیامهم بأمر اللّه فی حملهم للعرش بقیام الأساطین الّتی یبنی علیهـا الواحـد منّا عرشه فهم مناسـبون مشـابهون لقوائم العرش الّتی یبنی علیها من غیر أن یکون هناک تعرّض لإثبات قوائم بل ما یشبه القوائم .

کنایه قوله ناکسه دونه أبصارهم متلفعّون تحته بأجنحتهم :الضـمیران فی دونه و تحته راجعان إلی العرش و قـد جاء فی الخبر عن وهب ابن منبّه قـال:إنّ لکـلّ ملـک من حمله العرش و من حوله أربعه أجنحه أمّـا جناحان فعلی وجهه مخافه أن ینظر إلی العرش فیصـعق و أمّا جناحان فیفهوا بهما لیس لهم کلام إلاّ التسبیح و التحمید،و کنی علیه السـلام بنکس أبصارهم عن کمال خشـیتهم للّه تعـالی و اعترافهم بقصور أبصـار عقولهم عن إدراک ما وراء کمالاتهم المقـدّره لهم و ضـعفها عمّا لا یحتمله من أنوار اللّه و عظمته المشاهده فی خلق عرشه و ما فوقهم من مبدعاته فإنّ شـعاع أبصارهم منته واقف دون حجب عزّه اللّه .و عن برید الرقاشیّ أنّ للّه تعالی ملائکه حول العرش یسموّن المخلخلین تجری أعینهم مثل الأنهار إلی یوم القیامه یمیدون کأنّما تنقضهم الریاح من خشیه اللّه تعـالی فیقول لهم الربّ جـل جلالـه ملائکتی مـا الّـذی یخیفکم؟فیقولون:ربّنا لو أنّ أهل الأرض اطّلعوا من عزّتک و عظمتک علی ما اطّلعنا علیه ما ساغوا طعاما و لا شـرابا و لا انبسـطوا فی فرشهم و لخرجوا إلی الصحراء یخورون کما یخور الثور، اسـتعاره و اعلم أنّه لمّـا کان الجناح من الطائر و الإنسان عباره عن محل القوّه و القـدره و البطش صـحّ أن یسـتعار للملائکه علی سبیل الکنایه عن کمالهم فی قـدرتهم و قوّتهم الّتی یطیرون فی بیـداء جلال اللّه و عظمته و تصـدر بواسـطتهم کمالات ما دونهم من مخلوقات اللّه، و صـحّ أن توصف تلک الأجنحه بالقلّه و الکثره فی آحادهم،و یکون ذلک کنایه عن تفاوت قرابتهم و زیاده کمال بعضـهم علی بعض،و لمّا اسـتعار لفظ الأجنحه استلزم ذلک أن یکون قد شبّههم بالطائر ذی الجناح،ثمّ لمّا کان الطائر عند قبض جنـاحه یشبـه المتلفّع بثـوبه و الملتحـف به و کـانت أجنحه الملائکه الّتی هی عبـاره عن کمـا لهم فی قـدرهم و علومهم مقبوضه

ص:۱۶۶

قاصره عن التعلّق بمثل مقدورات اللّه و مبدعاته واقفه دون جلاله و عظمته فى صنعه لا جرم أشبه ذلک قبض الأجنحه المشبّه للتلفّع بالثوب فاستعار علیه السلام لفظ التلفع أیضا و کنّی به عن کمال خضوعهم و انقهارهم تحت سلطان الله و قوّته و المشاهده فی صوره عرشه.فإن قلت:إنّک بیّنت أنّ المراد بالرکوع هم حمله العرش فکیف یستقیم مع ذلک أن یقال إنّ هذا القسم هم حمله العرش أیضا فإنّ من کان أقدامهم فی تخوم الأرضین،و أعناقهم خارجه من السماوات السبع و من الکرسیّ و العرش کیف یکون مع ذلک راکعا؟قلت:الجواب عنه قد سبق فی قوله و منهم امناء علی وحیه فإنّ الرکوع أیضا المقصود منه الخشوع لعزّ اللّه و عظمته و ذلک غیر مناف للأوصاف المذکوره هاهنا ،و باللّه التوفیق .

قوله مضروبه بینهم و بین من دونهم حجب العزّه و أستار القدره إشاره إلی أنّ الآلات البشریّه قاصره عن إدراکهم و الوصول إلیهم،و ذلک لتنزّههم عن الجسمیّه و الجهه و قربهم من عزّه مبدعهم الأوّل جلّ جلاله،و بعد القوی الإنسانیّه عن الوقوف علی أطوارهم المختلفه و مراتبهم المتفاوته،و إذا کان الحال فی الملک العظیم من ملوک الدنیا إذا بلغ فی التعزّز و التعظیم إلی حیث لا یراه إلاّ أجلاء خواصّه،و کان الحال أیضا فی بعض خواصّه کذلک کالوزیر و الحاجب و الندیم فإنّهم لا یصل إلیهم کلّ الناس بل لا یصل إلیهم إلاّ من کانت له إلیهم وسیله تامّه و علاقه قویّه و کان منشأ ذلک إنّما هو عظمه الملک و هیبته و قربهم منه فکان الحائل بینهم و بین غیرهم إنّما هو حجب عزّه الملک و أستار قدرته و قهره،فکیف الحال فی جبّار الجبابره و مالک الدنیا و الآخره،و حال ملائکته المقرّبین و من یلیهم من حمله العرش الروحانیّین،فبالحریّ أن ینسب عدم وصول قوانا الضعیفه إلیهم و إدراکها لمراتبهم إلی حجب عزّه اللّه و عظمته لهم و کمال ملکه و تمام قدرته و ما أهلّهم له من قربه و مطالعه أنوار کبریائه عزّ سلطانه و «اللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ » .

قوله و لا یتوهّمون ربّهم بالتصویر إشاره إلی تنزیههم عن الإدراکات الوهمیّه و الخیالیّه فی حقّ مبدعهم عزّ سلطانه إذ کان الوهم إنّما یتعلّق بالامور المحسوسه ذات الصور و الأحیاز و المحالّ الجسمانیّه فالوهم و إن أرسل طرفه إلی قبله وجوب الوجود و بالغ فی تقلیب حدقه فلن یرجع إلاّ بمعنی جزئیّ یتعلّق بمحسوس حتّی أنّه لا یقدر نفسه و لا یدرکها إلاّ ذات مقدار و حجم،و لمّا کان الوهم من خواصّ المزاج الحیوانیّ لا جرم سلب

التوهّم عن هذا الطور من الملائكه لعدم قوّه الوهم هناك فإنّ هذه القوّه لمّا كانت موجوده للإنسان لا جرم كان يرى ربّه فى جهه و يشير إليه متحيّزا ذا مقدار و صوره،و لذلك وردت الكتب الإلهيّه و النواميس الشرعيّه مشحونه بصفات التجسيم كالعين و اليد و الإصبع و الاستواء على العرش و نحو ذلك خطابا للخلق بما تدركه أوهامهم و توطينا لهم و إيناسا حتّى أنّ الشارع لو أخذ فى مبدء الأمر بيّن لهم أنّ الصانع الحكيم ليس داخل العالم و لا خارجه و لا فى جهه و ليس مجسم و لا عرض لاشتدّ نفار أكثرهم من قبول ذلك و عظم إنكارهم له فإنّ الوهم فى طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفه و لا يتصوّره،و من شأنه أن ينكر ما لا يتصوّر فكان منكرا لهذا القسم من الموجودات و الخطابات الشرعيّه و إن وردت بصفات التجسيم إلّا أنّ الألفاظ الموهمه لذلك لمّا كانت قابله للتأويل محتمله له كانت وافيه بالمقاصد إذ العامىّ المغمور فى ظلمات الجهل يحمله على ظاهره و يحصل بذلك تقييده عن تشتّت اعتقاده و ذو البصيره المترقّى عن تلك الدرجه يحمله على ما يحتمله عقله من التأويل،و كذلك حال من هو أعلى منه،و الناس فى ذلك على مراتب فكان إيرادها حسنا و حكمه .

قوله و لا يجرؤن عليه صفات المصنوعين.

أقول:إجراء صفات المصنوعين عليه إنّما يكون بمناسبته و مما ثلثته مع مصنوعاته و مكوّناته و كلّ ذلك بقياس من الوهم و محاكاه من المتخيّله له بصوره المصنوع،فكان الوهم يحكم أوّلا يكون البارى عزّ سلطانه مثلا لمصنوعاته الّتى يتعلّق إدراكه بها من المتحيّزات و ما يقوم بها و يخيّله بصوره منها ثمّ يساعده العقل فى مقدّمه اخرى هى أنّ حكم الشىء حكم مثله فيجرى حينئذ عليه صفات مصنوعاته التى حكم بمثليّته لها،و لما كانت الملائكه السماويّه منزّهين عن الوهم و الخيال لا جرم وجب تنزيههم عن أن يجروا عليه صفات مصنوعاته سبحانه و تعالى عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا ،و كذلك قوله و لا يحدّونه بالأماكن و لا يشيرون إليه بالنظائر فإنّ الحاكم بحدّه فى مكان و تحيّزه فيه و المشير إليه بالمثل المتصوّر له بالقياس إلى نظير يشاكله و يشابهه إنّما هو الوهم و الخيال،و لمّا عرفت أنّهما يخصّان للحيوان العنصرىّ لا جرم كانت هذه الأحكام مسلوبه عن الملائكه السماويّه مطلقا و باللّه التوفيق.

الفصل الثالث فى كيفيّه خلق آدم عليه السلام.

اشاره

ص:۱۶۸

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلِهَا- وَ عَذْبِهَا وَ سَبَخِهَا- تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ- وَ لَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ- فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَ وُصُولٍ وَ أَعْضَاءٍ- وَ فُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ- وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَ أَمَدٍ مَعْلُوم- ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ- فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا- وَ فِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَ جَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا- وَ أَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَ مَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ- وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِّ وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ- مَعْجُوناً بِطِينَهِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَهِ- وَ الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَهِ وَ الْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَهِ- وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَهِ مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ- وَ الْبَلَّهِ وَ الْجُمُودِ- وَ اسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَهَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ- وَ عَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِى الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ- وَ الْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ «اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» -اِعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّهُ- وَ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَهُ- وَ تَعَزَّزَ بِخِلْقَهِ النَّارِ وَ اسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ- فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِرَهَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَهِ- وَ اسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّهِ وَ إِنْجَازاً لِلْعِدَهِ- فَقَالَ «فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم» ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ؟آدَمَ؟ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ وَ آمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ وَ حَذَّرَهُ؟إِبْلِيسَ؟ وَ عَدَاوَتَهُ- فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَهً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ- وَ مُرَافَقَهِ الْأَبْرَارِ- فَبَاعَ

ص:۱۶۹

الْيَقِينَ بِشَكِهِ وَ الْعَزِيمَهَ بِوَهْنِهِ- وَ اسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا وَ بِالِاغْتِرَارِ نَدَماً- ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ- وَ لَقَّاهُ كَلِمَهَ رَحْمَتِهِ وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ- وَ أَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّهِ وَ تَنَاسُلِ الذُّرِّيَّهِ

قوله ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض إلى قوله و تناسل

اشاره

الذريّه:]

قوله منها فى خلق آدم عليه السّلام ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض إلى قوله و تناسل الذريّه :

اللغه

أقول: الحزن من الأرض ما غلظ منها و اشتدّ كالجبل ،و السهل ما لان ،و عذبها ما طاب منها و استعدّ للنبات و الزرع ،و السبح ما ملح منها ،و المسنون الطين الرطب فى قول ابن عبّاس،و عن ابن السكّيت عن أبى عمر و أنّه المتغيّر،و قول ابن عبّاس أنسب إلى كلام علىّ عليه السّلام لأنّ قوله: سنّها بالماء حتّى لزبت أى أنّه خلّطها بالماء حتّى صارت طينا رطبا يلتصق ،و صلصلت قال بعضهم:الصلصال هو المنتن من قولهم صلّ اللحم و اصلّ إذا أنتن و قيل هو الطين اليابس الّذى يصلصل و هو غير مطبوخ و إذا طبخ فهو فخار،و قيل إذا توهّمت فى صوته مدّا فهو صليل و إذا توهّمت فيه ترجيعا فهو صلصله ،و لاطها بالبلّه أى خلّطها بالرطوبه و مزّجها بها،و البلّه بالكسر النداوه،و بالفتح واحده البلّ ،و اللازب اللاصق،و أصل الباء الميم ،و جبل أى خلق ،و الأحناء جمع حنو و هى الجوانب ،و الوصول جمع كثره للوصل و هى المفاصل و جمع القلّه أوصال ،و الأعضاء جمع عضو بالكسر و الضمّ كاليد و الرجل للحيوان ،و أصلدها أى جعلها صلدا و هى الصلبه الملساء ،و الذهن فى اللغه الفطنه و الحفظ،و فى الاصطلاح العلميّ عباره عن القوى المدركه من العقل و الحسّ الباطن ، و الفكر جمع فكره و هى قوّه للنفس بها تحصل الإدراكات العقليّه ،و يشبه أن يكون أصل الإنسان انس و هو الأنيس،و الألف و النون فى أصل لحوقها له للتثنيه،و ذلك لأنّ الانس أمر نسبىّ لا يتحقّق إلاّ بين شيئين فصاعدا،و لمّا كان كلّ واحد من الناس يأنس بصاحبه قيل إنسان ثمّ كثر استعماله مثنّى فاجريت على النون وجوه الإعراب ،و المساءه

ص:١٧٠

الغم ،و الجوارح الأعضاء ،و الاختدام و الاستخدام بمعنى ،و الأدواه جمع أداة،و أصلها الواو و لذلک ردّت فی الجمع ،و الاستيداء طلب الأداء ،و الخنوع الخضوع ،و اشتقاق إبليس من الإبلاس و هو اليأس و البعد لبعده من رحمه اللّه ،و الحميّه الأنفه ،و اعترتهم أی غشيتهم ،و الوهن الضعف ،و النظره بفتح النون و کسر الظاء الإمهال و السخط الغضب ،و اغترّه أی استغفله و نفست عليه بالأمر نفاسه إذا لم تره مستحقّا له ،و العزيمه الاهتمام بالشیء ،و الجدل السرور ،و الإهباط الإنزال . إذا عرفت ذلک فنقول:

للناس فی هذه القصّه

طريقان:

الطريق الأوّل–أنّ جمهور المسلمين من المفسّرين و المتکلّمين حملوا هذه القصّه علی

ظاهرها

ثمّ ذکروا فيها أبحاثا.

البحث الأوّل–أنّ هذه قد کرّرها سبحانه فی کتابه الکريم فی سبع سور

،و هی سوره البقره،و الأعراف و الحجر،و سوره بنی إسرائيل،و الکهف،و طه،و سوره ص،و ذلک لمن يشتمل عليه من تذکير الخلق و تنبيههم من مراقد الطبيعه الّتی جذبهم إليها إبليس،و التحذير من فتنه و فتنه جنوده و الجذب إلی جناب اللّه و مطالعه أنوار کبريائه کما قال تعالی «يا بَنِی آدَمَ لا يَفْتِنَنَّکُمُ الشَّيْطانُ کَما أَخْرَجَ أَبَوَيْکُمْ مِنَ الْجَنَّهِ» ١الآيه فقوله عليه السلام و تربه کقوله تعالی «خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» و قوله: سنّها بالماء کقوله تعالی «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» و قوله: لاطها بالبلّه حتی لزبت کقوله تعالی «مِنْ طِينٍ لازِبٍ» و قوله: حتّی صلصلت کقوله تعالی «مِنْ صَلْصالٍ» و قوله: ثمّ نفخ فيه من روحه کقوله«فَإِذا «نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی» و قوله:

«وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» و قوله: ذا أذهان بجيلها و فتر يتصرّف فيها و جوارح يختدمها کقوله تعالی «وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ» و قوله: و استأدی اللّه سبحانه الملائکه وديعته لديهم و عهد وصيّته إليهم کقوله تعالی «فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ» و قوله: «اسْجُدُوا» و قوله: «إِلاّ إِبْلِيسَ» کقوله تعالی «فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاّ إِبْلِيسَ» و قوله اعترته الحميّه إلی قوله و تعزّز بخلقه النار و استهون خلق الصلصال کقوله تعالی حکايه عن إبليس «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» و قوله: «لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ» و قوله فأعطاه اللّه

النظره حذف قبله تقديره فسأل النظره و ذلک قوله «أَنْظِرْنِی» فأعطاه اللّه النظر إلی یوم الوقت المعلوم کقوله تعالی «قالَ فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» و قوله: ثمّ أسکن سبحانه آدم دارا أرغد فیها عیشه کقوله تعالی «وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَ وَ کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما» ۱و قوله: و حذّره إبلیس و عداوته کقوله«قُلْنا «فَقُلْنا یا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا یُخْرِجَنَّکُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقی» و قوله: فاغترّه إبلیس نفاسه علیه بدار المقام و مرافقه الأبرار کقوله «فَوَسْوَسَ إِلَیْهِ الشَّیْطانُ» الآیه و قوله «فَدَلّاهُما بِغُرُورٍ» و قوله فباع الیقین بشکّه و العزیمه بوهنه کقوله تعالی «فَنَسِیَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» و قوله: و استبدل بالجذل و جلا و بالاغترار ندما کقوله تعالی «قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ» ۲و قوله:ثمّ بسط اللّه فی توبته و لقّاه کلمه رحمته کقوله تعالی «فَتَلَقّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ» و قوله و وعده المردّه إلی جنّته ذلک الوعد فی قوله تعالی «فَإِمّا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی» ۳و قوله:

فأهبطه إلی دار البلیّه کقوله تعالی «اهْبِطا مِنْها جَمِیعاً» .

البحث الثانی-أنّ اللّه تعالی أشار فی مواضع من کتابه الکریم إلی خلق آدم من تراب

فقال «إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» ۴و قال فی موضع آخر «إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ» ۵و قال فی موضع آخر «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» ۶قال المتکلّمون:و إنّما خلقه اللّه علی هذا الوجه إمّا لمحض المشیئه أو لما فیه من دلاله الملائکه علی کمال قدرته و عجیب صنعه لأنّ خلق الإنسان فی هذه المراتب أعجب عندهم من خلقه من جنسهم.إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ کلامه علیه السّلام هاهنا یجری مجری التفسیر لهذه الآیات فإنّه أشار أوّلا إلی کونه من تراب بقوله ثمّ جمع سبحانه من سهل الأرض و حزنها و عذبها و سبخها تربه ،و نحو ذلک ما روی عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله أنّه قال:

إنّ اللّه خلق آدم من قبضه قبضها من جمیع الأرض فجاء بنو آدم علی قدر الأرض فجاء منهم الأحمر

و الأبيض و الأسود و بين ذلك،و السهل و الحزن و الخبيث و الطيّب،و اعلم أنّ جمهور المفسّرين على أن الإنسان فى قوله تعالى «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ» هو أبونا آدم عليه السّلام و نقل عن محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام أنّه قال:قد انقضى قبل آدم الّذى هو أبونا ألف ألف آدم و أكثر قال بعض العلماء:و هذا لا ينافى حدوث العالم فإنّه كيف كان لا بدّ من الانتهاء إلى إنسان هو أوّل الناس فأمّا أنّ ذلك الإنسان هو أبونا آدم فلا طريق إلى إثباته إلاّ من جهه السمع.

البحث الثالث أجمع المسلمون على أنّ سجود الملائكه لآدم لم يكن سجوده عباده

لأنّ العباده لغير اللّه كفر،ثمّ اختلفوا على ثلاثه أقوال.الأوّل أنّ ذلك السجود كان للّه و كان آدم كالقبله و كما يحسن أن يقال سجدوا لآدم كذلك يحسن أن يقال سجدوا للقبله بدليل قول حسّان بن ثابت:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبى حسن

أ ليس أوّل من صلّى لقبلتكم و أعرف الناس بالآيات و السنن

فقوله صلّى لقبلتكم نصّ على المقصود.الثانى أنّ السجود كان لآدم تعظيما له و تحيّه كالسلام منهم عليه،و قد كان الامم السالفه تفعل ذلك كما يحيّى المسلمون بعضهم بعضا، و عن صهيب أنّ معاذا-رضى اللّه عنه-لمّا تقدّم من اليمن سجد للنبىّ صلى اللّه عليه و آله فقال له:

يا معاذ ما هذا؟فقال:رأيت اليهود تسجد لعظمائها و علماءها و رأيت النصارى تسجد لقسّيسها و بطارقتها فقلت ما هذا؟فقالوا:تحيّه الأنبياء فقال صلى اللّه عليه و آله كذبوا على أنبيائهم.الثالث أنّ السجود فى أصل اللغه عباره عن الانقياد و الخضوع كمال قال الشاعر: { ترى الاكم فيها سجّدا

للحوافر }

أى أنّ تلك الجبال الصغار كانت مذلّله لحوافر الخيل،و منه قوله تعالى «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ» و القول الثانى هو مقتضى كلامه عليه السّلام إذ فسّر السجود به فقال و الخضوع لتكرمته،و باللّه التوفيق.

البحث الرابع-اختلفوا فى الملائكه الّذين امروا بالسجود لآدم

فاستعظم بعضهم سجود ملائكه السماء له،و قالوا المأمورون بذلك هم الملائكه الّذين اهبطوا مع إبليس إلى الأرض قالوا و ذلك أنّ اللّه تعالى لمّا خلق السماوات و الأرض و خلق الملائكه اهبط منهم

ملاء إلى الأرض يسمّون بالجنّ رأسهم إبليس،و أسكنهم إيّاها و كانوا أخفّ الملائكه عباده فأعجب إبليس بنفسه و تداخله الكبر فأطلع اللّه عزّ و جلّ على ما انطوى عليه فقال له و لجنده« «إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» »۱و قال بعضهم:إنّ المأمورين بالسجود لآدم هم كلّ الملائكه بدليل قوله تعالى «فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» فأكّد جمعهم بأكمل وجوه التأكيد.

البحث الخامس-أكثر المتكلّمين لا سيّما المعتزله على أنّ إبليس لم يكن من

الملائكه

و قال جمهور المفسّرين و منهم ابن عبّاس:إنّه كان من ملائكه الأرض الّذين اهبطوا قبل آدم.حجّه الأوّلين قوله تعالى «إِلاّ إِبْلِیسَ کانَ مِنَ الْجِنِّ» و الجنّ لم يكونوا من الملائكه بدليل قوله تعالى للملائكه «أَ هؤُلاءِ إِیّاکُمْ کانُوا یَعْبُدُونَ» و قول الملائكه «سُبْحانَکَ أَنْتَ وَلِیُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ کانُوا یَعْبُدُونَ الْجِنَّ» ۲و احتجّ من قال إنّه منهم باستثناء إبليس من الملائكه فى غير موضع من القرآن الكريم،و الاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل،و ذلك يدلّ على أنّ إبليس من الملائكه،و أجابوا عن حجّه الأوّلين من وجهين:

أحدهما المعارضه بقوله تعالى «وَ جَعَلُوا بَیْنَهُ وَ بَیْنَ الْجِنَّهِ نَسَباً» و ذلك الجعل هو قول قريش:الملائكه بنات اللّه بدليل قوله تعالى «وَ جَعَلُوا الْمَلائِکَهَ الَّذِینَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» فهذه الآيه تدلّ على أنّ الملائكه من الجنّ.الثانى أنّ كون إبليس من الجنّ لا ينافى كونه من الملائكه يصدق عليهم اسم الجنّ لأنّ الجنّ مأخوذ من الاجتنان و هو الاستتار،و منه سمّى الجنين لاستتاره فى بطن امّه و منه المجنون لاستتار العقل و الملائكه مستترون عن الأعين فوجب جواز إطلاق لفظ الجنّ عليهم،و اعلم أنّ الخلاف لفظىّ فإنّه إذا ثبت أنّ الملائكه الّذين اهبطوا إلى الأرض قبل آدم هم المسمّون بالجنّ و إبليس من الجنّ ثبت أنّ إبليس من الملائكه و ليس النزاع فى أنّه من ملائكه الأرض أو من ملائكه السماء بل فى كونه من الملائكه مطلقا فإذن ليس بينهم خلاف المعنى.

البحث السادس-اختلفوا فى سبب عداوه إبليس لآدم

فقال بعضهم:إنّه الحسد و ذلك أنّ إبليس لمّا رأى ما أكرم اللّه به آدم من إسجاد الملائكه و تعليمه ما لم يطّلع عليه الملائكه

حسده و عاداه،و قال آخرون:إنّ السبب تباين أصليهما و لمنافره الأصلين أثر قوىّ فى منافره الفرعين قالوا و تباين أصليهما هو منشأ القياس الفاسد من إبليس حين امر بالسجود و ذلك قوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» ١و كأنّه فى خطابه يقول إنّ آدم جسمانىّ كثيف و أنا روحانىّ لطيف،و الجسمانىّ أدون حالا من الروحانىّ و الأدون كيف يليق أن يكون مسجودا للأعلى،و أيضا فإنّ أصل آدم «مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» ،و الصلصال فى غايه الدناءه و أصلى من أشرف العناصر،و إذا كان أصلى خيرا من أصله وجب أن أكون خيرا منه و أشرف،و الأشرف يقبح أن يؤمر بالسجود للأدون.قالوا:فكان ذلك قياسا منه،فأوّل من قاس هو إبليس فأجابه اللّه تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح اخرج منها مذؤما مدحورا،قال بعض الفضلاء:و تقريره أنّ الّذى قال تعالى نصّ بحكم الحكمه الإلهيّه و القدره الربّانيّه،و الّذى قاله إبليس قياس و من عارض النصّ بالقياس كان مرجوما ملعونا.

البحث السابع-احتجّت الأشعريّه على أنّه تعالى قدير أن يلق الكفر فى الكافرين

من هذه القصّه

بوجهين أحدهما أنّه تعالى أنظر إبليس مع أنّه يعلم أنّه إنّما قصده إغواء بنى آدم و لو أهلكه لاستراحوا و عدم الشرّ الحاصل منه و من ذرّيّته،الثانى قال «أَغْوَيْتَنِي» فنسب الإغواء إلى اللّه تعالى مع أنّه لم ينكر عليه هذا الكلام و هذا صريح فى أنّه تعالى يفعل الإغواء أجابت المعتزله عن الأوّل بأنّ اللّه تعالى خلق آدم و ذرّيته قادرين على رفع إبليس عن أنفسهم فهم الّذين اختاروا الكفر و الفساد.أقصى ما فى الباب أن يقال إنّ الاحتراز عن القبيح حال عدم إبليس أسهل منه حال وجوده إلاّ أنّ على هذا التقدير تصير وسوسته سببا لزياده المشقّه فى أداء الطاعات فيزداد المكلّف بتكلّفها ثوابا كما قال عليه السّلام:أفضل الأعمال أحمزها أى أشقّها و ذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما أنّ إنزال المشاقّ و الآلام و إنزال المتشابهات صار سببا لزياده الشبهات و مع ذلك لم يمتنع فعلها من اللّه تعالى و هذا الوجه قريب من قوله عليه السّلام استماما للبليّه ،و عن الثانى أنّ المراد من قوله «فَبِما أَغْوَيْتَنِي» أى بما خيّبتنى من رحمتك،و قيل معنى إضافه غوايته إلى اللّه تعالى أنّ اللّه تعالى

ص:١٧۵

لما أمره بالسجود لآدم عصى و غوى فكان البارى هو الأصل فى حصول الإغواء له فلذلك نسبه إليه،و احتجّ أيضا من جواز الخطاء على الأنبياء عليهم السّلام من هذه القصّه بقوله تعالى «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى» و أجاب من أوجب عصمتهم من حين الولاده بأنّه لمّا دلّ الدليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا اللفظ و نحوه على ترك الأولى و هو فى حقّهم سيّئه و معصيه و إن كان فى حقّ غيرهم حسنه كما قال حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين و من أوجب عصمتهم من حين الرساله فله أن يحمل هذه المعصيه على ما قبل الرساله و المسأله مستقصاه فى الكلام.

البحث الثامن

-قال القفّال أصل التلقّى فى قوله «فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ» و قوله عليه السّلام و لقّاه كلمه رحمته هو التعرّض للقادم وضع فى موضع الاستقبال للمسىء و الجانى ثمّ وضع موضع القبول و الأخذ قال تعالى «وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ» أى تلقّنه و يقال تلقّينا الحاجّ أى استقبلناهم و تلقيّت هذه الكلمه من فلان أى أخذتها منه،و إذا كان هذا أصل الكلمه و كان من تلقّى رجلا فتلاقيا لقى كلّ واحد منهما صاحبه و اضيف بالاجتماع إليهما معا فصلح أن يشتركا فى الوصف بذلك فكلّ ما تلقيته فعد تلقاك فجاز أن يقال تلقّى آدم ربّه كلمات أى أخذها و وعاها و استقبلها بالقبول،و لقّاه اللّه إيّاها أى أرسلها إليه و واجهه بها،ثمّ ذكر المفسّرون فى ذلك الكلمات أقوالا:الأوّل روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس -رضى اللّه-عنه أنّ آدم عليه السّلام قال يا ربّ أ لم تخلقنى بيدك بلا واسطه قال:بلى قال:

أ لم تسكنّى جنّتك قال:بلى قال:أ لم تسبق رحمتك غضبك قال:بلى قال:إن تبت و اصلحت أ تردّنى إلى الجنّه قال:نعم،و هو قوله تعالى «فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ» ،الثانى قال النخعىّ:أتيت ابن عبّاس فقلت:ما الكلمات الّتى تلقّاها آدم من ربّه؟قال:علّم اللّه تعالى آدم و حوّا أمر الحجّ و الكلمات الّتى يقال فيه فحجّا فلمّا أفرغا أوحى اللّه تعالى إليهما إنّى قد قبلت توبتكما،الثالث قال مجاهد و قتاده و فى إحدى الروايتين عنهما:هى قوله، «رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ» الرابع قال سعيد بن جبير:إنّها قوله «لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ» و بحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسى فاغفر لى إنّك خير الغافرين «لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ» و بحمدك عملت سواء و ظلمت نفسى

ص:۱۷۶

فارحمنى إنّك أرحم الراحمين «لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَکَ» و بحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسى فتب علىّ «إِنَّکَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ» .الخامس قوله عايشه:لمّا أراد اللّه تعالى أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا و البيت حينئذ ربوه حمراء فلمّا صلّى ركعتين استقبل القبله(البيت)و قال:

اللهمّ إنّك تعلم سرّى و علانيتى فاقبل معذرتى،و تعلم حاجتى فاعطنى سؤلى،و تعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهمّ إنّى أسئلك إيمانا تباشر به قلبى،و يقينا صادقا حتّى أعلم أنّه لن يصيبنى إلاّ ما كتبت لى و رضّنى بما قسمت لى،فأوحى اللّه تعالى إليه يا آدم قد غفرت لك ذنبك و لن يأتينى أحد من ذرّيتك فيدعونى بمثل ما دعوتنى به إلاّ قد غفرت ذنوبه و كشفت همومه و نزعت الفقر من بين عينيه و جاءته الدنيا و هو لا يريدها.

البحث التاسع-فى حقيقه التوبه

قال الإمام الغزّالى:التوبه عباره عن معنى مركّب من ثلاثه امور مترتّبه علم ثمّ حال ثمّ ترك،أمّا العلم فأن يعلم العبد ضرر الذنوب و كونه حجابا بينه و بين اللّه تعالى و قيدا يمنعه من دخول الجنّه فإذا علم ذلك بيقين غالب على قلبه فإنّ ذلك يوجب له تألّما نفسانيّا بسبب فوات الخير العظيم المطلوب لكلّ عاقل فيسمّى تأمّله بسبب فعله المفوّت لمحبوبه و مطلوبه ندما فإذا غلب هذا الألم على القلب أوجب له القصد إلى أمرين:أحدهما ترك الذنوب الّتى كان ملابسا لها أوّلا،و الثانى العزم على ترك الذنب المفوّت لمطلوبه فى المستقبل إلى آخر العمر فهذه حقيقتها،و ينشأ من ذلك تلافى ما فات بالجبر و القضاء و إن كان قابلا للجبر،و العلم هو الأصل فى إظهار هذه الخيرات فإنّ القلب إذا أيقن بأنّ الذنوب كالسموم المهلكه و الحجب الحائله بينه و بين محبوبه فلا بدّ أن يتمّ نور ذلك اليقين فتشتعل فيه نيران الندم فيتألّم به القلب و حينئذ ينبعث من تلك النار طلب الانتهاض للتدارك فالعلم و الندم و القصد المتعلّق بالترك فى الحال و الاستقبال و التلافى للماضى ثلاثه معان مترتّبه يطلق اسم التوبه على مجموعها،و ربّما اطلق اسم التوبه على الندم وحده و جعل العلم كالباعث و الترك كالثمره المتأخّره،و لهذا الاعتبار قال صلى اللّه عليه و آله:الندم توبه إذ الندم مستلزم لعلم أوجبه و لعزم يتبعه،و أمّا وجوبها فمن وجهين:أحدهما أنّ التوبه مرضاه للرحمن مسخطه للشيطان مفتّحه لأبواب الجنان معدّه لإشراق شموس المعارف الإلهيّه على ألواح النفوس مستلزمه للمواهب الربانيّه من

الملک القدّوس.الثانی الأوامر الوارده بها فی القرآن الکریم« «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اللّهِ تَوْبَهً نَصُوحاً» »و الوعد الصادق علی فعلها« «عَسی رَبُّکُمْ أَنْ یُکَفِّرَ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ یُدْخِلَکُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» »و الوعید الحتم علی ترکها« «وَ مَنْ لَمْ یَتُبْ فَأُولئِکَ هُمُ الظّالِمُونَ» »و نحوه ممّا یدلّ علی وجوبها فأمّا قبولها فمن وجهین:أحدهما قوله تعالی «وَ هُوَ الَّذِی یَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبادِهِ وَ یَعْفُوا عَنِ السَّیِّئاتِ» و قوله تعالی «غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ» الثانی قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:أفرح بتوبه من العبد المذنب،و الفرح وراء القبول فهو دلیل علی القبول،و قال صلی اللّه علیه و آله:لو علّتم الخطایا إلی السماء ثمّ ندمتم علیها لتاب اللّه علیکم.

البحث العاشر-فیما عساه یبقی من المقاصد المشکله فی هذه القصّه.

الأوّل الودیعه و الوصیّه الّتی استأداها اللّه سبحانه من الملائکه فی قوله علیه السّلام و استأدی اللّه سبحانه من الملائکه ودیعته لدیهم إشاره إلی قوله «فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» فکان تعالی قد عهد إلیهم بهذا القول و أوصاهم بمقتضاه ثمّ استأداه منهم بما ذکره علیه السّلام فی قوله تعالی «اسْجُدُوا لِآدَمَ» الثانی قوله فاغتره إبلیس فالاغترار طلب العزّه من آدم و التماسها منه بالوسوسه الّتی ألقاها إلیه کما ستبین معنی الوسوسه إنشاء اللّه.الثالث قوله دار المقام هی جنّه الخلد،و مرافقه الأبرار إشاره إلی مصاحبه الملائکه فی مقعد صدق عند ملیک مقتدر.الرابع استعاره بالکنایه قوله فباع الیقین بشکّه للشارحین فیه أقوال:أحدها أنّ معیشه آدم کانت فی الجنّه علی حال یعلمها یقینا ما کان یعلم کیف معاشه فی الدنیا إذا انتقل إلیها و لاحاله بعد مفارقه الجنّه ثمّ إنّ ابلیس شکّکه فی صدق مقاله إنّی لکما لمن الناصحین فنسی ما کان عنده یقینا مما هو فیه من الخیر الدائم و شکّ فی نصح إبلیس فکأنّه باع الیقین بالشکّ بمتابعته،و هی استعاره حسنه علی سبیل الکنایه عن استبعاض آدم الشکّ عن الیقین .الثانی قالوا:لمّا أخبره اللّه تعالی عن عداوه إبلیس تیقّن ذلک فلمّا وسوس له إبلیس شکّ فی نصحه فکأنّه باع یقین عداوته بالشکّ فی ذلک.الثالث قول من نزّه آدم علیه السّلام:

إنّ ذلک مثل قدیم للعرب لمن عمل عملا لا یفیده و ترک ما ینبغی له أن یفعله تمثّل به أمیر المؤمنین علیه السّلام هاهنا و لم یرد أنّ آدم علیه السّلام شکّ فی أمر اللّه تعالی.الرابع قوله و العزیمه بوهنه

قال ابن عبّاس فى قوله تعالى «وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» :أى لم نجده حفظا لما أمر اللّه به،و قال قتاده صبرا،و قال الضحاك ضريمه أمر،و حاصل هذه الأقوال يعود إلى أنّه لم يكن له قوّه على حفظ ما أمر اللّه فكأنّه باع العزم الّذى كان ينبغى له و القوّه الّتى كان ينبغى أن يتحفّظ بها عن متابعه إبليس بالضعف و الوهن عن تحمّل ما أمر اللّه به،الخامس قوله دار البليّه هى دار الدنيا إذ كانت دار المحنه و الابتلاء بمقاساه إبليس و مجاهدته،و سجن الصالحين كما قال عليه السّلام:الدنيا سجن المؤمن و جنّه الكافر،و اعلم أنّ فى ذكر هذه القصّه تحذيرا عظيما عن المعاصى و ذلك من وجوه،أحدها أنّ من تصوّر ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزلّه كان على و جل شديد من المعاصى قال الشاعر يا ناظرا نورا بعينى راغد و مشاهدا للأمر غير مشاهد

تصل الذنوب إلى الذنوب و ترتجى دركك الجنان و نيل نور العابد

أنسيت أنّ اللّه أخرج آدما منها إلى الدنيا بذنب واحد

و عن فتح الموصلى أنّه قال:كنّا قوما من أهل الجنّه فسبانا إبليس إلى الدنيا فليس لنا إلاّ الهمّ و الحزن حتّى نردّ إلى الدار الّتى أخرجنا منها،و ثانيها التحذير عن الاستكبار و الحسد و الحرص عن قتاده فى قوله تعالى «أَبى وَ اسْتَكْبَرَ» قال:حسد عدوّ اللّه إبليس آدم على ما أعطاه اللّه تعالى من الكرامه فقال أنا ناريّ و هذا طينيّ ثمّ ألقى الحرص و الحسد فى قلب ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهى عنه،و ثالثها أنّه تعالى بيّن العداوه الشديده بين ذريّه آدم و إبليس هذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر و باللّه التوفيق،

الطريق الثانى و اعلم أنّ

من الناس من سلّط التأويل على هذه القصّه

،و قبل بيان تأويلها ذكروا مقدّمات،

المقدّمه

الاولى فى الإشاره إلى أجزاء التركيب الخارجىّ للإنسان و كيفيّه تركيبها

قالوا:إنّ العناصر الأربعه أجسام بسيطه و هى أجزاء أوّليّه لبدن الإنسان فمنها إثنان خفيفان،و هما النار و الهواء و إثنان ثقيلان و هما الأرض و الماء قالوا:و الموضع الطبيعىّ للأرض هو وسط الكلّ و هى بارده يابسه فى طبعها و وجودها فى الكائنات مفيد للاستمساك و الثبات و حفظ الشكل و الهيئه و الموضع الطبيعىّ للماء هو أن يكون شاملا للأرض و ثقله إضافىّ و طبعه بارد رطب و وجوده فى الكائنات لتسهّل الهيئات الّتى يراد تكوينها من التشكيل و التخطيط و التعديل فإنّ الرطب كما

أنّه سهل الترک للهيئات الشکليّه فإنّه سهل القبول لها کما أنّ اليابس عسر القبول للهيئات الشکليّه عسر الترک لها،و مهما تخمّر اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التمديد و التشکيل بسهوله و استفاد الرطب من اليابس حفظا لما حدث فيه من التعديل بقوّه فاجتمع اليابس بالرطب عن تشتّته،و استمسک الرطب باليابس عن سيلانه و الموضع الطبيعيّ للهواء فوق الماء و تحت النار و خفّته إضافيّه و طبعه حارّ رطب و وجوده فی الکائنات ليتخلخل و يلطف و يسفل،و الموضع الطبيعيّ للنار فوق الأجرام العنصريّه کلّها،و مکانها الطبيعيّ هو مقعّر فلک القمر و خفّتها مطلقه و طبعها حارّ يابس،و وجودها فی الکائنات ليصلح المرکّبات و يجری فيها الجوهر الحيوانی،و لتکسر من يرد العنصرين الثقيلين بردّهما عن العنصريّه إلی المزاجيّه،و الثقيلان أنفع فی تکون الأعضاء و فی سکونها،و الخفيفان أنفع فی کون الأرواح و تحريکها و تحريک الأعضاء ثمّ قالوا:و المزاج کيفيّه تحدث من تفاعل الکيفيّات المتضادّه فی هذه العناصر إذا تفاعلت بقواها بعضها فی بعض فانکسر صوره کلّ واحد منها بالآخر حدثت عنها کيفيّه متشابهه فی جميعها هی المزاج و القوی الأوليّه فی تلک الأرکان أربع الحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه،و هی الّتی يکون عنها المزاجات فی الأجسام الکائنه الفاسده ثمّ إنّ واهب الوجود أعطی کلّ حيوان و کلّ عضو من المزاج ما هو أليق و أصلح لأفعاله بحسب احتمال الإمکان له،و أعطی الإنسان أعدل الأمزجه الممکنه فی هذا العالم مع مناسبه لقواه الّتی بها يفعل و ينفعل و أعطی کلّ عضو ما يليق به من أفعاله فجعل بعض الأعضاء أحرّ و بعضها أبرد و بعضها أرطب و بعضها أيبس و أمدّها بالأخلاط و هی أجسام رطبه سيّاله يستحيل إليها الغذاء أوّلا،و هی منحصره فی أربعه أجناس:أحدها الدم و هو أفضلها،و الثانی البلغم و الثالث الصفراء،و الرابع السوداء،ثمّ قسّم الأعضاء إلی عظام و غضاريف و أعصاب و أوتار و جعل أوّل الأعضاء المتشابهه الأجزاء العظم و خلق صلبا لأنّه أساس البدن و دعامه الحرکات ثمّ الغضروف و هو ألين من العظم و فائدته أن يحسن به اتّصال العظام بالأعضاء الليّنه فلا يتأذّی الليّن بالصلب عند الضغطه و الضربه بل متوسّط بينهما ما يناسب کلاّ منهما و ليحسن به تجاوز المفاصل المحاکّه فلا تتراض لصلابتها،ثمّ العصب و هی أجسام تنبت من الدماغ و النخاع بيض لدنه فی الانعطاف صلبه فی الانفصال،و فائدتها أن تتمّ به الأعضاء

للإحساس و الحركه،ثمّ الأوتار و هى أجسام تنبت من أطراف العضل شبيهه بالعصب تلاقى الأعضاء المتحرّكه فتجذبها تاره و تبسطها اخرى بحسب انبساط العضله و انقباضها ثمّ الرباطات و هى أيضا أجسام شبيهه بالعصب و الحكمه فيها ظاهره،و هى ارتباط بعض الأعضاء إلى بعض و استمساكها و ليس لشىء منها حسّ لئلاّ يتأذّى بكثره ما يلزمه من الحركه و الحكّ،ثمّ الشريانات و هى أجسام نابته من القلب ممتدّه مجوّفه طولا عصبانيه رباطيّه الجوهر لها حركات منبسطه و منقبضه خلقت لترويح القلب و نقض البخار الدخانىّ عنه،و لتوزيع الروح إلى أعضاء البدن،ثمّ الأورده و هى تشبه الشريانات و نباتها من الكبد،و فائدتها توزيع الدم على أعضاء البدن،ثمّ الأغشيه و هى أجسام منتسجه من ليف عصبانى غير محسوس رقيقه مستعرضه تغشى سطوح أجسام اخرى،و لها فوائد:منها أن يحفظ جملتها على شكلها و هيئتها،و منها أن تعلّقها على أعضاء اخرى و تربطها بواسطه العصب،و منها أن يكون للأعضاء العديمه الحسّ فى جواهرها سطح حساس بالذات لما تلافيه و بالعرض لما يحدث فى الجسم الملفوف فيه كالريه و الطحال و الكبد و الكليتين،فإنّها لا تحسّ بجواهرها و إنّما يحسّ بالامور المصادمه لها الأغشيه الّتى عليها بالذات و يحسّ أيضا بالعرض ما يحدث فيها مثلا الريح للتمدّد الّذى يحدث فيها،ثمّ اللحم و هو حشو خلل وضع الأعضاء فى البدن فصار البدن مشتملا على ثلاثه ضروب من الأعضاء،أحدها آلات الغذاء و هى المعده و الكبد و جداولها كالعروق و الطرق إليها كالفم و المرى و عنها كالأمعاء، و الثانى آلات الحراره الغريزيّه و حفظتها،و هى القلب و الرأس و الريه و الصدر و سائر آلات النفس،و الثالث آلات الحسّ و الحركه و الأفعال العقليّه و هى الدماغ و النخاع و العصب و العضل و الأوتار و نحوها ممّا يحتاج إليه فى المعونه على تمام فعل العقل،ثمّ لمّا كان من ضروره البدن أن يقع فيه أفعال مختلفه وجب فى الحكمه أن يكون هناك استعداد لقوى متعدّده هى مبادئ تلك الأفعال أحدها النفس الطبيعيّه و تخصّها قوى منها مخدومه و منها خادمه،أمّا المخدومه فجنسان.أحدهما يتصرّف فى الغذا و تحته نوعان:أحدهما القوّه المسمّاه بالغاذيه،و غايتها أن تغذو الشخص مدّه بقائه بإحاله الغذاء إلى مشابهه المتغذى ليخلف بدل ما يتحلّل،و الثانى القوّه المسمّاه بالناميه،و غايتها أن تزيد فى أقطار البدن

على التناسب الطبيعىّ إلى تمام نشوه،و الجنس الثانى يتصرّف فى الغذاء لبقاء النوع و تحته نوعان أحدهما القوّه المسمّاه بالمولّده و هى المتصرّفه فى أمر التناسل ليفصل من أمشاج البدن جوهر المنى،و الثانى القوّه المسمّاه بالمصوّره و هى الّتى تفيد المنى بعد استحالته فى الرحم الصور و القوى و الأعراض الحاصله للنوع الّذى انفصل عنه المنى،و أمّا الخادمه الصرفه فى القوى الطبيعيّه فهى خوادم القوّه الغاذيه و هى أربع،أحدها الجاذبه و هى خلقت لتجذّب النافع إلى محلّها و هى موجوده فى المعده و المرى و الكبد و الرحم و سائر الأعضاء،و الثانى الماسكه و هى خلقت لتمسّك المنافع رثيما يتصرّف فيه القوى المغيّره و المحيّله،و الثالث الهاضمه و هى الّتى تخيّل ما امسكته الماسكه إلى قوام مهيّىء لفعل القوّه المغيّره فيه،و إلى مزاج صالح للاستحاله إلى الغذائيّه بالفعل،الرابع الدافعه و هى الّتى تدفع الفاضل من الغذاء الّذى لا يصلح للاغتذاء أو يفضل على الكافى أو يستغنى عنه بعد الفراغ من استعماله كالبول،و لهذه الأربع أيضا خوادم أربع أعنى الكيفيّات الأربع،و هى الحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه على تفصيل يعلم فى مظانّه،الثانى النفس الحيوانيّه و تختص بها قوّتان محرّكه و مدركه،و المحرّكه إمّا باعثه أو فاعله،و الباعثه هى القوّه النزوعيه المذعنه للمدركات كالوهم و الخيال أو النفس فيحمل الإدراك لها على البعث إلى طلب أو هرب بحسب السوانح و لها شعبتان شهوانيّه و هى الباعثه على التحريك إلى جانب أشياء ضروريّه أو نافعه نفعا ما طلبا للّذه و غضبيّه و هى الحامله على دفع و هرب عما لا يلائم طلبا للغلبه،و تخدمها القوّه المسمّاه بالقدره و هى قوّه تنبعث فى الأعصاب و العضل من شأنها أن تشنّج الفضلات بجذب الأوتار و الرباطات و أرخائهما،و القوى المدركه قسمان ظاهره و باطنه أمّا الظاهره فالحواسّ الخمس،أحدها اللمس و هو قوّه منبثّه فى جلد البدن كلّه تدرك ما تماسّه،و تؤثر فيه بالمضادّه كالكيفيّات الأربع و غيرها،و ثانيها الذوق و هو قوّه مرتّبه فى العصب المفروش على سطح اللسان بها تدرك الطعوم من الأجرام المماسّه المخالطه للرطوبه العذبه الّتى فى الفم،و ثالثها الشمّ و هى قوّه مرتّبه فى زائدتى مقدّم الدماغ الشبيهتين بحلمتى الثدى بها تدرك الروائح بتوسّط الهواء المنفصل عن ذى الرائحه،و رابعها السمع و هى قوّه فى العصب المفروش فى باطن الصماخ و هو تدرك الأصوات و الحروف

بواسطه الهواء،و خامسها البصر و هی قوّه مرتّبه فی العصبتین المجوّفتین تدرک ما یتطبّع فی الرطوبه الجلیدیّه من الصور بتوسّط جرم شفاف،و أمّا الباطنه من القوی فهی أیضا خمس، و هی إمّا مدرکه فقط إمّا للصور الجزئیّه و هو القوّه المسمّاه حسّا مشترکا المرتّبه فی التجویف الأوّل من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات،ثمّ القوّه الموسومه خیالا، و هی خزانه الحسّ المشترک مودعه فی آخر التجویف المقدّم من الدماغ تجتمع فیها مثل المحسوسات و تبقی فیها بعد الغیبه عن الحواسّ،و إمّا مدرکه للمعانی الجزئیّه،و هی إمّا الوهم و هی قوّه مرتّبه فی التجویف الأوسط من الدماغ تدرک المعانی الجزئیه الغیر المحسوسه الموجوده فی المحسوسات کإدراک الشاه معنی فی الذئب یوجب لها الهرب،و إمّا الحافظه و هی قوّه مرتّبه فی التجویف الأخیر من الدماغ تحفظ الأحکام الجزئیّه المدرکه للوهم و هی خزانه له،و إمّا مدرکه و متصرّفه و هی القوّه المسمّاه متخیّله باعتبار استعمال الوهم لها،و مفکّره باعتبار استعمال العقل لها و محلّها مقدم البطن الأوسط من الدماغ من شأنها الترکیب و التفصیل لبعض الصور ببعض و عن بعض و کذا المعانی و المعانی بالصوره و هی الحاکیه للمدرکات و الهیئات المزاجیّه و الحکمه الإلهیّه اقتضّت أن تکون متوسّطه بین مقتضی الصور الجرمانیّه و المعانی الروحانیّه متصرّفه فی خزائنهما بالحکم و الاسترجاع للأمثال المنمحیّه من الجانبین،ثمّ إنّ لکلّ واحد من هذه الآلات روح یختصّ به و هو جرم حارّ لطیف متکوّن عن لطافه الأخلاط علی نسبه محدوده و هو حامل للقوی المدرکه و غیرها،الثالث النفس الناطقه و نسبتها إلی هذا البدن نسبه الملک إلی المدینه و البدن و جمیع أجزائه و قواه المذکوره آلات لها،و رسمها أنّها جوهر مجرّد یتعلّق بالأبدان تعلّق التدبیر و هی المشار إلیها بقوله تعالی «وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی» ۱و بقوله علیه السّلام:الأرواح جنود مجنّده ما تعارف منها ائتلف و ما تناکر فیها اختلف فیها،و لهذا الجوهر قوّتان یختصّ بهما نظریّه و عملیّه و قد سبقت الإشاره إلیهما فی مقدّمه الکتاب و تحقیق الکلام فی هذا الجوهر و البرهان علی وجوده و تجرّده و کمالاته من العلوم و الأخلاق مستقصی فی مظانّه و باللّه التوفیق.

ص:۱۸۳

المقدّمه الثانيه قد علمت أنّ الملک عندهم اسم مشترک يقع على حقائق مختلفه

،فأمّا لفظ الجنّ فهو و إن صدق فی أصل اللغه على كلّ الملائكه لكونه مأخوذا من الاجتنان و هو الاستتار،و كون الملائكه مستترين على الأعين فإنّهم يخصّون فی عرفهم هذا اللفظ بالأرواح الّتی تخصّ عالم العناصر فتاره يطلقون عليها أنّها ملائكه باعتبار كونهم مرسلين من عند اللّه فاعلين لما أمر اللّه جارين على نظام العقل،و تاره يطلقون عليها أنّها جنّ باعتبار الاجتنان،و هم جنّ مسلمون باعتبار موافقه العقل و التصرّف على وفق مصلحه العالم و نظامه،و كفّار و شياطين باعتبار مخالفتها لذلک،فأمّا صدق اسم الجنّ على النفوس الناطقه الإنسانيّه فقد تعتبر من جهه اخرى،و هی كونها عالمه ترى بنور العلم من حيث لا ترى فهی مجتنّه محجوبه عن أبصار الجاهلين ثمّ هی إمّا أن تكون عالمه أو جاهله و على التقديرين فإمّا أن يكون موافقه لظواهر الشريعه منقاده لها متمسّكه بها أو ليس كذلک فهذه أقسام أربعه،أوّلها النفوس العالمه العامله بمقتضى الشريعه و هذه الطائفه هم الجنّ المسلمون و المؤمنون قالوا:و هم الّذين أمر اللّه تعالى نبيّه بالإخبار عنهم فی قوله تعالى «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنّا بِهِ» ١إلى آخر الآيات قالوا:و ممّا يبيّن ذلک أنّ السماء الّتی أخبر الجنّ عنها أنّهم لمسوها هی سماء الحكمه و هی الشريعه الّتی استترت فيها قالوا:و لمسهم لها عباره عن اعتبارهم أمر الشريعه فی مبدء ظهورها هل يصحّ لهم معها إظهار الحكمه و يمكنهم أخذها و إعطاؤها بالتعلّم و التعليم كما كان يفعل قبل ذلک أم لا،و قولهم« «فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً» » ٢إشاره إلى حفظه الشريعه و هم علماء الشريعه و الملوک الصالحون اللازمون لناموس الشريعه و قوانينها،و قولهم« «وَ أَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ» » ٣إشاره إلى أنّهم كانوا قبل ظهور الشرائع يتدارسون الحكمه و يتعلّمونها و لم يكن عليهم إنكار،و قولهم« «فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً» » ۴إشاره إلى أنّ المظهر للحكمه بعد وجود الشريعه

التارک لظواهر ما جاءت به الأنبياء يجد من حرسه الدين و حفظته شهابا يحرقه و يؤدّيه،و ثانيها النفوس العالمه المخالفه للشريعه و النواميس الإلهيّه التابعه لقواها فی مقتضی طباعها و هؤلاءهم من شياطين الجنّ و مردتها،و ثالثها النفوس الجاهله إلاّ أنّها متمسّکه بظواهر الشريعه منقاده لها،و هؤلائهم المسلمون من الإنس،و رابعها النفوس الجاهله التارکه للشريعه و العمل بها التابعه لمقتضی الطبيعه،و هؤلاءهم شياطين الإنس قالوا:و بهذا البيان لا يبقی بين قول اللّه سبحانه« «إِلاّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ» »و بين استثنائه من الملائکه المقتضی لدخوله فيهم و کونه منهم فرق بل هو من الملائکه باعتبار من الجنّ باعتبار و من الشياطين باعتبار،و الشيطان قد يکون ملکا فی أصله ثمّ ينتقل إلی الشيطانيّه باعتبار فسوقه عن أمر ربّه و کذلک الجنّی و اللّه أعلم.

المقدّمه الثالثه-قالوا:کلّ ما يتوالد فلا يستحيل فی أصله أن يکون متولّدا

ثمّ ضربوا لذلک أمثله فقالوا:إنّ العقرب تتولّد من البادروج و لباب الخبز،و النحل من العجل المحرق المکيس عظامه،و الفار من المدر و الطين و نحو ذلک ثمّ يتوالد عن هذا المتولّد أشخاص اخری و يبقی نوعه متولدا فلا مانع إذن أن يکون الإنسان فی أوّل خلقه کذلک فيحدث شخص من نوعه و يتکوّن من التراب ثمّ يحصل ما بعده من نوعه عنه بالتوالد إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ لفظ آدم إذا اطلق فی عباراتهم فتاره يراد به أمر جزئیّ و تاره يراد به أمر کلّی أمّا الجزئیّ فيراد به أوّل شخص تکوّن من هذا النوع،و علی ذلک يحملون قوله تعالی «إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» ۱و يحملون قوله تعالی «إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ» و ما فی معناه علی ما توالد منه،و قد يراد منه أوّل شخص استخلف فی الأرض و أمر بنشر الحکمه و ناموس الشريعه،و أمّا الکلّی فتاره يراد بآدم مطلق نوع الإنسان،و علی ذلک کلّه قوله تعالی «وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ» ۲و قد يراد به صنف الأنبياء و الدعاه إلی اللّه کما نقل عن سيّد المرسلين صلی اللّه عليه و آله کلّ نبیّ فهو آدم وقته و قوله صلی اللّه عليه و آله:أنا و أنت يا علیّ أبوا هذه الامّه،و يمکن أن يکون

قول الباقر محمّد بن علىّ عليهما السّلام:قد انقضى قبل آدم الّذى هو أبونا ألف ألف آدم و أكثر على هذا المعنى إذا ثبت هذا فنقول:إنّ لكلّ آدم بالمعانى المذكوره ملائكه تخصّه و هى مأموره بالسجود له،و إبليس فى مقابلته و معارضته أمّا آدم بالمعنى الأوّل و الثانى فملائكته المأمورون بالسجود له هى قواه البدنيّه و نفوس أهل زمانه المأمورين باتّباعه المستمعين لقوله و سائر القوى فى أقطار هذا العالم فإنّها بأسرها ملائكه مأموره بالخضوع له و السعى فى مهمّاته و حوائجه بين يديه و المعونه على مراده،و أمّا إبليس المعارض له القوّه الوهميّه منها المعارضه لمقتضى عقله العملىّ الساعيه فى الأرض فسادا و النفوس المتمرّده عن قبول الحقّ و الاستماع لقوله الخارجه عن طاعته و هم شياطين الإنس و الجنّ الّذى يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا و كذلك ملائكه آدم و إبليس آدم الّذى هو صنف الأنبياء و الدعاه إلى اللّه تعالى بالحكمه و الموعظه الحسنه،و أمّا آدم الّذى هو نوع الإنسان فكلّ الملائكه الّذين ذكرناهم فى هذا العالم هم المأمورون بالسجود له و إبليس كلّ شخص من هذا النوع هو و همه المعارض لعقله و جنوده ما تحته من القوى الشهويّه و الغضبيّه و غيرها إذا عرفت هذه المقدّمات فليرجع إلى المتن فنقول:الأولى أن يحمل آدم فيما ذكره عليه السّلام هاهنا من هذه القصّه على مطلق النوع الإنسانىّ.

فقوله ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها تربه سنّها بالماء حتّى خلصت و لاطها بالبلّه حتّى لزبت إشاره إلى أصل امتزاج العناصر،و إنّما خصّ هذين العنصرين و هما الأرض و الماء دون الباقيين لأنّهما الأصل فى تكوّن الأعضاء، المشاهده الّتى تدور عليها صوره الإنسان المحسوسه،و قوله حتّى خلصت و حتّى لزبت إشاره إلى بلوغها فى الاستعداد الغايه الّتى معها تفاض صوره ما يتكوّن منها،و قوله فجبل منها صوره ذات أحناء و وصول و أعضاء و فصول إشاره إلى خلق الصوره الإنسانيّه و إفاضتها بكمال أعضائها و مفاصلها و ما تقوم به صوره،و قوله منها الضمير راجع إلى التربه و يفهم من ظاهر اللفظ أنّ الصوره الإنسانيّه هى المفاضه على كمال استعداد التربه من غير واسطه انتقالات اخر فى أطوار الخلقه،و إنّما يتمّ ذلك إذا حملنا آدم على أوّل شخص يكون من هذا النوع فأمّا إذا حملنا على مطلق النوع كان المراد أنّه جبل منها الصوره

الإنسانيّه بوسائط من صور ترددت فى أطوار الخلقه كما قال تعالى «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِی قَرارٍ مَكِينٍ» ۱فالصوره الإنسانيّه جبلت من النطفه المتولّده من فضل الهضم الرابع المتولّد من الأغذيه،و هى إمّا حيوانيّه أو نباتيّه و الحيوانيّه تنتهى إلى النباتيّه و النباتيّه إنّما تتولّد من صفو الأرض و الماء و هى التربه المستعدّه للإنبات و ليس فى ذلك مخالفه الظاهر فإنّ تلك التربه بعد أن تواردت عليها أطوار الخلقه و أدوار الفطره صارت منيّا فصدق عليها أنّ الصوره الإنسانيّه جبلت منها، و قوله أجمدها حتّى استمسكت و أصلدها حتّى صلصلت الضمير فى الجملتين راجع إلى الصوره و ما يتعلّق بها من الأعضاء فالإجماد لغايه الاستمساك راجع إلى بعضها كاللحم و الأعصاب و العروق و أشباهها،و الأصلاد لغايته راجع إلى بعض آخر كالعظام و الأسنان و إسناد ذلك إلى المدبّر الحكيم سبحانه لأنّه العلّه الاولى و إن كان هناك لهذه الآثار أسباب قريبه طبيعيّه كالحارّ الغريزى فإنّه المستعدّ لتحريك الموادّ و يتبعه البرد ليسكنه عند الكمالات من الخلق،و كالرطوبه فإنّها هى الّتى تتخلق و تتشكّل و يتبعها اليبوسه لحفظ الأشكال و إفاده التماسك،و قوله لوقت معدود و أجل معلوم يحتمل أن يراد به أنّ لكلّ مرتبه من مراتب تركيب بدن الإنسان،و انتقاله فى أدوار الخلقه وقتا معدودا يقع فيه و أجلا معلوما يتمّ به،و يحتمل أن يراد بالوقت المعدود و الأجل المعلوم الوقت الّذى يعلم اللّه سبحانه انحلال هذا التركيب فيه كما قال تعالى «وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلاّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ» ۲استعاره قوله ثم نفخ فيها من روحه.

أقول:الضمير المؤنّث راجع إلى الصوره و قد علمت أنّ هذه الإشاره جاريه فى القرآن الكريم كما قال تعالى «فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ» ۳و المراد بالتسويه إفاضه تمام إعداد البدن و تهيّئه لقبول النقش،و المراد بالنفخ هاهنا هو إفاضه النفس عليه عند كمال ذلك الاستعداد،و استعمال النفخ هاهنا استعاره حسنه فإنّ النفخ له صوره و هو إخراج الهواء من فم النافخ إلى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار،و لمّا كانت حقيقه النفخ ممتنعه فى حقّ اللّه تعالى وجب العدول إلى حمل لفظه على ما يشبهه،و لمّا

كان اشتغال نور النفس فى فتيله البدن عن الوجود الإلهىّ المعطى لكلّ قابل ما يستحقّه يشبه بحسب محاكاه خيالنا الضعف ما نشاهد من اشتغال النار فى المحلّ القابل لها عن صوره النفخ لا جرم حسن التعبير و التجوّز بلفظ النفخ عن إفاضه الجود الإلهىّ للنفس على البدن لمكان المشابهه المتخيّله و إن كان الأمر أجلّ ممّا عندنا و أعلى ،و أمّا نسبه الروح إلى اللّه فاعلم أنّ الروح يحتمل أن يراد به أحد ثلاثه معان،الأوّل جبرئيل عليه السّلام و هو روح اللّه الأمين و نسبته إليه ظاهره و أمّا نسبه النفخ إلى اللّه حينئذ فلكونه العلّه الاولى و جبرئيل واسطه جعله اللّه تعالى مبدء فى هذا اللفظ لنفخ النفس فى صوره آدم منه،الثانى جود اللّه و نعمته و فيضه الصادر على آدم و غيره،و إنّما كان ذلك روح لأنّه مبدء كلّ حياه فهو الروح الكليّه الّتى بها قوام كلّ وجود و نسبته إليه ظاهره و يكون من هاهنا للتبعيض،الثالث أن يراد بالروح النفس الإنسانيّه و يكون من زائده و إنّما نسب إليه دون سائر مصنوعاته الطيفه لما علمت أنّ الروح منزّه عن الجهه و المكان و فى قوّته العلم بجميع الأشياء و الاطّلاع عليها،و هذه مضاهاه و مناسبه بوجه ما مع العلّه الّتى ليست حاصله لما عدا هذا الجوهر ممّا هو جسم أو جسمانىّ فلذلك شرّفها بالإضافه إليه و قوله فمثلث إنسانا إشاره إلى الصوره المجبوله،و فيه لطيفه و هى أنّها إنّما كانت إنسانا و ينفخ الروح فيها و لذلك رتّب و صيرورتها إنسانا بالفاء على نفخ الروح فيها،و قوله ذا أذهان يجيلها إشاره إلى ما للإنسان من القوى الباطنه المدركه و المتصرّفه و معنى إجالتها تحريكها و بعثها فى انتزاع الصور الجزئيّه كما للحسّ المشترك و المعانى الجزئيّه كما للوهم،و قوله و فكر يتصرّف بها إشاره إلى القوى المفكّره فى آحاد النوع الإنسانى و تصرّفها فى تفتيش الخزانتين و تركيب بعض مودوعاتها ببعض و تحليلها،و قوله و جوارح تختدمها إشاره إلى عامّه الأعضاء الّتى بيّنا أنّها كلّها خدم للنفس و الأدوات الّتى تقلّبها من تلك يشبه أن يختصّ بالأيدى كقوله تعالى «فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها» ١و يمكن أن يكون أعمّ من ذلك كالبصر و القلب كقوله عليه السّلام:يا مقلّب القلوب و الأبصار

ص:١٨٨

فیصدق علیها اسم التقلیب،و قوله و معرفه یفرق بها بین الحقّ و الباطل إشاره إلی استعداد النفس لدرک المعقولات الثانیه المسمّی عقلا بالملکه بحسب مالها من المعارف الاولی أعنی البدیهیّات فإنّ الحقّ و الباطل امور کلّیه و لیس للقوی البدنیّه فی إدراک الامور الکلّیه حظّ یحتمل أن یشیر بالمعرفه إلی القوّه الاستعدادیّه الاولی للإنسان المسمّاه عقلا هیولانیّا،و قوله و الأذواق و المشامّ و الألوان و الأجناس نبّه هاهنا علی ثلاثه امور:أحدها أنّ للإنسان آله بها یدرک المذوقات،و اخری بها یدرک المشمومات،و اخری بها یدرک الألوان،و قد بیّنا ذلک،الثانی نبّه علی أنّ النفس مدرکه للجزئیات بواسطه هذه القوی إذ عدّها فی نسق ما تتصرّف فیه النفس و تفرّق بینه و بین غیره،الثالث أنّه أخرّ قوله و الأجناس تنبیها علی أنّ النفس تنتزع الامور الکلّیه من تصفّح الجزئیّات فإنّ الأجناس امور کلّیه و النفس بعد إدراک الجزئیّات و تصفحها تتنبّه لمشارکات بینها و مباینات فتنتزع منها تصوّرات کلّیه و تصدیقات کلّیه و کأنّه عنی بالأجناس هاهنا الامور الکلّیه مطلقا لا بعضها کما هو فی الاصطلاح العلمی،و قوله معجونا بطینه الألوان المختلفه النصب علی الحال من قوله إنسانا أو الصفه له،و المراد الإشاره إلی أنّ اختلاف أبدان النوع بعضها من بعض بالألوان بسبب قوّه استعداداتها لذلک کما قال صلی اللّه علیه و آله:فجاء منهم الأحمر و الأبیض و الأسود کما سبق و طینه الألوان و أصلها،و عجنه بها مزجه بها و تهیّئه و إعداده لقبولها علی اختلافها و کذلک الحال فی البدن الواحد فإنّه لیس لجمله أجزائه لون واحد فإنّ امتزاج بعض الأعضاء یقتضی أن یکون أبیض کالعظام و الأسنان و بعضها أحمر کالدم و بعضها أسود کالحدقه و الشعر،و کذلک اختلاف الأشخاص فی الصفات المکنّی بها عن الاختلاف الوارده فی تمام الخبر من قوله:و السهل و الحزن و الخبیث و الطیّب یرجع إلی أنّ الأرض لمّا کانت أکثر العناصر شرکه فی هذه الأبدان کان لاختلاف بقاعها أثر تامّ فی تفاوت الامتزاج لقبول الأخلاق بالسهوله و الحزونه و الخبیث و الطیّب،و قوله و الأشباه المؤتلفه و الأضداد المتعادیه و الأخلاط المتبائنه من الحرّ و البرد و البلّه و الجمود و المساء و السرور أمّا الأشباه المؤتلفه فکالعظام و الأسنان و أشباهها فإنّها أجسام متشابهه ائتلف بعضها مع بعض،و بها قامت الصوره البدنیّه و امتزجت بطینتها،و أمّا الأضداد المتعادیه فکالکیفیّات

الأربع الّتی ذکرها علیه السّلام و هی الحراره و البروده و الرطوبه الّتی هی البلّه و الیبس الّذی هو الجمود،و عبّر عنه بلازمه و هو الجمود علی أنّ الجمود فی اللغه هو الیبس أیضا و أمّا الأخلاط المتبائنه فهی الأخلاط الأربعه کما عرفت من الدم و البلغم و الصفراء و السوداء، و أمّا المساءه و السرور فهما من الکیفیّات النفسانیّه و مهیّه.کلّ منهما ظاهره،و أمّا أسبابهما فاعلم أنّ للسرور سببا جسمانیّا معدّا و هو کون حامله الّذی هو الروح النفسانی علی کمال أحواله فی الکمیّه لأنّ زیاده الجوهر فی الکمّ یوجب زیاده القوّه فی الکیفیّه و هی أن یکون معتدلا فی اللطافه و الغلظ و أن یکون شدید الصفا،و أمّا السبب الفاعلی له فالأصل فیه تخیّل الکمال کالعلم و القدره و الإحساس بالمحسوسات الملائمه و التمکّن من تحصیل المرادات و القهر و الاستیلاء علی الغیر و الخروج عن المولم و تذکر الملذّات،و أمّا أسباب الغم فمقابلات هذه أمّا السبب المعدّ الجسمانیّ فهو إمّا قلّه الروح کما للناقهین و المنهوکین بالأمراض و المشایخ،و أمّا غلظه فکما للسوداویین و أمّا رقّه کما للنساء و أمّا الفاعلی فمقابل أسباب السرور،و قد یشتدّ کلّ منهما بعد الأسباب المذکوره بتکرّره فیصیر السرور أو الغم ملکه و یسمّی صاحبه مفراحا أو محزانا و مقصوده علیه السّلام التنبیه علی أنّ طبیعه الإنسان فیها قوّه قبول و استعداد لهذه الکیفیّات و أمثالها،و تلک القوّه هی المراد بطینه المساءه و السرور و الفرق بینها و بین الاستعداد أنّ القوّه تکون علی الضدّین و الاستعداد لا یکون إلاّ لأحدهما.

و قوله استأدی اللّه سبحانه الملائکه ودیعته لدیهم و عهد وصیّته إلیهم إلی قوله إلاّ إبلیس.

أقول:لمّا کان الّذی یشیر إلیه کلّ إنسان بقوله أنا هو النفس الناطقه کان آدم عندهم عباره عن النفس الناطقه ثمّ قالوا:المراد بالملائکه الّذین امروا بالسجود لآدم هی القوی البدنیّه الّتی امرت بالخضوع و الخشوع لتکرمه النفس العاقله،و الانقیاد تحت حکمها و هو الأمر الّذی لأجله خلقوا أمّا عهد اللّه لدیهم و وصیّته إلیهم فهو المشار إلیه بقوله تعالی «إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ»

ص:۱۹۰

«رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» ۱و الخطاب هاهنا خطاب الحکمه الإلهیّه بالقضاء الأزلی قبل الوجود و الاستیذاء لذلک العهد و تلک الوصیّه هو طلب المأمور به أوّلا من الانقیاد و الخضوع من تلک القوی بعد الوجود علی ألسنه الرسل علیهم السّلام بالوحی المنزل و هو قوله «اسْجُدُوا لِآدَمَ» ،قوله فسجدوا إشاره إلی القوی المطیعه لنفوسها العاقله فی أشخاص عباد اللّه الصالحین، قوله إلاّ إبلیس و قبیله إشاره إلی الوهم و سائر القوی التابعه له فی معارضه العقل فی أشخاص الکفّار و الفاسقین عن أوامر اللّه سبحانه،و قد عرفت أنّ الوهم رئیس القوی البدنیّه فهی إذن عند معارضته للعقل و متابعتها له جنود إبلیس و قبیله،و أمّا قوله اعترته الحمیّه و غلبت علیه الشقوه و تعزّز بخلق النار و استهون خلق الصلصال ،فقالوا:إنّ المراد بکون إبلیس و جنوده خلقوا من نار أنّ الأرواح الحامله لهذه القوی کما عرفت أجسام لطیفه تتکوّن عن لطافه الأخلاط و هی حارّه حدّا مائله فی الإفراط و الناریّه و الهوائیّه علیها أغلب و تولّدها عنهما أسهل و هی آخر أجزاء البدن و کذلک القلب الّذی هو منبعها فکانت تلک الأرواح کالأبدان لهذه القوی فلذلک نسب إبلیس إلی النار فقال تعالی حکایه عنه «خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ» و قال «وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ» أی قدّرنا قبل وجوده أن تکون الناریّه و الهوائیّه علی وجود أغلب،و قال بعضهم:إنّه لمّا کانت النار ألطف العناصر و کانت هذه القوی و أرواحها ألطف الامور الجسمانیّه و تکّونها عن ألطف الأخلاط کانت نسبتها إلی النار أولی من سائر العناصر لمکان المشابهه فی اللطافه فجاز أن یطلق علی أصله أنّه نار.لا یقال:إذا کان آدم هو النفس الناطقه فما معنی قول إبلیس و خلقته من طین.

لأنا نقول:کما صدق أنّ إبلیس مخلوق من نار بمعنی أنّ الغالب علی الروح الحامل له هو عنصر النار کذلک یصدق أنّ آدم من طین بمعنی أنّ الغالب علی بدنه الأرضیّه،و أیضا فإنّ الوهم لا یدرک إلاّ المعانی الجزئیّه المتعلّقه بالمحسوسات فلا یصدق حکمه و مساعدته إلاّ فیما کان محسوسا،و لمّا ثبت أنّ النفس جوهر مجرّد لم یکن إعتقاد إبلیس أنّ الإنسان شیء غیر هذا البدن المتکوّن عن الطین.إذا ثبت ذلک فنقول: مجاز اعتراء الحمیّه و التعزّز بالانتساب إلی عنصر النار نسبه مجازیّه إذا العاده جاریه بأن یأنف الإنسان من

الأصل الناقص و أن يفتخر و يتعزّز بالأصل الشريف و الانتساب إليه فكان لسان حال إبليس و القوى المتابعه له يقول على جهه الاستنكار أ أسجد «لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» ،و أنا مخلوق من النار الّتى هى أشرف العناصر قالوا:و لمّا علم اللّه ذلك من حال إبليس لعنه و طرده و أخرجه من الجنّه و ذلك قوله تعالى «قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ» ١قالوا و ذلك أنّك علمت أنّ الجنّه تعود إلى معارف الحقّ سبحانه و الابتهاج بمطالعه أنوار كبريائه و درجات الجنّه هى المراتب الّتى ينتقل العقل فيها فى مقامات السلوك إلى حظائر القدس و مجاوره الملاء الأعلى،و علمت أنّ حال الوهم قاصر عن الانتقال على تلك المراتب فطرده و لعنه و تحريم الجنّه عليه يعود إلى تكوينه على الطبيعه الّتى هو عليها القاصره عن إدراك العلوم الكلّيه الّتى هى ثمار الجنّه و قطوفها و القضاء عليه بذلك قالوا:و ممّا يتبه على ذلك قوله «رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» ٢أى بما خلقتنى على هذه الجبله لا اهتدى لدخول الجنّه و لا أتمكّن منها لأجذبنّهم إلى المشتهيات و تزيين الملذّات الجاذبه لهم عن عبادتك حتّى لا يهتدوا إلى الجنّه الّتى لأجلها خلقتهم و لا يلتفتوا إليها إلاّ من عصمته منّى و جعلت له سلطانا على قهرى و غلبتى و هم عبادك المخلصون أى النفوس الكامله المطهّره عن متابعه قواها المسلّط على قهر شياطينها و قهرها و كذلك قوله: «قالَ أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» فإنّه لمّا كان البعث الأوّل هو مفارقه النفوس لأبدانها و انبعاثها إلى عالمها و كانت طبيعه الوهم قاضيه بمحبّه البقاء فى دار الدنيا إذ لا حظّ له فى غيرها أحسن من لسان حاله أن يقول «رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» ،و قوله فأعطاه اللّه النظره لمّا كان الوهم باقيا فى البدن هو و جنوده إلى يوم البعث حسن من لسان الحكمه الإلهيّه أن يقول إنّك «الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» و ذلك معنى إعطائه النظره، استعاره مرشحه و قوله استحقاقا للسخطه و استتماما للبليّه و إنجازا للعدّه فقد عرفت أنّ البليّه نصب على المفعول له ثمّ إنّ فساد الوهم و ابتلاء الخلق به و الشرّ الصادر عنه امور داخله فى القضاء الإلهىّ بالعرض فيصدق

علیه أنّه مراد و أنّ الإنظار و الإمهال له و کذلک استحقاق السحطه و إنجاز العده و إطلاق لفظ السخطه استعاره فإنّ السخط لمّا کان عباره عن حاله للإنسان یستلزم وجود مغضوب علیه غیر مرضیّ بأفعاله و کان حال إبلیس فی إنظار اللّه إیّاه و فسوقه عن أمر ربّه مستلزما لإعراض اللّه سبحانه عنه و عمّن عصاه بمتابعته کان هناک نوع مشابهه،فحسن لأجلها إطلاق لفظ السخطه أمّا العده فتعود إلی قضاء الحکمه الإلهیّه ببقاء الوهم إلی یوم البعث، و إنجازها یعود إلی موافقه القدر لذلک القضاء،و قال بعضهم:إنّه لمّا کان هاهنا صوره مطرود و مبعّد و ملعون حسن إطلاق لفظ السخطه و استحقاقها و أنّه إنّما انظر لأجلها و هو ترشیح للاستعاره.

قوله ثمّ أسکن اللّه سبحانه آدم دارا أرغد فیها عیشه و آمن فیها محلّته و حذّره إبلیس و عداوته.

أقول:الدار الّتی أسکن فیها آدم هی الجنّه و الإشاره هاهنا إلی أنّ الإنسان من أوّل زمان إفاضه القوّه العاقله علیه إلی حین استرجاعها ما دام مراعیا لأوامر الحقّ سبحانه غیر منحرف عن فطرته الأصلیّه و لا معرض عن عبادته و لا یلتفت إلی غیره فإنّه فی الجنّه و إن کانت الجنّه علی مراتب کما قال تعالی «لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِیَّهٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» ۱و لذلک قال صلی اللّه علیه و آله:کلّ مولود یولد علی الفطره و إنّما أبواه هما اللذان یهوّدانه و ینصّرانه إذ کانت نفسه قبل الجواذب الخارجیّه عن القبله الحقیقیّه غیر مدّ نسبه بشیء من الاعتقادات الفاسده و الهیئات الردیئه،و إن کانت المرتبه السامیه و الغرفه العالیه إنّما تنال بعد المفارقه،و استصحاب النفس لأکمل زاد،و أمّا إرغاد العیش فیعود إلی ابتهاجه بالمعقولات و المعارف الکلّیّه و أمان المحلّه أمان مکانه فی الجنّه أن یعرض له خوف أو حزن ما دام فیها،و أمّا تحذیره من إبلیس و عداوته فظاهر من الأوامر الشرعیّه و لسان الوحی ناطق کما قال تعالی «إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ» ۲و وجه العداوه ظاهر ممّا قلنا فإنّ النفس لمّا کانت من عالم المجرّدات و کان الوهم بطبعه منکرا لهذا القسم من الممکنات کان منکرا لما تأمر به النفس من الامور الکلّیّه الّتی لا حظّ له فی إدراکها و ذلک من مقتضیات

العداوه و لأنّ نظام أمر النفس و مصلحتها لا يتمّ إلّا بقهر الوهم و القوى البدنيّه عن مقتضيات طباعها،و تمام مطالب القوى لا يحصل إلّا بانقهار النفس فكانت بينهما مجاذبه طبيعيّه و عداوه أصليّه إذ لا معنى للمعاداه إلّا المجانبه لما يتصوّر كونه موذيا.

قوله فاغترّه عدّوه نفاسه عليه بدار المقام و مرافقه الأبرار.

أقول:يقال:إنّ اللّه تعالى لمّا حذّره إبليس و عداوته كان قد نهاه عن أكل شجره يقال إنّها شجره البرّ،و أعلمه أنّه إن أكل منها كان ظالما لنفسه مستحقّا لسخط اللّه عليه و ذلك قوله تعالى «وَ لا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ» ١قالوا:و تلك الشجره هى الشجره الخبيثه الّتى اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار و هى عائده إلى المشتهيات الدنيويّه الفانيه و اللذّات البدنيّه الخارجه عن المحدودات فى أوامر اللّه،و تناولها هو العبور فيها إلى طرف الإفراط عن وسط القانون العدل،و أمّا كونها شجره البرّ فقالوا:إنّ البرّ لمّا كان هو قوام الأبدان و عليه الاعتماد فى أنواع المطعومات و الملاذ البدنيّه حسن أن يعبّر به عنها فيقال هى شجره البرّ كنايه عن الفرع بالأصل،فأمّا اغترار إبليس له فاعلم أنّ حقيقه الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى و يميل إليه بالطبع عن شبهه و خدعه من إبليس فاغتراره يعود إلى استغفال النفس بالوسوسه الّتى حكى اللّه تعالى عنها بقوله «فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى» ٢و لنبحث حقيقه الوسوسه فنقول:إنّ الفعل إنّما يصدر عن الإنسان بواسطه امور مترتّبه ترتيبا طبيعيّا أوّلها تصوّر كون الفعل ملائما و هو المسمّى بالداعى،ثمّ إنّ ذلك الشعور يترتّب عليه ميل النفس إلى الفعل المسمّى ذلك الميل إراده فيترتّب على ذلك الميل حركه القوّه النزوعيّه المحرّكه للقوّه المسمّاه قدره المحرّكه للعضل إلى الفعل.إذا عرفت ذلك فنقول:صدور الفعل عن مجموع القدره و الإراده أمر واجب فليس للشيطان فيه مدخل،و وجود الميل عن تصوّر كونه نافعا و خيرا أمر لازم فلا مدخل للشيطان أيضا فيه فلم يبق له مدخل إلّا فى إلقاء ما يتوهّم كونه نافعا أو لذيذا إلى النفس ممّا يخالف أمر اللّه سبحانه فذلك الإلقاء فى الحقيقه هو الوسوسه و هو عين ما حكى اللّه سبحانه عنه بقوله «وَ ما كانَ لِی عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ»

«إِلاّ أَنْ دَعَوْتُكَمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِی» ۱إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ متابعه إبلیس یعود إلی انقیاد النفس لجذب الوهم و القوی البدنیّه الّتی هی الشیاطین عن الوجهه المقصوده و القبله الحقیقیّه و هی عباده الحقّ سبحانه و فتنتها لها بتزیین ما حرّم اللّه علیها فأمّا ما یقال:إنّ إبلیس لم یکن له تمکّن من دخول الجنّه و إنّما توسّل بالحیّه و دخل فی فمها إلی الجنّه حتّی تمکّن من الوسوسه لآدم علیه السّلام و اغتراره فقالوا:المراد بالحیّه هی القوّه المتخیّله،و ذلک أنّ الوهم إنّما یتمکّن من التصرّف و بعث القوی المحرّکه کالشهوه و الغضب الّتی هی جنوده و شیاطینه علی طلب الملاذ البدنیّه و الشهوات الحسّیّه الدنیّه،و جذب النفس إلیها بتصویر کونها لذیذه نافعه بواسطه القوّه المتخیّله،و وجه تشبیهها بالحیّه أنّ الحیّه لمّا کانت لطیفه سریعه الحرکه تتمکّن من الدخول فی المنافذ الضیّقه و تقدر علی التصرّف الکثیر و هی مع ذلک سبب من أسباب الهلاک بما تحمله من السمّ و کانت المتخیّله فی سرعه حرکتها و قدرتها علی التصرّف السریع و الإدراک ألطف من سائر القوی و هی الواسطه بین النفس و الوهم و کانت بما اشتملت علیه من تحمّل کید إبلیس و إلقاء الوسوسه بواسطتها إلی النفس سببا قویّا للهلاک السرمد و العذاب المؤبّد لا جرم کان أشبه ما یشبه به الحیّه لما بینهما من المناسبه فحسن إطلاق لفظ الحیّه علیها.

استعاره مرشحه قوله نفاسه علیه ترشیح للاستعاره لأنّه لمّا کان جذب الوهم للنفس إلی الجنّه السافله مانعا لها من الکرامه بدار المقامه و مستنزلا عن درجه مرافقه الملاء الأعلی،و کان ذلک أعظم ما تنفس به کما قال تعالی «وَ فِی ذٰلِکَ فَلْیَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ» ۲و عرفت أنّ ذلک الجذب عن صوره معاداه کما سبق و کان من لوازم المعاده النفاسه علی العدوّ بکلّ ما یعدّ کمالا لا جرم حسن إطلاق النفاسه هاهنا ترشیحا لاستعاره العداوه ،و النصب علی المفعول له.

قوله فباع الیقین بشکّه و العزیمه بوهنه أی لمّا حصلت الوسوسه و الاغترار لآدم فانقاد لها کان قد بدّل ما تیقّنه من أنّ شجره الخلد و الملک الّذی لا یبلی هو نور الحقّ و البقاء فی جنّته و دوام مطالعه کبریائه بالشکّ فیه بواسطه وسوسه إبلیس،و ذلک أنّ الامور الموعوده من متاع الآخره و ما أعدّه اللّه لعباده الصالحین امور خفیت حقائقها علی أکثر البصائر البشریّه،و إنّما الغایه فی تشویقهم إلیها أن یمثّل لهم بما هو مشاهد لهم من

اللذّات البدنيّه الحاضره فترى كثيرا منهم لا يخطر بباله أن يكون فى الجنّه أمر زائد على هذه اللذّات فهو يجتهد فى تحصيلها إذ لا يتصوّر وراءها أكثر منها،ثمّ إن صدّق بها على سبيل الجمله تصديقا للوعد الكريم فإنّه لا يتصوّر كثير تفاوت بين الموعود به و الحاضر بحيث يرجّح ذلك التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه إلى الحاضر، و توهّم كونه أنفع و أولى به أغلب عليه،و أن تيقنّ بأصل عقله أنّ الأولى به و أنفع له و الأبقى هو متاع الآخره فتاره يطرأ على ذلك اليقين غفله عنه و نسيان له بسبب الاشتغال باللذّات الحاضره و الانهماك فيها،و ذلك معنى قوله تعالى «فَنَسِيَ» ،و تاره لا تحصل الغفله الكلّيّه بل يكون الوهم المذكور قويّا فيعارض ذلك اليقين بحيث يوجب فى مقابلته شبهه و شكّا و ذلك معنى قوله عليه السّلام فباع اليقين بشكّه و لا منافاه بين قوله تعالى «فَنَسِيَ» و بين الشكّ هاهنا.

و قوله و العزيمه بوهنه أى تعوّض من العزم و التصميم الّذى كان ينبغى له فى طاعه الحقّ سبحانه بالضعف و التعاجز عن تحمّله كما قال تعالى «وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» استعاره و إطلاق لفظ البيع هاهنا استعاره حسنه إذ كان مدار البيع على استعاضه شىء بشىء سواء كان المستعاض أجلّ أو أنقص،و مثله قوله تعالى «أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياهَ الدُّنْيا بِالْآخِرَهِ» «فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ» .

و قوله فاستبدل بالجذل وجلا و بالاغترار ندما إلى قوله و تناسل الذرّيّه فيه تقديم و تأخير و تقديره و العزيمه بوهنه فأهبطه اللّه إلى دار البليّه و تناسل الذريّه فاستبدل بالجذل و جلا بالاغترار ندما،ثمّ أناب إلى اللّه فبسط له فى توبته و لقّاه كلمه رحمته و وعده المردّ إلى جنّته،و ذلك لأنّ الإهباط عقيب الزلّه و استبدال الجذل بالوجل بعد الإهباط من الجنّه و الإخراج منها،و قد ورد القرآن الكريم بهذا النظم فى سوره البقره و هو قوله «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا» ١ثمّ قال عقيبه «فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ» و ورد أيضا على النظم الّذى ذكره عليه السّلام فى سوره طه و ذلك قوله «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى قالَ اهْبِطا» ٢فقدم الاجتباء

و التوبه على الإهباط و كلاهما حسن.قالوا:و معنى الإهباط له هو إنزاله عن دار كرامته و استحقاق إفاضه نعيم الجنّه،و ذلک أنّ النفس الناطقه إذا أعرضت عن جناب الحقّ سبحانه،و التفتت إلى متابعه الشياطين و أبناء الجنّ و موافقه إبليس بعدت عن رحمه اللّه و تسوّد لوحها عن قبول أنوار الإلهيّه،و أمّا دار البليّه و تناسل الذريّه فإشاره إلى الدنيا فإنّ الإنسان إذا التفت بوجهه إليها،و أقبل بكلّيته عليها هبط من أعلى علّيين إلى أسفل سافلين،و لم يزل ممنوّا ببلاء على أثر بلاء إذ لا يقدّم فی كلّ لحظه و وقت فوت مطلوب أو فقد محبوب يطلب مالا يدرک و يجد ما لا يطلب و كفى بانقطاعه عن اللّه تعالى بالتفاته إليها بلاء و أعظم به شقاء إذ كان سبب البعد عن رحمته و الطرد عن أبواب جنّته.فإن قلت لم ذكر تناسل الذريّه فی معرض الإهانه لآدم مع أنّه فی الحقيقه من الامور الخيريّه المندرجه فی سلک العنايه الإلهيّه فإنّ به بقاء النوع و دوام الإفاضه.قلت:إنّه و إن كان كذلک إلاّ أنّه لا نسبه له فی الحقيقه إلى الخير الّذی كان فی الجنّه فإنّ تناسل الذريّه خير إضافیّ عرضیّ بالنسبه إلى الكمال الّذی يحصل لأبناء النوع و ذريّته، ثمّ النسبه إن حصلت فنسبه أخصّ إلى أشرف فإنّ إنزاله و إهباطه عن استحقاق تلک المراتب الساميه و الإفاضات العاليه إلى هذه المرتبه الّتی يشارک فيها البهيمه و سائر أنواع الحشرات نقصان عظيم و خسران مبين.

قوله و استبدل بالجذل و جلا و بالاغترار ندما ظاهر فإنّ المقبل بوجهه على عباده الحقّ سبحانه المستشرق لأنوار كبريائه المعرض عمّا سواه أبدا مسرور مبتهج فإذا أعرض عمّا يوجب السرور و الفرح و التفت إلى خسائس الامور بسبب شيطان قاده إليها و زيّنها لعينه فانكشف عنه ستر اللّه و بدت سوئته للناظرين بعين العاقبه من عباد اللّه الصالحين،ثمّ أخذت بضبعه العنايه الإلهيّه و تداركته الرحمه الربّانيّه فانتبه من رقده الغافلين فی مراقد الطبيعه فرأى السلاسل و الأغلال قد أحاطت به و شاهد الجحيم مسعرّه عن جنبتی الصراط المستقيم،و تذكّر قوله تعالى «فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّی هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمى» االآيات

ص:۱۹۷

فلا بدّ و أن يصيح و جلا قلقا يقلّب كفّيه حسره و ندما و جلا ممّا يلحقه من سخط اللّه ن ادما على ما فرّط فى جنب اللّه،و قوله ثمّ بسط اللّه فى توبته و لقّاه كلمه رحمته فالمراد الإشاره إلى أنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا منع من جهته،و إنّما النقصان من جهه القابل و عدم استعداده فإذا استعدّت النفس لتدارك رحمه اللّه و جذبتها العنايه الإلهيّه من ورطات الهلاك الأبدى فأيّدتها بالمعونه على إبليس و جنوده و بصّرتها بمقابح أحواله(أفعاله)و ما يدعوا إليه،فأخذت فى مقاومته و الترصّد لدفع مكائده فذلك هو معنى إنابتها و توبتها،و أمّا كلمه رحمه اللّه الّتى لقّاها آدم فتعود إلى السوانح الإلهيّه الّتى تنسخ للعبد فتكون سببا لجذبه عن مهاوى الهلاك و توجيهه عن الجنّه السافله إلى القبله الحقيقيّه و إمداده بالملائكه حالا فحالا و رفعه فى مدارج الجلال الّتى هى درجات الجنّه،و قوله و وعده المردّ إلى جنّته فإشاره إلى وعد القضاء الإلهىّ الناطق عنه لسان الوحى الكريم« «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلاٰ یَضِلُّ وَ لاٰ یَشْقیٰ» - «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اللّٰهِ تَوْبَهً نَصُوحاً عَسیٰ رَبُّکُمْ أَنْ یُکَفِّرَ عَنْکُمْ سَیِّئٰاتِکُمْ وَ یُدْخِلَکُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ» »و كذلك سائر أنواع و عد التائبين فهذا ما يتعلّق بهذه القصّه من التأويل و باللّه العصمه و التوفيق.

الفصل الرابع قوله و اصطفى سبحانه...

اشاره

وَ اصْطَفَی سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِیَاءَ- أَخَذَ عَلَی الْوَحْیِ مِیثَاقَهُمْ- وَ عَلَی تَبْلِیغِ الرِّسَالَهِ أَمَانَتَهُمْ- لَمَّا بَدَّلَ أَکْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَیْهِمْ- فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَ اتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ- وَ اجْتَالَتْهُمُ الشَّیَاطِینُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ- وَ اقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِیهِمْ رُسُلَهُ- وَ وَاتَرَ إِلَیْهِمْ أَنْبِیَاءَهُ لِیَسْتَأْدُوهُمْ مِیثَاقَ فِطْرَتِهِ- وَ یُذَکِّرُوهُمْ مَنْسِیَّ نِعْمَتِهِ- وَ یَحْتَجُّوا عَلَیْهِمْ بِالتَّبْلِیغِ- وَ یُثِیرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ- وَ یُرُوهُمْ آیَاتِ الْمَقْدِرَهِ- مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَ مِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ- وَ مَعَایِشَ تُحْیِیهِمْ وَ آجَالٍ تُفْنِیهِمْ وَ أَوْصَابٍ

تُهْرِمُهُمْ- وَ أَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ- وَ لَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ- أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ- رُسُلٌ لاَ تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ- وَ لاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ- مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَ مَضَتِ الدُّهُورُ- وَ سَلَفَتِ الْآبَاءُ وَ خَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ؟مُحَمَّداً ص؟- لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَ إِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ- مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ- مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ كَرِيماً مِيلاَدُهُ- وَ أَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ- وَ أَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَ طَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ- بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ- أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ- فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ وَ أَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ- ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ؟لِمُحَمَّدٍ ص؟ لِقَاءَهُ- وَ رَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَ أَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا- وَ رَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى- فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً- ص وَ خَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا- إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً- بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَ لاَ عَلَمٍ قَائِمٍ كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَ حَرَامَهُ- وَ فَرَائِضَهُ وَ فَضَائِلَهُ وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ- وَ رُخَصَهُ وَ عَزَائِمَهُ وَ خَاصَّهُ وَ عَامَّهُ- وَ عِبَرَهُ وَ أَمْثَالَهُ وَ مُرْسَلَهُ وَ مَحْدُودَهُ- وَ مُحْكَمَهُ وَ مُتَشَابِهَهُ مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ وَ مُبَيِّناً غَوَامِضَهُ- بَيْنَ مَأْخُوذٍ

مِيثَاقُ عِلْمِهِ وَ مُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ- وَ بَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ- وَ مَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ- وَ وَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ- وَ مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ- وَ بَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ وَ زَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ- وَ مُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ- أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ- وَ بَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ

اللغه

أقول: الاصطفاء الاستخلاص ،و الأنداد الأمثال ،و اجتالتهم أى أدارتهم و اجتذبتهم ،و واتر أى أرسل وترا بعد وتر أى واحدا بعد آخر ،و الفطره الخلقه ،و المهاد الفراش ،و الأوصاب الأمراض ،و الأحداث المصائب و تخصيصها بذلك عرفىّ ،و الحجّه ما يحتجّ به الإنسان غيره أى يغلبه به ،و المحجّه جادّه الطريق ،و الغابر الباقى و الماضى أيضا و هو من الأضداد ،و القرن الامّه ،و نسلت أى درجت و مضت مأخوذ من نسل ريش الطائر و نسل الوبر إذا وقع ،و العده الوعد و إنجازها قضاؤها ،و السمه العلامه ،و ميلاد الرجل محلّ ولادته من الزمان و المكان ،و الملحد العادل عن الاستقامه على الحقّ ،و النسخ فى اللغه الإزاله ،و الرخصه الساهل فى الأمر ،و العزيمه الهمّه ،و هذه الألفاظ الثلاثه مخصوصه فى العرف على معان اخرى كما نذكره،و أرصدت له كذا أى هيّأته له ،

المعنى

و

هاهنا أبحاث .

البحث الأوّل

- استعاره الضمير فى ولده راجع إلى آدم عليه السّلام ثمّ إن كانت الإشاره بآدم إلى النوع الإنسانى فنسبه الولاده إليه فى العرف ظاهره صادقه فإنّ كلّ أشخاص نوع هم أبناء ذلك النوع فى اصطلاح أهل التأويل و كذلك إن كان المراد به أوّل شخص وجد،و اعلم أنّ اصطفاء اللّه للأنبياء يعود إلى إفاضه الكمال النبوىّ عليهم بحسب ما وهبت لهم العنايه الإلهيّه من القبول و الاستعداد،و أخذه على الوحى ميثاقهم و على تبليغ الرساله أمانتهم هو حكم الحكمه الإلهيّه عليهم بالقوّه على ما كلّفوا به من ضبط الوحى فى ألواح قواهم

ص:٢٠٠

و جذب سائر النفوس الناقصه إلى جناب عزّته بحسب ما أفاضهم من القوّه على ذلك الاستعداد، له و ما منحهم من الكمال الّذى يقتدرون معه على تكميل الناقصين من أبناء نوعهم،و لمّا كانت صوره العهد و أخذ الأمانه فى العرف أن يوغر إلى الإنسان بأمر و يؤكّد عليه القيام به بالإيمان و إشهاد الحقّ سبحانه،و كان الحكم الإلهىّ جاريا بإرسال النفوس الإنسانيّه إلى هذا العالم و كان مراد العنايه الإلهيّه من ذلك البعث أن يظهر ما فى قوّه كلّ نفس من كمال أو تكميل إلى الفعل،و كان ذلك لا يتمّ إلّا بواسطه بعضها للبعض كان الوجه الّذى بعثت عليه مشبّها للعهد و الميثاق المأخوذ و الأمانه المودعه كلّ لما فى قوّته و ما أعدّ له فحسن إطلاق هذه الألفاظ و استعارتها هاهنا.

قوله لمّا بدّل أكثر خلق اللّه عهدهم إليهم فجهلوا حقّه و اتّخذوا الأنداد معه و اجتالتهم الشياطين عن معرفته و اقتطعتهم عن عبادته إلى آخره إشاره إلى وجه الحكمه الإلهيّه فى وجود الأنبياء عليهم السّلام و لوازمه و هى شرطيّه متصّله قدّم فيها التالى لتعلّق ذكر الأنبياء عليهم السّلام بذكر آدم،و التقدير لمّا بدّل أكثر خلق اللّه عهده إليهم اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحى ميثاقهم فبعثهم فى الخلق،و ذلك العهد هو المشار إليه بقوله تعالى «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» ١الآيه قال ابن عبّاس:

لمّا خلق اللّه آدم مسح على ظهره فأخرج منه كلّ نسمه هو خالقها إلى يوم القيامه فقال:

«أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ» ،فنودى يومئذ جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامه،و اعلم أنّ أخذ الذريّه يعود إلى إحاطه اللوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع الإنسانى بأشخاصه،و انتقاشه بذلك عن قلم القضاء الإلهى،و لمّا كان بالإنسان تمام العالمين فى الوجود الخارجىّ فكذلك هو فى التقدير القضائى المطابق له،و به يكون تمام التقدير و جفاف القلم،و أمّا إشهادهم على نفسهم فيعود إلى إنطاق إمكانهم بلسان الحاجه إليه و أنّه الإله المطلق الّذى لا إله غيره،و أمّا بيان ملازمه الشرطيّه فلأنّه لمّا كان الغالب على الخلق حبّ الدنيا،و الإعراض عن مقتضى الفطره الأصليّه الّتى فطرهم عليها،و الالتفات عن القبله الحقيقيّه الّتى امروا بالتوجّه إليها،و ذلك بحسب ما ركبّ فيهم من القوى البدنيّه المتنازعه إلى كمالاتها لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص

أن يبدّل أكثرهم عهد اللّه سبحانه إليهم من الدوام على عبادته و الاستقامه على صراطه المستقيم و عدم الانقياد لعباده الشيطان كما قال سبحانه «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ» ١الآيه،و أن يجهلوا حقّه للغفله بحاضر لذّاتهم عمّا يستحقّه من دوام الشكر، و أن يتّخذوا الأنداد معه لنسيانهم العهد القديم،و أن تجتذبهم الشياطين عن معرفته الّتى هى ألذّ ثمار الجنه،و أن تقتطعهم عن عبادته الّتى هى المرقاه إلى اقتطاف تلك الثمره، و لمّا كان من شأنهم ذلك وجب فى الحكمه الإلهيّه أن يختصّ صنفا منهم بكمال أشرف يقتدر معه أبناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبه،و على تكميل الناقصين ممّن دونهم،و هم صنف الأنبياء عليهم السلام و الغايه منهم ما أشار إليه ليستأدوهم ميثاق فطرته أى ليبعثوهم على أداء ما خلقوا لأجله و فطروا عليه من الإقرار بالعبوديّه للّه،و يجذبوهم عمّا التفتوا إليه من اتّباع الشهوات الباطنه،و افتناء اللذّات الوهميّه الزائله،و ذلك البعث و الجذب تاره يكون بتذكيرهم نعم اللّه الجسميّه و تنبيههم على شكر ما أولاهم به من مننه العظيمه،و تاره يكون بالترغيب فيما عقده سبحانه ممّا أعدّه لأوليائه الأبرار،و تاره بالترهيب ممّا أعدّه لأعدائه الظالمين من عذاب النار،و تاره بالتنفير عن خسائس هذه الدار،و وجوه الاستهانه بها و الاستحقار،و إلى ذلك أشار بقوله، و يذكّروهم منسىّ نعمته ، و لا بدّ للمجادله و المخاطبه من احتجاج مقنع و مفحم فيحتجّوا عليهم بتبليغ رسالات ربّهم و إنذارهم لقاء يومهم الّذى يوعدون،و يشيروا لهم وجوه الأدلّه على وحدانيّه المبدع الأوّل، استعاره و تفرّده باستحقاق العباده،و هو المراد بدفائن العقول و كنوزها ،و استعمال الدفائن هاهنا استعاره لطيفه فإنّه لمّا كانت جواهر العقول و نتائج الأفكار،موجوده فى النفوس بالقوّه أشبهت الدفائن فحسن استعاره لفظ الدفينه لها،و لمّا كانت الأنبياء هم الأصل فى استخراج تلك الجواهر لإعداد النفوس لإظهارها حسنت إضافه إثارتها إليهم،و كذلك ليرشدهم إلى تحصيل مقدّمات تلك الأدلّه و البراهين و موادّها و هى آيات القدره الإلهيّه و آثارها من سقف فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على بدائع الصنع و غرائب الحكم،و مهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون و عليه يتصرّفون،و معائش بها يكون قوام حياتهم الدنيا،و بلاغا لمدّه بقائهم لما خلقوا له،و إجال مقدره بها يكون فناؤهم و رجوعهم إلى بارئهم،و أعظم بالأجل آيه رادعه و تقديرا جاذبا

إلى اللّه تعالى،و لذلك قال صلى اللّه عليه و آله:أكثروا من ذكر هادم اللذّات إلى غير ذلك من الأمراض الّتى تضعف قواهم و تهرمهم،و المصائب الّتى تتتابع عليهم فإنّ كلّ هذه الآثار موادّ احتجاج الأنبياء على الخلق ليتبّونهم بصدورها عن العزيز الجبّار عزّ سلطانه على أنّه هو الملك المطلق الّذى له الخلق و الأمر،و ليقرّروا فى أذهانهم صوره ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم فى الفطره الأصليّه من أنّه سبحانه هو الواحد الحقّ المتفرّد باستحقاق العباده،و إلى ذلك أشار القرآن الكريم« «وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ» »۱و قوله «إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها» ۲الآیه و قوله تعالى «وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ» ۳إلى غير ذلك من الآيات الدالّه على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بألسنه رسله و تراجمه وحيه و جذبهم بهذه الألطاف إلى القرب من ساحل عزّته و الوصول إلى حضره قدسه سبحانه و تعالى عمّا يشركون« و إن تعدّوا نعمت اللّه لا تحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفّار » ۴قوله و لم يخل اللّه سبحانه خلقه إلى قوله و خلقت الأبناء .

أقول:المقصود الإشاره إلى بيان عنايه اللّه سبحانه بالخلق حيث لم يخل امّه منهم من نبىّ مرسل يجذبهم إلى جناب عزّته كما قال تعالى «وَ إِنْ مِنْ أُمَّهٍ إِلاّ خَلا فِیها نَذِیرٌ» ۵و كتاب منزل يدعوهم إلى عبادته و يذكّرهم فيه منسىّ عهده و يتلى عليهم فيه أخبار الماضين و العبر اللاحقه للأوّلين و يحتجّ عليهم فيه بالحجج البالغه و الدلائل القاطعه،و يوضح لهم فيه امور نظامهم و ينبّههم على مبدئهم و معادهم،و الانفصال هاهنا انفصال مانع من الخلوّ كما هو مصرّح به.

قوله رسل لا تقصّر بهم قلّه عددهم و لا كثره المكذّبين لهم أى هم رسل كذلك،و المراد الإشاره إلى أنّهم و إن كانوا قليلى العدد بالنسبه إلى كثره الخلق،و كان عدد المكذّبين

لهم كثيرا كما هو المعلوم من أنّ كلّ نبيّ بعث إلى امّه فلا بدّ فيهم فرقه تنابذه و تعانده، و تكذّب مقاله فإنّ ذلك لا يولّيهم قصورا عن أداء ما كلّفوا القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون ممّا هو مصلحه لهم فى معاشهم و معادهم،بل يقوم أحدهم وحده و يدعو إلى طاعه بارئه و يتحمّل إعباء المشقّه التامّه فى مجاهده أعداء الدين،و ينشر دعوته فى أطراف الأرض بحسب العنايه الأزليّه و الحكمه الإلهيّه،و تبقى آثارها محفوظه و سنتّها قائمه إلى أن يقتضى الحمكمه وجود شخص آخر منهم يقوم ذلك المقام« «رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» » ۱قوله من سابق سمّى له من بعده تفضيل للأنبياء،و من هاهنا للتميز و التبيين،و المراد أنّ السابق منهم قد اطّلعه اللّه تعالى على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدّمه لتصديق البعض كعيسى عليه السّلام حيث قال «وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» ۲»و بين لاحق سمّاه من قبله كمحمّد صلى اللّه عليه و آله و على ذلك أى على هذه الوتيره و الاسلوب و النظام الإلهى.

قوله مضت الأمم و سلفت الآباء و خلقت الأبناء إلى أن بعث اللّه سبحانه محمّد صلى اللّه عليه و آله إلى قوله من الجهاله ،و اعلم أنّه عليه السّلام ساق هذه الخطبه من لدن آدم عليه السّلام إلى أن انتهى إلى محمّد صلى اللّه عليه و آله كما هو الترتيب الطبيعى إذ هو الغايه من طينه النبوّه و خاتم النبيّين كما نطق به القرآن الكريم « «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» » ۳ثمّ شرع بعد ذلك فى التنبيه على كيفيّه اهتداء الخلق به و انتظام أمورهم فى معاشهم و معادهم بوجوده كلّ ذلك استدراج لأذهان السامعين و تمهيد لما يريد أن يقرّره عليهم من مصالح دينيّه أو دنيويّه فأشار إلى أنّه الغايه من طينه النبوّه و تمام لها بقوله إلى أن بعث اللّه محمّدا صلى اللّه عليه و آله لإنجاز عدته لخلقه على ألسنه رسله السابقين بوجوده و إتمام نبوّته صلى اللّه عليه و آله.

قوله مأخوذا على النبيين ميثاقه ،النصب هاهنا على الحال من بعث و ذو الحال

محمّـد صلى اللّه عليه و آله،و كـذلك الحال فى المنصوبين البـاقيين،و المراد بأخـذ ميثـاقه عليهم ما ذكر و قرّر فى فطرتهم من الاعتراف بحقيّه نبوّته صلى اللّه عليه و آله و تصديقه فيما سيجىء به إذ كان ذلك من تمام عباده الحقّ سبحانه فبعث صلى اللّه عليه و آله حال ما كان ذلك الميثاق مأخوذا على الأنبياء و من عداهم و حال ما كانت إمارات ظهوره و البشاره بمقدّمه مشهوره بينهم مع ذكاء أصله و كرم مادّه حملته و شرف وقت سمح به،ثمّ أراد عليه السّلام بعد ذلك أن يزيد بعثه محمّد صلى اللّه عليه و آله تعظيما،و يبيّن فضيله شرعه و كيفيّه انتفاع الخلق به فقال:و أهل الأرض يومئذ ملل متفرّقه و أهواء منتشره و طوائف متشتّته،و الواو فى قوله و أهل الأرض للحال أيضا،و موضع الجمله نصب،و قوله و أهواء خبر مبتداء محذوف تقديره أهوائهم أهواء متفرّقه،و كذلك قوله و طوائف أى و طوائفهم طرائق متشتّته أى بعثه و حال أهل الأرض يوم بعثه ما ذكر من تفرّق الأديان و انتشار الآراء و اختلافها و تشتّت الطرق و المذاهب،و اعلم أنّ الخلق عند مقدم محمّد صلى اللّه عليه و آله إمّا من عليه اسم الشرائع أو غيرهم أمّا الأوّلون فاليهود و النصارى و الصائبه و المجوس،و قد كانت أديانهم اضمحلّت من أيديهم،و إنّما بقوا متشبّهين بأهل الملل،و قد كان الغالب عليهم دين التشبيه،و مذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم« «وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللّهِ وَ أَحِبّاؤُهُ» » ۱« «وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ» » ۲« «وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا» » ۳و المجوس أثبتوا أصلين أسندوا إلى أحدهما الخير و إلى الثانى الشّر،ثمّ زعموا أنّه جرت بينهما محاربه ثمّ إنّ الملائكه توسّطت و أصلحت بينهما على أن يكون العالم السفلى للشرير مدّه سبعه آلاف سنه إلى غير ذلك من هذيانهم و خبطهم،و أمّا غيرهم من أهل الأهواء المنتشره و الطوائف المتشتّته فهم على أصناف شتّى فمنهم العرب أهل مكّه و غيرهم و قد كان منهم معطّله و منهم محصّله نوع تحصيل،أمّا المعطّله فصنف منهم أنكروا الخالق و البعث و الإعاده،و قالوا بالطبع المحيى و الدهر المفنى،و هم الّذين حكى القرآن عنهم« «أَ فَرَأَيْتَ»

إن «هِیَ إِلاّ حَیاتُنَا الدُّنْیا نَمُوتُ وَ نَحْیا وَ ما یُهْلِکنا إِلاَّ الدَّهْرُ» ١و قصّروا الحیاه و الموت علی تحلّل الطبائع المحسوسه و ترکّبها فالجامع هو الطبع و المهلک هو الدهر« «وَ ما لَهُمْ بِذلِکَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ یَظُنُّونَ» ٢و صنف منهم أقرّوا بالخالق و ابتداء الخلق عنه، و أنکروا البعث و الإعاده و هم المحکیّ عنهم فی القرآن الکریم «وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ قُلْ یُحْیِیهَا» ٣الآیه،و صنف منهم اعترفوا بالخالق و نوع من الإعاده لکنّهم عبدوا الأصنام و زعموا أنّها شفعاؤهم عند اللّه کما قال «وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا یَضُرُّهُمْ وَ لا یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ» ۴و من هؤلاء قبیله یقف و هم أصحاب اللات بالطائف و قریش و بنو کنانه و غیرهم أصحاب العزّی،و منهم من کان یجعل الأصنام علی صور الملائکه،و یتوجّه بها إلی الملائکه،و منهم من کان یعبد الملائکه کما قال تعالی «بَلْ کانُوا یَعْبُدُونَ الْجِنَّ» ۵و أمّا المحصّله فقد کانوا فی الجاهلیه علی ثلاثه أنواع من العلوم:أحدها علم الأنساب و التواریخ و الأدیان،و الثانی علم تعبیر الرؤیا و الثالث علم الأنواء،و ذلک بما یتولاّه الکهنه و القافه منهم،و عن النبیّ صلی اللّه علیه و آله من قال:

مطرنا نبنوء کذا فقد کفر بما أنزل علی محمّد،و من غیر العرب البراهمه من أهل الهند و مدار مقالتهم علی التحسین و التقبیح العقلیّین و الرجوع فی کلّ الأحکام إلی العقل و إنکار الشرائع و انتسابهم إلی رجل منهم یقال له براهام،و منهم أصحاب البدده و البدّ عندهم شخص فی هذا العالم لا یولد و لا ینکح و لا یطعم و لا یشرب و لا یهرم و لا یموت،و منهم أهل الفکره و هم أهل العلم منهم بالفلک و أحکام النجوم،و منهم أصحاب الروحانیّات الّذین أثبتوا وسائط روحانیّه تأتیهم بالرساله من عند اللّه فی صوره البشر من غیر کتاب فتأمرهم و تنهاهم و منهم عبده الکواکب،و منهم عبده الشمس،و منهم عبده القمر و هؤلاء یرجعون بالآخره إلی عباده الأصنام إذ لا یستمرّ لهم طریقه إلاّ بشخص حاضر ینظرون إلیه و یرجعون إلیه فی مهمّاتهم،و لهذا کان أصحاب الروحانیّات و الکواکب یأخذون أصناما علی صورها فکان الأصل فی وضع

الأصنام ذلك إذ يبعد ممّن له أدنى فطنه أن يعمل خشبا بيده ثمّ يتخذّه إلها إلاّ أنّ الخلق لمّا عكفوا عليها و ربطوا حوائجهم بها من غير إذن شرعىّ و لا حجّه و لا برهان من اللّه تعالى كان عكوفهم ذلك و عبادتهم لها إثباتا لإلهيّتها،و وراء ذلك من أصناف الآراء الباطله و المذاهب الفاسده أكثر من أن تحصى مذكوره فى الكتب المصنّفه فى هذا الفنّ،و إذا عرفت ذلك ظهر معنى قوله عليه السّلام من مشيّئه اللّه بخلقه كالبقيّه من أصحاب الملل السابقه فإنّهم و إن أثبتوا صانعا إلاّ أنّ أذهانهم مكيّفه بكيفيّه بعض مصنوعاته فى نفس الأمر من الجسميّه و توابعها،و من ملحد فى اسمه كالّذين عدلوا عن الحقّ فى أسماعه بتحريفها عمّا هى عليه إلى أسماء اشتقّوها لأوثانهم و زادوا فيها و نقصوا كاشتقاقهم اللات من اللّه،و العزّى من العزيز و مناه من المنّان،و هذا التأويل مذهب ابن عبّاس،و منهم من فسّر الملحدين فى أسماء اللّه بالكاذبين فى أسمائه و على هذا كلّ من سمّى اللّه بما لم يسمّ به ذهنه و لم ينطق به كتاب و لا ورد فيه إذن شرعىّ فهو ملحد فى أسمائه،و قوله و من مشير إلى غيره كالدهريّه و غيرهم من عبده الأصنام،و الانفصال هاهنا لمنع الخلوّ أيضا،فلمّا اقتضت العنايه بعثته صلى اللّه عليه و آله ليهتدوا سبيل الحقّ و يفيئوا من ضلالهم القديم إلى سلوك الصراط المستقيم،و لينقذهم ببركه نوره من ظلمات الجهل إلى أنوار اليقين،فقام بالدعوه إلى سبيل ربّه بالحكمه و الموعظه الحسنه و المجادله بالّتى هى أحسن،فجلى اللّه بنوره صداء قلوب الخلق،و أزهق باطل الشيطان بما جاء به من الحقّ و الصدق و انطلقت الألسن بذكر اللّه و استنارت البصائر بمعرفه اللّه و كمل به دينه فى أقصى بلاد العالم،و أتمّ به نعمته على كافّه عباده كما قال تعالى «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاٰمَ دِيناً » ١أحبّ اللّه سبحانه لقاءه كما أحبّ هو لقاء اللّه كما قال صلى اللّه عليه و آله:من أحبّ لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه و رضى له ما عنده من الكرامه التامّه و النعمه العامّه فى جواره الأمين «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ » ،فأكرمه عن دار الدنيا و رغب به عن مجاوره البلوى و مقام الأذى فقبضه اللّه إليه عند انتهاء أجله كريما عن أدناس الذنوب طاهرا فى ولادته الجسمانيّه و الروحانيه صلى اللّه عليه و آله ما برق بارق و ذرّ شارق.

قوله و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء فى امها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح و لا علم قائم.

أقول:لمّا كان هذا الشخص الّذى هو النبىّ ليس ممّا يتكوّن وجود مثله فى كلّ وقت لما أنّ المادّه الّتى تقبل كمال مثله إنّما يقع فى قليل من الأمزجه وجب إذن أن يشرع للناس بعده فى امورهم سنّه باقيه بإذن اللّه و أمره و وحيه و إنزاله الروح القدس عليه،و واجب أن يكون قد دبّر لبقاء ما يسنّه و يشرعه فى امور المصالح الإنسانيّه تدبيرا و الغايه من ذلك التدبير هو بقاء الخلق و استمرارهم على معرفه الصانع المعبود و دوام ذكره و ذكر المعاد،و حسم وقوع النسيان فيه مع انقراض القرآن الّذى يلى النبىّ و من بعده فواجب إذن أن يأتيهم بكتاب من عند اللّه و يكون وافيا بالمطالب الإلهيّه و الأذكار الجاذبه إلى اللّه سبحانه و لإخطاره بالبال فى كلّ حال مشتملا على أنواع من الوعد على طاعه اللّه و رسوله بجزيل الثواب عند المصير إليه،و الوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه و لا بدّ أن يعظّم أمره و يسنّ على الخلق تكراره و حفظه،أو بحثه و دراسته و تعلّمه و تعليمه و تفّهم معانيه و مقاصده ليدوم به التذكّر للّه سبحانه،و الملاء الأعلى من ملائكته ثمّ يسنّ عليهم أفعالا و أعمالا تتكرّر فى أوقات مخصوصه تتقارب و يتلو بعضها بعضا مشفوعه بألفاظ تقال و نيّات تنوى فى الخيال ليحصل بها دوام تذكّر المعبود الأوّل و ينتفع بها فى أمر المعاد و إلاّ فلا فائده فيها،و هذه الأفعال كالعبادات الخمس المفروضه على الناس و ما يلحقها من الوظائف و لمّا بدء عليه السّلام هاهنا بذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر سائر ما جاء به الرسول صلى اللّه عليه و آله إمّا مطابقه أو التزاما و فى بسط قوانينه الكليّه بحسب السنّه النبويّه وفاء بجميع المطالب الإلهيّه،فنحن نبدء بذكر شرفه و وظائفه و شرائط تلاوته و نؤخّر الكلام فى باقى العبادات إلى مواضعها.

البحث الثانى-فى فضيله الكتاب

أمّا الفضيله فمن وجوه.

الأوّل-قوله تعالى «وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ» ۱«كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ» ۲و قوله «وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ»

«أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» ۱الثانی قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:من قرء القرآن ثمّ رأی أنّ أحدا اوتی أفضل ممّا اوتی فقد استصغر ما عظّم اللّه تعالی،الثالث قوله صلی اللّه علیه و آله:ما من شفیع أفضل منزله عند اللّه تعالی یوم القیامه من القرآن لا نبیّ و لا ملک و لا غیره،و یلوح لک من سرّ هذه الإشاره أنّ ذلک إنّما هو فی حقّ من تدّبره، و سلک النهج المطلوب منه المشتمل علیه،و وصل به إلی جناب اللّه فی جوار الملائکه المقرّبین و لا غایه من الشفاعه إلاّ الوصول إلی نیل الرضوان من المشفوع،و علمت أنّ تمام رضوان اللّه بغیر سلوک الطریق المشتمل علیها الکتاب العزیز لا یحصل،و لا ینفع فیه شفاعه شافع کما قال تعالی «فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَهُ الشّافِعِینَ فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْکِرَهِ مُعْرِضِینَ» ۲الرابع قال صلی اللّه علیه و آله:لو کان القرآن فی احاب لما مسّته النار،و المراد أیّ ظرف وعاه و تدبّره و سلک طریقه لم تمسّه النار،أمّا نار الآخره فظاهر،و أمّا نار الدنیا فلأنّ الواصلین من أولیاء اللّه الکاملین فی قوّتهم النظریّه و العملیّه یبلغون حدّا تنفعل العناصر عن نفوسهم فتتصرّف فیها کتصرّفها فی أبدانها فلا یکون لها فی أبدانهم تأثیر،و قد عرفت أسباب ذلک فی المقدّمات.الخامس قال صلی اللّه علیه و آله:أفضل عباده امّتی قراءه القرآن،و أهل القرآن هم أهل اللّه و خاصّته،و المقصود مع شرائطه الّتی سنذکرها.

البحث الثالث-فی وظائفه

أمّا مداومه الکتاب بالتلاوه و الدرس فیحتاج إلی وظائف و إلاّ لم ینتفع بها کما قال أنس:ربّ تال للقرآن و القرآن یلعنه،و الّذی ینبغی أن یوظّف فی ذلک ما لخصّه الإمام أبو حامد الغزّالیّ فی کتاب الإحیاء فإنّه لا مزید علیه و هی امور عشره:الأوّل أن یتصوّر الإنسان حال سماعه للتلاوه عظمه کلام اللّه سبحانه و إفاضه کماله و لطفه بخلقه فی نزوله عن عرش جلاله إلی درجه أفهام الخلق فی إیصال معانی کلامه إلی أذهانهم،و کیف تجلّت لهم الحقائق الإلهیّه فی طیّ حروف و أصوات هی صفات البشر إذ یعجز البشر عن الوصول إلی مدارج الجلال و نعوت الکمال إلاّ بوسیله،و لو لا استنار کنه جمال کلامه بکسوه الحروف لما ثبت لسماع الکلام عرش و لا ثری،و لتلاشی ما بینهما من

عظمه سلطانه و سبحات نوره فالصوت و الحرف للحكمه جسد،و هى بالنسبه إليه نفس و روح، و لمّا كان شرف الأجساد و عزّتها بشرف أرواحها فكذلك شرف الحرف و الصوت بشرف الحكمه الّتى فيها.الثانى التعظيم للمتكلّم،و ينبغى أن يحضر فى ذهن القارئ عظمه المتكلّم،و يعلم أنّ ما يقرأه ليس بكلام البشر،و أنّ فى تلاوه كلام اللّه غايه الحظر فإنّه تعالى قال «لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ» و كما أنّ ظاهر جلد المصحف و ورقه محروس عن ظاهر بشره الامس الغير المتطّهر فكذلك باطن معناه كلمه عزّه و جلاله محجوب عن باطن القلب إذ لا يستضىء بنوره إلاّ إذا كان متطهّرا عن كلّ رجس مستنيرا بنور التعظيم و التوفير عن ظلمه الشرك،و كما لا تصلح للمس جلد المصحف كلّ يد،فلا يصلح لتلاوه حروفه كلّ إنسان و لا لحمل أنواره كلّ قلب،و لأجل هذا الإخلال كان عكرمه بن أبى جهل إذا نشر المصحف يغشى عليه و يقول:هو كلام ربّى فيعظّم الكلام بتعظيم المتكلّم و علمت أنّ عظمه المتكلّم لا تخطر فى القلب بدون الفكر فى صفات جلاله و نعوت كماله و أفعاله و إذا خطر ببالك الكرسىّ و العرش و السماوات و الأرضون و ما بينهما،و علمت أنّ الخالق لجميعها و القادر عليها و الرازق لها «هُوَ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ» ،و أنّ الكلّ فى قبضته «وَ السَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ» ،و الكلّ سائر إليه و أنه الّذى يقول:هؤلاء فى الجنّه،و لا ابالى فإنّک تستحضر من ذلك عظمه المتكلّم ثمّ عظمه الكلام.الثالث حضور القلب و ترك حديث النفس.قيل فى تفسير قوله «يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ» أى بجدّ و اجتهاد و أخذه بالجدّ أن يتجرّد عند قراءته بحذف جميع المشغلات و الهموم عنه،و هذه الوظيفه تحصل ممّا قبلها فإنّ المعظم للكلام الّذى يتلوه يستبشر به و يستأنس إليه و لا يغفل فإنّ فى القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالى له أهلا،و كيف يطلب الانس بالفكر فى غيره و فيه بساتين العارفين،و رياض الأولياء و ميادين اولى الألباب.الرابع التدبير و هو طور وراء حضور القلب فإنّ الإنسان قد لا يتفكّر فى غير القرآن،و لكنّه يقتصر على سماع القرآن من نفسه و هو لا يتدبّره،و المقصود من التلاوه التدبّر قال سبحانه «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها» ١« «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً»

«كَثِيراً» »۱و قال «وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» تمكّن الإنسان من تدبّر الباطن و قال صلى اللّه عليه و آله:

لا خير فى عباده لا فقه فيها،و لا فى قراءه لا تدبّر فيها،و إذا لم يمكن التدبّر إلّا بالترديد فليردّد قال أبو ذر:قام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ليله يردّد قوله تعالى «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ۲الخامس التفهّم و هو أن يستوضح من كلّ آيه ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات اللّه تعالى و أفعاله و أحوال أنبيائه و المكذّبين لهم و أحوال ملائكته و ذكر أوامره و زواجره و ذكر الجنّه و النار و الوعد و الوعيد،فليتأمّل معانى هذه الأسماء و الصفات لتنكشف له أسرارها فتحتها دفائن الأسرار و كنوز الحقائق و إلى ذلك أشار علىّ عليه السلام بقوله ما أسرّ إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله شيئا كتمه عن الناس إلّا أن يؤتى اللّه عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا فى طلب ذلك الفهم،و قال ابن مسعود:من أراد علم الأوّلين و الآخرين فعليه بالقرآن،و اعلم أنّ أعظم علوم القرآن تحت أسماء اللّه تعالى و صفاته و لم يدرك الخلق منها إلّا بقدر أفهامهم و إليه الإشاره بقوله «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً» ۳فالماء هو العلم أنزله من سماء جوده أوديه القلوب كلّ على حسب استعداده و إمكانه و إن كان وراء ما أدركوه أطوار اخرى لم يقفوا عليها،و كنوز لم يعثروا على أغوارها أمّا أفعاله تعالى و ما أشار إليه من خلق السماوات و الأرض و غيرها فالّذى ينبغى أن يفهم التالى منها و هو صفات اللّه و جلاله لاستلزام الفعل الفاعل فيستدلّ بعظمه فعله على عظمته ليلاحظ بالأخره الفاعل دون الفعل فيقرأ فى المقام الأوّل« «هذا خَلْقُ اللّهِ فَأَرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» » ۴و يقرأ فى المقام الثانى « «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ» »فمن عرف الحقّ رآه فى كلّ شىء،و من بلغ إلى حدّ العرفان عن درجه الاعتبار لم ير معه غيره فإذا تلا قوله «أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ» - «أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ» «أَ فَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِي تُورُونَ» فلا ينبعى أن يقصر نظره على النطفه و الماء و النار بل ينظر فى المنى و هو نطفه،ثمّ فى كيفيّه انقسامها إلى اللحم و العظم و العصب و العروق و غيرها،ثمّ

فی کیفیّه أشکال أعضائها المختلفه من المستدیر و الطویل و العریض و المستقیم و المنحنی و الرخوه و الصلب و الرقیق و الغلیظ،و ما أودع فی کلّ من القوّه وهبا له من المنفعه الّتی لو اختلّ شیء منها لاختلّ أمر البدن و مصالح الإنسان،فلیتأمّل فی هذه العجائب و أمثالها یترقیّ فیها إلی عجیب قدره اللّه تعالی و المبدأ الّذی صدرت عنه هذه الآثار،فلا یزال مشاهدا لکمال الصانع فی کمال صنعه،و أمّا أحوال الأنبیاء علیهم السلام فلیفهم من سماع کیفیّه تکذیبهم و قتل بعضهم صفه استغناء اللّه تعالی عنهم،و لو هلکوا بأجمعهم لم یتضرّر بذلک و لم یؤثّر فی ملکه فإذا سمع نصرتهم فلیفهم أنّ ذلک بتأیید إلهیّ کما قال تعالی «حَتّی إِذَا اسْتَیْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ کُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّیَ مَنْ نَشاءُ» ۱و أمّا أحوال المکذّبین لهم کعاد و ثمود و کیفیّه إهلاکهم فلیتنبّه من سماعه لاستشعار الخوف من سطوه اللّه و نقمته و لیکن حظّه منه الاعتبار فی نفسه،و أنّه إن غفل و أساء الأدب فربّما أدرکته النقمه و نفذت فیه القضیّه حیث لا ینفع مال و لا بنون،و کذلک إذا سمع أحوال الجنّه و النار فلیحصل منهما علی خوف و رجاء و لیتصوّر أنّه بقدر ما یبعد عن أحدهما یقرب من الآخر،و لیفهم منها و من سائر القرآن أنّ استقصاء ما هناک من الأسرار الإلهیّه غیر ممکن لعدم نهایته قال تعالی «قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً» ۲و قال علیّ علیه السّلام:لو شئت لأوفرت سبعین بعیرا من تفسیر فاتحه الکتاب،فمن لم یتفهّم معانی القرآن فی تلاوته و سماعه و لو فی أدنی المراتب دخل فی قوله تعالی «أُولئِکَ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمی أَبْصارَهُمْ أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها» ۳و تلک الأقفال هی الموانع الّتی سنذکرها.السادس التخلّی عن موانع الفهم فإنّ أکثر الناس منعوا من فهم القرآن لأسباب و حجب استدّلها الشیطان علی قلوبهم فحجبت عن عجائب أسراره قال صلی اللّه علیه و آله:لو لا أنّ الشیاطین یحومون علی قلوب بنی آدم لتنظروا إلی الملکوت،و معانی القرآن و أسراره من جمله الملکوت و الحجب المانعه.

أوّلها الاشتغال بتحقیق الحروف و إخراجها و الشدق بها عن ملاحظه المعنی،و قیل:إنّ

المتولّى لحفظ ذلک شیطان و کلّ بالقرّاء لیصرف عن معانی کلام اللّه فلا یزال یحملهم علی تردید الحرف و یحیل إلیهم أنّه لم یخرج من مخرجه فیکون تأمله مقصور علی مخارج الحروف:فمتی تنکشف له المعانی،و أعظم ضحکه للشیطان من کان مطیعا لمثل هذا التلبیس، و ثانیها أن یقلّد مذهبا سمعه و تفسیرا ظاهرا نقل إلیه عن ابن عبّاس أو مجاهد أو غیرهما فیحمل علی التعصّب له من غیر علم فیصیر نظره موقوفا علی مسموعه حتّی لو لاح له بعض الأسرار حمل علیه شیطان التقلید جهله،و لم یسوّغ له مخالفه آبائه و معلمیّه فی ترک ما هو علیه من الاعتقاد،و إلی مثل هذا أشارت الصوفیّه بقولهم:العلم حجاب،و عنوا بالعلم العقائد الّتی استمرّ علیها أکثر الناس بالتعلیم و التقلید أو بمجرّد کلمات جدلیّه حرّرها المتعصبّون للمذاهب و ألقوها إلیهم لا العلم الحقیقیّ الّذی هو المشاهده بأنوار البصیره،ثمّ ذلک التقلید قد یکون باطلا کمن یحمل الاستواء علی العرش علی ظاهره فإن خطر له فی القدّوس أنّه المقدّس عن کلّ ما یجوز علی خلقه لم یمکنه تقلیده من استقرار ذلک الخاطر فی نفسه حتّی ینساق إلی کشف ثان و ثالث،و لکن یتسارع إلی دفع ذلک عن خاطره و یجعله وسوسه،و قد یکون حقّا و یکون أیضا مانعا من الفهم لأنّ الحقّ الّذی کلّف الخلق طلبه له مراتب و درجات و ظاهر و باطن فجمود الطبع علی ظاهره یمنع من الوصول إلی الباطن،فإن قلت:کیف یجوز أن یتجاوز الإنسان المسموع و قد قال صلی اللّه علیه و آله:

من فسّر القرآن برأیه فلیتبوّأ مقعده من النار،و فی النهی عن ذلک آثار کثیره،قلت:

الجواب عنه من وجوه:الأوّل أنّه معارض بقوله صلی اللّه علیه و آله:إنّ للقرآن ظهرا و بطنا و حدّا و مطلعا،و بقوله علیّ علیه السّلام:إلاّ أن یؤتی اللّه عبدا فهما فی القرآن،و لو لم یکن سوی الترجمه المنقوله فما فائده ذلک الفهم،الثانی أنّه لو لم یکن غیر المنقول لاشترط أن یکون مسموعا من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و ذلک ممّا لا یصادف إلاّ فی بعض القرآن،و أمّا ما بقوله ابن عبّاس و ابن مسعود و غیرها من أنفسهم فینبغی أن لا یقبل و یقال هو تفسیر بالرأی.الثالث أنّ الصحابه و المفسّرین اختلفوا فی تفسیر بعض الآیات فقالوا فیها أقاویل مختلفه لا یمکن الجمع بینها،و سماع ذلک عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله محال فکیف یکون الکلّ مسموعا.الرابع أنّه علیه السّلام دعا لابن عبّاس فقال:اللهمّ فقّهه فی الدین،و علّمه التأویل فإن کان التأویل

مسموعا كالتنزيل و محفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عبّاس بذلك.الخامس قوله تعالى «لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» فأثبت للعلماء استنباطا،و معلوم أنّه وراء المسموع فإذن الواجب أن يحمل النهى عن التفسير بالرأى على أحد معنيين:أحدهما أن يكون للإنسان فى الشىء رأى و له إليه ميل بطبعه فيتأوّل القرآن على وفق رأيه حتّى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر ذلك التأويل له،و سواء كان ذلك الرأى مقصدا صحيحا أو غير صحيح،و ذلك كمن يدعو إلى مجاهده القلب القاسى فيستدّل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى «اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى» و يشير إلى أنّ قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعّاظ تحسينا للكلام و ترغيبا للمستمع و هو ممنوع.الثانى أن يتسرّع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّه من غير استظهار بالسماع و النقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن و ما فيها من الألفاظ المبهمه و ما يتعلّق من الاختصار و الحذف و الإضمار و التقديم و التأخير و المجاز فمن لم يحكم ظاهر التفسير و بادر إلى استنباط المعانى بمجرّد فهم العربيّه كثر غلطه و دخل فى زمره من يفسّر بالرأى مثاله قوله تعالى «وَ آتَيْنا ثَمُودَ النّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها» ۱فالناظر إلى ظاهر العربيّه ربّما يظنّ أنّ المراد أنّ الناقه كانت مبصره،و لم تكن عمياء و المعنى آيه مبصره، ثمّ لا يدرى أنّهم إذا ظلموا غيرهم و من ذلك المنقول المنقلب كقوله تعالى «وَ طُورِ سِينِينَ» و كذلك باقى أجزاء البلاغه فكلّ مكتف فى التفسير بظاهر العربيّه من غير استظهار بالنقل فهو مفسّر برأيه،فهذا هو النهى عنه دون التفهم لأسرار المعانى و ظاهر أنّ النقل لا يكفى فيه،و إنّما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر صفاء عقولهم،و شدّه استعدادهم له و للطلب و الفحص و التفهّم و ملاحظه الأسرار و العبر،و يكون لكلّ واحد منهم جدّ فى الترقىّ إلى درجه منه بعد الاشتراك فى الظاهر و مثاله ما فهم بعض العارفين من قوله صلى اللّه عليه و آله فى سجوده:أعوذ برضاك من سخطك،و أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، و أعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك إنّه قيل له اسجد و اقترب فوجد القرب فى السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض،فإنّ الرضا و السخط وصفان متضادّان ثمّ زاد قربه فاندرج القرب الأوّل فيه فرقى إلى اللذّات،فقال:أعوذ

بک منک ثمّ زاد قربه ممّا استحیا به علی سائر القرب فالتجأ إلی الثناء،فأثنی بقوله:

لا ـ احصی ثناء علیک،ثمّ علم أنّ ذلک قصور،فقال:أنت کما اثنیت علی نفسک،فهذه خواطر نسخ للعارفین لا یفهم من تفسیر الظاهر و لیس مناقضا له،و إنّما هو استکمال لما تحته من الأسرار.الثالث من الموانع أن یکون مبتلی من الدنیا بهوی متاع فإنّ ذلک سبب لظلمه القلب و کالصداء علی المرآه فیمنع جلیّه الحقّ یتجلّی فیه و هو أعظم حجاب للقلب و به حجب الأکثرون:و کلّما کانت الشهوات أکثر تراکما علی القلب کان البعد عن أسرار اللّه أکثر،و لذلک قال صلی اللّه علیه و آله:الدنیا و الآخره ضرّتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد من الاخری.السابع أن یخصّص نفسه بکلّ خطاب فی القرآن من أمر أو نهی أو وعد أو وعید،و یقدّر أنّه هو المقصود به کذلک إن سمع قصص الأوّلین و الأنبیاء علیهم السلام علم أنّ السمر غیر مقصود و إنّما المقصود الاعتبار فلا ـ یعتقد أنّ کلّ خطاب خاصّ فی القرآن فالمراد به الخصوص فإنّ القرآن و سائر الخطابات الشرعیّه وارده بإیّاک أعنی و اسمعی یا جاره،و هی کلّها نور و هدی و رحمه للعالمین،و لذلک أمر الحقّ تعالی الکافّه بشکر نعمه الکتاب فقال «وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَیْکُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَیْکُمْ مِنَ الْکِتابِ وَ الْحِکْمَهِ یَعِظُکُمْ بِهِ» ۱و إذا قدر أنّه المقصود لم یتخذ دراسه القرآن عملا بل قراءه کقرائه العبد کتاب مولاه الّذی کتبه إلیه لیتدبّره و یعمل بمقتضاه کما قال حکیم:هذا القرآن وسائل أتتنا من قبل ربّنا بعهوده نتدبّرها فی الصلوات،و نقف علیها فی الخلوات،و نعدّها فی الطاعات بالسنن المتبعات.الثانی التأثّر و هو أنّ یتأثّر قلبه بآثار مختلفه بحسب اختلاف الآیات، فیکون له بحسب کلّ فهم حال و وجد یتصّف به عند ما یوجّه نفسه فی کلّ حاله إلی الجهه الّتی فهمها من خوف أو حزن أو رجاء أو عبره فیستعدّ بذلک و ینفعل و یحصل له التأثّر و الخشیه،و مهما قویت معرفته کانت الخشیه أغلب الأحوال علی قلبه فإنّ التضییق غالب علی العارفین فلا یری ذکر المغفره و الرحمه إلاّ مقرونا بشروط یقصر العارف عن نیلها کقوله تعالی «وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی» ۲فإنّه قرن المغفره بهذه الشروط الأربعه و کذلک قوله تعالی «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ» السوره ذکر

فیها أربعه شروط و حیث أوجزه و اقتصر ذکر شرطا واحدا جامعا للشرائط فقال تعالی «إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِیبٌ مِنَ الْمُحْسِنِینَ» إذ کان الإحسان جامعا لکلّ الشرائط،و تأثّر العبد بالتلاوه أن یصیر بصفه الآیه المتلوّه فعند الوعید یتضاءل من خشیه اللّه و عند الوعد یستبشر فرحا باللّه و عند ذکر صفات اللّه و أسمائه یتطأطأ خضوعا لجلاله و عند ذکر الکفّار فی حقّ اللّه ما یمتنع علیه کالصاحبه و الولد یعضّ صورته(صوته)و ینکسر فی باطنه من قبح أفعالهم و یکبر اللّه و یقدّسه عمّا یقول الظالمون،و عند ذکر الجنّه ینبعث بباطنه شوقا إلیها،و عند ذکر النار ترعد فرائصه خوفا منها،و لمّا قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لابن مسعود:اقرأه علیّ قال:فافتتحت سوره النساء فلمّا بلغت« «فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِیداً» »رأیت عینیه تذرفان من الدمع،فقال لی:حسبک الآن،و ذلک لاستغراق تلک الحاله بقلبه بالکلّیه،و بالجمله فالقرآن إنّما یراد بهذه الأحوال و استجلابها إلی القلب و العمل بها قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:اقرءوا القرآن ما ائتلفت علیه قلوبکم و لانت علیه جلودکم،فإذا اختلفتم فلستم تقرءونه،و قال تعالی «الَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیاتُهُ زادَتْهُمْ إِیماناً» ۱و إلاّ فالمئونه فی تحریک اللسان خفیفه قال بعضهم قرأت علی شیخ لی،ثمّ رجعت أقرء علیه ثانیا فانتهرنی و قال:جعلت القرآن علیّ.عملا.اذهب فاقرء علی اللّه تعالی،و انظر ما ذا یأمرک،و ما ذا یفهمک،و مات رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله عن عشرین ألفا من الصحابه لم یکن لیحفظ القرآن منهم غیر ستّه و اختلف منهم فی إثنین و کان أکثرهم یحفظ السوره و السورتین،و کان الّذی یحفظ البقره و الأنعام من علمائهم کلّ ذلک لاشتغالهم بتفهّم معانی القرآن عن حفظه کلّه،و جاء إلیه واحد لیعلّمه القرآن فانتهی إلی قوله تعالی «فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ» ۲فقال:یکفینی هذا و انصرف فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله انصرف الرجل و هو فقیه فالعزیز مثل تلک الحاله الّتی یمنّ اللّه تعالی بها علی القلب عقیب تفهّم الآیه،و امّا التالی باللسان المعرض عن العمل فجدیر بأن یکون المراد بقوله تعالی «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ»

«مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمى» الآيه و إنّما حظّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل و حظّ العقل تفسير المعانی،و حظّ القلب الاتّعاظ و التأثّر بالانزجار و الایتمار.التاسع الترقّی و هو أن يوجّه قلبه و عقله إلی القبله الحقيقيّه فيسمع الكلام من اللّه تعالی لا من نفسه.و درجات القراءه ثلاث:أدناها أن يقدّر العبد كأنّه يقرأ علی اللّه واقفا بين يديه و هو ناظر إليه و مستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال و التضرّع و الابتهال.الثانيه أن يشهد بقلبه كأنّه سبحانه يخاطبه بألطافه و يناجيه بإنعامه و إحسانه،و هو فی مقام الحياء و التعظيم لمنن اللّه و الاصغآء إليه و الفهم عنه.الثالثه أن يری فی الكلام المتكلّم،و فی الكلمات الصفات و لا ينظر إلی قلبه و لا إلی قراءته و لا إلی التعلّق بالإنعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر الهمّ علی المتكلّم و يوقف فكره عليه و يستغرق فی مشاهدته.هذه درجه المقرّبين،عنها أخبر الصادق جعفر بن محمّد عليه السّلام فقال:لقد تجلّی اللّه تعالی لخلقه فی كلامه و لكنّهم لا يبصرون،و قال أيضا و قد سألوه عن حاله لحقته فی الصلاه حتّی خرّ مغشيّا عليه، فلمّا أفاق قيل له فی ذلک فقل:ما زلت اردّد هذه الآيه علی قلبی حتّی سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمی لمعاينه قدرته.ففی مثل هذه الدرجه تعظم الحلاوه،و بهذا الترقّی يكون العبد ممتثلا لقوله تعالی «فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ» و بمشاهده المتكلّم دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعالی «وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ» فإنّ رؤيه غير اللّه معه شرک خفیّ لا مخلص منه إلاّ برؤيته وحده.العاشر التبرّی،و المراد به أن يبرء من حوله و قوّته و لا يلتفت إلی نفسه بعين الرضا و التزكيه،فإذا تلا آيات الوعد و مدح الصالحين حذف نفسه عن درجه الاعتبار و شهد فيها الموقنين و الصديقين،و يتشوّق إلی أن يلحقه اللّه تعالی بهم،و إذا تلا آيات المقت و الذّم فی المقصّرين شهد نفسه هناک و قدّر أنّه المخاطب خوفا و إشفاقا.قيل ليوسف بن أستاط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو.قال:بما ذا أدعو أستغفر اللّه عن تقصيری سبعين مرّه،و من رأی نفسه بصوره التقصير فی القراءه كان ذلک سبب قربه فإنّ من شهد البعد فی القرب لطف له بالخوف حتّی يسوقه إلی درجه أعلی فی القرب و من شهد القرب فی البعد ردّه أمنه إلی درجه أدنی فی البعد ممّا هو فيه،و مهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حدّ الالتفات إلی نفسه و لم يشاهد إلاّ اللّه فی قراءته انكشف له الملكوت،و المكاشفات تابعه لحال

المكاشف،فحيث يتلو آيات الرجاء يغلب عليه استبشار و ينكشف له صوره الجنّه فيشاهدها كأنّه يراها،و إن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتّى يرى أنواع عذابها،و ذلک لأنّ کلام اللّه تعالى وارد باللطف و السهوله و الشدّه و العسف و الرجاء و الخوف و ذلک بحسب أوصافه إذ منها الرحمه و اللطف و الإنعام و البطش،فبحسب مشاهده الكمالات و الصفات يتقلّب القلب فى اختلاف الحالات،و بحسب كلّ حاله منها يستعدّ لنوع من المكاشفه مناسب لتلک الحاله إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحد و المسموع مختلف،إذ فيه كلام رضى و كلام غضب و كلام إنعام و كلام انتقام و كلام جبروت و تكبّر و كلام جنّه و تعطّف، فهذه هى وظائف التلاوه. و لنرجع إلى المتن فنقول:

قوله و خلّف فيكم ما خلّف الأنبياء فى اممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح و لا علم قائم

استعاره قوله: و خلّف فيكم ما خلّف الأنبياء فى اممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح و لا علم قائم .إشاره إلى وضع ما يجب فى الحكمه الإلهيّه على ألسنه الرسل عليهم السلام من العبادات الشرعيّه و القوانين الكلّيّه الّتى بها يبقى ذكر اللّه سبحانه محفوظا،و استعمال لفظ العلم القائم هاهنا استعاره حسنه للآثار الباقيه عن الأنبياء الّتى يهتدى بها الأوصياء و الأولياء الّذين يرجع إليهم الخلق .

قوله كتاب ربّكم

قوله: كتاب ربّكم .عطف بيان لما فى قوله ما خلّفت الأنبياء ،و لا ينبغى أن يفهم ممّا شخص الكتاب حتّى يكون ما أتى به محمّد صلى اللّه عليه و آله من الكتاب هو عين ما أتت به الأنبياء السابقون عليهم السّلام و شخصه فإنّ ذلک محال،بل المراد بما نوع ما خلّفت الأنبياء فى اممها من الحقّ،و ما جاء به محمّد صلى اللّه عليه و آله شخص من أشخاص ذلک النوع،و بيان ذلک أنّ القوانين الكلّيّه الّتى اشتركت فى الإتيان بها جميع الأنبياء عليهم السّلام من التوحيد و التنزيه للّه تعالى و أحوال البعث و القيامه و سائر القواعد الكليّه الّتى بها يكون النظام الكلّى للعالم كتحريم الكذب و الظلم و القتل و الزنا و غير ذلک ممّا لم يخالف فيه نبىّ نبيّا بمنزله مهيّه واحده كلّيه وجدت فى أشخاص،و كما تعرض لبعض أشخاص المهيّه عوارض لا تكون لشخص الآخر و بها يكون اختلاف بين الأشخاص بحسب الموادّ الّتى نشأت منها الصور الشخصيّه كذلک الكتب المنزله على ألسنه الأنبياء عليهم السّلام بمنزله أشخاص اشتملت على مهيّه واحده تختلف بحسب الزيادات و العوارض على تلک المهيّه بحسب اختلاف الامم

و الأوقات المشتمله على المصالح المختلفه باختلافها .

قوله:مبيّنا

قوله:مبيّنا .منصوب على الحال و العامل خلّف و ذو الحال الفاعل و هو ضمير النبيّ صلى اللّه عليه و آله.

قوله و حلاله و حرامه و فضائله و فرائضه

قوله و حلاله و حرامه و فضائله و فرائضه إشاره إلى الأحكام الخمسه الشرعيّه الّتى يدور عليها علم الفقه،و هى الوجوب و الندب و الحظر و الكراهه و الإباحه،و عبّر بالحلال عن المباح و المكروه،و بالحرام عن المحظور و بالفضائل عن المندوب،و بالفرائض عن الواجب، و بالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنصّ المتقدّم بحكم آخر مثله،فالناسخ هو الحكم الرافع كقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» و المنسوخ هو الحكم المرفوع كقوله «لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ» و بالرخص عمّا اذن فى فعله مع قيام السبب المحرّم لضروره أو غيرها كقوله «فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ» الآيه و بالعزائم عمّا كان من الأحكام الشرعيّه جاريا على وفق سببه الشرعى كقوله «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ» و بالعامّ هاهنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح به بحسب وضع واحد كقوله تعالى «وَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» و كقوله «وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» و بالخاصّ عما لم يتناول الجميع بالنسبه إلى ما يتناوله كقوله «مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» و الخاصّ المطلق هو ما يمنع تصوّر مفهومه من وقوع الشركه فيه كما عرفته،و العبر جمع عبره و هى الاعتبار و اشتقاقها من العبور و هو انتقال الجسم من موضع إلى آخر،و لمّا كان الذهن ينتقل من الشىء إلى غيره حسن إطلاق العبره عليه،و أكثر ما يختصّ إطلاق العبره بانتقال ذهن الإنسان من المصائب الواقعه بالغير أو الامور المكروهه له إلى نفسه فيقدّرها كأنّها نازله به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا و انتقال ذهن إلى ما ورائها من أمر المعاد و الرجوع الى بارئه و يسمّى ذلك عبره،و كذلك من المصائب اللاحقه فى نفسه المذكره له بجناب العزّه و الملفته له بتكرارها عن دار البلوى و المحن،فينتقل ذهنه بسببها إلى أنّ الدنيا دار البوار و أنّ الآخره هى دار القرار،و ذلك كقصّه أصحاب الفيل،و كقوله «فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى فَأَخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الْآخِرَهِ وَ الْأُولى إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَهً لِمَنْ يَخْشى» ١و قوله تعالى «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ» و إن كان قد تستعمل العبره فى كلّ ما يفيد

اعتبارا من طرف الإحسان أيضا كقوله تعالى «وَ إِنَّ لَكُمْ فِی الْأَنْعام لَعِبْرَةً نُسْقِیكُمْ مِمّا فِی بُطُونِها» ۱الآیه و كقوله تعالى «فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ رَأْیَ الْعَیْنِ وَ اللّهُ یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ یَشاءُ إِنَّ فِی ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِی الْأَبْصارِ» ۲فجعل سبحانه نصر المؤمنین على ملّتهم و خذلان المشركین على كثرتهم و مشاهده المسلمین لكونهم مثلیهم محلاّ للعبره إذ یحصل بذلك انتقال الذهن من نعمه إلى أنّه الإله المطلق المستحقّ للعباده المتفرّد بالقدره على ما یشاء أهل الرحمه و الجود و إفاضه تمام الوجود،و أمّا الأمثال فظاهره كقوله تعالى «ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا یَقْدِرُ عَلى شَیْءٍ» الآیه و كقوله «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ ناراً» و نحوه،و أراد بالمرسل الألفاظ المطلقه و المهمله و هی الألفاظ الّتی لا تمنع نفس مفهوماتها وقوع الشركه فیها لكنّها لم یبیّن فیها كمیّه الحكم و مقداره و لم تقیّد بقید یفید العموم و لا الخصوص و هو محتمله لهما كأسماء الجموع فی النكرات كقوله تعالى «وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ» و كالمفرد المعرّف باللام أو المنكّر كقوله «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ» و كقوله«إِنْ «جاءَكُمْ فاسِقٌ» و قوله «فَكُّ رَقَبَهٍ» فإنّ كلّ هذه الألفاظ یراد بها الطبیعه دون الكلّ أو البعض إلاّ بدلیل منفصل،و الفرق بینها و بین العامّ أنّ لكلّ شیء مهیّه هو بها ما هو و هی مغایره لكلّ ما عداها فإنّ مفهوم الإنسان مثلا لیس إلاّ أنّه الإنسان و أمّا أنّه واحد أو كثیر أو لیس أحدهما فمفهوم آخر مغایر لمهیّته.إذا عرفت ذلك فاللفظ الدالّ على الحقیقه من حیث هی من غیر دلاله على شیء آخر معها هو اللفظ المطلق و المهمل،و الدالّ معها على قید العموم بحیث یفهم منه تعدّد المهیّه و تكثّرها فی جمیع مواردها فهو اللفظ العامّ،أو فی بعض مواردها و هو الخاصّ و إن كان العموم و الخصوص بالذات للمعانی،و أراد بالمحدود المقیّد كقوله تعالى فی الكفّاره فی موضع آخر «فَتَحْرِیرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ» و أمّا المحكم و المتشابه و المجمل و المبیّن فقد سبق بیانها فی المقدّمه مثال المحكم قوله تعالى «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ» مثال المتشابه قوله «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» مثال المجمل قوله «إِلاّ ما یُتْلى عَلَیْكُمْ» و قوله «وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ» مثال المبیّن قوله بعد ذلك

«أَنْ تنفقوا بِأَمْوالِكَمْ»الآيه،و التفسير هو التبيين و الغوامض دقائق المسائل،و إنّما أضاف هذه المعانى كلّها إلى الكتاب لاشتماله عليها،و كونه مبدءا لها،و لمّا كانت محتاجه إلى البيان كان الرسول صلى اللّه عليه و آله هو المبيّن لها بسنّته الكريمه .

و قوله بين مأخوذ ميثاق علمه و موسّع على العباد فى جهله إلى آخره

و قوله بين مأخوذ ميثاق علمه و موسّع على العباد فى جهله إلى آخره الضمائر تعود إلى الأحكام المذكوره المشتمل عليها الكتاب العزيز و ذكر منها أنواعا:

أحدها-ما يجب تعلّمه و غير موسّع للخلق فى جهله كوحدانيّه الصانع و أمر المعاد و العبادات الخمس و شرائطها.

و ثانيها-ما لا يتعيّن على كافّه الخلق العلم به بل يعذر بعضهم فى الجهل و يوسّع لهم فى تركه كالآيات المتشابهات،و كأوائل السور كقوله تعالى «كهيعص» -و «حم عسق» و نحوهما.

و ثالثها-ما هو مثبت فى الكتاب فرضه معلوم فى السنّه نسخه و ذلك كقوله تعالى «وَ اللاّتِى يَأْتِينَ الْفاحِشَهَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَهً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتّى يَتَوَفّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً وَ الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تابا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما» ۱فكانت الثّيب إذا زنت فى بدو الإسلام تمسّك فى البيوت إلى الممات،و البكر تؤذى بالكلام و نحوه بمقتضى هاتين الآيتين،ثمّ نسخ ذلك فى حقّ الثّيب بالرجم و فى حقّ البكر بالجلد و التعذيب بحكم السنّه.

و رابعها-ما هو بعكس ذلك أى مثبت فى السنّه أخذه مأذون فى الكتاب تركه و ذلك كالتوجّه إلى بيت المقدس فى ابتداء الإسلام فإنّه كان ثابتا فى السنّه ثمّ نسخ بقوله تعالى «فَلَنُوَلِّيَنَّکَ قِبْلَهً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» ۲و كثبوت صلاه الخوف فى القرآن حال القتال الرافع لجواز تأخيرها فى السنّه إلى انجلاء القتال.

و خامسها-ما يجب لوقته و يزول فى مستقبله كالحجّ الواجب فى العمر مرّه و كالنذور المقيّده بوقت معيّن و أمثالها فإنّ وجوبها تابع لوقتها المعيّن و لا يتكرّر بتكرّر أمثالها.

قوله و مباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقه و الياء مفتوحه و فى معنى الكلام و تقديره لطف فإنّ المحارم لمّا كانت هى محالّ الحكم المسمّى بالحرمه صار المعنى و بين حكم مباين بين محالّه هو الحرمه،و قوله من كبير أو عد عليه نيرانه أو صغير أرصد له غفرانه بيان لتلك المحالّ و أشاره إلى تفاوتها بالشدّه و الضعف فى كونها مبّعده عن رحمه اللّه على سبيل الجمله،فالأوّل كالقتل فى قوله تعالى «وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ» الآيه و كذلك سائر الكبائر من الظلم و الزنا و غيرها،و الثانى قال الفقهاء كالتطفيف بالحبّه و سرقه بافه من بصل و نحو ذلك و إرصاد الغفران بإزاء هذه و أمثالها فى الكتاب العزيز كقوله تعالى «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ» و سائر آيات الوعد بالمغفره فإنّها إن كانت عامّه فى كلّ الذنوب فالصغائر داخله بطريق أولى و إلاّ كانت محموله على الصغائر و سرّ أولويّتها بالغفران أنّها لا تكاد تكسب النفس ملكه الإفراط و الجور إلاّ عن بعد بعيد و تكرار طويل بخلاف الكبائر فإنّ الأحوال لا يقع إلاّ عن نفس مستعدّه للشرّ بعيده عن رحمه اللّه،و باللّه العصمه و التوفيق.

الفصل الخامس منها.قوله: فى ذكر الحج

اشاره

وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ- الَّذِى جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ- يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ وَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ- وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ- وَ إِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ- وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ- وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ- وَ تَشَبَّهُوا بِمَلاَئِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ- يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِى مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ- وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ- جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلاَمِ عَلَماً- وَ لِلْعَائِذِينَ حَرَماً فَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ- وَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ «وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ»

ص:۲۲۲

اللغه

أقول: يألهون إليه أی يشتدّ وجدهم و شوقهم إليه و أصل الهمزه هاهنا الواو من و له إذا تحيّر من شدّه الوجد ،و السماع جمع سامع كسامر و سماع و المبادره المسارعه ، و الوفاده القدوم للاسترفاد و الانتفاع ،

المعنی

اشاره

و اعلم أنّا لمّا بيّنا وجوب العبادات و أشرنا إلی وجه الحكمه فيها فبالحریّ أن نشير إلی وجه الحكمه فی خصوص الحجّ من جملتها،و نؤخّر تفصيل باقيها إلی مواضعه،و إنشاء اللّه فأمّا الحجّ فإنّك لمّا عرفت أنّ الغرض الأوّل من العبادات هو جذب الخلق إلی جناب الحقّ بالتذكير له و دوام إخطاره بالبال لتجلّی لك الأسرار علی طول التذكار،و ينتهی فی ذلك من أخذت العنايه بيده إلی مقام المخلصين فمن جمله أسرار اللّه سبحانه المنزله علی لسان رسوله تعيين موضع من البلاد أنّه أصلح المواضع لعباده اللّه،و أنّه خاصّ له و لا بدّ أنّ تبنی مثل هذه الأوضاع علی إشارات و رموز إلی مقاصد حقيقيّه يتنبّه لها من أخذ التوفيق بزمام عقله إليها،و لا بدّ من تعيين أفعال تفعل فی ذلك المكان و أنّها إنّما تفعل فی ذات اللّه سبحانه،و أنفع المواضع المعيّنه فی هذا الباب ما كان مأوی الشارع و مسكنه فإنّ ذلك مستلزم لذكره،و ذكره مستلزم لذكر اللّه سبحانه و ذكر ملائكته و اليوم الآخر،و لمّا لم يمكن فی المأوی الواحد أن يكون مشاهدا لكلّ أحد من الامه فالواجب إذن أن يفرض إليه مهاجره و سفر و إن كان فيه نوع مشقّه و كلفه من تعب الأسفار و إنفاق المال و مفارقه الأهل و الولد و الوطن و البلد،و نحن نذكر فضيلته من جهه السمع ثمّ نشير إلی ما ينبغی أن يوظّف فيه من الآداب الدقيقه و الاعمال الباطنه عند كلّ حركه و ركن من أركان الحجّ مما يجری من تلك الأركان مجری الأرواح للأبدان فإذن

هاهنا أبحاث.

البحث الأوّل-أمّا الفضيله

فمن وجوه:الأوّل قوله تعالی «وَ أَذِّنْ فِی النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلی كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» ۱قال قتاده:لمّا أمر اللّه عزّ و جلّ خليله إبراهيم عليه السّلام أن يؤذّن فی الناس و نادی أيّها الناس إنّ للّه بيتا فحجوّه،و قال تعالی «لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ» ۲قيل:التجاره فی المواسم و الأجر فی الآخره،و لمّا سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم و ربّ الكعبه،الثانی قال عليه السّلام:من حجّ و لم يرفث و لم يفسق خرج

من ذنوبه كيوم ولدته امّه،و قد عرفت كيفيّه نفع العبادات فى الخلاص من الذنوب.الثالث قال صلى اللّه عليه و آله:ما رأى الشيطان فى يوم هو أصغر و لا أحقر و لا أغيض منه يوم عرفه،و ما ذلك إلاّ لما يرى من نزول الرحمه و تجاوز اللّه عن الذنوب العظام إذ يقال من الذنوب ما لا يكفّرها إلاّ الوقوف بعرفه.أسنده الصادق عليه السّلام إلى الرسول صلى اللّه عليه و آله و كان سرّ ذلك ما يحصل من رحمه اللّه و يفاض على أسرار العباده الّتى قد صفت بشدّه الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم الّذى يجتمع فيه العالم أشدّ اجتماع،فإنّ الاجتماع سبب عظيم فى الانفعال و الخشيه للّه و قبول أنواره كما سنبيّنه إنشاء اللّه.الرابع قال صلى اللّه عليه و آله:حجّه مبروره خير من الدنيا و ما فيها،و حجّه مبروره ليس لها أجر إلاّ الجنّه قال صلى اللّه عليه و آله:الحجّاج و العمّار وفد اللّه و زوّاره إن سألوه أعطاهم،و إن استغفروه غفر لهم،و إن دعوه استجاب لهم،و إن شفعوا إليه شفّعهم.السادس روى عنه صلى اللّه عليه و آله من طرق أهل بيته عليهم السّلام أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفه و ظنّ أنّ اللّه لم يغفر له،و فى فضل جزئيّات الحجّ أخبار كثيره تطلب من مظانّها.

البحث الثانى-فى الآداب الدقيقه

و هى عشره:الأوّل أن تكون النفقه حلالا و يخلو القلب عن تجاره تشغله سوى اللّه تعالى،و فى الخبر من طريق أهل البيت إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحجّ على أربعه أصناف سلاطينهم للنزهه،و أغنيائهم للتجاره،و فقراؤهم للمسأله و قرّاؤهم للسمعه،و فى الخبر إشاره إلى جمله أغراض الدنيا الّتى يتصوّر أن يتّصل بالحجّ،فكلّ ذلك مانع لفضيله الحجّ و مقصود الشارع منه،الثانى أن لا يساعد الصادّين عن سبيل اللّه و المسجد الحرام بتسليم المكوس إليهم فإنّ ذلك إعانه على الظلم و تسهيل لأسبابه و جرأه على سائر السالكين إلى اللّه،و ليحتل فى الخلاص فإن لم يقدر فالرجوع أولى من إعانه الظالمين على البدعه و جعلها سنّه،الثالث التوسّع فى الزاد و طيب النفس فى البذل،و الإنفاق بالعدل دون البخل و التبذير،فإنّ بذل الزاد فى طريق مكّه إنفاق فى سبيل اللّه قال صلى اللّه عليه و آله:الحجّ المبرور ليس له أجر إلاّ الجنّه فقيل يا رسول اللّه ما برّ الحجّ؟قال:طيب الكلام و إطعام الطعام،الرابع ترك الرفث و الفسوق و الجدال كما قال تعالى «فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِی الْحَجِّ» ۱و الرفث كلّ لغو و فحش من الكلام،

و يدخل فى ذلك محادثه النساء بشأن الجماع المحرّم فإنّها تهيّج داعيته و هى مقدّمه له فتحرم،و من لطف الشارع إقامه مظنّه الشىء مقام الشىء حسما لمادّته،و الفسوق الخروج عن طاعه اللّه،و الجدال هو المماراه و الخصومه الموجبه للضغائن و الأحقاد و افتراق كلمه الخلق(الحقّ)،و كلّ ذلك ضدّ مقصود الشارع من الحجّ و شغل عن ذكر اللّه،الخامس أن يحجّ ماشيا مع القدره و نشاط النفس فإنّ ذلك أفضل و أدخل للنفس فى الإذعان لعبوديّه اللّه،و قال بعض العلماء:الركوب أفضل لما فيه من مئونه الإنفاق،و لأنّه أبعد من الملال و أقلّ للأذى و أقرب إلى السلامه و أداء الحجّ،و هذا التحقيق غير مخالف لما قلناه، و الحقّ التفصيل،فيقال:من سهل عليه المشى فهو أفضل فإن أضعف و أدّى إلى سوء خلق و قصور عن العمل فالركوب أفضل لأنّ المقصود توفّر القوى على ذكر اللّه تعالى و عدم المشتغلات عنه.السادس أن يركب الزامله دون المحمل لاشتماله على زىّ المترفين و المتكبّرين و لأنّه أخفّ على البعير اللهمّ إلاّ لعذر.حجّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على راحلته و كان تحته رحل رثّ و قطيفه خلقه قيمته أربعه دراهم و طاف على الراحله لينظر الناس إلى هيئته و شمائله،و قال:خذوا عنّى مناسككم.السابع أن يخرج رثّ الهيئه أقرب إلى الشعث غير مستكثر من الزينه و أسباب التفاخر فيخرج بذلك عن حزب السالكين و شعار الصالحين.و روى عنه صلى اللّه عليه و آله أنّه قال:إنّما الحاجّ الشعث التفث يقول اللّه تعالى لملائكته انظروا إلى زوّار بيتى قد جاءونى شعثا غيرا من كلّ فج.و قال تعالى «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» و التفث الشعث و الاغبرار و قضاؤه بالحلق و تقليم الأظفار.الثامن أن يرفق بالدابّه و لا يحملها ما لا تطيق كان أهل الورع لا ينامون على الدابّه إلاّ عفوه من قعود قال صلى اللّه عليه و آله:لا تتّخذوا ظهور دوّابكم كرسىّ،و يستحبّ أن ينزل عن دابّته غدوّه و عشيّه يروّحها بذلك فهو سنّه، و سرّ ذلك مراعاه الرقّه و الرحمه و التخلّى عن القسوه و الظلم و لأنّه يخرج بالعسف عن قانون العدل و مراعاه عنايه اللّه و شمولها فإنّها كما لحقت الإنسان لحقت سائر الحيوان التاسع أن يتقرّب بإراقه دم و يجتهد أن يكون سمينا ثمينا روى أنّ عمر أهدى نجيبه فطلبت منه بثلاثه مائه دينار فسأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يبيعها و يشترى بثمنها بدنا فنهاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و قال:بل اهدها و ذلك لأنّ المقصود ليس تكثير اللحم و إنّما المقصود تزكيه

النفس و تطهيرها عن رذيله البخل و تزيينها بجمال التعظيم للّه «لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ» قال صلى اللّه عليه و آله:ما من عمل آدميّ يوم النحر أحبّ إلى اللّه عزّ و جلّ من إهراقه دما و إنّها لتأتى يوم القيامه بقرونها و إطلافها و إنّ الدم ليقع من اللّه بمكان قبل أن يقع الأرض فطيّبوا بها نفسا.العاشر أن يكون طيّب النفس بما أنفقه من هدى و غيره،و بما أصابه من خسران و نقيصه مال إن أصابه ذلك فإنّه بذلك يكون مكتفيا إلى اللّه سبحانه عن كلّ ما أنفقه متعوّضا عنه ما عند اللّه و ذلك علامه لقبول حجّه.

البحث الثالث-فى الوظائف القلبيّه عند كلّ عمل من أعمال الحجّ.

اعلم أنّ أوّل الحجّ فهم موقع الحجّ فى الدين ثمّ الشوق إليه ثمّ العزم عليه ثمّ قطع العلائق المانعه عنه ثمّ تهيئه أسباب الوصول إليه من الزاد و الراحله ثمّ السير ثمّ الإحرام من الميقات بالتلبيه ثمّ دخول مكّه ثمّ استتمام الأفعال المشهوره،و فى كلّ حاله من هذه الحالات تذكره للمتذكّر و عبره للمعتبر و نبّه للمريد الصادق و إشاره للفطن الحاذق إلى أسرار يقف عليها بصفاء قلبه و طهاره باطنه إن ساعده التوفيق.أمّا الفهم فاعلم أنّه لا وصول إلى اللّه إلاّ بتنحيه ما عداه عن القصد من المشتهيات البدنيّه و اللذّات الدنيويّه و التجريد فى جميع الحالات و الاقتصار على الضروريّات،و لهذا انفرد الرهبان فى الأعصار السالفه عن الخلق فى قلل الجبال توحّشا من الخلق و طلبا للانس بالخالق و اعرضوا عن جميع ما سواه،و لذلك مدحهم بقوله «ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ» فلمّا اندرس ذلك و أقبل الخلق على اتّباع الشهوات و الإقبال على الدنيا و الالتفات عن اللّه بعث نبيّه صلى اللّه عليه و آله لإحياء طريق الآخره و تجديد سنّه المرسلين فى سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانيّه و السياحه فى دينه فقال:أبدلنا بها الجهاد و التكبير على كلّ شرف يعنى الحجّ.و سئل عن السائحين فقال:هم الصائمون فجعل سبحانه الحجّ رهبانيّه لهذه الامه فشرّف البيت العتيق بإضافته إلى نفسه و نصبه مقصدا لعباده و جعل ما حوله حرما لبيته تفخيما لأمره و تعظيما لشأنه،و جعل عرفات كالميدان على باب حرمه و أكّد حرمه الموضع بتحريم صيده و شجره،و وضعه على مثال حضره الملوك يقصده الزوّار «مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» شعثا غبرا متواضعين لربّ البيت مستكينين له خضوعا بجلاله و استكانه لعزّته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن

یحومه مکان لیکون ذلک أبلغ فی رقّهم و عبودیّتهم،و لذلک وظّف علیهم فیها أعمالا-لا-تأنس بها النفوس و لا تهتدی إلی معانبها العقول کرمی الجمار بالأحجار و التردّد بین الصفا و المروه علی سبیل التکرار،و بمثل هذه الأعمال یظهر کمال الرّق و العبودیّه بخلاف سائر العبادات کالزکاه الّتی هی إنفاق فی وجه معلوم و للعقل إلیه میل،و الصوم الّذی هو کسر للشهوه الّتی هی عدوّ للّه و تفرّغ للعباده بالکفّ عن الشواغل،و کالرکوع و السجود فی الصلاه الّذی هو تواضع للّه سبحانه بأفعال علی هیئات التواضع و للنفوس انس بتعظیم اللّه تعالی.و أمّا أمثال هذه الأعمال فإنّه لا اهتداء للعقل إلی أسرارها فلا یکون للإقدام علیها باعث إلاّ الأمر المجرّد و قصد امتثاله من حیث هو واجب الاتّباع فقط و فیه عزل للعقل عن تصرّفه و صرف النفس و الطبع عن محلّ انسه المعین علی الفعل من حیث هو فإنّ کلّ ما أدرک العقل وجه الحکمه فی فعله مال الطبع إلیه میلا تامّا فیکون ذلک المیل معینا للأمر و باعثا علی الفعل فلا یکاد یظهر به کمال الرقّ و الانقیاد،و لذلک قال صلی اللّه علیه و آله فی الحجّ علی الخصوص:لبّیک بحجّه حقّا تعبّدا و رقّا،و لم یقل ذلک فی الصلاه و غیرها،و إذا اقتضت حکمه اللّه سبحانه ربط نجاه الخلق بکون أعمالهم علی خلاف أهویه طباعهم و أن یکون أزّمتها بید الشارع فیتردّدون فی أعمالهم علی سنن الانقیاد و مقتضی الاستبعاد کان مالا یهتدی إلی معانیه أبلغ أنواع التعبّدات و صرفها عن مقتضی الطبع إلی مقتضی الاسترقاق،و لهذا کان مصدر تعجّب النفوس من الأفعال العجیبه هو الذهول عن أسرار التعبّدات،و أمّا الشوق فباعثه الفهم أنّ البیت بیت اللّه و أنّه وضع علی مثال حضره الملوک فقاصده قاصد اللّه تعالی و من قصد حضره اللّه تعالی بالمثال المحسوس فجدیر أن یترقّی منه بحسب سوق شوقه إلی الحضره العلویّه و الکعبه الحقیقیّه الّتی هی فی السماء و قد بنی هذا البیت علی قصدها فیشاهد وجه ربّه الأعلی بحکم وعده الکریم،و أمّا العزم فلیستحضر فی ذهنه أنّه لعزمه مفارق للأهل و الولد،هاجر للشهوات و اللذّات مهاجر إلی ربّه،متوجّه إلی زیاره بیته و لیعظّم قدر البیت لقدر ربّ البیت و لیخلّص عزمه للّه و یبّعده عن شوائب الریاء و السمعه فإنّ ذلک شرک خفیّ،و لیتحقّق أنّه لا یقبل من عمله و قصده إلاّ الخالص و أنّ من أقبح المقابح أن یقصد بیت الملک و حرمه مع اطّلاع ذلک الملک علی

«خائِنَهَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِی الصُّدُورُ» و یکون قصده غیره فإنّ ذلک استبدال للّذی هو أدنی بالّذی هو خیر،أمّا قطع العلائق فحذف جمیع الخواطر عن قلبه غیر قصد عباده اللّه و التوبه الخالصه له عن الظلم و أنواع المعاصی فکلّ مظلمه علاقه و کلّ علاقه خصم حاضر متعلّق به ینادی علیه و یقول أتقصد بیت الملوک و هو مطّلع علی تضییع أمره لک فی منزلک هذا و تستهین به و لا تلتفت إلی نواهیه و زواجره و لا تستحیی أن تقدم علیه قدوم العبد العاصی فیغلق دونک أبواب رحمته و یلقیک فی مهاوی نقمته فإن کنت راغبا فی قبول زیارتک فأبرز إلیه من جمیع معاصیک و أقطع علاقه قلبک عن الالتفات إلی ما وراءک لتتوجّه إلیه بوجه قلبک کما أنت متوجّه إلی بیته بوجه ظاهرک،و لیذکر عند قطعه العلائق لسفر الحجّ قطع العلائق لسفر الآخره فإنّ کلّ هذه أمثله قریبه یترقّی منها إلی أسرارها،و أمّا الزاد فلیطلبه من موضع حلال فإذا أحسّ من نفسه بالحرص علی استکثاره و طیبه و طلب ما یبقی منه علی طول السفر و لا یتغیّر قبل بلوغ المقصد فلیذکر أنّ سفر الآخره أطول من هذا السفر و أنّ زاده التقوی،و أمّا ما عداه لا یصلح زادا و لا یبقی معه إلاّ رثیما هو فی هذا المنزل و لیحذر أن یفسد أعماله الّتی هی زاده إلی الآخره بشوائب الریاء و کدورات التقصیر فیدخل فی قوله تعالی «هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً» ۱و کذلک فلیلاحظ عند رکوب دابّته تسخیر الحیوان له و حمله عنه الأذی،و یتذکّر منّته تعالی لشمول عنایته و رأفته حیث یقول « «وَ تَحْمِلُ أَثْقالَکُمْ إِلی بَلَدٍ لَمْ تَکُونُوا بالِغِیهِ إِلاّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّکُمْ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ» » ۲فیشکره سبحانه علی جزیل هذه النعمه و عظیم هذه المنّه،و یستحضر نقلته من مرکبه إلی منازل الآخره الّتی لا شکّ فیه،و لعلّه أقرب من رکوبه الحاضر فتحتاط فی أمره،و لیعلم أنّ هذه أمثله محسوسه یترقّی منها إلی مراکب النجاه من الشقّه الکبری و هی عذاب اللّه سبحانه،و أمّا ثوب الإحرام و شراؤه و لبسه فلیتذکّر معه الکفن و درجه فیه و لعلّه أقرب إلیه ولیتذکّر منها التسربل بأنوار اللّه الّتی لا مخلص من عذابه إلاّ بها فیجهد

فی تحصیلها بقدر إمکانه،و أمّا الخروج من البلد فلیستحضر عنده أنّه یفارق الأهل و الولد متوجّها إلی اللّه سبحانه فی سفر غیر أسفار الدنیا،و یستحضر أیضا غایته من ذلک السفر و أنّه متوجّه إلی ملک الملوک.و جبّار الجبابره فی جمله الزائرین الّذین نودوا فأجابوا و شوّقوا ما اشتاقوا و قطعوا العلائق و فارقوا الخلائق و أقبلوا علی بیت اللّه طلبا لرضی اللّه و طمعا فی النظر إلی وجهه الکریم و لیحضر أیضا فی قلبه رجاء الوصول إلی الملک و القبول له بسعه فضله و لیعتقد أنّه إن مات دون الوصول إلی البیت لقی اللّه وافدا علیه لقوله تعالی «وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ یُدْرِکْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَی اللّهِ» ١و لیتذکّر فی أثناء طریقه من مشاهده عقبات الطریق عقبات الآخره و من السباع و الحیّات حشرات القبر،و من وحشه البراری وحشه القبر و انفراده عن الانس فإنّ کلّ هذه الامور جاذبه إلی اللّه سبحانه و مذکّره له أمر معاده،و أمّا الإحرام و التلبیه من المیقات فلیستحضر أنّه إجابه نداء اللّه تعالی و لیکن فی قبول إجابته بین خوف و رجاء مفوّضا أمره إلی اللّه متوکّلا علی فضله.قال سفیان بن عیینه حجّ زین العابدین علیّ بن الحسین علیه السّلام فلمّا أحرم و استوت به راحلته اصفرّ لونه و وقعت علیه الرعده و لم یستطع أن یلبّی فقیل له ألا تلبّی فقال:أخشی أن یقول لا لبّیک و لا سعدیک فلمّا لبّی غشی علیه و سقط عن راحلته فلم یزل یعتریه ذلک حتّی قضی حجّه فانظر-رحمک اللّه-إلی هذه النفس الطاهره حیث بلغ بها الاستعداد لإفاضه أنوار اللّه لم تزل الغواشی الإلهیّه و النفخات الربّانیّه تغشیها فیغیب عن کلّ شیء سوی جلال اللّه و عظمته،و لیتذکّر عند إجابته نداء اللّه سبحانه إجابه ندائه بالنفخ فی الصور و حشر الخلق من القبور و ازدحامهم فی عرصات القیامه مجیبین لندائه منقسمین إلی مقرّبین و ممقوتین و مقبولین و مردودین و مردّدین فی أوّل الأمر بین الخوف و الرجاء تردّد الحاجّ فی المیقات حیث لا یدرون أیتیسّر لهم إتمام الحجّ؟أم لا،أمّا دخول مکّه.فلیستحضر عنده أنّه قد انتهی إلی حرم اللّه الأمن و لیرج عنده أن یأمن بدخوله من عقاب اللّه و لیخش أن لا یکون من أهل القرب،و لیکن رجاؤه أغلب فإنّ الکریم عمیم و شرف البیت عظیم و حقّ الزائر مرعیّ و ذمام اللائذ المستجیر غیر مضیّع خصوصا عند أکرم

الأكرمين و أرحم الراحمين،و يستحضر أنّ هذا الحرم مثال للحرم الحقيقىّ لترقّى من الشوق إلى دخول هذا الحرم و الأمن بدخوله من العقاب إلى الشوق إلى دخول ذلك الحرم و المقام الأمين،و إذا وقع بصره على البيت فليستحضر عظمته فى قلبه و ليترق بفكره إلى مشاهده حضره ربّ البيت فى جوار الملائكه المقرّبين و ليتشوّق أن يرزقه النظر إلى وجهه الكريم كما رزقه الوصول إلى بيته العظيم و ليتكثّر من الذكر و الشكر على تبليغ اللّه إيّاه هذه المرتبه،و بالجمله فلا يغفل عن تذكير أحوال الآخره فى كلّ ما يراه فإنّ كل أحوال الحجّ و منازله دليل يترقّى منه إلى مشاهده أحوال الآخره،و أما الطواف بالبيت.فليستحضر فى قلبه التعظيم و الخوف و الخشيه و المحبّه،و ليعلم أنّه بذلك متشبّه بالملائكه المقرّبين الحافّين حول العرش الطائفين حوله و لا تظنّن أنّ المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك بذكر ربّ البيت حتّى لا تبتدىء بالذكر إلاّ منه و لا تختم إلاّ به كما تبدأ بالبيت و تختم به،و اعلم أنّ الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضره الربوبيّه و أنّ البيت مثال ظاهر فى عالم الشهاده لتلك الحضره الّتى هى عالم الغيب كما أنّ الإنسان الظاهر مثال الظاهر فى عالم الشهاده للإنسان الباطن الّذى لا يشاهد بالبصر و هو فى عالم الغيب و أنّ عالم الملك و الشهاده مرقاه و مدرج إلى عالم الغيب و الملكوت لمن فتح له باب الرحمه و أخذت العنايه الإلهيّه بيده لسلوك الصراط المستقيم،و إلى هذه الموازنه وقعت الإشاره الإلهيّه بأنّ البيت المعمور فى السماء بإزاء الكعبه،و أنّ طواف الملائكه به كطواف الإنس بهذا البيت،و لمّا قصرت مرتبه أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبّه بهم بحسب الإمكان و وعدوا بأنّ من تشبّه بقوم فهو منهم ثمّ كثيرا ما يزداد ذلك التشبيه إلى أن يصير فى قوّه المشبّه به و الّذى يبلغ تلك المرتبه فهو الّذى يقال إنّ الكعبه تزوره و تطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض أولياء اللّه،و أمّا الاستلام فليستحضر عنده أنّه مبائع للّه على طاعته مصمّم عزيمته على الوفاء ببيعته« «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» » ١و لذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:الحجر الأسود يمين اللّه فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه،و لمّا قبّله عمر قال:إنّى لأعلم أنّك

حجر لا تضرّ و لا تنفع و لو لا أنّی رأیت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یقبّلک لما قبّلتک فقال له علیّ علیه السّلام مه یا عمر بل یضرّ و ینفع فإنّ اللّه سبحانه لمّا أخذ المیثاق علی بنی آدم حیث یقول« «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ» » ۱الآیه ألقمه هذا الحجر لیکون شاهدا علیهم بأداء أمانتهم و ذلک معنی قول الإنسان عند استلامه أمانتی أدّیتها و میثاقی تعاهدته لتشهد لی عند ربّک بالموافاه،و أمّا التعلّق بأستار الکعبه و الالتصاق بالملتزم.فلیستحضر فیه طلب القرب حبّا للّه و شوقا إلی لقائه تبرّکا بالمماسّه و رجاء للتحصّن من النار فی کلّ جزء من البیت و لتکن النیّه فی التعلّق بالستر الالحاح فی طلب الراحه (الرحمه)و توجیه الذهن إلی الواحد الحقّ،و سؤال الأمان من عذابه کالمذنب المتعلّق بأذیال من عصاه المتضرّع إلیه فی عفوه عنه المعترف له بأنّه لا ملجاء إلاّ إلیه و لا مفزع له إلاّ عفوه و کرمه،و أنّه لا یفارق ذیله إلاّ بالعفو و بذل الطاعه فی المستقبل،و أمّا السعی بین الصفا و المروه فی فناء البیت فمثال التردّد العبد بفناء دار الملک جائیا و ذاهبا مرّه بعد اخری إظهارا للخلوص فی الخدمه و رجاء لملاحظته بعین الرحمه کالّذی دخل علی الملک و خرج و هو لا یدری ما الّذی یقضی الملک فی حقّه من قبول أوردّ فیکون تردّده رجاء أن یرحمه فی الثانیه إن لم یکن رحمه فی الاولی،و لیتذّکر عند تردّده بین الصفا و المروه تردّده بین کفتّی المیزان فی عرصه القیامه و لیمثّل الصفا بکفّه الحسنات و المروه بکفّه السیّئات و لیتذکّر تردّده بین الکفّتین ملاحظا للرجحان و النقصان متردّدا بین العذاب و الغفران، و أما الوقوف بعرفه.فلیتذکّر بما یری من ازدحام الناس و ارتفاع الأصوات و اختلاف اللغات و اتّباع الفرق أئمتّهم فی التردّدات علی المشاعر اقتفاء لهم و سیرا بسیرتهم عرصات القیامه و اجتماع الامم مع الأنبیاء و الأئمّه و اقتفاء کلّ امّه أثر نبیّها و طمعهم فی شفاعتهم و تجرّهم فی ذلک الصعید الواحد بین الرّد و القبول،و إذا تذکّر ذلک فیلزم قلبه الضراعه و الابتهال إلی اللّه أن یحشره فی زمره الفائزین المرحومین،و لکن رجاؤه أغلب فإنّ الموقف شریف و الرحمه إنّما تصل من حضره الجلال إلی کافّه الخلائق بواسطه النفوس الکامله من أوتاد الأرض و لا یخلو الموقف عن طائفه من الأبدال و الأوتاد و طوائف من الصالحین و أرباب

القلوب فإن اجتمعت همّهم و تجرّدت للضراعه نفوسهم،و ارتفعت إلى اللّه أيديهم و امتدّت إليه أعناقهم يرمقون بأبصارهم جهه الرحمه طالبين لها فلا تظنّن أنّه يخيّب سعيهم من رحمه تغمرهم و يلوح لك من اجتماعهم الامم بعرفات و الاستظهار بمجاوره الأبدال و الأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد و هو السرّ الأعظم من الحجّ و مقاصده فلا طريق إلى استنزال رحمه اللّه و استدرارها أعظم من اجتماع الهمم و تعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد،و أمّا رمى الجمار.فليقصد به الانقياد لأمر اللّه و إظهار الرقّ و العبوديه ثمّ ليقصد به التشبّه بإبراهيم عليه السّلام حيث عرض له إبليس فى ذلك الموضع ليدخل على حجّه شبهه أو يفتنه بمعصيه فأمره اللّه تعالى أن يرميه بالحجاره طردا له و قطعا لأمله فإن خطر له أنّ الشيطان عرض لإبراهيم عليه السّلام و لم يعرض له فليعلم أنّ هذا الخاطر من الشيطان و هو الّذى ألقاه على قلبه ليخيّل إليه أنّه لا فائده فى الرمى،و أنّه يشبه اللعب و ليطرده عن نفسه بالجدّ و التشمير فى الرمى فيه يرغم فيه برغم أنف الشيطان فإنّه و إن كان فى الظاهر رميا للعقبه بالحصى فهو فى الحقيقه رمى لوجه إبليس و قصم لظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلاّ بامتثال أمر اللّه تعظيما لمجرد الأمر، و أمّا ذبح الهدى.فليعلم أنّه تقرب إلى اللّه تعالى بحكم الامتثال فليكمل الهدى و أجزاه و ليرج أن يعتق اللّه بكلّ جزء منه جزءا من النار.هكذا ورد الوعد فكلّما كان الهدى أكثر و أوفر كان الفداء به من النار أتمّ و أعمّ و هو يشبه التقرب إلى الملك بالذبح له و إتمام الضيافه و القرى و الغايه منه تذكّر المعبود الأوّل سبحانه عند النيّه فى الذبح و اعتقاد أنّه متقرب به بأجزائه إلى اللّه فهذه هى الإشاره إلى أسرار الحجّ و أعماله الباطنه. إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى المتن .

قوله و فرض عليكم حجّ بيته الحرام إشاره.إلى وجوب الحجّ على الخلق و هو معلوم بالضروره من الدين و وصفه بالحرام لأنّه يحرم على الخلق أن يفعلوا فيه ما لا ينبغى من مناهى الشرع،و قوله الّذى جعله قبله للأنام مستنده قوله تعالى «فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» ١استعاره و قوله يردونه ورود الأنعام مبالغه فى تشبيه ورود الخلق البيت بورود الأنعام،و وجه الشبه أنّ الخلق يردّون البيت

بازدحام عن حرص و شوق إليه كحال الأنعام عند ورودها الماء،و قيل:إنّ وجه الشبه هو ما بيّناه من عدم اطّلاع الخلق على أسرار الحجّ و على ما يشتمل عليه المناسک من الحكمه الإلهيّه،و لمّا كان العقل الّذى به تميّز الإنسان عن الأنعام و سائر الحيوان معزولا عن إدراک هذه الأسرار كاد أن لا يكون بين الإنسان و بين مركوبه فرق فى الورود إلى البيت و سائر المناسک و فيه بعد ،و قوله و يألهون إليه ولوه الحمام إشاره إلى شوق الخلق فى كلّ عام إلى ورود البيت كما يشتاق إليه الحمام الّذى يسكنه، السجع و قد راعى عليه السّلام فى هذه القرائن الأربع السجع .قوله جعله علامه لتواضعهم لعظمته و إذعانهم لعزّته إشاره إلى ما ذكرنا من أنّ العقل لمّا لم يكن ليهتدى إلى أسرار هذه الأعمال لم يكن الباعث عليها إلاّ الأمر المجرّد و قصد امتثاله من حيث هو واجب الإتّباع فقط،و فيه كمال الرقّ و خلوص الانقياد فمن فعل ما أمر به من أعمال الحجّ كذلک فهو المخلص الّذى ظهرت عليه علامه المخلصين و المذعن المتواضع لجلال ربّ العالمين،و لمّا كان الحقّ سبحانه عالم الغيب و الشهاده لم يمكن أن يقال إنّ تلک العلامه ممّا يستفيد بها علما بأحوال عبيده من طاعتهم و معصيتهم فإذن يتعيّن أن يكون معناها راجعا إلى ما به تتميّز النفوس الكامله الّتى انقادت لأوامر اللّه و أخلصت له العباده عمّا عداها فإنّ هذه العباده من أشرف ما استعدّت به النفس الإنسانيّه و إفادتها كمالا تميّزت به عن أبناء نوعها فهى إذن علامه بها تميّز من اتّسم بها عن غيره، و قوله و اختار من خلقه سماعا أجابوا إليه دعوته .إشاره إلى الحاج فى قوله تعالى «وَ أَذِّنْ فِي النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوکَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» ۱و فى الآثار أنّ إبراهيم عليه السّلام لمّا فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل عليه السّلام فأمره أن يؤذّن الناس بالحجّ فقال إبراهيم عليه السّلام:يا ربّ و ما يبلغ صوتى قال اللّه أذّن و علىّ البلاغ فعلا إبراهيم عليه السّلام المقام و أشرف به حتّى صار كأطول الجبال و أقبل بوجهه يمينا و شمالا و شرقا و غربا و نادى يا أيّها الناس كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم فأجابه من كان فى أصلاب الرجال و أرحام النساء لبيّک اللهمّ لبيّک،و فى الأثر إشارات لطيفه فإنّه يحتمل أن يراد بقول إبراهيم و ما يبلغ صوتى إشاره إلى حكم الوهم الإنسانىّ باستبعاد عموم

هـذه الـدعوه و انقيـاد الخلق لهـا و قصور الطبع عن ذلـك،و بقول الحقّ سـبحانه و علىّ البلاغ الإشاره إلى تأييـد اللّه سـبحانه بما أوحى إليه من العلم ببسط دعوته و إبلاغهـا إلى من علم بلوغهـا إليه،و بعلوّ إبراهيم المقـام حتّى صـار كـأطول الجبـال،و إقبـاله بوجهه يمينا و شـمالا و شـرقا و غربا و دعوته إشاره إلى اجتهاده فى التبليغ للدعوه و جذب الخلق إلى هذه العباده بحسب إمكانه و اسـتعانته فى ذلـك بأوليـاء اللّه التـابعين له،و أمّـا إجـابه من كان فى أصـلاب الرجال و أرحام النساء له فإشاره إلى ما كتبه اللّه سبحـانه بقلم قضـائه فى اللوح المحفوظ من طـاعه الخلق و إجابتهم لهـذه الـدعوه على لسان إبراهيم عليه السّـلام و من بعـده من الأنبياء و هم المراد بالسـماع الّـذين اختارهم اللّه سـبحانه من خلقه حتّى أجابوا دعوته إلى بيته بحجّهم إليه بعـد ما أهّلهم لـذلك قرنا بعد قرن و امّه بعد اخرى ،و قوله و صدّقوا كلمته إشاره إلى مطابقه أفعالهم لما جاءت به الأنبياء من كلام اللّه سـبحانه و عدم مخـالفتهم و تكـذيبهم لهم،و قوله و وقفوا مواقف الأنبياء إشاره إلى متابعتهم لهم أيضا فى مواقف الحـجّ و فى ذكر الأنبياء هاهنا اسـتدراج حسن للطباع اللطيفه المتشوّقه إلى لقاء اللّه و التشبّه بأنبيائه عليهم السّلام و ملائكته و قوله و تشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه إشاره إلى ما ذكرناه من أنّ البيت المعمور بإزاء الكعبه فى السـماء و أنّ طواف الخلق بهـذا البيت يشبه طواف الملائكه و إحـداقهم بالبيت المعمور و العرش فهم متشبّهون بالملائكه فى الطواف،و الغايه أن يترقّى من أخـذ العنايه بيـده من هذا الطواف إلى أن يصير من الطائفين بالعرش و البيت المعمور ، تشبيه و قوله يحرزون الأرباح فى متجر عبادته و يبادرون عنده موعد مغفرته شبّه عليه السّـلام العبـاده بالبضـاعه الّتى يتّجر بهـا فالتـاجر هو النفس و رأس المال هو العقل،و وجوه تصرّفاته حركاته و سـكناته الحسيّه و العقليّه المطلوبه منه بالأوامر الشرعيّه و العقليّه و الأربـاح هى ثواب اللّه و ما أعـدّه للمحسـنين فى جنّات النعيم و أقبح بمملوك يعـدّ تصرّفه فى خـدمه سـيّده متجرا يطلب به التكسّب و الربـح و أحسن به إذا نظر إلى أنّه أهـل العباده فحـذف جميع الأعراض و الخواطر فى خدمته عن درجه الاعتبار و جعلها خالصه له لأنّه هو فأمّا كلامه عليه السّـلام بذكر الربح هاهنا فاستدراج حسن لطبـاع الخلق بمـا يفهمونه و يميلون إليه من حبّ الأربـاح فى الحركات ليشـتاقوا فيعبـدوا ،و قوله و جعله للإسـلام علما أى علما للطريق إلى اللّه و سلوك صراطه المستقيم،و هى الإسلام الحقيقىّ يهتدى عليها كما يهتدى بالعلم المرفوع

للعسكر و المارّه على مقاصدهم،و قوله فرض عليكم حجّه و أوجب حقّه و كتب عليكم وفادته إلى آخره تأكيد لما سبق و ذكر للخطاب الموجب للحجّ و هو قوله «وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» ١و باللّه العصمه و التوفيق.

٢-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

بعد انصرافه من صفين

القسم الأول

اشاره

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ وَ اسْتِسْلاَماً لِعِزَّتِهِ- وَ اسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ- وَ أَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ- إِنَّهُ لاَ يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ وَ لاَ يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ- وَ لاَ يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ- فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ وَ أَفْضَلُ مَا خُزِنَ- وَ أَشْهَدُ أَنْ «لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ» وَحْدَهُ لاَ شَرِيکَ لَهُ- شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاَصُهَا مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا- نَتَمَسَّکُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا- وَ نَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا- فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ وَ فَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ- وَ مَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ وَ مَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ وَ الْعَلَمِ الْمَأْثُورِ- وَ الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ وَ النُّورِ السَّاطِعِ- وَ الضِّيَاءِ اللاَّمِعِ وَ الْأَمْرِ الصَّادِعِ- إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَ احْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ- وَ تَحْذِيراً بِالْآيَاتِ وَ تَخْوِيفاً بِالْمَثُلاَتِ- وَ النَّاسُ فِی فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ- وَ تَزَعْزَعَتْ سَوَارِی الْيَقِينِ- وَ اخْتَلَفَ النَّجْرُ وَ تَشَتَّتَ الْأَمْرُ- وَ ضَاقَ الْمَخْرَجُ وَ عَمِيَ الْمَصْدَرُ- فَالْهُدَى

خَامِلٌ وَ الْعَمى شَامِلٌ- عُصِیَ الرَّحْمَنُ وَ نُصِرَ الشَّیْطَانُ وَ خُذِلَ الْإِیمَانُ- فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ وَ تَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ- وَ دَرَسَتْ سُبُلُهُ وَ عَفَتْ شُرُكُهُ- أَطَاعُوا الشَّیْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَ وَرَدُوا مَنَاهِلَهُ- بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَ قَامَ لِوَاؤُهُ- فِی فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَ وَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا- وَ قَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا- فَهُمْ فِیهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ- فِی خَیْرِ دَارٍ وَ شَرِّ جِیرَانٍ- نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَ كُحْلُهُمْ دُمُوعٌ- بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَ جَاهِلُهَا مُكْرَمٌ

اللغه

أقول: صفین اسم موضع بالشام و الاستسلام الانقیاد و وال فلان یئل والا و على فعول إذا لجأ فنجا و منه الموئل الملجأ ،و الفاقه الفقر و لا فعل لها ،و مصاص كلّ شیء خالصه و الذخیره الجنیئه ،و الأهاویل الامور المخوّفه الّتی یعظم اعتبار النفس لها ،و عزیمه الإیمان عقد القلب علیه ،و المدحره محلّ الدحر و هو الطرد و الإبعاد ،و المأثور المقدّم على غیره،و المأثور أیضا المنقول ،و المثلات جمع مثله بفتح المیم و ضمّ الثاء و هی العقوبه ،و الفتن جمع فتنه هی كلّ أمر صرف عن قصد اللّه و اشتغل عنه من بلاء و محنه و هوى متّبع ،و انجذم انقطع ، و الزعزعه الاهتزاز و الاضطراب ،و السواری الأساطین ،و النجر الطبع و الأصل ،و الخامل الساقط ،و انهارت انهدمت ،و المعالم الآثار لأنّ بها یعلم الشیء و یستدلّ علیه ،و الشرك جمع شركه بفتح الشین و الراء و هی معظم الطریق و وسطها ،و المناهل المشارب ،و السنابك أطراف مقدّم الحوافر.الواحد سنبكه ،و السهود مصدر كالجمود مرادف للسهاد و الأرق

المعنى

و اعلم أنّ المراد بالحمد هاهنا الشكر،و استتماما و ما بعدها من المنصوبات منصوبات على المفعول له،و قد جعل علیه السّلام لحمده هاهنا غایتین،الاولى منهما الاستتمام لنعمه اللّه و ذلك لأنّ العبد یستعدّ بمزید الشكر لمزید النعمه و هو فی ذلك ناظرا إلى قوله تعالى«وَ «لَئِنْ»

«شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» لما يشتمل عليه الآيه من البعث على رجاء المزيد،و الثانيه الاستسلام لعزّته فإنّ العبد أيضا يستعدّ بكمال الشكر لمعرفه المشكور و هو اللّه سبحانه و هى مستلزمه للانقياد لعزّته و الخشوع لعظمته و هو فى ذلك ناظر إلى قوله «وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ» لما يشتمل عليه الآيه من التخويف المانع من مقابله نعم اللّه تعالى بالكفر، ثمّ لمّا كان الاستعداد لتمام النعم و التأهّل لكمال الخضوع و الانقياد لعزّه اللّه سبحانه إنّما يتمّ بعد أن يكون العنايه الإلهيّه آخذه بضبعى العبد و جاذبه له عن ورطات المعاصى مبّعده له عن أسباب التورّط فيها بكفايه المؤن و الأسباب الداعيه إلى ارتكاب أحد طرفى الإفراط و التفريط جعل عليه السّلام للحمد غايه اخرى هى الوسيله إلى الغايتين المذكورتين و هى الاستعصام باللّه سبحانه من معصيته،و عقّب ذلك الشكر بطلب المعونه منه على تمام الاستعداد لما سأل و شكر لأجله،و جعل لتلك الاستعانه علّه حامله و هى الفاقه نحو غايه هى كفايه دواعى التفريط و الإفراط بالجذبات الإلهيّه و لا شكّ أنّ الغايتين المذكورتين لا يتمّ بدون عصمته و المعونه بكفايته و ذلك قوله و استعصاما من معصيته و أستعينه فاقه إلى كفايته.

مجاز قوله إنّه لا يضلّ من هداه و لا يئل من عاداه و لا يفتقر من كفاه تعليل لطلبه المعونه على تحصيل الكفايه فإنّه لمّا كان حصول الكفايه مانعا من دواعى طرفى التفريط و الإفراط كان العبد مستقيم الحركات على سواء الصراط و ذلك هدى اللّه يهدى به من يشاء فكأنّه قال:

و أستعينه على أن يرزقنى الكفايه المستلزمه للهدايه الّتى هى الغنى الحقيقى و الملك الأبدىّ فإنّه لا يضلّ من هداه و لا ينجو من عذابه من عاداه و أعرض عن شكره و الاستعانه به و قد أطلق عليه السّلام هاهنا لفظ المعاداه اللّه كما أطلقها القرآن الكريم على ما هو من لوازمها و هو الإعراض عن عبادته و البغض لها و لمن تلبّس بها من عباده مجازا.

قوله فإنّه أرجح ما وزن و أفضل ما خزن الضمير يعود إلى اللّه سبحانه و لمّا كانت ذاته مقدّسه عن الوزن و الخزن اللّذين هما من صفات الأجسام فبالحرىّ أن يكون المقصود رجحان عرفانه فى ميزان العقل إذ لا يوازنه عرفان ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الإخلاص سواه حتّى يصدق هناك موازنه يقال فيها أرجح،و يكون المراد بالخزن خزن

ذلک العرفان فی أسرار النفوس القدسیّه،و قیل:الضمیر یرجع إلی ما دلّ علیه قوله أحمده من الحمد علی طریقه قولهم من کذب کان شرّا له.

قوله و أشهد أن «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» هذه الکلمه أشرف کلمه وحّد بها الخالق عزّ اسمه و قد أشرنا فی الخطبه الاولی إلی ما تضمّنه ترکیبها من حسن الوضع المؤدیّ للمقصود التامّ منها،و بالجمله هی منطبقه علی جمیع مراتب التوحید،و قد زعم النحویّون أنّ فیها شیئا مقدّرا یکون خبرا للا.قالوا:و تقدیره «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» أولا إله موجود إلاّ اللّه،و اعلم أنّ کلّ تقدیر یقدّر هاهنا فهو مخرج لهذه الکلمه عمّا یفید إطلاقها و یفیدها تخصیصا لم یکن و هو ممّا یجده الإنسان من نفسه عند الاعتبار فالأولی أن یکون خبر لا قولنا إلاّ اللّه و لا حاجه إلی تقدیر أمر زائد،و قد وردت لهذه الکلمه فضائل:الاولی قوله صلی اللّه علیه و آله:أفضل الذکر «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» و أفضل الدعاء الحمد للّه.الثانیه عن ابن عمر قال:قال صلی اللّه علیه و آله:لیس علی أهل «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» وحشه فی الموت و لا عند النشر و کأنّی أنظر إلی أهل «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» عند الصیحه ینفضون شعورهم من «اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ» .الثالثه یروی أنّ المأمون لمّا انصرف من مرو یرید العراق و احتاز بنیسابور و کان علی مقدّمته علیّ بن موسی الرضا علیه السّلام فقام إلیه قوم من المشایخ،و قالوا:نسألک بحقّ قرابتک من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله أن تحدّثنا بحدیث ینفعنا فروی عن أبیه عن آبائه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله عن جبرئیل عن ربّه أنّه قال: «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» حصنی فمن دخل حصنی أمن من عذابی.الرابعه قال صلی اللّه علیه و آله:أن أقاتل الناس حتّی یقولوا «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» فإذا قالوها عصموا منّی دماءهم و أموالهم إلاّ بحقّها و حسابهم علی اللّه.قال بعض العلماء:إنّ اللّه تعالی جعل العذاب عذابین:أحدهما السیف فی ید المسلمین،و الثانی عذاب الآخره،و السیف فی غلاف یری و النار فی غلاف لا یری فقال تعالی لرسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:من أخرج لسانه من الغلاف المرئیّ و هو الفم فقال: «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» أدخلنا السیف فی الغمد المرئیّ،و من أخرج لسان قلبه من الغلاف الّذی لا یری و هو غلاف الشرک فقال: «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» أدخلنا سیف عذاب الآخره فی غمد الرحمه واحده بواحده جزاء، و لا ظلم الیوم.

قوله شهاده ممتحنا إخلاصها معتقدا مصاصها .مصدر وصف بوصفین جریا علی غیر من

هماله،و الممتحن المختبر أراد أنّه مختبر نفسه فی إخلاص هذه الشهاده واجد لها عريّه عن شبهات الباطل،معرضه عن كلّ خاطر سوی الحقّ سبحانه متمثّله فيها حليه التوحيد و خالصه مبرّاه عن شوائب الشرک الخفیّ كما عرفت من التوحيد المطلق و الإخلاص المحقّق.

قوله نتمسّک بها أبدا ما أبقانا و ندّخرها لأهاويل ما يلقانا فإنّها عزيمه الإيمان إلی قوله و مدحره الشيطان .إشاره إلی أنّه يجب التمسّک بها مدّه البقاء فی دار الدنيا لعزائم الامور و الاستعداد بها لأحوال الآخره و شدائدها ثمّ عقّبها بذكر علّه التمسّک بها و ادّخارها،و ذكر أربعه أوصاف يوجب ذلک:أوّلها أنّها عقيده الإيمان و عزيمته المطلوبه للّه سبحانه من خلقه و كلّ ما عداها ممّا وردت به الشريعه من قواعد الدين و فروعه فهی حقوق لها و توابع و متممّات و معيّنات علی الوقوف علی سرّها و الوصول إلی إخلاصها.

و ثانيها أنّها فاتحه الإحسان فإنّها أوّل كلمه افتتحت به الشريعه و استعدّ العبد بالسلوک فی طريق إخلاصها لإفاضه إحسان اللّه و نعمه شيئا فشيئا،و كما أنّها أوّل مطلوب للّه من خلقه فی فطرتهم الأصليّه و علی ألسنه رسله عليهم السّلام فهی أيضا غايتهم الّتی ينالون بإخلاصها و استصحاب مصاصها السعاده الباقيه.و ثالثها أنّها مرضاه الرحمن،و ذلک ظاهر إذ هی محلّ رضوان اللّه و السبب المستنزل لتمام رحمته و مزيد نعمته علی محلّ تنور بها و رفع السخط عنه كما قال:امرت أن اقاتل الناس حتّی يقولوا «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» الخبر.و رابعها أنّها مدحره الشيطان و ذلک أيضا ظاهر فإنّ غايه دعوه الشيطان هو الشرک الظاهر أو الخفیّ، و هذه الكلمه إنّما وضعت فی مقابله دعوته فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو إليه،و باطنها قامع لباطن ما يدعو إليه،و كما أنّ الشرک علی مراتب لا تتناهی فكذلک الإخلاص فی هذه الكلمه فبقدر كلّ مرتبه من السلوک فی إخلاصها يسقط فی مقابلته مرتبه من الشرک،و يبطل سعی الشيطان فی بناء تلک المرتبه إلی أن يتمّ الإخلاص بقدر الإمكان،و قد انهدمت قواعد الشيطان بكلّيّتها و صار أبعد مطرود عن قبول ما يقول «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهّابُ» ١.

قوله و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله .قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:من قال أشهد أن «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» و أشهد أنّ محمّدا رسول اللّه فجرى بها لسانه و أطمأنّ بها قلبه حرمت النار عليه،و إنّما قرنت هذه الكلمه بكلمه التوحيد لأنّك عرفت أنّ غرض الشريعه إنّما هو إخلاص تلك الكلمه،و لن يحصل إخلاصها إلاّ بسلوك مراتبها،و لن يحصل ذلك إلاّ بمعرفه كيفيّه السلوك،و علمت أنّ مدار إرسال الرسل و وضع الشرائع كيفيّه السلوك فى درجات الإخلاص فكانت الشهاده و الإقرار بصدق المبلّغ لهذه الرساله و المبيّن لطريق الإخلاص أجلّ كلمه بعد كلمه الإخلاص لأنّها بمنزله الباب لها فلأجل ذلك قرنت بها.

قوله أرسله بالدين المشهور إلى قوله و الأمر الصادع .إشاره إلى تعظيم الرسول صلى اللّه عليه و آله بما جاء به،و أشار بالدين المشهور إلى دينه المشتمل على تعريف كيفيّه سلوك الصراط المستقيم،و بالعلم المأثور إلى اعتبار كون ذلك الدين هاديا قائدا للخلق يهتدون به إلى حضره القدس الّتى هى مقصد جميع الشرائع إذ ذلك هو شأن العلم،و كونه مأثورا إشاره إمّا إلى كونه مقدّما على سائر الأديان كما يقدّم العلم و يهتدى به قوم بعد قوم أو إلى نقله من قرن إلى قرن،و بالكتاب المسطور إلى القرآن المسطوره حقائقه فى ألواح النفوس،و بالنور الساطع و الضياء اللامع إلى السرّ الّذى جاء به الرسول صلى اللّه عليه و آله يحبّ هذه الطريقه و أمر بقصده منها و هو نور يستشرفه مرأى النفوس الصافيه عن صداء الشبهات و كدورات الشرك بخصوصيّه الأمر،و وصفه بكونه صادعا إلى اعتبار قهره بأوامر اللّه و ردعه لمن لم يسلك الطريق المأمور بسلوكها عن رغبه و اختيار حتّى شقّ بالأمر الإلهىّ وجه باطله و صدع ما كان ملتئما من بناء فساده كما قال تعالى «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ » » ١قوله إزاحه للشبهات إلى قوله و تخويفا بالمثلات إشاره إلى الوجوه القريبه لمقاصد البعثه،و ذكر عليه السّلام منها ثلاث مقاصد:أوّلها إزاحه الشبهات و هو أهمّها فإنّ حذف شواغل الدنيا و شبهات الباطل عن قلوب الخلق أهمّ مقاصد الشارع.الثانى سبب تلك الإزاحه و هو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحه لهم و الخطابات الواصله إلى أقصى أذهانهم كما قال تعالى «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» .الثالث التحذير بالآيات النازعه بالعصاه،

و التخويف بالعقوبات الواقعه بأهل الجنايات كما قال تعالى «أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى» ١و هذا الإنذار مؤيّد للحجج و الخطابات الشرعيّه فى حقّ من لم يرزق صفاء ذهن يؤثّر فيه مجرّد الخطابات فيحتاج إلى التحذير و ار.

قوله و الناس فى فتن انجذم فيها حبل الدين إلى قوله و قام لواؤه.

أقول:يحتمل أن يكون الواو فى قوله و الناس للابتداء،و يكون ذلك منه عليه السّلام شروعا فى ذمّ أحوال زمانه و ما هم فيه من البلاء و المحنه و المخاوف و الحروب بسبب تشتّت أهوائهم و اختلاف آرائهم،و غرضه عليه السّلام تنبيه السامعين على ما عساهم غافلين عنه ممّا فيه من الفتن المشتمله على المذامّ الّتى عدّدها لينّبهوا من رقده الغفله،و يشمّروا فى سلوك سبيل الحقّ عن ساق الجدّ و الاجتهاد،و ذكر من المذامّ الّتى حصل الناس عليها بسبب ما هم فيه من الفتن امورا يرجع حاصلها و إن تعدّدت إلى ترك مراسم الشريعه،و عدم سلوك سبيل الحقّ،و ارتكاب طريق الباطل فانقطاع حبل الدين إشاره إلى انحراف الخلق عن سواء السبيل و عدم تمسّكهم بأوامر اللّه سبحانه حال وقوع تلك الفتن، استعاره و استعمال لفظ الحبل هاهنا و فى التنزيل الإلهىّ« «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً» »استعاره لقانون الشريعه المطلوب منها لزومه و التمسّك به،و كذلك استعمال السوارى إمّا لقواعد الدين و أركانه المأمور بتشييدها كالجهاد الّذى هو أقوى مطالبه لذلك الوقت من الناس،و يكون المراد بتزعزعها عدم استقامتها و استقرار الناس عليها مجازا.و إمّا لأهل الدين الّذى به يقوم و رجاله العاملين به الّذين لم يأخذهم فى اللّه لومه لائم،و تزعزعها موت اولئك أو خوفهم من الأعداء المارقين و كلّ ذلك استعاره لطيفه و وجوه المشابهه فيها ظاهره ،و أشار باختلاف النجر إلى اختلاف الأصل الّذى كان يجمع الخلق و الفطره الّتى فطر الناس عليها و وردت الشريعه بلزومها فإنّها كانت متّفقه بوجود الرسول صلى اللّه عليه و آله فاختلف بعده بسلوك كلّ فرقه مذهبا غير الاخرى على أنّ النجر هو الحسب أيضا،و الحسب هو الدين،فيحتمل أن يريد و اختلف الدين،و أشار بتشتّت الأمر إلى تفرّق كلمه المسلمين، استعاره و بقوله و ضاق المخرج و عمى المصدر إلى أنّ الخلق بعد

تورّطهم فى فتن الشبهات الموجبه لتفرّق كلمتهم ضاق مخرجهم منها و عمى عليهم طريق صدورهم منها،و العمى هاهنا هو المشار إليه بقوله تعالى «فَإِنَّها لاٰ تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» ۱و هو استعاره حسنه إذ العمى حقيقه عباره عن عدم ملكه البصر،و وجه المشابهه أنّ الأعمى كما لا يهتدى لمقاصده المحسوسه بالبصر لعدمه كذلك أعمى البصيره لاٰ يهتدى لمقاصده المعقوله لاختلال بصيرته و عدم عقله لوجوه رشده ،و أشار بخمول الهدى إلى عدم ظهوره بينهم حال عمٰاهم عن مصدرهم من ضلالهم إذ كان ضوءه ساقطا بينهم غير موجود،و الفاء لعطف الجمله الاسميّه على الفعليّه و أشار بشمول العمى إلى اشتراكهم فى عدم رؤيتهم لسبيل الحقّ الّذى به يخرجون من شبهات الباطل و ظلمته ثمّ أشار بعصيانهم للرحمن و نصرهم للشيطان إلى أنّ ما هم فيه جور عن الحقّ و نصره للباطل الّذى هو مأمول الشيطان فبالحرىّ أن يكون نصره للشيطان و عصيانا للرحمن و من نصر الشيطان بالذّب على الباطل فقد خذل الإيمان بتركه تشييد قواعده و الذّب عنه،و بترك الإيمان و خذلانه لا يبقى له دعامه يقوم بها و تحمله،و الإشاره بالدعائم و المعالم إلى دعاه الحقّ و حمله الإيمان و بانهيارها إلى عدمهم أو عدم قبول قولهم،و بتنكّر المعالم إلى عدم معرفتهم فى الخلق لقلّتهم،و يحتمل أن يراد بالدعائم القواعد الّتى للدين كالجهاد و غيره و انهيارها عدم القيام بها،و بتنكّر المعالم إلى انمحائه من القلوب الّتى هى معالم الدين و محالّه و بدروس سبله و عفاء شركه إلى أنّه لم يبق له أثر يعرف به،و كلّ ذلك مبالغه فى ضعف الدين و مسالك الشيطان و مناهله ما يجرّهم إليه من مناهى اللّه سبحانه فيتّبعونه فيها،و أعلاٰم الشيطان و لواؤه إمّا القاده إليه و الدعاه إلى باطله المقتدى بهم أو صور الباطل الّتى تصوّرت فى أذهان الخلق و صارت غايات لهم فانقادوا لها و اتّبعوها فهم كالأعلام و الألويه فى الحروب و غيرها.

استعاره-مجاز فى الاسناد قوله فى فتن داستهم بأخفافها و وطئتهم بأظلافها و قامت على سنابكها يحتمل أن يكون فى فتن متعلّقا بقوله بهم سارت أعلامه و قام لواؤه ،و يحتمل أن يتعلّق بمقدّر يكون

خبرا ثانيا لقوله و الناس ،و هذه الفتن هى الّتى أشار إليها أوّلا و إنّما أوردها ثانيا بزياده أوصاف فبالغ عليه السّلام فى تشبيهها بأنواع الحيوان فاستعار لها أخفافا و أظلافا و حوافرا و جعل لها دوسا و وطئا و قياما على الحوافر،و يحتمل أن يكون هناك إضمار أى داستهم بأخفاف إبلها و وطئتهم بأظلاف بقرها و قامت على سنابك خيلها فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه و حينئذ يكون التجوّز فى نسبه الوطى و الدروس و القيام إليها فقط و هو المجاز فى الإسناد.

قوله فهم فيها تائهون .الفاء للتعقيب و أشار بتيههم إلى ضلالهم عن القصد فى ظلمات الفتن و بحيرتهم إلى تردّدهم فى أنّ الحقّ فى أىّ جهه و عدم درايتهم أهو مع علىّ أمّ مع معاويه و بجهلهم إلى عدم علمهم بالحقّ و اعتقاد بعضهم الباطل عن شبهه تحكيم الحكمين و اعتقاد آخرين له عن شبهه دم عثمان،و أمثال ذلك ممّا هو جهل مركّب و بكونهم مفتونين إلى فتنه غيرهم لهم و إضلاله عن الحقّ و هو الشيطان و اتباعه.

قوله فى خير دار و شرّ جيران هذا الظرف يجوز أن يكون كالّذى قبله فى كونه خبرا ثالثا و يجوز أن يتعلّق بقوله تائهون أو ما بعده من الأفعال،و قد اختلف الشارحون لكلام علىّ عليه السّلام فى مراده بخير دار فقال بعضهم:أراد الشام لأنّها الأرض المقدّسه و أهلها القاسطون،و قال معنى قوله نومهم سهود و كحلهم دموع أنّهم لا ينامون اهتماما بامورهم و إعداد أنفسهم للقتال و يبكون قتلاهم،و قوله بأرض عالمها ملجم يريد نفسه و الناصرين للحقّ،و جاهلها مكرم يريد معاويه، و قال آخرون:أراد بخير دار العراق و شرّ جيران يعنى أصحابه المستصرخ بهم للجهاد،و إنّما كانوا شرّ جيران أى شرّ متجاورين لتخاذلهم عن الحقّ و نصره الدين لأنّ خير المتجاورين المتعاضدون فى اللّه،و قوله و نومهم سهود أى خوفا من الحرب و حيره فى التدبير، و كحلهم دموع أى يبكون قتلاهم أيضا،و قيل نفاقا لأنّ من تمّ نفاقه ملك عينيه،و قال آخرون أراد بها دار الدنيا لأنّها دار العمل و أكثر الخلق بها أشرار جهّال و ليس المقصود بكونها خيرا تفضيلها على غيرها ليوهم أنّها أفضل من الآخره بل إثبات فضيلتها فقط فإنّ أفعل التفضيل كما يرد الإثبات الأفضليّه كذلك يرد لإثبات الفضيله و الدنيا دار فاضله لمن قام فيها بأوامر اللّه وراعى ما خلق لأجله و هى مزرعه الآخره كما ورد به الحديث و كون

أهلها شرّ جيران فأمّا شرّ متجاورين كما سبق أو شرّ جيران لمن التجأ إليهم و جاورهم للانتصار بهم على أعداء الدين و ذلك لعدم نصرتهم له و القيام معه،و قوله نومهم سهود،و كحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس فى أصحابه و أصحاب معاويه و من عناه أمر الحرب و دخل فيها، استعاره و قد بالغ عليه السّلام فى وصفهم بقلّه النوم لخوف الحرب و هجوم بعضهم على بعض و شدّه اهتمامهم بأمر القتال و حيرتهم فى تيه الباطل حتى ألحق قلّه نومهم بالسهد لاستلزامه عدم النوم فاستعار له لفظه و صيّره هو هو،و قوله و كحلهم دموع بالغ فى تشبيه دموعهم بالكحل و صيّره هو هو.و وجه المشابهه أنّ الدموع لكثرته منهم و ملازمته أجفانهم أشبه فى ذلك الأمر الكثير المعتاد لعيونهم و هو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له ،و قوله بأرض عالمها ملجم و جاهلها مكرّم الجار و المجرور حكمه حكم الظرف الّذى قبله فيما يتعلّق به ثمّ إن حملنا خير دار على الدنيا كان قوله بأرض تخصيصا لمكان الناس من الدنيا فكأنّه قال و الناس فى خير دار هى الدنيا و هم منها بأرض من حالها أنّ عالمها ملجم بلجام الذلّ من أهلها عن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لعدم العلم بينهم و غلبه الجهل عليهم، و جاهلها مكرّم لمناسبته لهم فى الجهل و موافقته لهم على الباطل،و يكون المراد بتلك الأرض إمّا الشام أو العراق،و إن حملنا خير دار على الشام أو العراق كان قوله بأرض من حالها كذا يجرى مجرى البيان،و يكون الذّم اللاحق من هذا الكلام راجعا إلى أهل تلك الأرض لتعلّق إلجام العالم،و إكرام الجاهل بهم و إن نسب ذلك إليها لكونهم بها إذ لو رددنا الذّم إلى الأرض لنا فى ذلك وصفه لها بأنّها خير دار،و يحتمل أن يكون الواو فى قوله و الناس للحال و العامل أرسله،و الفتن المشاهر إليها فى فتن العرب فى الجاهليّه و حال البعثه و خير دار يعنى مكّه و شرّ جيران يعنى قريشا،و العالم الملجم هو من كان حينئذ عالما بصدق الرسول و حقّ بعثته فهم ملجم بلجام التقيّه و الخوف،و الجاهل المكرّم هو من كذّبه و هذا الاحتمال حسن،و اعلم أنّ الّذى يتبادر إلى الذهن أنّ هذا القدر الّذى أورده السيّد من هذه الخطبه فصول ملفّقه ليست على نظامها الّتى خرجت عليه و إن كان كذلك فربّما يلوح لها لو انتظمت مقاصد توضح ما أورده الناس،و اختلفوا فيه منها،و اللّه أعلم،

القسم الثانی و منها یعنی آل النبی علیه الصلاه و السّلام

اشاره

:

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجَأُ أَمْرِهِ- وَ عَيْبَهُ عِلْمِهِ وَ مَوْئِلُ حُكْمِهِ- وَ كُهُوفُ كُتُبِهِ وَ جِبَالُ دِينِهِ- بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ

اللغه

أقول:و اللجأ الملجأ ،و الموئل المرجع من آل یؤول إلی کذا إذا رجع و انتهی إلیه ، و الانحناء الاعوجاج ،و الفرائض جمع فریضه و هی اللحمه الّتی بین الجنب و الکتف لا تزال ترعد من الدابّه ،

المعنی

و قد وردت هذه القرائن الأربع بالسجع المتوازی،و الضمائر المفرده هاهنا کلّها راجعه إلی اللّه تعالی إلاّ الضمیر فی ظهره و فرائضه فإنّهما للرسول صلی اللّه علیه و آله کما سبق ذکر اللّه و رسوله فی صدر الخطبه،و قیل الکلّ للرسول صلی اللّه علیه و آله،و أشار بکونهم موضع سرّه إلی کمال استعداد نفوسهم علیهم السّلام لأسرار اللّه و حکمته إذ الموضع الحقیقی للشیء هو ما قبله و استعدّ له،و بکونهم ملجأ أمره إلی أنّهم الناصرون له و القائمون بأوامر اللّه و الذابّون عن الدین فإلیهم یلتجیء و بهم یقوم سلطانه، استعاره و کونهم عیبه علمه مرادف لکونهم موضع سرّه إذ یقال فی العرف فلان عیبه العلم إذا کان موضع أسراره،و لفظ العیبه استعاره لنفوسهم الشریفه و وجه المشابهه ظاهر إذ العیبه لمّا کان من شأنها حفظ ما یودع فیها و صائنه عن التلف و الأدناس،و کانت أذهانهم الطاهره حافظه للعلم عن عدمه و صائنه له عن تدنّسه بأذهان غیر أهله لا جرم حسنت استعاره لفظ العیبه لأذهانهم، و بکونهم موئل حکمه إلی کونهم مرجعا لحکمته إذا ضلّت عن أذهان غیرهم فمنهم تطلب و عنهم تکتسب،و بکونهم کهوف کتبه إلی أنّهم أهل حفظها و دراستها و تفسیرها و عندهم علمها و تأویلها،و الکتب إشاره إلی القرآن و ما قبله من کتب اللّه کما نقل عنه علیه السّلام فی موضع آخر لو کسرت إلی الوساده ثمّ جلست علیها لحکمت بین أهل التوراه بتوراتهم و بین أهل الإنجیل بإنجیلهم و بین أهل الزبور بزبورهم و بین أهل الفرقان بفرقانهم،و اللّه ما من آیه نزلت فی برّ أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو لیل أو نهار إلاّ و أنا أعلم فیمن نزلت و فی أیّ وقت نزلت، استعاره و استعاره لفظ الکهف قریبه من استعاره لفظ العیبه،و بکونهم جبال دینه إلی دین اللّه سبحانه

بهم يعتصم عن و صمات الشياطين و تبديلهم و تحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممّن يؤذيه و هى استعاره لطيفه ، كنايه و قوله بهم أقام انحناء ظهره إشاره إلى أنّ اللّه سبحانه جعلهم له أعضادا يشدّون أزره و يقوّمون ظهره و يؤيّدون أمره،و انحناء الظهر كنايه عن ضعفه فى بدؤ الإسلام فبالحرىّ أن يكون إقامتهم لانحناء ظهره تقويتهم ذلك الضعف بالنصره للدين و الذبّ عنه،و قوله و أذهب ارتعاد فرائضه أى أنّ اللّه أزال عنه بمعونتهم خوفه الّذى كان يتوقّعه من المشركين على حوزه الدين و هو كنايه عن الشىء ببعض لوازمه إذ كان ارتعاد الفرائض من لوازم شدّه الخوف ،و كلّ هذه الامور ظاهره لأهله الأدنين من بنى هاشم كالعبّاس و حمزه و جعفر و علىّ بن أبى طالب فى الذبّ عن الرسول صلى اللّه عليه و آله و الهدايه إليه و البلاء فى الدين و اللّه أعلم.

القسم الثالث و منها يعنى قوما آخرين:

اشاره

زَرَعُوا الْفُجُورَ وَ سَقَوْهُ الْغُرُورَ وَ حَصَدُوا الثُّبُورَ- لاَ يُقَاسُ ؟بِآلِ مُحَمَّدٍ ص؟ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّهِ أَحَدٌ- وَ لاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً- هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ- إِلَيْهِمْ يَفِیءُ الْغَالِی وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِی- وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلاَيَهِ- وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّهُ وَ الْوِرَاثَهُ- الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَ نُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ

اللغه

أقول: الغرور الغفله ،و الثبور الهلاك ،و القياس نسبه الشىء إلى الشىء و إلحاقه به فى الحكم ،و فاء يفیء رجع ،و الغلوّ تجاوز الحدّ الّذى ينبغى إلى ما لا ينبغى ،و التالى التابع ،و الولايه الاسم من قولك و ليت الأمر إليه وليّا،و أصله القرب من الشىء و الدنوّ منه ،و الخصائص جمع خصيصه و هى فعيله بمعنى فاعله أى خاصّه أو مختصّه ،

المعنى

و اعلم أنّ استعاره الترصيع قوله زرعوا الفجور و سقوه

الغرور استعاره لطيفه فإنّ الفجور لمّا كان هو الخروج عن ملكه العفّه و الزهد و تجاوزها إلى طرف الإفراط منهم،و كان معنى الزرع إلقاء الحبّ فى الأرض استعار عليه السّلام لفظ الزرع لبذر الفجور فى أراضى قلوبهم،و لأنّ انتشاره عنهم و نموّه فيهم يشبه نموّ الزرع و انتشاره فى الأرض،و لمّا كان غرورهم و غفلتهم عن الطريق المستقيم بسبب عدولهم عنها و تجاوزهم إلى طرف الإفراط و مهاوى الهلاك و هو مادّه تماديهم فى غيّهم و زياده فجورهم و عدولهم عن سواء السبيل أشبه الماء الّذى هو سبب حياه الزرع و نموّه و مادّه زيادته و لأجلها يناسب استعاره لفظ السقى الّذى هو خاصّه الماء له و نسبته إليهم،ثمّ لمّا كانت غايه ذلك الفجور هلاكهم فى الدنيا بالسيف و فى الآخره بعذابها لا جرم أشبهت تلك الغايه الثمره فاستعير لكونها غايه لهم لفظ الحصاد و نسب إليهم و قد اشتملت لفظ هذه الألفاظ مع حسن الاستعاره على الترصيع قال الوبرى-رحمه اللّه-الإشاره بهذا الكلام إلى الخوارج،و قيل فى المنافقين كما ورد مصرّحا به فى بعض النسخ،و أقول:يحتمل أن يكون متناولا لكلّ من نابذه عليه السّلام و خرج عن طاعته زاعما أنّه بذلك متعصّب للدين و ناصر له،و ذلك لأنّ الفجور كما عرفت عبور و تجاوز إلى طرف الإفراط و كلّ من نابذه و هو مدّعى أنّه طالب للحقّ فقد خرج فى طلبه للحقّ عن حاقّ العدل و تعدّاه إلى طرف الفجور و الغلوّ و يدخل فى ذلك القاسطون و هم أصحاب معاويه،و المارقون و هم الخوارج و من فى معناهم إذ زعم الكلّ أنّهم بقتاله طالبون للحقّ ناصرون له.

قوله لا يقاس بآل محمّد عليهم السّلام من هذه الأمّه أحد .إلى آخره.مدح لهم مستلزم لإسقاط غيرهم عن بلوغ درجتهم و استحقاق منزلتهم،و الكلام و إن كان عامّا فى تفضيل آل محمّد على كلّ من عداهم من امّته إلاّ أنّه خرج على سبب و هو قتاله عليه السّلام مع معاويه فهو إذن مشير إلى تفضيل نفسه على معاويه و عدم ترشّحه للخلافه،فقوله لا يقاس بآل محمّد من هذه الامّه أحد و لا يسوىّ بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا .إشاره إلى عدم مناسبه غيرهم لهم فى الفضل،و النعمه هاهنا نعمه الدين و الإرشاد إليه،و الحكم ظاهر الصدق فإنّ المنعم عليه بمثل هذه النعمه الّتى لا يمكن أحدا أن يقابلها بجزاء لا يتأهّل أبدا أن يصير فى قوّه المنعم،و خواصّه الّذين اختصّهم بمزيدها على حسب استحقاقهم و استعدادهم التامّ الوافر

على تأهّل غيرهم لها،و لا يبلغ درجتهم حتّى يقوم مقامهم مع وجودهم فى إفاضه هـذه النعمه و إعداد سائر الأمّه لها و تعليمهم و إرشادهم إلى كيفيّه الوصول بها إلى اللّه سبحانه،و قوله هم أساس الـدين إشاره إلى أنّ بهم استقامته و ثباته،و تفرّعه عنهم كما يقوم البنـاء على أساسه، و كـذلك قوله و عمـاد اليقين ،و قوله إليهم يفىء الغالى إشاره إلى أنّ المتجاوز للفضائل الإنسانيّه الّتى مـدارها على الحكمه و العفّه و الشجاعه و العداله إلى طرف الإفراط منها يرجع إليهم و يهتـدى بهم فى تحصـيل هـذه الفضائل لكونهم عليهـا إذا أخـذ التوفيق بيـده،و أشـار بقوله و بهم يلحق التـالى إلى أنّ المقصّر عن بلوغ هـذه الفضائـل المرتكب لطرف التفريط فى تحصـيلها يلحق بهم عند طلبه لها و معونه اللّه له بالهدايه إلى ذلك،و قوله و لهم خصائص حقّ الولايه .إشاره إلى أنّ ولايه امور المسلمين و خلافه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لها خصائص هى موجوده فيهم و شروط بها يتأهّل الشخص لها و يستحقّها،و تلك الخصائص ما نبّهنا عليه من الفضائل الأربع النفسانيّه،و لا شكّ فى صدقه عليه السّلام فى ذلك فإنّ هـذه الفضائـل و إن وجـد بعضـها أو كلّهـا فى غيرهم فعنهم اخـذ و إليهم فيهـا انتسب،و هـل يقائس بين البحر و الوشل،و قوله و فيهم الوصيّه و الوراثه إشـاره إلى اختصـاصه عليه السّلام بوصيّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و اختصاص أهله بوراثته و قيل أراد بالوراثه.ما يراه هو أنّه أولى به من أمر الخلافه،و قوله الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله و نقل إلى منتقله (فى بعض النسخ قـد رجع)و ذلـك إشاره منه عليه السّلام إلى أنّ الإمامه كانت فى غير أهلها و أنّه هو أهلها و الآن وقت رجوعها إليه بعـد انتقالها عنه،و لفظ الحقّ و إن كان يحتمل حقّا آخر غير الإمامه إلاّ أنّها المتبادره إلى الذهن من اللفظ هاهنا و باللّه التوفيق و العصمه.

۳-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

و هی المعروفه بالشّقشقیه

أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ وَ إِنَّهُ لَیَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّی مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحی- یَنْحَدِرُ عَنِّی السَّیْلُ وَ لاَ یَرْقَی إِلَیَّ الطَّیْرُ- فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَ طَوَیْتُ عَنْهَا کَشْحاً- وَ طَفِقْتُ أَرْتَئِی بَیْنَ أَنْ أَصُولَ بِیَدٍ جَذَّاءَ- أَوْ أَصْبِرَ عَلَی طَخْیَهٍ عَمْیَاءَ- یَهْرَمُ فِیهَا الْکَبِیرُ وَ یَشِیبُ فِیهَا الصَّغِیرُ- وَ یَکْدَحُ فِیهَا مُؤْمِنٌ حَتَّی یَلْقَی رَبَّهُ- فَرَأَیْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَی هَاتَا أَحْجَی- فَصَبَرْتُ وَ فِی الْعَیْنِ قَذًی وَ فِی الْحَلْقِ شَجًا أَرَی تُرَاثِی نَهْباً حَتَّی مَضَی الْأَوَّلُ لِسَبِیلِهِ- فَأَدْلَی بِهَا إِلَی فُلاَنٍ بَعْدَهُ- ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَی شَتَّانَ مَا یَوْمِی عَلَی کُورِهَا وَ یَوْمُ؟حَیَّانَ؟أَخِی جَابِرِ

-فَیَا عَجَباً بَیْنَا هُوَ یَسْتَقِیلُهَا فِی حَیَاتِهِ- إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَیْهَا- فَصَیَّرَهَا فِی حَوْزَهٍ خَشْنَاءَ یَغْلُظُ کَلْمُهَا- وَ یَخْشُنُ مَسُّهَا وَ یَکْثُرُ الْعِثَارُ فِیهَا وَ الاِعْتِذَارُ مِنْهَا- فَصَاحِبُهَا کَرَاکِبِ الصَّعْبَهِ- إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَ إِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ- فَمُنِیَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَ شِمَاسٍ وَ تَلَوُّنٍ وَ اعْتِرَاضٍ- فَصَبَرْتُ عَلَی طُولِ الْمُدَّهِ وَ شِدَّهِ الْمِحْنَهِ حَتَّی إِذَا مَضَی لِسَبِیلِهِ- جَعَلَهَا فِی جَمَاعَهٍ زَعَمَ أَنِّی أَحَدُهُمْ فَیَا لَلَّهِ وَ لِلشُّوری- مَتَی

اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ- حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ- لَكِنِّی أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَ طِرْتُ إِذْ طَارُوا- فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ- وَ مَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَ هَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ- بَيْنَ نَثِيلِهِ وَ مُعْتَلَفِهِ- وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ- خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ- إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ- وَ كَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ فَمَا رَاعَنِی إِلَّا وَ النَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ- إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ- حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَ شُقَّ عِطْفَایَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِی كَرَبِيضَهِ الْغَنَمِ- فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَهٌ- وَ مَرَقَتْ أُخْرَى وَ قَسَطَ آخَرُونَ- كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ حَيْثُ يَقُولُ- «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ» - بَلَى وَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَ وَعَوْهَا- وَ لَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِی أَعْيُنِهِمْ وَ رَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا أَمَا وَ الَّذِی فَلَقَ الْحَبَّهَ وَ بَرَأَ النَّسَمَهَ- لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّهِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ- وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ- أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّهِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ- لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا- وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا- وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِی مِنْ عَفْطَهِ عَنْزٍ قالوا:و قام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع

من خطبته فناوله كتابا،فأقبل ينظر فيه،قال له ابن عباس رضى اللّه عنهما:

يا أمير المؤمنين،لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت قال ابن عباس:فو اللّه ما أسفت على كلام قط كأسفى على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السّلام بلغ منه حيث أراد ب ئ أقول:اعلم أنّ هذه الخطبه و ما فى معناها ممّا يشتمل على شكايته عليه السّلام و تظلّمه فى أمر الإمامه هو محلّ الخلاف بين الشيعه و جماعه من مخالفيهم فإنّ جماعه من الشيعه ادّعوا أنّ هذه الخطبه و ما فى حكمها ممّا اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر و جماعه من السنه بالغوا فى إنكار ذلك حتّى قالوا:إنّه لم يصدر عن علىّ عليه السّلام شكايه فى هذا الأمر و لا تظلّم أصلا،و منهم من أنكر هذه الخطبه خاصّه و نسبها إلى السيّد الرضىّ و التصدّر للحكم فى هذا الموضع هو محلّ التهمه للشارحين،و أنا مجدّد لعهد اللّه على أنّى لا أحكم فى هذا الكلام إلاّ بما أجزم به أو يغلب على ظنّى أنّه من كلامه أو هو مقصوده عليه السّلام،فأقول:إنّ كلّ واحد من الفريقين المذكورين خارج عن العدل أمّا المدّعون لتواتر هذه الألفاظ من الشيعه فإنّهم فى طرف الإفراط و أمّا المنكرون لوقوعها أصلا فهم فى طرف التفريط،أمّا ضعف كلام الأوّلين فلأنّ المعتبرين من الشيعه لم يدّعوا ذلك و لو كان كلّ واحد من هذه الألفاظ منقولا بالتواتر لما اختصّ به بعض الشيعه دون بعض،و أمّا المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السّلام فيحتمل إنكارهم وجهين:أحدهما أن يقصدوا بذلك توطيه العوامّ،و تسكين خواطرهم عن إثاره الفتن و التعصّبات الفاسده ليستقيم أمر الدين و يكون الكلّ على نهج واحد فيظهروا لهم أنّه لم يكن بين الصحابه الّذين هم أشراف المسلمين و ساداتهم خلاف و لا نزاع ليقتدى بحالهم من سمع ذلك،و هذا مقصد حسن و نظر لطيف لو قصد،و الثانى أن ينكروا ذلك عن اعتقاد أنّه لم يكن هناك خلاف من الصحابه و لا منافسه فى أمر الخلافه و الإنكار على هذا الوجه ظاهر البطلان لا يعتقده إلاّ جاهل

بسماع الأخبار لم يعاشر أحدا من العلماء فإنّ أمر السقيفه و ما جرى بين الصحابه من الاختلاف و تخلّف علىّ عليه السّلام عن البيعه أمر ظاهر لا يدفع و مكشوف لا يتقنّع حتّى قال أكثر الشيعه إنّه لم يبايع أصلا،و منهم من قال إنّه بايع بعد ستّه أشهر كرها،و قال مخالفهم إنّه بايع بعد أن تخلّف فى بيته مدّه و دافع طويلا،و كلّ ذلک ممّا تقضى الضروره معه بوقوع الخلاف و المنافسه بينهم و الحقّ أنّ المنافسه كانت ثابته بين على عليه السّلام و بين من تولّى أمر الخلافه فى زمانه،و الشكايه و التظلّم الصادر عنه فى ذلک أمر معلوم بالتواتر المعنوىّ فإنّا نعلم بالضروره أنّ الألفاظ المنقوله عنه المتضمّنه للتظلّم و الشكايه فى أمر الخلافه قد بلغت فى الكثره و الشهره بحيث لا يكون بأسرها كذبا بل لا بدّ و أن يصدق واحد منها،و أيّها صدق ثبتت فيه الشكايه أمّا خصوصيّات الشكايات بألفاظها المعيّنه فغير متواتره و إن كان بعضها أشهر من بعض،فهذا ما عندى فى هذا الباب بعد التحرىّ و الاجتهاد،و على هذا التقرير لا يبقى لإنكار كون هذه الخطبه صادره عنه عليه السّلام و نسبتها إلى الرضىّ معنى فإنّ مستند هذا الإنكار هو ما يشتمل عليه من التصريح بالتظلّم و الشكايه،و مستند إنكار ذلک منه عليه السّلام هو اعتقاد أنّه لم تكن له منافسه فى هذا الأمر،و أنت تعلم أنّ ذلک اعتقاد فاسد على أنّ هذه الخطبه خاصّه قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضىّ روى عن مصدّق بن شبيب النحوىّ قال:لمّا قرأت هذه الخطبه على شيخى أبى محمّد بن الخشّاب و وصلت إلى قول ابن عبّاس ما أسفت على شىء قط كأسفى على هذا الكلام قال:لو كنت حاضر القلت لابن عبّاس و هل ترک ابن عمّک فى نفسه شيئا لم يقله فى هذه الخطبه فإنّه ما ترک لا الأوّلين و لا الآخرين.قال مصدّق:و كانت فيه دعابه،فقلت له يا سيّدى فلعلّها منحوله إليه فقال:لا و اللّه إنّى أعرف أنّها من كلامه كما أعرف أنّک مصدّق قال:فقلت:إنّ الناس ينسبونها إلى الشريف الرضىّ فقال:لا و اللّه و من أين للرضىّ هذا الكلام،و هذا الاسلوف فقد رأيناه كلامه فى نظمه و نثره لا يقرب من هذا الكلام و لا ينتظم فى سلكه على أنّى قد رأيت هذه الخطبه بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل أن يخلق أبو الرضىّ فضلا عنه،و أقول:و قد وجدتها فى موضعين تاريخها قبل مولد الرضىّ بمدّه:أحدهما أنّها مضمّنه كتاب الإنصاف لأبى جعفر بن قبه تلميذ أبى القسم الكعبى أحد شيوخ المعتزله و كانت وفاته قبل مولد الرضىّ،الثانى أنّى وجدتها بنسخه

عليها خطّ الوزير أبی الحسن علیّ بن محمّد بن الفرات و كان وزير المقتدر باللّه و ذلك قبل مولد الرضیّ بنيّف و ستّين سنه،و الّذی يغلب علی ظنّی أنّ تلك النسخه كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدّه.إذا عرفت ذلك فلنرجع إلی المتن فنقول:

اللغه

قوله تقمّصها. أی لبسها كالقميص ،و قطب الرحا مسمارها الّذی عليه تدور ،و سدلت الثوب أرخيته ،و الكشح بفتح الكاف الخاصره ،و طفقت أخذت و جعلت ،و ارتئی فی الأمر إذا فكّر طلبا للرأی الأصلی ،و صال حمل نفسه علی الأمر بقوّه،و يد جدّاء بالدال المهمله و المعجمه مقطوعه أو مكسوره ،و الطخيه الظلمه كقولهم ليله طخياء أی مظلمه،و تركيب هذه الكلمه يدلّ علی ظلمه الامور و انغلاقها،و منه كلمه طخياء أی أعجميّه لا تفهم ،و الهرم شدّه كبر السنّ ،و الكدح السعی و العمل ،و هاتا لغه فی هاتی و هی لغه فی هذی و هذه ،و أحجی أولی بالحجی أو خلق و هو العقل ،و القذی هو ما تتأذیّ به العين من غبار و نحوه ،و الشجی ما نشب فی الخلق من غصّه غبن أو غمّ ،و التراث كالميراث و هو اسم ما يورث ، و أدلی فلان بكذا تقرّب به و ألقاه ،و شتّان ما هما أی بعد،و شتّان ما عمرو و زيد أی بعد ما بينهما ،و كور الناقه رحلها ،و الإقاله فكّ عقد البيع و نحوه و الاستقاله طلب ذلك ،و شدّ الأمر صعب و عظم ،و تشطّرا أی أخذ كلّ شطرا و هو البعض ،و الحوزه الطبيعه و الحوزه الناحيه ،و الكلم بفتح الكاف الجرح ،و عثر يعثر عثورا و عثارا إذا أصابت رجله فی المشی حجرا و نحوه ،و الصعبه الناقه لم تذلّل بالمحمل و لا بالركوب ،و شنق الناقه بالزمام و أشنق لها إذا جذبه إلی نفسه و هو راكب ليمسكها عن الحركه العنيفه ،و الخرم الشقّ ، و أسلس لها أی أرخی ،و تقحّم فی الأمر إذا ألقی نفسه فيه بقوّه ،و منی الناس أی ابتلوا ، و الخبط الحركه علی غير استقامه ،و الشماس بكسر الشين كثره النقار و الاضطراب ،و التلوّن اختلاف الأحوال ،و الاعتراض ضرب من التلوّن،و أصله المشی فی عرض الطريق خابطا عن فرح و نشاط ،و الشوری مصدر كالنجوی مرادف للمشاوره ،و أسف الطائر إذا دنا من الأرض فی طيرانه ،و الصغو الميل بكسر الصاد ،و الضغن بكسر الضاد و سكون الغين و فتحها أيضا الحقد ،و الأصهار عن ابن الأعرابی المتحرمون بجوار أو نسب أو تزوّج،و بعض العرب لا يطلقه إلاّ علی أهل بيت الزوجين،و عن الخليل أنّه لا يطلق إلاّ علی من كان من أهل المرأه ،و هن علی

ص:۲۵۳

وزن أخ كلمه كنايه من شىء قبيح و أصله هنو تقول هذا هنك أى شينك ،و الحضن الجانب ما بين الإبط و الخاصره ،و النفج قريب من النفخ ،و النثيل الروث ،و المعتلف موضع الاعتلاف ، و الخضم الأكل بجميع الفم،و قيل:المضغ بأقصى الأضراس يقول خضم بكسر الضاد يخضم ،و النبته بكسر النون النبات ،و انتكث انتقض ،و أجهز على الجريح قتله و أسرع ، و كبا الفرس سقط لوجهه ،و البطنه شدّه الامتلاء من الطعام ،و الروع الخلد و الذهن و راعنى أفزعنى ،و انثال الشىء إذا وقع يتلو بعضه بعضا ،و العطاف الرداء و روى عطفاى و عطفا الرجل جانباه من لدن رأسه إلى ركبته ،و الربيض و الربيضه الغنم برعاتها المجتمعه و مرابضها ،و مروق السهم خروجه من الرميه و راقه الأمر أعجبه ،و الزبرج بكسر الزاء و الراء الزينه ،و النسمه الإنسان،و قد يستعمل فيما عداه من الحيوان ،و المقارّه إقرار كلّ واحد صاحبه على الأمر و تراضيهما به ،و الكظّه البطنه ،و الغارب أعلى كتف الناقه ،و العفطه من الشاه كالعطاس من الإنسان،و قيل:هى الجيفه ،و الشقشقه لها البعير،و يقال:

للخطيب شقشقه إذا كان صاحب وربه و بضاعه من الكلام ،

المعنى

و اعلم أنّ المشار إليه بقوله فلان هو ابو بكر كما هو مصرّح به فى بعض النسخ، استعاره بالكنايه و لمّا بلغ عليه السّلام فى تلبّس أبى بكر بالخلافه استعار لها وصف القميص و كنّى عن تلبّسه بها بالتقمّص، و الضمير المنصوب راجع إلى الخلافه،و لم يذكرها لظهورها كقوله تعالى «حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ» و يحتمل أن يكون ذكرها فيما قبل ذلك،و الواو فى قوله و إنّه ليعلم أنّ محلىّ منها واو الحال، تشبيه و لمّا كان قطب الرحى هو الّذى به نظام حركاتها و به يحصل الغرض منها و كان هو عليه السّلام الناظم لأمور المسلمين على وفق الحكمه الإلهيّه و العالم بكيفيّه السياسه الشرعيّه لا جرم شبّه محلّه من الخلافه بمحلّ القطب من الرحى،و قد جمع هذا التشبيه أنواع التشبيه الموجوده فى الكلام العرب و هى ثلاثه:أحدها تشبيه محلّه بمحلّ القطب من الرحى و هو تشبيه للمعقول بالمعقول فإنّ محلّ القطب هو كونه نظام أحوال الرحى و ذلك أمر معقول،و ثانيها تشبيه نفسه بالقطب و هو تشبيه للمحسوس بالمحسوس،و ثالثها تشبيه الخلافه بالرحى و هو تشبيه المعقول بالمحسوس، و لمّا كانت حاجه الرحى إلى القطب ضروريّه و لا يظهر نفعها إلاّ به فهم من تشبيه محلّه بمحلّه أنّه قصد أنّ غيره لا يقوم مقامه فى أمر الإمامه،و لا يتأهّل لها مع وجوده كما لا يقوم غير القطب

ص:۲۵۴

مقامه فی موضعه ثمّ أكّد ذلک استعاره بالکنایه بقوله ینحدر عنّی السیل و لا یرقی إلیّ الطیر فاستعار لنفسه و صفین:أحدهما کونه ینحدر عنه السیل و هو من أوصاف الجبل و الأماکن المرتفعه،و کنّی به عن علوّه و شرفه مع فیضان العلوم و التدبیرات السیاسیّه عنه،و استعار لتلک الکمالات لفظ السیل،و الثانی أنّه لا یرقی إلیه الطیر و هو کنایه عن غایه اخری من العلوّ إذ لیس کلّ مکان علا بحیث ینحدر عنه السیل وجب أن لا یرقی إلیه الطیر فکان ذلک علوّا أزید کما قال أبو تمام:

مکارم لجتّ فی علوّ کأنّما تحاول ثارا عند بعض الکواکب .

استعاره بالکنایه قوله فسدلت دونها ثوبا .کنایه عن احتجابه عن طلبها،و المبالغه فیها بحجاب الإعراض عنها،و استعار لذلک الحجاب لفظ الثوب استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و کذلک قوله و طویت عنها کشحا تنزیل لها منزله المأکول الّذی منع نفسه من أکله فلم یشتمل علیه کشحه،و قیل:أراد بطیّ الکشح التفاته عنها کما یفعل المعرض عمّن إلی جانبه قال:طوی کشحه عنّی و أعرض جانبا .

استعاره بالکنایه قوله و طفقت أرتئی بین أن أصول بید جذّاء أو أصبر علی طخیه عمیاء یرید أنّی جعلت اجیل الفکر فی تدبیر أمر الخلافه و أردّه بین طرفی نقیض إمّا أن أصول علی من حازها دونی أو أن أترک،و فی کلّ واحد من هذین القسمین خطر أمّا القیام فبید جذّاء و هو غیر جائز لما فیه من التغریر بالنفس و تشویش نظام المسلمین من غیر فائده،استعارهو استعار وصف الجذّاء لعدم الناصر،و وجه المشابهه أنّ قطع الید لمّا کان مستلزما لعدم القدره علی التصرّف بها و الصوله و کان عدم الناصر بها و المؤیّد مستلزما لذلک لا جرم حسنت الاستعاره،و أمّا الترک ففیه الصبر علی مشاهد التباس الامور و اختلاطها و عدم تمییز الحقّ و تجریده عن الباطل و ذلک فی غایه الشدّه و البلاء أیضا،و استعار لذلک الالتباس لفظ الطخیه و هو استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و وجه المشابهه أنّ الظلمه کما لا یهتدی فیها للمطلوب کذلک اختلاط الامور هاهنا لا یهتدی معها لتمییز الحقّ و کیفیّه السلوک إلی اللّه،و وصف الطخیه بالمعنی أیضا علی وجه الاستعاره فإنّ الأعمی لمّا لم یکن لیهتدی لمطالبه کذلک هذه الظلمه لا یهتدی فیها للحقّ و لزومه،ثمّ کنّی عن شدّه ذلک الاختلاط و مقاساه الخلق بسبب عدم انتظام الأحوال و طول مدّه ذلک بأوصاف :

أحدها أنّه يهرم فيها الكبير،و الثانى أنّه يشيب فيها الصغير.و الثالث أنّ المؤمن المجتهد فى لزوم الحقّ و الذبّ عنه يقاسى من ذلك الاختلاط شدائد و يكدح فيها حتّى يلقى ربّه ،و قيل:

يد أب و يجتهد فى الوصول إلى حقّه فلا يصل حتّى يموت،ثمّ أشار بعد ذلك إلى ترجّح رأيه فى اختيار القسم الثانى و هو الصبر و ترك القيام فى هذا الأمر بقوله : فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى و أليق بنظام الإسلام،و وجه الترجيح ظاهر فإنّه لمّا كان مقصود علىّ عليه السّلام من هذه المنافسه إنّما هو إقامه الدين و إجراء قواعده على القانون المستقيم و نظام امور الخلق كما هو المقصود من مقالات الشارعين صلوات اللّه عليهم أجمعين،و كانت صولته و محاربته لمنا فسيه فى الإمامه بغير ناصر لا تثمر القيام به و مع ذلك ففيه انشعاب امور المسلمين و تفرّق كلمتهم و ثوران الفتن بينهم خصوصا،و الإسلام غضّ لم ترسخ محبّته فى قلوب كثير الخلق و لم يطعموا حلاوته و فيهم منافقون و الأعداء المشركون فى غايه القوّه من كلّ الأقطار لا جرم لم يمكنه مع ملاحظه هذه الأحوال إثاره الحرب و المنازعه لأداء ذلك إلى ضدّ ما هو مقصود له بحركته و محاربته،و أمّا الصبر و ترك المقاومه و إن كان فيه بحسب رأيه ما ذكره من اختلال الدين و أنّه لو كان هو القائم لهذا الأمر لكان انتظامه به أتمّ و قوامه أكمل إلاّ أنّه أقلّ بالنسبه إلى الاختلال الّذى كان يحصل لو نازع فى هذا الأمر و قام فى طلبه و بعض الشرّ أهون من بعض.

كنايه قوله فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجى. الواو للحال و الجملتان كنايتان عن شدّه ما أضمره من التأذّى و الغبن بسبب سلبه ما يرى أنّه أولى به من غيره و ما يعتقده من الخبط فى الدين بيد غيره.

قوله أرى تراثى نهبا قيل أراد بتراثه ما خلّفه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لابنته كفدك فإنّه يصدق عليها أنّه ميراثه لأنّ مال الزوجه فى حكم مال الزوج،و النهب إشاره إلى منع الخلفاء الثلاثه لها بالخبر الّذى رواه أبو بكر نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه فهو صدقه، و قيل:أراد منصب الخلافه و يصدق عليه لفظ الإرث كما صدق فى قوله تعالى حكايه عن زكريّا عليه السّلام«يَرِثُنِي «مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» فإنّه أراد يرث علمى و منصبى فى نبوّته فكان اسم الميراث صادقا على ذلك.

ص:٢٥۶

قوله حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده .أراد بالأوّل ابا بكر و بفلان عمر،و أشار بالإدلاء إلى نصّ أبى بكر على أن يكون عمر هو الخليفه بعده و مضيّه لسبيله انتقاله إلى دار الآخره و سلوكه السبيل الّذى لا بدّ منه لكلّ إنسان،و أمّا البيت فهو لأعشى قيس،و اسمه ميمون بن جندل من بنى قيس من قصيده أوّلها.

علقم ما أنت إلى عامر الناقص الأوتار و الواتر

و حيّان و جابر ابنا السمين بن عمرو من بنى حنيفه،و كان حيّان صاحب الحصن باليمامه و كان سيّدا مطاعا يصله كسرى فى كلّ سنه و كان فى نعمه و رفاهيّته مصونا من و عثاء السفر لأنّه ما كان يسافر أبدا،و كان الأعشى ينادمه و أراد ما أبعد ما بين يومىّ يومى على كور المطيّه أداب و أنصب فى الهواجر و بين يومى منادما حيّان أخى جابر،و ادعا فاراني نعمه و خفض،و يروى أنّ حيّان عاتب الأعشى فى تعريفه بنسبته إلى أخيه فاعتذر إليه الأعشى بأنّ القافيه قادته إلى ذلك فلم يقبل عذره،و اليوم الأوّل فى موضع رفع باسم الفعل،و الثانى بالعطف عليه،و أمّا غرض التمثيل بالبيت فأفاد السيّد المرتضى أراد بذلك أنّ القوم لمّا فازوا بمقاصدهم و رجعوا بمطالبهم فظفروا بها و هو فى أثناء ذلك كلّه محقّق فى حقّه مكذّب فى نصيبه كما أشار إليه بقوله: و فى العين قذى و فى الحلق شجى كان بين حالهم و حاله بعد بعيد و افتراق شديد فاستشهد عليه السّلام بهذا البيت استعاره بالكنايه و استعار لفظ اليومين ، و كنّى بهما عن حاله و حالهم،و وجه المشابهه فى هذا المثل أنّ حالهم استلزم حصول المطالب و الرفاهيّه كيوم حيّان و حاله عليه السّلام استلزم المتاعب كيومه على كور الناقه مسافرا قلت:و يحتمل أن يكون قد استعار يوم حيّان لعهده مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و ما كان يحصل له فى مدّه صحبته من الفوائد الجسميّه و الكمالات من العلوم و الأخلاق،و يوم كونه على كور الناقه لزمانه بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله و ما لحقه فيه من مقاساه المحن و متاعب الصبر على الأذى،و وجه المشابهه ما يشتمل عليه يوم حيّان و عهد الرسول من المسارّ و ما يشترك فيه يوم كونه على كور الناقه و أوقاته بعد الرسول من المضارّ.

قوله فيا عجبا بينا هو يستقيلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته .إشاره إلى أبى بكر، و طلبه الإقاله هو قوله:أقيلونى فلست بخيركم،و وجه التعجّب هاهنا أنّ طلب أبى بكر

للإقاله من هذا الأمر إنّما هو لثقله و كثره شرائطه و شدّه مراعاه إجراء أحوال الخلق مع اختلاف طباعهم و أهوائهم على قانون واحد و خوفه أن تعثر به مطايا الهوى فترديه فى موارد الهلاك،و على هذا التقدير فكلّما كانت مدّه ولايه الإنسان لهذا الأمر أقصر كان خوفه أقلّ و كانت متاعبه أيسر و أسهل،و سبيل طالب الإقاله من هذا الأمر و أمثاله و مقتضى طلبه لذلك أن يتحرّى قلّه متاعب هذا الأمر و يجتهد فى الخلاص منه مهما أمكنه ذلك فإذا رأيناه متمسّكا بهذا الأمر مدّه حياته و عند وفاته يعقده لآخر بعده فيتحملّ مضارّ هذا الأمر فى حال الحياه و بعد الوفاه فلا بدّ و أن يغلب على الظنّ أنّ طلبه للإقاله لم يكن عن قصد صحيح فيصير ذلك الظنّ مقابلا لما اشتهر عنه من العداله و ذلك محلّ التعجّب،و هذا بخلاف ما اشتهر بالفسق و النفاق فإنّه لا يتعجّب من فعله لو خالف قوله.

استعاره قوله لشدّ ما تشطّرا ضرعيها .اللام للتأكيد و ما مع الفعل بعدها فى تقدير المصدر و هو فاعل شدّ و الجمله من تمام التعجّب،و قد استعار عليه السّلام لفظ الضرع هاهنا للخلافه،و هى استعاره مستلزمه لتشبيهها بالناقه،و وجه المشاركه المشابهه فى الانتفاع الحاصل منها،و المقصود وصف اقتسامهما لهذا الأمر المشبّه لاقتسام الحالبين أخلاف الناقه بالشدّه على من يعتقد أنّه أحقّ بها منهما أو على المسلمين الّذين يشبهون الأولادلها ، كنايه و قوله فصيّرها فى حوزه خشناء كنّى بالحوزه عن طباع عمر فإنّها كانت توصف بالجفاوه و الغلظ فى الكلام و التسرّع إلى الغضب و ذلك معنى خشونتها.

استعاره بالكنايه قوله يغلظ كلامها و يخشن مسّها .استعار لتلك الطبيعه وصفين:أحدهما غلظ الكلم و هو كنايه عن غلظ المواجهه بالكلام و الجرح به فإنّ الضرب باللسان أعظم من و خز و السنان،و الثانى جفاوه المسّ و هى كنايه عن خشونه طباعه المانعه من ميل الطباع إليه المستلزمه للأذى كما يستلزم مسّ الأجسام الخشنه.

قوله و يكثر العثار و الاعتذار منها .إشاره إلى ما كان يتسرّع إليه عمر من الأحكام ثمّ يعاود النظر فيها فيجدها غير صائبه فيحتاج إلى الاعتذار،و الضمير فى منها يعود إلى الطبيعه المعبّر عنها بالحوزه فمن ذلك ما روى أنّه أمر برجم امراه زنت و هى حامل فعلم علىّ عليه السّلام بذلك فجاء إليه و قال له:إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما فى بطنها،دعها

حتّى تضع ما فى بطنها ثمّ ترضع ولـدها فعنـدها قال عمر:لو لا علىّ لهلك عمر و تركها،و كذلك ما روى أنّه أمر أن يؤتى بامراه لحـال اقتضت ذلـك و كـانت حاملاـ فـانزعجت من هيبته فـاجهزت جنينـا فجمع جمعـا من الصـحابه و سـألهم ما ذا يجب عليهم فقالوا:أنت مجتهد و لا ترى أنّه يجب عليك شىء فراجع عليّا عليه السّلام فى ذلك و أعلمه بما قال بعض الصحابه فأنكر ذلك و قـال:إن كـان ذلـك عن اجتهاد منهم فقـد أخطئوا و إن لم يكن عن اجتهاد فقـد غشّوك.أرى عليك العزّه فعنـدها قال لا عشت لمعضله لا تكون لها يا أبا الحسن،و منشأ ذلك و أمثاله غلبه القوّه الغضبيّه و غلظ الطبيعه.

استعاره بالكنايه قوله فصاحبها كراكب الصعبه إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحّم قيل الضمير فى صاحبها يعود إلى الحوزه المكنّى بها عن طبيعه عمر و أخلاقه،و المراد على هذا الوجه أنّ للصاحب لتلك الأخلاق فى حاجه إلى المداراه فى صعوبه حاله كراكب الصعبه،و وجه المشابهه أنّ راكب الصعبه كما يحتاج إلى الكلفه الشاقّه فى مداراه أحوالها فهو معها بين خطرين إن والى الجذبات فى وجهها بالزمام خرم أنفها،و إن أسـلس لها فى القياد تقحّمت به المهالك كذلك مصاحب أخلاق الرجل و المبتلى بها إن أكثر عليه إنكار ما يتسرّع إليه أدّى ذلك إلى مشاقّته و فساد الحال بينهما،و إن سـكت عنه و تركه و ما يصـنع أدّى ذلك إلى الإخلال بـالواجب و ذلـك من موارد الهلكه،و قيـل الضـمير فى صاحبها للخلافه و صاحبها هو كلّ من تولّى أمرها إذا كان عادلاـ مراعيا لحقّ اللّه،و وجه شبهه براكب الصعبه أنّ المتولّى لأمر الخلافه يضـطرّ إلى الكلفه الشاقّه فى مـداراه أحوال الخلق و نظام امورهم على القانون الحقّ و أن يسلك بهم طريق العدل المحفوشه(المحسوسه)بطرف التفريط و التقصير المشبّه لإسلاس قيـاد الصـعبه، و بطرف الإفراط فى طلب الحقّ و اسـتقصاء فيه الّذى يشبه شـنقها فإنّ المتولّى لأمر الخلافه إن فرّط فى المحافظه على شـرائطها و أهمـل أمرهـا ألقـاه التفريط فى موارد الهلكه كما نسبه الصـحابه إلى عثمان حتّى فعل به ما فعل،فكان فى ذلك كراكب صعبه أسلس قيادها،و إن أفرط فى حمل الخلق على أشدّ مراتب الحقّ و بالغ فى الاستقصاء عليهم فى طلبه أوجب ذلك تضـجّرهم منه و نفـار طبـاعهم و تفرّقهم عنه و فسـاد الأـمر عليه لميـل أكـثرهم إلى حبّ البـاطـل و غفلتهم عن فضـيله الحقّ،و إن صعب،فيكون فى ذلك كمن أشنق المصعبه الّتى هو راكبها

حتّى خرم أنفها،و هو من التشبيهات اللطيفه،و قيل:أراد بصاحبها نفسه و تشبّه براكب الصعبه لأنّه أيضا بين خطرين إمّا أن يبقى ساكتا عن طلب هذا الأمر و القيام فيتقحّم بذلك فى موارد الذلّ و الصغار كما يتقحّم راكب الصعبه المسلس لها قيادها،و إمّا أن يقوم فيه و يتشدّد فى طلبه فينشعب أمر المسلمين بذلك و ينشقّ عصاهم فيكون فى ذلك كمن أشنق لها فخرم أنفها،و الأوّل أليق بسياق الكلام و نظامه،و الثانى أظهر،و الثالث محتمل.

استعاره بالكنايه قوله فمنى الناس لعمر اللّه بخبط و شماس و تلوّن و اعتراض إشاره إلى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل و حركاته الّتى كان ينقمها عليه فكنّى بالخبط عنها و بالشماس عن جفاوه طباعه و خشونتها و بالتلوّن و الاعتراض عن انتقاله من حاله إلى اخرى فى أخلاقه،و هى استعارات،و وجه المشابهه فيها أنّ خبط البعير و شماس الفرس و اعتراضها فى الطريق حركات غير منظومه فأشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرجل الّتى ابتلى الناس بها، و لا شكّ أنّه كان صعبا عظيم السطوه و الهيبه و كان أكابر الصحابه يتحامونه،و قيل لابن عبّاس لمّا أظهر قوله فى مسئله العقول بعد موت عمر:هلاّ قلت ذلك و عمر حىّ قال هيبته، و كان رجلا مهيبا،و قيل:إنّ ذلك إشاره إلى ما ابتلى به الناس من اضطراب الأمر و تفرّق الكلمه و جرى امورهم على غير نظام بسبب تفرّق كلمتهم،ثمّ أردف ذلك بتكرير ذكر صبره على ما صبر عليه مع الثانى كما صبر مع الأوّل،و ذكر أمرين:أحدهما طول مدّه تخلّف الأمر عنه،و الثانى شدّه المحنه بسبب فوات حقّه و ما يعتقد من لوازم ذلك الفوت و هو عدم انتظام أحوال الدين و إجرائه على قوانينه الصحيحه،و لكلّ واحد من هذين الأمرين حصّه فى استلزام الأذى الّذى يحسن فى مقابلته الصبر.

قوله حتّى إذا مضى لسبيله جعلها فى جماعه زعم أنى أحدهم.

أقول:حتّى هنا لانتهاء الغايه،و الغايه لزوم تالى الشرطيّه لمقدّمها أعنى جعله لها فى جماعه لمضيّه لسبيله،و أشار بالجماعه إلى أهل الشورى،و خلاصه حديث الشورى أنّ عمر لمّا طعن دخل عليه وجوه الصحابه،و قالوا له:ينبغى لك أن تعهّد عهدك أيّها الرجل و يستخلف رجلا ترضاه،فقال:لا احبّ أن أتحمّلها حيّا و ميّتا،فقالوا:أفلا تشير علينا فقال:أمّا أن اشير فإن أجبتم قلت فقالوا:نعم فقال:الصالحون لهذا الأمر سبعه نفر

سمعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یقول:إنّهم من أهل الجنّه أحدهم سعید بن زید و أنا مخرجه منهم لأنّه من أهل بیتی،و سعد بن أبی وقّاص و عبد الرحمن بن عوف و طلحه و زبیر و عثمان و علیّ، فأمّا سعد فلا یمنعنی منه إلاّ عنفه و فظاظته،و أمّا من عبد الرحمن بن عوف فلأنّه قارون هذه الأمّه،و أمّا من طلحه فتکبّره و نخوته،و أمّا من الزبیر فشحّه و لقد رأیته بالبقیع یقاتل علی صاع من شعیر و لا یصلح لهذا الأمر إلاّ رجل واسع الصدر،و أمّا من عثمان فحبّه لقومه و عصبیّته لهم و أمّا من علیّ فحرصه علی هذا الأمر و دعابته فئته،ثمّ قال:یصلّی صهیب بالناس ثلاثه أیّام و تخلو الستّه نفر فی البیت ثلاثه أیّام لیتّفقوا علی رجل منهم فإن استقام أمر خمسه و أبی رجل فاقتلوه و إن استقرّ أمر ثلاثه و أبی ثلاثه فکونوا مع الثلاثه الّذین فیهم عبد الرحمن بن عوف،و یروی فاقتلوا الثلاثه الّذین لیس فیهم عبد الرحمن بن عوف، و یروی فتحاکموا إلی عبد اللّه بن عمر فأیّ الفریقین قضی له فاقتلوا الفریق الآخر،فلمّا خرجوا عنه و اجتمعوا لهذا الأمر قال عبد الرحمن:إنّ لی و لابن عمی من هذا الأمر الثلث فنحن نخرج أنفسنا منه علی أن نختار رجلا هو خیرکم للأمّه فقال القوم:رضینا،غیر علیّ فإنّه أتّهمه فی ذلک،و قال:أری و أنظر،فلمّا آیس من رضی علیّ رجع إلی سعد فقال:هلّم نعیّن رجلا و نبایعه،فالناس یبایعون من بایعته فقال سعد:إن بایعک عثمان فأنا لکم ثالث،و إن أردت أن تولّی عثمان فعلیّ أحبّ إلیّ،فلمّا آیس من مطاوعه سعد کفّ عنهم و جاءهم أبو طلحه فی خمسین رجلا من الأنصار یحثّهم علی التعیین فأقبل عبد الرحمن إلی علیّ علیه السّلام و أخذ بیده،و قال:ابایعک علی أن تعمل بکتاب اللّه و سنّه رسوله و سیره الخلیفتین أبی بکر و عمر فقال علیّ علیه السّلام:تبایعنی علی أن أعمل بکتاب اللّه و سنّه رسوله و أجتهد رأیی فترک یده،ثمّ أقبل علی عثمان فأخذ بیده و قال له مثل مقاله لعلیّ علیه السّلام فقال:نعم فکرّر القول علی کلّ منهما ثلاثا فأجاب کلّ بما أجاب به أوّلا فبعدها قال عبد الرحمن:هی لک یا عثمان و بایعه ثمّ بایعه الناس،و فی النسخ زعم أنّی سادسهم،ثمّ أردف حکایه الحال بالاستغاثه باللّه للشوری،و الواو إمّا زائده أو للعطف علی محذوف مستغاث له أیضا کأنّه قال:فیاللّه لعمر و للشوری،أولی و للشوری و نحوه،و الاستفهام عن وقت عروض الشکّ لأذهان الخلق فی أنّ الأوّل هل یساویه فی الفضل أو لا یساویه استفهاما علی سبیل

الإنكار و التعجّب من عروضه لأذهانهم إلى غايه أن قاسوه بالخمسه المذكورين و جعلوهم نظراء و أمثالا له فى المنزله و استحقاق هذا الأمر .

استعاره قوله لكنّى أسففت إذ أسفّوا و طرت إذ طاروا .استعاره لأحوال الطائر من الإسفاف و الطيران لأحواله من مقارنته لمراده و تصرّفه على قدر اختيارهم أوّلا و آخرا.

قوله فصغار رجل منهم لضغنه .إشاره إلى سعد بن أبى وقّاص فإنّه كان منحرفا عنه عليه السّلام و هو أحد المتخلّفين عن بيعته بعد قتل عثمان،و قوله و مال الآخر لصهره. إشاره إلى عبد الرحمن بن عوف فإنّه مال إلى عثمان لمصاهره كانت بينهما و هى أنّ عبد الرحمن كان زوجا لامّ كلثوم بنت عقبه ابن أبى معيط و هى اخت عثمان لامّه أروى بنت كريز.قوله مع هن و هن يريد أنّ ميله إليه لم يكن لمجرّد المصاهره بل لأشياء اخرى يحتمل أن يكون نفاسه عليه و غبطه له بوصول هذه الأمر إليه أو غير ذلك، استعاره بالكنايه و قوله إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله و متعلفه .أراد به عثمان و كنّى بقيامه عن حركته فى ولايته أمر الخلافه و أثبت له حالا يستلزم تشبيهه بالبعير،و استعاره وصفه و هو نفج الحضين،و كنّى بذلك عن استعداده للتوسّع ببيت مال المسلمين و حركته فى ذلك كما نسب إليه تشبيها له بالبعير ينتفج جنباه بكثره الأكل،كذلك المتوسّع فى الأكل و الشرب،و ربّما قيل ذلك لمتكبر المنتفج كبرا،و كذلك قوله بين نثيله و معتلفه و هو متعلّق بقام أى قام بين معتلفه و روثه و هو من أوصاف البهائم،و وجه الاستعاره أنّ البعير و الفرس كما لا اهتمام له أكثر من أن يكون بين أكل و روث،كذلك نسبه إلى أنّه لم يكن أكبر همّه إلاّ الترفّه و التوفّر فى المطعم و المشرب و سائر مصالح نفسه و أقاربه دون ملاحظه امور المسلمين و مراعات مصالحهم كما نقم عليه.

كنايه قوله و قام معه بنو اميّه يخضمون مال اللّه تعالى خضم الإبل نبته الربيع. يخضمون فى موضع الحال،و عنى بمال اللّه بيت المال،و أراد ببنى أبيه بنى اميّه بن عبد شمس،و يحتمل أن يريد أقرباه مطلقا و خصّ بنى أبيه تغليبا للذكوره،و كنّى بالخضم عن كثره توسّعهم بمال المسلمين من يد عثمان ،و قد نقلت عنه من ذلك صور:أحدها أنّه رفع إلى أربعه نفر من قريش زوّجهم بناته أربع مائه ألف دينار،و ثانيها أنّه لمّا فتح إفريقيّه أعطى مروان بن

الحکم مائه ألف دینار و یروی خمس إفریقیّه،و ثالثها روی من عدّه طرق أن أبا موسی الأشعریّ بعث إلیه بمال عظیم من البصره فجعل یفرّقه فی ولده و أهله و کان ذلک بحضره زیاد بن عبید مولی حرث بن کلاه الثقفیّ فبکی زیاد لما رأی فقال له:لا تبک فإنّ عمر کان یمنع قرابته ابتغاء وجه اللّه و أنا أعطی أهلی و قرابتی ابتغاء وجه اللّه،و رابعها روی أنّه ولّی الحکم بن أبی العاص صدقات قضاعه فبلغت ثلاث مائه ألف فوهبها له حین أتاه بها،و خامسها روی أبو مخنف أنّ عبد اللّه بن خالد بن اسید قدم علی عثمان من مکّه و معه ناس فأمر لعبد اللّه بثلاث مائه ألف و لکلّ واحد منهم بمائه ألف و صکّ بذلک علی عبد اللّه بن الأرقم و کان حینئذ خازن بیت المال فاستکثر ذلک و ردّ الصکّ فقال له عثمان:ما حملک علی ردّه؟ و إنّما أنت خازن قال:کنت أرابی بیت مال المسلمین و إنّما خازنک غلامک و أنّه لا ألی لک بیت المال أبدا،و جاء بالمفاتیح فعلّقها علی المنبر فدفعها عثمان إلی مولاه نائل،و روی الواقدی أنّ عثمان أمر زید بن ثابت أن یحمل من بیت المال إلی عبد اللّه بن أرقم عقیب ما فعل ثلاث مائه ألف درهم فلمّا دخل علیه بها قال له:یا أبا محمّد إنّ أمیر المؤمنین أرسل إلیک یقول إنّا شغلناک عن التجاره و لک ذوو رحم أهل حاجه ففرّق هذا المال فیهم و استغن به علی عیالک،فقال عبد اللّه:ما لی إلیک حاجه،و ما عملت لأن یثیبنی عثمان فإن کان هذا من بیت المال لما بلغ قدر عملی أن اعطی ثلاث مأئه ألف درهم،و إن کان من ماله فلا حاجه لی به، و بالجمله فمواهبه لأهله و ذویه مشهوره، تشبیه و قد شبّه علیه السّلام خضمهم لمال اللّه بخضم الإبل نبت الربیع ،و وجه التشبیه أنّ الإبل لمّا کانت تستلذّ نبت الربیع بشهوه صادقه و تملاء منه أحناکها،و ذلک لمجیئه عقیب یبس الأرض و طول مدّه الشتاء،و مع ذلک طیبه و نضارته، کان ما أکله أقارب عثمان من بیت المال مشبّها لذلک من جهه کثرته و طیبه لهم عقیب ضرّهم و فقرهم،و کلّ ذلک فی معرض الذّم و التوبیخ المستلزم لارتکاب مناهی اللّه المستلزم لعدم التأهّل لأمر الخلافه.

استعاره بالکنایه قوله إلی انتکث علیه فتله و أجهز علیه عمله و کبت به بطنته .إشاره إلی غایات من قیامه فی الحال المذکوره و استعار لفظ الفتل و هو برم الحبل لما کان یبرمه من الرأی و التدبیر و یستبدّ به دون الصحابه و کنّی به عنه،و کذلک لفظ الانتکاث لانتقاض ذلک التدابیر و رجوعها

علیه بالفساد و الهلاک ، مجاز فی الإفراد و الترکیب-الکنایه و قوله و أجهز علیه عمله یشتمل علی مجاز فی الإفراد و الترکیب أمّا فی الإفراد فلأنّ استعمال الإجهاز إنّما یکون حقیقه فی قتل تقدّمه جرح المقتول و إثخان بضرب و نحوه،و لمّا کان قتل عثمان مسبوقا بطعن أسنّه الألسنه و الجرح بحدّ أو سیوفها لا جرم أشبه قتله الإجهاز فأطلق علیه لفظه،و أمّا فی الترکیب فلأنّ إسناد الإجهاز إلی العمل لیس حقیقه لصدور القتل عن القاتلین لکن لمّا کان عمله هو السبب الحاصل لهم علی قتله صحّ إسناد الإجهاز إلیه إسناد الفعل إلی السبب الفاعلیّ أی إلی السبب الحامل و هو من وجوه المجاز،و کذلک قوله و کبت به بطنته مجاز أیضا فی الإسناد و الترکیب،و ذلک لأنّ الکبو إنّما هو حقیقه فی الإسناد إلی الحیوان و لمّا کان ارتکابه للامور الّتی نقمت علیه و توسّعه ببیت المال المکنّی عن ذلک بالبطنه و استمراره علی ذلک مدّه خلافته سلیما یشبه رکوب الفرس و استمرار مشیه سلیما من العثار و الکبو کانت البطنه مشبّهه للمرکوب من هذه الجهه فلذلک صحّ إسناد الکبو إلیها مجازا.

قوله فما راعنی إلاّ و الناس کعرف الضبع إلیّ ینثالون علیّ من کل جانب .إلیّ متعلّق بمحذوف تقدیره مقبلون إلیّ و فاعل راعنی إمّا الجمله الإسمیّه و هو مقتضی قول الکوفیین إذ جوّز و اکون الجمله فاعلا أو ما دلّت علیه هذه الجمله و کانت مفسّره له من المصدر أی فما راعنی إلاّ إقبال الناس إلیّ و هو فرع مذهب البصریین إذ منعوا کون الجمله فاعلا،و نظیره قوله تعالی «ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآیاتِ لَیَسْجُنُنَّهُ حَتّی حِینٍ» ١و ینثالون إمّا خبر ثان للمبتدأ أو حال عن راعنی أو العامل فی إلیّ و الإشاره إلی وصف ازدحام الناس علیه للبیعه بعد قتل عثمان، تشبیه و قد شبّههم فی إقبالهم إلیه،و ازدحامهم علیه بعرف الضبع ، و وجه ذلک أنّ الضبع ذات عرف کثیر قائم الشعر و العرب یسمّی الضبع عرفا لعظم عرفها فکان حال الناس فی إقبالهم علیه متتابعین یتلو بعضهم بعضا قیاما یشبه عرف الضبع.

قوله حتّی لقد وطیء الحسنان و شقّ عطفای .إشاره إلی غایه ازدحامهم علیه،و هی وطی ولدیه الحسن و الحسین علیهما السّلام و شقّ ردائه بالجذب عند خطابه و الجلوس علی جانبیه.

و أمّا علی الروایه الاخری فالمراد بالشقّ إمّا الأذی الحاصل للصدر و المنکبین،أو شقّ

قمیصه بـالجلوس علی جـانبیه، مجـاز إطلاقـا لاسم المجاور علی مجاوره و إطلاق لفظ العطفین علی جانبی القمیص مجاز إطلاقا لاسم المجـاور علی مجـاوره أو المتعلّق علی متعلّقه ،و من عـاده العرب أن یکون أمراؤهم کسائرهم فی قلّه التوقیر و التعظیم فی المخاطبات،و فعلهم ذلک إمّا فرح به علیه السّلام،أو لجلاقه طباع رعاعهم.

و حکی السیّد المرتضی-رضـوان اللّه علیه-أنّ أبـا عمر محمّـد بن عبـد الواحـد غلام ثعلب روی فی قـوله علیه السّـلام وطیء الحسـنان إنّهمـا الإبهامـان،و أنشـد المشـنفریّ مهضومه الکشـحین خرمـاء الحسن،و روی أنّ أمیر المؤمنین علیه السّـلام إنّما کان یومئـذ جالسـا محتبیـا و هی جلسه رسـول اللّه صـلی اللّه علیه و آله المسـمّاه بالقرفصـاء و هی جمـع الرکبـتین و جمع الـذیل فلمّا اجتمعوا لیبایعوه زاحموه حتّی وطئوا إبهامیه و شـقّوا ذیله بالوطی و لم یعن الحسن و الحسین علیهما السّلام و هما رجلان کسائر الحاضرین،و هذا القول یؤیّد الروایه الاولی،و اعلم أنّ إرادته للحسن و الحسین أظهر.

تشبیه قوله مجتمعین حولی کربیضه الغنم .مجتمعین منصوب علی الحال کالّـذی قبله و العامل واحـد أو بقوله وطیء و شقّ ،و قد شبّه اجتماعهم حوله بربیضه الغنم و وجه التشبیه ظاهر،و یحتمل أن یلاحظ فی وجه التشبیه مع الهیئه زیاده و هی أنّه شـبّهم بالغنم لغفلتهم عن وضع الأشیاء فی مواضـعها،و قلّه فطانتهم و عـدم استعمالهم للأدب معه أو مطلقا و العرب تصف الغنم بالغباوه و قلّه الفطانه.

استعاره قوله فلمّـا نهضت بالأـمر نکثت طـائفه و مرقت اخری و فسق آخرون .أراد بالنـاکثین طلحه و الزبیر لأنّهما بایعاه و نقضـا بیعته بخروجهمـا علیه و کـذلک من تبعهمـا ممّن بایعه، و بالمارقین الخوارج،و بالقاسـطین أو الفاسـقین أصـحاب معاویه،و هـذه الأسـماء سـبقت من الرسول صـلی اللّه علیه و آله إذ حکی فی موضع آخر أنّه أخبره بأنّه سیقاتل الناکثین و المارقین و القاسطین بعـده،و إنّمـا خصّ الخوارج بـالمروق لأنّ المروق و هو مجاوزه السـهم للرمیه و خروجه منها،و لمّا کانت الخوارج أوّلا منتظمون فی سـلک الحقّ إلاّـ أنّهم بـالغوابز عمهم فی طلبه إلی أن تعـدّوه و تجـاوزوه لاـ جرم حسن أن یسـتعار لهم لفـظ المروق لمکـان المشـابهه و قـد أخبر الرسول صـلی اللّه علیه و آله عنهم بهـذا اللفـظ إذ قال:یمرقون من الـدّین کما یمرق السـهم من الرمیّه و أمّا تخصیص أهل الشام بالفاسقین فلأنّ مفهوم الفسق أو القسط هو الخروج عن سنن الحقّ

و قد كانوا كذلك بمخالفته عليه السّلام و الخروج عن طاعته فكان إطلاق أحد اللفظين عليهم لذلك.

قوله كأنّهم لم يسمعو اللّه يقول «تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» ١.تنبيه لأذهان الطوائف الثلاث المذكوره و من عساه يتخيّل أنّ الحقّ فى سلوك مسالكهم على أنّ ما فعلوه من المخالفه عليه و القتال له إنّما هو طلب للعلوّ و المفاخره فى الدنيا المستلزم للسعى فى الأرض بالفساد و إعراض عن الدار الآخره و حسم لمادّه إعذارهم أن يقولوا يوم القيامه إنّا كنّا عن هذا غافلين فيقولوا عند لقاء ربهم لو سمعنا هذه الآيه و وعيناها لما ارتكبنا هذه الأفعال،و يزعمون أنّ الحقّ فى هذه المتّصله هو استثناء نقيض تاليها لينتج لهم نقيض مقدّمها،و تقديره عليه السّلام لهذا العذر لهم،على سبيل التهكّم بهم و أنّه لا عذر لهم فى الحقيقه ممّا فعلوه ثمّ أراد عليه السّلام تكذيبهم فى ذلك العذر على تقدير اعتذارهم به فأشار إلى مكذّب النتيجه بوضع نقيضها مؤكّدا بالقسم البارّ،و إلى منع لزوم هذه المتّصله بقوله بلى و اللّه لقد سمعوها و وعوها و لكنّه حليت الدنيا فى أعينهم ،و نبّه على أنّ وضع المقدّم المذكوره فى المتّصله لا يستلزم تاليها مطلقا بل استلزامه له موقوف على زوال مانع هو حاصل لهم الآن و ذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها و إعجابهم بها و على تقدير حصول المانع المذكور جاز أن يجتمع هذا المقدّم مع نقيض التالى المذكور و هو ارتكاب ما ارتكبوه من الأفعال.

قوله أما و الّذى فلق الحبّه و برء النسمه لو لا حضور الحاضر و قيام الحجّه بوجود الناصر و ما أخذ اللّه على العلماء إلى آخره.

أقول:لمّا ذكر من حال القوم و حاله معهم ما ذكر من الشكايه و التظلّم فى أمر الخلافه و ذمّ الشورى و ما انتهى إليه من الحال الّتى أوجبت نزوله عن مرتبته إلى أن قرن بالجماعه المذكورين أردف ذلك ببيان الأعذار الحامله على قبول هذا الأمر و القيام به بعد تخلّفه عنه إلى هذه الغايه،و قدّم على ذلك شاهدا هذا القسم العظيم بهاتين الإضافتين و هما فالق الحبّه و بارىء النسمه،و اعلم أنّ الوصف الأوّل قد ورد فى القرآن الكريم و هو قوله «فالِقُ»

«الْحَبِّ وَ النَّوى» و إنّما خصّ الحبّه و النسمه بالتعظيم بالنسبه إلى اللّه تعالى لما يشتملان عليه من لطف الخلقه و صغر الحجم من أسرار الحكمه و بدائع الصنع الدالّه على وجود الصانع الحكيم،أمّا «فالِقُ الْحَبِّ» ففيه قولان:أحدهما قال ابن عبّاس و الضحاك: «فالِقُ الْحَبِّ» أى خالقه فعلى هذا يكون معنى قوله عليه السّلام فلق الحبّه كقوله فطر الخلائق بقدرته،الثانى و هو الّذى عليه جمهور المفسّرين أنّ فلق الحبّه هو الشقّ الّذى فى وسطها،و تقرير هذا القول أنّ الحبّه من الحنطه مثلا لمّا كانت من غايتها أن تكون شجره مثمره تنتفع بها الحيوان جعل اللّه سبحانه فى وسطها ذلك الشقّ حتّى إذا وقعت فى الأرض الرطبه ثمّ مرّت بها مدّه من الزمان جعل سبحانه الطرف الأعلى من ذلك الشقّ مبدء لخروج الشجره الصاعده إلى الهواء و الطرف الأسفل مبدء للعروق الهابطه إلى الأرض الّتى منها مادّه تلك الشجره،و فى ذلك بدائع من الحكمه شاهده بوجود المدبّر الحكيم:أحدها أن تكون طبيعه تلك الحبّه إن كانت تقتضى الهوى فى عمق الأرض فكيف تولّدت منها الشجره الصاعده فى الهواء و على العكس،فلمّا تولّد منها أمران متضادّان علمنا أنّ ذلك ليس لمجرّد الطبيعه بل بمقتضى الحكمه الإلهيّه،و ثانيها أنّا نشاهد أطراف تلك العروق فى غايه الدقّه و اللطافه بحيث لو دلكها الإنسان بأدنى قوّه دلكا لصارت كالماء ثمّ إنّها مع غايه تلك اللطافه تقوى على خرق الأرض الصلبه و تنفذ فى مسام الأحجار فحصول هذه القوّه الشديده لهذه الأجرام اللطيفه الضعيفه لا بدّ و أن يكون بتقدير العزيز الحكيم،و ثالثها أنّك قد تجد الطبائع الأربع حاصله فى الفاكهه الواحده كالاترج فإنّ قشره حارّ يابس،و لحمه بارد رطب، و حماضه بارد يابس،و برزه حار يابس.فتولّد هذه الطبائع المتضادّه من الحبّه الواحده لابدّ و أن يكون بتقدير الفاعل الحكيم،و رابعها أنّك إذا نظرت إلى ورقه من أوراق الشجره المبدعه عن الحبّه وجدت فى وسطه خطّا مستقيما كالنخاع بالنسبه إلى بدن الإنسان ثمّ لا يزال ينفصل عنه شعب و عن الشعب شعب اخرى إلى أن يستدقّ،و يخرج تلك الخطوط عن إدراك البصر،و الحكمه الإلهيّه إنّما اقتضت ذلك لتقوى القوّه الجاذبه المركوزه فى جرم تلك الورقه على جذب الأجزاء اللطيفه الأرضيّه فى تلك المجارى الضيّقه،و إذا وقفت على عنايه اللّه سبحانه فى تكوّن تلك الورقه الواحده الواقعه علمت أنّ عنايته فى جمله الشجره

أكمل،و أنّ عنايته فى جمله النبات أكمل،ثمّ إذا علمت أنّه إنّما خلق جمله النبات لمصلحه الحيوانات علمت أنّ عنايته فى خلق الحيوان أكمل،و إذا علمت أنّ المقصود من خلق الحيوان إنّما هو الإنسان علمت أنّ الإنسان هو أعزّ مخلوقات هذا العالم عند اللّه و أكرمه عليه و أنّه قد أكرمه بأنواع الإكرام كما قال تعالى «وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ» الآيه «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها» و أمّا النسمه فعليك فى مطالعه عجائب صنع اللّه ببدن الإنسان بكتب التشريح،و قد أشرنا إلى طرف من ذلك فى الخطبه الاولى.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه عليه السّلام ذكر من تلك الأعذار ثلاثه:أحدها حضور الحاضرين لمبايعته، و الثانى قيام الحجّه عليه بوجود الناصر له فى طلب الحقّ لو ترك القيام،الثالث ما أخذ اللّه على العلماء من العهد على إنكار المنكرات و قمع الظالمين و دفع الظلامات عند التمكّن و العذران الأوّلان هما شرطان فى الثالث إذ لا ينعقد و لا يجب إنكار المنكر بدونهما كنايه و كنّى بكظّه الظالم عن قوّه ظلمه و بسغب المظلوم عن قوّه ظلامته.

استعاره بالكنايه قوله لألقيت حبلها على غاربها .استعاره وصف من أوصاف الناقه للخلافه أو للامّه كنّى بها عن تركه لها و إهماله لأمرها ثانيا كإهماله أوّلا،و لمّا استعار لها لفظ الغارب جعل لها حبلا تلقى عليه و هو من ترشيح الاستعاره و أصله أنّ الناقه يلقى زمامها على غاربها و تترك لترعى.

استعاره مرشحه قوله و لسقيت آخرها بكأس أوّلها ،استعار لفظ السقى للترك المذكور أيضا و رشّح تلك الاستعاره بذكر الكأس،و وجه تلك الاستعاره أنّ السقى بالكأس لمّا كان مستلزما لوجود السكر غالبا و كان إعراضه أوّلا مستلزما لوقوع الناس فيما ذكر من الطخيه العمياء المستلزمه لحيره كثير من الخلق و ضلالهم الّذى يشبه السكر و أشدّ منه لا جرم حسن أن يعبّر عن ذلك الترك بالسقى بالكأس.

قوله و لألفيتم دنياكم هذه أهون عندى من عطفه عنز عطف على ما قبله و يفهم منه أنّه عليه السّلام طالب للدنيا و لها عنده قيمه إلاّ أنّ طلبه لها و الحرص على الإمره فيها ليس لأنّها هى،بل لما ذكرنا من نظام الخلق و إجراء امورهم على القانون العدل المأخوذ على العلماء كما أشار إليه،و نظم هذا الكلام فى صوره متّصله هكذا:لو لم يحضر الحاضر،و

لم یقم الناصر،و ما أخذ اللّه علی العلماء ما أخذ علیهم من إنکار المنکر إذا تمکّن لترکت آخرا کما ترکت أوّلا و لو جدتم دنیاکم هذه أهون عندی مما لا قیمه له و هو عفطه العنز،و أمّا الحکایه المتعلّقه بهذه الخطبه فأراد بأهل السواد سواد العراق.قال أبو الحسن الکیدری -رحمه اللّه-وجدت فی الکتب القدیمه أنّ الکتاب الّذی دفعه الرجل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام کان فیه عدّه مسائل:أحدها ما الحیوان الّذی خرج من بطن حیوان آخر و لیس بینهما نسب؟فأجاب علیه السّلام بأنّه یونس بن متی علیه السّلام خرج من بطن الحوت،الثانیه ما الشیء الّذی قلیله مباح و کثیره حرام؟فقال علیه السّلام هو نهر طالوت لقوله تعالی «إِلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِیَدِهِ» الثالثه ما العباده الّذی لو فعلها واحد استحقّ العقوبه و إن لم یفعلها استحقّ أیضا العقوبه؟فأجاب بأنّها صلاه السکاری.الرابعه ما الطائر الّذی لا فرخ له و لا فرع و لا أصل؟فقال:هو طائر عیسی علیه السّلام فی قوله «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِیها فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی» ۱الخامسه رجل علیه من الدین ألف درهم و له فی کیسه ألف درهم فضمنه ضامن بألف درهم فحال علیه الحول فالزکاه علی أی المالین تجب.فقال:إن ضمن الضامن بإجازه من علیه الدین فلا یکون علیه،و إن ضمنه من غیر إذنه فالزکاه مفروضه فی ماله،السادسه حجّ جماعه و نزلوا فی دار من دور مکّه و أغلق واحد منهم باب الدار و فیها حمام فمتن من العطش قبل عودهم إلی الدار فالجزاء علی أیّهم یجب؟فقال علیه السّلام:علی الّذی أغلق الباب و لم یخرجهّن و لم یضع لهنّ ماء،السابعه شهد شهداء أربعه علی محضر بالزنا فأمرهم الإمام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلاثه الباقین و وافقهم قوم أجانب فی الرجم فرجع من رجمه عن شهادته و المرجوم لم یمت ثمّ مات فرجع الآخرون عن شهادتهم علیه بعد موته فعلی من یجب دیته؟فقال:یجب علی من رجمه من الشهود و من وافقه.الثامنه شهد شاهدان من الیهود علی یهودیّ أنّه أسلم فهل یقبل شهادتهما أم لا؟فقال:لا تقبل شهادتهما لأنّهما یجوّز ان تغییر کلام اللّه و شهاده الزور.التاسعه شهد شاهدان من النصاری علی نصرانیّ أو مجوسیّ أو یهودیّ أنّه أسلم فقال:تقبل شهادتهما لقول اللّه سبحانه «وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ قالُوا إِنّا نَصاری» ۲الآیه،و من لا یستکبر عن عباده اللّه لا یشهد

شهاده الزور.العاشره قطع إنسان يد آخر فحضر أربعه شهود عند الإمام و شهدوا على قطع يده،و أنّه زنا و هو محصن فأراد الإمام أن يرجمه فمات قبل الرجم فقال علىّ من قطع يده ديه يد حسب و لو شهدوا أنّه سرق نصابا لم يجب ديه يده على قاطعها،و اللّه أعلم.

۴–و من خطبه له عليه السلام

اشاره

بِنَا اهْتَدَيْتُم فِى الظَّلْمَاءِ وَ تَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَهَ الْعَلْيَاءَ- وَ بِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ- وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَهَ- وَ كَيْفَ يُرَاعِى النَّبْأَهَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَهُ- رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ- مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ- وَ أَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَهِ الْمُغْتَرِّينَ- سَتَرَنِى عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ- وَ بَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّهِ- أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِى جَوَادِّ الْمَضَلَّهِ- حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَ لاَ دَلِيلَ- وَ تَحْتَفِرُونَ وَ لاَ تُمِيهُونَ- الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ- عَزَبَ رَأْىُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّى- مَا شَكَكْتُ فِى الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ- لَمْ يُوجِسْ؟مُوسَى؟ع خِيفَهً عَلَى نَفْسِهِ- أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَهِ الْجُهَّالِ وَ دُوَلِ الضَّلاَلِ- الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ- مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ أقول:روى أنّ هذه الخطبه خطب بها أمير المؤمنين عليه السّلام بعد قتل طلحه و الزبير

اللغه

تسنّمتم أى ركبتم سنامها،و سنام كلّ شىء أعلاه ،و السرار الليله أو الليلتان يكون فى آخر الشهر يستتر فيها القمر و يخفى ،و الوقر الثقل فى السمع ،و فقهت الأمر فهمته ،و الواعيه الصارخه ،و النبأ الصوت الخفىّ ،و السمه العلامه ،و سنن الحقّ وجهه و طريقه ، و ماهت البئر خرج ماؤها ،و غرب أى غاب ،و أوجس هجس و أهسّ ،و الظماء العطش ،

المعنى

و اعلم أنّ هذه الخطبه من أفصح كلامه عليه السّلام و هى مع اشتمالها على كثره المقاصد الواعظه المحرّكه للنفس فى غايه و جازه اللفظ،ثمّ من عجيب فصاحتها و بلاغتها أنّ كلّ كلمه منها تصلح لأن تفيد على سبيل الاستقلال و هى على ما نذكره من حسن النظم و تركيب بعضها مع بعض.قوله بنا اهتديتم فى الظلماء الضمير المجرور راجع إلى آل الرسول صلى اللّه عليه و آله و الخطاب لحاضرى الوقت من قريش المخالفين له مع طلحه و الزبير و إن صدق فى حقّ غيرهم،و المراد أنّا سبب هدايتكم بأنوار الدين و ما أنزل اللّه من الكتاب و الحكمه «هُدىً لِلنّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ» حيث كنتم فى ظلمات الجهل و تلك الهدايه هى الدعوه إلى اللّه و تعليم الخلق كيفيّه السلوك إلى حضره قدسه. استعاره مرشحه و قوله تسنمّتم العلياء .أى بتلك الهدايه و شرف الإسلام علا قدركم و شرّف ذكركم،و لمّا استعار وصف السنام للعلياء ملاحظه لشبهها بالناقه رشّح تلك الاستعاره بذكر التسنّم و هى ركوب السنام و كنّى به عن علوّهم.

استعاره قوله و بنا انفجرتم عن السرار .استعار لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل فى الجاهليه و خمول الذكر،و لفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك إلى نور الإسلام و اشتهارهم فى الناس و ذلك لتشبيهم بالفجر الطالع من ظلمه السرار فى الضياء و الاشتهار ،قوله وقر سمع لم يفقه الواعيه كالتفات إلى الدعاء بالوقر على سمع لا يفقه صاحبه بواسطته علما و لا يستفيد من السماع به مقاصد الكتب الإلهيّه و كلام الأنبياء عليهم السّلام و الدعاه إلى اللّه،و حقّ لذلك السمع أن يكون أصمّ إذ كانت الفائده منه المقصوده إلى الحكمه الإلهيّه اكتساب النفس من جهته ما يكون سببا لكمالها و قوّتها على الوصول إلى جناب اللّه و ساحل عزّته،فإذا كانت النفس معرضه عمّا يحصل من جهته من الفائده و ربّما كانت مع ذلك متلقّيه منه ما يؤدّيه من الشرور الجاذبه لها إلى الجهه السافله فحقيق به أن يكون موقورا،و من روى وقر على ما لم يسمّ فاعله فالمراد و قره اللّه و هو كلام على سبيل التمثيل أورده فى معرض التوبيخ لهم و التبكيت بالإعراض عن أوامر اللّه و طاعته، كنايه و كنّى بالواعيه عن نفسه إذ صاح فيهم بالموعظه الحسنه و الحثّ على الألفه و أن لا يشقوا عصى الإسلام فلم يقلبوا ،و وجه نظام هذه الكلمه مع ما قبلها أنّه لمّا أشار أوّلا إلى وجه شرفه عليهم و أنّه ممّن اكتسب عنه الشرف و الفضيله و كان ذلك فى مقابله

نفارهم و استکبارهم عن طاعته أردف ذلک بهذه الکلمه المستلزمه للدعاء علیهم کیف لم یفقهوا بیانه للوجوه الموجبه لاتّباعه و یقبلوه بعد أن سمعوه،و هذا کما یقول أحد العلماء لبعض تلامیذه المعاند له المدّعی لمثله فضیلته:إنّک بی اهتدیت من الجهل و علا قدرک فی الناس و أنا سبب لشرفک أفتکبّر علیّ وقر سمعک لم لا تفقه قولی و تقبّله، استعاره بالکنایه-استعاره مرشحه و قوله کیف یراعی النبأه من أصمّته.الصیحه استعار لفظ النبأه لدعائه لهم و ندائه إلی سبیل الحقّ و الصیحه لخطاب اللّه و رسوله و هی استعاره علی سبیل الکنایه عن ضعف دعائه بالنسبه إلی قوّه دعاء اللّه و رسوله لهم،و تقریر ذلک أنّ الصوت الخفیّ لمّا کان لا یسمع عند الصوت القویّ إذ من شأن الحواس أن لا یدرک الأضعف مع وجود الأقوی المماثل فی الکیفیّه لاشتغالها به و کان کلامه علیه السّلام أضعف فی جذب الخلق و فی قبولهم له من کلام اللّه و کلام رسوله و کلامهما مجری الصوت القویّ فی حقّهم،و کلامه مجری الصوت الخفیّ بالنسبه إلیه،و إسناد الإصمام إلی الصیحه من ترشیح الاستعاره و کنّی به عن بلوغ تکرار کلام اللّه علی أسماعهم إلی حدّ أنّها محلّه و ملّت سماعه بحیث لا تسمع بعد ما هو فی معناه خصوصا ما هو أضعف کما لا یسمع الصوت الخفیّ من أصمّته الصیحه،و قد وردت هذه الکلمه مورد الاعتذار لنفسه فی عدم فائده وعظه لهم،و الاعتذار لهم فی ذلک أیضا علی سبیل التهکّم و الذّم،وجه نظامها مع ما قبلها أنّه لمّا کان تقدیر الکلمه الاولی و قرت أسماعکم کیف لا تقبلون قولی التفت عنه و قال کیف یسمع قولی من لم یسمع کلام اللّه و رسوله علی کثره تکراره علی أسماعهم و قوّه اعتقادهم وجوب قبوله،و کیف یؤاخذون بسماعه و قد أصمّهم نداء اللّه .قوله ربط جنان لم یفارقه الخفقان الخفقان دعاء للقلوب الخائفه الوجله الّتی لا تزال تخفق من خشیه اللّه و الإشفاق من عذابه بالثبات و السکینه و الاطمینان،و التقیّه ربط جنان نفسه،و من روی بضمّ الراء علی ما لم یسمّ فاعله فالتقدیر رابط اللّه جنانا کذلک،و هو جذب لهم إلی درجه الخائفین و تنبیه علی ملاحظه نواهی اللّه فیفیئوا علی طاعته،و وجه اتّصاله بما قبله أنّ ذکر الشریف و صاحب الفضیله فی معرض التوبیخ لمن یراد منه أن یسلک مسلکه و یکون بصفاته من أعظم الجواذب له إلی التشبّه به،و من أحسن الاستدراجات له فکأنّه قال و کیف یلتفت إلی

قولی من لا ـ یلتفت إلی کلام اللّه للّه درّ الخائفین من اللّه المراعین لأوامره الوجلین من وعیـده ما ضـرّکم لو تشـبّهتم فرجعتم إلی الحقّ و قمتم به قیام رجل واحد.

قوله مـا زلت أنتظر بکم عواقب الغـدر و أتوسّـمکم بحلیه المغترّین .إشاره إلی أنّه علیه السّـلام کان یعلم عاقبه أمرهم إمّا باطّلاع الرسول صـلی اللّه علیه و آله علی أنّهم بعـد بیعتهم له یغـدرون به،أو لأنّه کـان یلوح له من حرکاتهم و أحوالهم بحسب فراسـته الصائبه فیهم کما أشار إلیه بقوله و أتوسّـمکم بحلیه المغترّین ،و ذلک لأنّه فهم أنّهم من أهل الغرّه و قبول الباطل عن أدنی شبهه بمـا لاح له من صـفاتهم الـدالّه علی ذلک،و کان علمه بـذلک منهم مسـتلزما لعلمه بغـدرهم بعهـده و نقضـهم لبیعته فکان ینتظر ذلک منهم.

استعاره قوله سترنی عنکم جلبـاب الـدین .وارد مورد الوعیـد للقوم فی قتالهم و مخالفتهم لأمره و المعنی أنّ الـدین حال بینی و بینکم و سترنی عن أعین بصـائرکم أن تعرفونی بمـا أقوی علیه من العنف بکم و الغلظه علیکم و سائر وجوه تقویمکم و ردعکم عن الباطل وراء ما وفّقنی علیه الدین من الرفق و الشفقّه و شهب ذیل العفو عن الجرائم فکان الدین غطاء حال بینهم و بین معرفته فاسـتعار له لفظ الجلبـاب ،و روی سترکم عنّی أی عصم الإسـلام منّی دمائکم و اتّباع مـدبرکم و أن أجهز علی جریحکم و غیر ذلک ممّا یفعل من الأحکام فی حقّ الکفّار و قوله و بصّرنیکم صدق النّیه أراد بصدق النّیه إخلاصه للّه تعالی و صفاء مرآه نفسه و أنّه بحسب ذلـک افیض علی بصر بصـیرته نـور معرفه أحوالهم و مـا تؤول إلیه عـاقبه أمرهم کمـا قـال النبیّ صـلی اللّه علیه و آله:المـؤمن ینظر بنـور اللّه،و قوله أقمت لکم علی سـنن الحقّ فی جوادّ المضـلّه تنبیه لهم علی وجوب اقتفـاء أثره و الرجوع إلی لزوم أشـعّه أنواره فی سـلوک سبیـل اللّه و إعلـام لهم علی سواء السبیل الحقّ و فی الطریق الّتی هی مزالّ الأقـدام لیردّهم عنها،و لنبیّن ذلـک فی المثل المشـهور عن رسول اللّه صـلی اللّه علیه و آله روی أنّه قال:ضـرب اللّه مثلا صـراطا مسـتقیما و علی جنبتی الصـراط سـور فیـه أبـواب مفتّحـه و علی تلـک الأـبواب سـتور مرخـاه و علی رأس الصـراط داع یقـول:ادخلـوا الصـراط و لا تعرجوا،قال:فالصراط هو الإسـلام و السـتور حـدود اللّه و الأبواب المفتّحه محارم اللّه و ذلک الـداعی هو القرآن.فنقول:لمّا کان علیّ علیه السّلام هو الواقف علی أسرار الکتاب و الملیّ بجوامع علمه و حکمته و المطّلع علی اصول الدین

و فروعه كان هو الناطق بالكتاب و الداعى به الواقف على رأس سبيل اللّه و المقيم عليها،و لمّا كان سبيل اللّه و صراطه المستقيم فى غايه الوضوح و البيان له و كان مستبينا مالها من الحدود و المقدّمات مستجلبا لمزالّ الأقدام فيها و ما ينشأ عليها من الشكوك و الشبهات كان بحسب قوّته المدبره لهذا العالم بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله هو الواقف على تلك الأبواب المفتّحه الّتى هى موارد الهلاك و أبواب جهنّم و جوادّ المضلّه و السائر لها بحدود اللّه و بيان نواهيه و التذكير بعظيم وعيده و القائد لأذهان السالكين للصراط عنها،و ذلك حيث يلتفت أذهانهم فى ظلمات الجهل فلا تبصر دليلا هناك سواه و يطلبون ماء الحياه بالبحث و الفحص من أوديه القلوب فلا يجدون بها ماء إلاّ معه، استعاره و استعار لفظ الاحتفار للبحث من مظانّ العلم و لفظ الماء للعلم كما سبق بيان وجه المشابهه.

استعاره بالكنايه قوله اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان .كنّى بالعجماء ذات البيان على الحال الّتى يشاهدونها من العبر الواضحه و المثلات الّتى حلّت بقوم فسقوا أمر ربّهم و عمّا هو واضح من كمال فضله عليه السّلام بالنسبه إليهم و ما ينبغى لهم أن يعتبرون من حال الدين،و مقتضى أوامر اللّه الّتى يحثّهم على اتّباعها،فإنّ كلّ هذه الأحوال امور لانطق لها مقالى فشبّهها لذلك بالعجماء من الحيوان،و استعار لها لفظها و وصفها بكونها ذات البيان لأنّ لسانها الحال مخبر بمثل مقاله عليه السّلام ناطق بوجوب اتّباعه شاهد لهم،و دليل على ما ينبغى أن يفعلوه فى كلّ باب و ذلك هو البيان فكأنّه عليه السّلام انطق العجماء إذ عبّر هو بلسان مقاله عنها ما كانت تقتضيه،و يشاهده من نظر إليها بعين بصيرته و هو كقولهم سل الأرض من شقّ أنهارك و أخرج ثمارك فإن لم تجبك لسانا إجابتك اعتبارا،و كقولهم قال الحائط للوتد،لم تشقّنى قال سل من يدقّنى،و قال بعضهم العجماء صفه لمحذوف تقديره الكلمات العجماء و أراد بها ما ذكر فى هذه الخطبه من الرموز و شبّهها بالحيوان إذ لا نطق لها فى الحقيقه و مع ذلك يستفيد الناظر فيها أعظم الفوائد فهى ذات بيان عند اعتبارها.

قوله غرب رأى امرىء تخلّف عنّى .إشاره إلى ذمّ من تخلّف عنه و حكم عليه بالسفه و عدم إصابه الرأى حال تخلّفه عنه و ذلك أنّ المتخلّف لمّا فكّر فى أىّ الامور أنفع له إن يكون متابعيه أو المتخلّفين عنه ثمّ رأى أنّ التخلّف عنه أوفق له كان ذلك أسوء الآراء

ص:۲۷۴

و أقبحها،فهو فى الحقيقه كمن أقـدم على ذلك بغير رأى يحضـره أو لأنّ الرأى الحقّ كان غاربا عنه،و هو ذم فى معرض التوبيخ للقوم على طريقه قولهم إيّاك أعنى و اسمعى يا جاره.

قوله ما شـككت فى الحقّ مـذ اريته .بيان لبعض أسـباب وجوب اتّباعه و عدم التخلّف عنه،و اعلم أنّ التمدح بعد الشكّ ممّا أراه اللّه من الحقّ و ما أفاضه على نفسه القدسيّه من الكمال مسـتلزم للإخبار بكمال قوّته على اسـتثبات الحقّ الّذى رآه و شدّه جلائه له بحيث لا يعرض له شبهه فيه،و الإماميّه تستدلّ بذلك على وجوب عصمته و طهارته عن الأرجاس الّتى منشأوها ضعف اليقين.

قوله لم يوجس موسى خيفه على نفسه أشـفق من غلبه الجهّال و دول الضـلاّل .أشـفق أفعل التفضـيل منصوب على الصفه لخيفه لأنّ الإشفاق خوف،و التقدير و لم يوجس موسى إشفاقا على نفسه أشدّ من غلبه الجهّال،و المقصود التنبيه على أنّ الخوف الّذى يخـافه عليه السّـلام منهم ليس على مجرّد نفسه بل كان أشـدّ خوفه من غلبه أهل الجهل على الـدين و فتنه الخلق بهم و قيام دول الضـلاّل،فتعمى طريق الهـدى و تنسـدّ مسالك الحقّ كما خاف موسى عليه السّـلام من غلبه جهّال السـحره حيث ألقوا حبالهم و عصيّهم« «وَ قالُوا بِعِزَّهِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ» »و قيل إنّ أشفق فعل ماض و المعنى أنّ خوف موسى عليه السّلام من السحره لم يكن على نفسه،و إنّما خاف من غلبه الجهّال فكأنّه قال لكن أشـفق و إنّما الشـفق،و دول الضلاّل كدوله فرعون و أتباعه الضالّين عن سبيل اللّه،و قوله اليوم توافقنا على سبيل الحقّ و الباطل الموافقه مفاعله من الطرفين و الخطاب لمقابليه فى القتال،و المراد أنّى واقف على سبيل الحقّ و أنتم واقفون على سبيل الباطل داعون إليه و هو تنفير لهم عمّا هم عليه إلى ما هو عليه .

كنايه قوله من وثق بماء لم يظمأ .مثل نبّه به على وجوب الثقه بما عنده أى إنّكم إن سكنتم إلى قولى و وثقتم به كنتم أقرب إلى اليقين و الهـدى و أبعـد عن الضـلال و الردى كمـا أنّ الواثـق بالمـاء فى أداوته آمن من العطش و خوف الهلاـك و بعيـد عنهما بخلاف من لم يثق بذلك و كنّى بالماء عمّا اشتمل عليه من العلم بكيفيّه الهدايه إلى اللّه فإنّه الماء الّذى لا ظمأ معه ،

ص:۲۷۵

۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و خاطبه العباس و أبو سفيان ابن حرب فى أن يبايعا له بالخلافه أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاهِ- وَ عَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَهِ- وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَهِ- أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ- هَذَا مَاءٌ آجِنٌ وَ لُقْمَهٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا- وَ مُجْتَنِي الثَّمَرَهِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا- كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ- وَ إِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ- هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَ الَّتِي- وَ اللَّهِ؟لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ آنَسُ بِالْمَوْتِ- مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ- بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ- اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَهِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَهِ أقول:سبب هذا الكلام ما روى أنّه لمّا تمّ فى سقيفه بنى ساعده لأبى بكر أمر البيعه أراد أبو سفيان بن حرب أن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون ذلك دمارا للدين فمضى إلى العبّاس،فقال له:يا أبا الفضل إنّ هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الأمر من بنى هاشم و جعلوه فى بنى تيم و أنّه ليحكم فيناغدا هذا الفظّ الغليظ من بنى عدى فقم بنا حتّى ندخل على علىّ و نبايعه بالخلافه و أنت عمّ رسول اللّه و أنا رجل مقبول القول فى قريش فإن دافعونا عن ذلك قاتلناهم و قتلناهم فأتيا أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له أبو سفيان:يا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر متى كنّا تبعا لتيم الأرذال،و كان عليه السّلام يعلم من حاله أنه لا يقول ذلك غضبا للدين بل للفساد الّذى رآه فى نفسه فأجابه عليه السّلام بهذا

ص:۲۷۶

الكلام

اللغه

عرّجوا أی میلوا و انحرفوا ،و الفلاح الفوز و النجاه ،و الأجون تغیّر الماء و فساده ، و غصّ باللقمه یغصّ بفتح الغین إذا وقفت فی حلقه فلم یسغها ،و إیناع الثمره إدراکها ، و اندمجت علی کذا انطویت علیه و سترته فی باطنی ،و باح بالشیء أظهره ،و الطویّ البرء ،و الرشا حبلها .

المعنی

استعاره بالکنایه قوله شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاه .

شبّه علیه السّلام الفتنه بالبحر المتلاطم فلذلک استعار له لفظ الأمواج و کنّی بها عن حرکه الفتنه و قیامها،و وجه المشابهه ظاهر لاشتراک البحر و الفتنه عندهیا جهما فی کونهما سببا لهلاک الخائضین فیهما،و استعار بسفن النجاه لکلّ ما یکون وسیله إلی الخلاص من الفتنه من مهادنه أو حیله مخلّصه أو صبر،و وجه المشابهه کون کلّ منهما وسیله إلی السلامه إذ آحاد الطرق المذکوره طرق إلی السلامه من ثوران الفتنه و الهلاک فیها کما أنّ السفینه سبب للخلاص من أمواج البحر ،قوله و عرّجوا عن طریق المنافره أمر لهم بالعدول عن طریق المنافره إلی السکون و السلامه و ما یوجب سکون الفتنه ،و کذلک استعاره قوله وضعوا تیجان المفاخره أمر بطریق آخر من طرق النجاه و هی ترک المفاخره،فإنّ المفاخره ممّا یهیّج الأضغان و تثیر الأحقاد و توجب قیام الفتنه،و لمّا کان أکبر ما ینتهی إلیه أرباب الدنیا من المفاخره هو لبس التیجان و کانت الاصول الشریفه و الأبوات الکریمه و القنیات السنه هی أسباب الافتخار الدنیویّ و منشاءه کانت المشابهه بینها و بین التیجان حاصله فاستعار علیه السّلام لفظها لها و أمرهم بوضعها .

استعاره قوله أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح .لمّا نهی علیه السّلام عن الفتنه و بیّن أنّ المفاخره و المنافره لیسا طریقین محمودین أردف ذلک بالإشاره إلی أنّه کیف ینبغی أن یکون حال المتصدّی لهذا الأمر،و کیف یکون طریق فوزه بمقاصده أو النجاه له،فحکم بالفوز لمن نهض بجناح،و استعار لفظ الجناح للأعوان و الأنصار،و وجه المشابهه ظاهر فإنّ الجناح لمّا کان محلّ القدره علی الطیران و التصرّف و کانت الأعوان و الأنصار بهم القوه علی النهوض إلی الحرب و الطیران فی میدانها لا جرم حصلت المشابهه فاستعیر لهم لفظ الجناح،و حکم بالنجاه للمستسلم عند عدم الجناح و کلاهما یشملهما اسم الفلاح،و فی هذا الکلام تنبیه علی قلّه ناصره فی هذا الأمر .تقدیر الکلام أنّه لیس الطریق ما ذکرتم بل الصواب فیما

يفعل ذو الرأى فى هذا الأمر أنّه إمّا أن يكون ذا جناح فينهض به فيفوز بمطلوبه أو لا يكون فيستسلم و ينقاد فينجو و يريح نفسه من تعب الطالب.

استعاره بالكنايه قوله ماء آجن و لقمه يغصّ بها آكلها .تنبيه إلى أنّ المطالب الدنيويّه و إن عظمت فهى مشوبه بالكدر و التغيّر و النقص،و أشار إلى أمر الخلافه فى ذلك الوقت،و تشبّهها بالماء و اللقمه ظاهر إذ عليهما مدار الحياه الدنيا،و أمر الخلافه أعظم أسباب الدنيا فتشابها فاستعار لفظهما لما يطلب منها و كنّى بهما عنه،و لمّا كان أجون الماء و الغصص باللقمه ينقضهما و يوجب نفار النفس عن قبولهما،و كانت المنافسه فى أمر الخلافه و التجاذب و المنافره بين المسلمين فيها و كونها فى معرض الزوال ممّا يوجب التنفير عنها و تنقيصها و عدم الالتذاذ بها نبّه عليه السّلام بالأجون و الغصص باللقمه على تلك الامور،و كنّى بهما عنها ليسكن بذلك فوره من استنهضه فى هذا الأمر من بنى هاشم فكأنّه قال إنّها لقمه منغصّه و جرعه لا يسيغها شاربها.

استعاره بالكنايه قوله و مجتنى الثمره لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه .تنبيه على أنّ ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا الأمر إما لعدم الناصر أو لغير ذلك،و كنّى لمجتنى الثمره عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمره أيضا لاشتراكهما فى كونهما محلّا للالتذاذ أو نحوه،ثمّ شبّه مجتنى الثمره لغير وقتها بالزارع بغير أرضه و وجه الشبه عدم الانتفاع فى الموضعين إذ كان الزارع بغير أرضه فى محلّ أن يمنع من ذلك التصرّف فيبطل سعيه و لا ينتفع بزرعه فكذلك مجتنى الثمره لغير وقتها لا ينتفع بها فكذلك طلبه للخلافه فى ذلك الوقت.

قوله فإن أقل يقولوا:حرص على الملك و إن أسكت يقولوا:جزع من الموت .شكايه من الألسنه و الأوهام الفاسده فى حقّه وردت فى معرض الكلام،و إشاره إلى أنّه سواء طلب الأمر و سكت عنه فلا بدّ من أن يقال فى حقّه و ينسب إلى أمر،ففى القيام و الطلب ينسب إلى الحرص و الاهتمام بأمر الدنيا،و فى السكوت ينسب إلى الذلّه و العجز و خوف الموت.

و أوهام الخلق و ألسنتهم لا تزال مولعه بأمثال ذلك بعضهم فى حقّ بعض فى المنافسات.

قوله هيهات بعد اللتيا و الّتى و اللّه لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمّه .ورد مورد التكذيب للأوهام الحاكمه فى سكوته بجزعه أى بعد ما يقولون، كنايه و اللتيا

و الّتی کنایتان عن الشدائد و المصائب العظیمه و الحقیره،و أصل المثل أنّ رجلا تزوّج امرأه قصیره صغیره سیّئه الخلق فقاسی منها شدائد فطلّقها و تزوّج طویله فقاسی منها أضعاف ما قاسی من الصغیره فطلّقها و قال بعد اللتیا و الّتی لا أتزوّج أبدا،فصار ذلک مثلا للداهیه الکبیره و الصغیره، و تقدیر مراده بعد ملاقاه کبار الشدائد و صغارها انسب إلی الجزع من الموت .بعد ما یقولون ثمّ أکّد تکذیبهم فی دعوی جزعه من الموت بالقسم البارّ أنّه آنس بالموت من الطفل بثدی امّه و ذلک أمر بیّن من حاله علیه السّلام إذ کان سیّد العارفین بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و رئیس الأولیّاء،و قد عرفت أنّ محبّه الموت و الإنس به متمکّن من نفوس أولیاء اللّه لکونه وسیله لهم إلی لقاء أعظم محبوب و الوصول إلی أکمل مطلوب،و إنّما کان آنس به من الطفل بثدی امّه لأنّ محبّه الطفل للثدی و انسه به و میله إلیه طبیعیّ حیوانیّ فی معرض الزوال، و میله إلی لقاء ربّه و الوسیله إلیه میل عقلیّ باق فأین أحدهما من الآخر .قوله بل اندمجت علی مکنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشیه فی الطویّ البعیده .إشاره إلی سبب جملیّ لتوقفه عن الطلب و القیام غیر ما نسبوه إلیه من الجزع و الخوف من الموت و هو العلم الّذی انطوی علیه فإنّ علمه بعواقب الامور و أدبارها و تطلّعه إلی نتائج الحرکات بعین بصیرته الّتی هی کمرآه صافیه حوذی بها صور الأشیاء فی المرآه العالیه فارتسمت فیها کما هی.ممّا یوجب توقّفه عمّا یعلم أنّ فیه فسادا،و تسرّعه إلی ما یعلم فیه مصلحه بخلاف الجاهل الّذی یقدم علی عظائم الامور بقصر الرأی لا عن بصیره قادته إلی ذلک ثمّ نبّه علی عظیم قدر العلم الّذی اندمج علیه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشیه فی الطویّ البعیده ، و الجمله الشرطیّه فی موضع الجرّ صفه لعلم،و أشار باضطرابهم علی ذلک التقدیر إلی تشتّت آرائهم عند أن یکشف لهم ما یکون من أمر الخلافه و إلی من ینتهی و إلی ما یؤول إلیه حال الناس إذ کان ذلک ممّا وقّفه علیه الرسول صلی اللّه علیه و آله و أعدّه لفهمه فإنّ کثیرا منهم فی ذلک الوقت کان نافرا عن عمر و آخرون عن عثمان فضلا عن معاویه،و منهم من کان یؤهّل نفسه للخلافه فی ذلک الوقت و یطلبها لنفسه و بعد عقدها لأبی بکر کان یرجوا أن یؤول إلیه بعده،و إذا کان الأمر کذلک فظاهر أنّه علیه السّلام لو باح لهم بما علمه من عاقبه هذا الأمر لم یکن لهم ذلک النظام الحاصل فی ذلک الوقت لیأس بعضهم من وصول هذا الأمر إلیه و

خوف بعضهم من غلظه عمر و نفرتهم منه و نفار آخرين من بنى اميّه و ما يكون منهم، تشبيه المعقول بالمحسوس و شبّه اضطراب آرائهم على ذلك التقدير باضطراب الأرشيه فى الطوىّ البعيده مبالغه،و هو تشبيه للمعقول بالمحسوس،و ذلك أنّ الطوىّ كلّما كانت أعمق كان اضطراب الحبل فيها أشدّ لطوله فكذلك حالهم حينئذ أى يكون لكم اضطراب قوىّ و اختلاف شديد ،و قيل:

أراد أنّ الّذى يمنعنى من المنافسه فى هذا الأمر و القتال عليه شغلى بما انطويت عليه من العلم بأحوال الآخره و ما شاهدته من نعيمها و بؤسها ممّا لو كشفته لاضطربتم اضطراب الأرشيه فى الطوىّ البعيده خوفا من اللّه و وجلا من عتابه و شوقا إلى ثوابه و لذهلتم عمّا أنتم فيه من المنافسه فى أمر الدنيا،و هذا الوجه محتمل الإراده من هذا الكلام،و لعلّ فى تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه و لم أقف عليه.

۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحه و الزبير و لا يرصد لهما القتال وَ اللَّهِ لاَ أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ- حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَ يَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا- وَ لَكِنِّى أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ- وَ بِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِىَ الْمُرِيبَ أَبَداً- حَتَّى يَأْتِىَ عَلَىَّ يَوْمِى- فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّى- مُسْتَأْثَراً عَلَىَّ مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ- حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ ب ئ هَذَا أقول:روى أبو عبيد قال:أقبل أمير المؤمنين عليه السّلام الطواف و قد عزم على اتّباع طلحه و الزبير و قتالهما فأشار إليه ابنه الحسن عليه السّلام أن لا يتبعهما و لا يرصد لهما القتال فقال فى جوابه هذا الكلام،و روى فى سبب نقضهما لبيعته أنّهما دخلا عليه بعد أن بايعاه بأيّام و قالا:

قد علمت جفوه عثمان لنا و ميله إلى بنى اميّه مدّه خلافته،و طلبا منه أن يولّيهما المصرين،الكوفه و البصره،فقال لهما حتّى أنظر ثمّ استشار عبد اللّه بن عبّاس فمنعه من ذلك فعاوداه فمنعهما

فسخطا و فعلا ما فعلا،

اللغه

قال الأصمعی: اللدم بسکون الدال ضرب الحجر أو غیره علی الأرض .

و لیس بالقویّ،و یحکی أنّ الضبع تستغفل فی حجرها بمثل ذلک فتسکن حتّی تصاد،و یحکی فی کیفیّه صیدها أنّهم یصنعون فی حجرها حجرا و یضربون بأیدیهم بابه فتحسب الحجر شیئا تصیده فتخرج فتصاد،و یقال إنّها من أحمق الحیوان و یبلغ من حمقها أن یدخل علیها فیقال هذه لیست امّ عامر أو یقال خامر امّ عامر فتسکن حتّی توثق رجلها بحبل معد لصیدها،و الختل الخدیعه ،و استأثرت بالشیء انفردت به ،

المعنی

و أشار أوّلا إلی ردّما اشیر علیه به من تأخّر القتال،و مفهوم التشبیه أنّه لو تأخّر لکان ذلک سببا لتمکّن الخصم ممّا قصده فیکون هو فی ذلک شبیها بالضبع الّتی تنام و تسکن علی طول حیله راصدها فأقسم علیه السّلام أنّه لا یکون کذلک أی لا یسکن علی کثره الظلم و البغی و طول دفاعه عن حقّه ثمّ أردف ذلک بما هو الصواب عنده و هو المقاومه و القتال بمن أطاعه لمن عصاه فقال لکنّی أضرب بالمقبل إلی الحقّ وجه المدبر عنه و بالسامع المطیع وجه العاصی المریب أبدا ،و راعی المقابله هاهنا فالعاصی فی مقابله المطیع و المریب فی مقابله السامع لأنّ المرتاب فی الحقّ مقابل للقابل له ثمّ فسّر الأبد بغایه عمره لأنّه الأبد الممکن له،و ذلک قوله حتّی یأتی علیّ یومی ،و أشار بیومه إلی وقت ضروره الموت کنایه،ثمّ أردف ذلک بالتظلّم و الشکایه فی دفاعه عن هذا الأمر و الاستیثار علیه المحوج له إلی هذه المقاومات و الشکایات و أشار إلی مبدء ذلک الدفاع و منتهاه و أکّد ذلک بالقسم البارّ و الإشاره بالحقّ المدفوع عنه إلی أمر الخلافه و هی شکایه مؤکّده للشکایات السابقه،و باللّه التوفیق.

۷-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

اِتَّخَذُوا الشَّیْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلاَکاً- وَ اتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاکاً- فَبَاضَ وَ فَرَّخَ فِی صُدُورِهِمْ- وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِی حُجُورِهِمْ- فَنَظَرَ بِأَعْیُنِهِمْ وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ-

ص:۲۸۱

فَرَکِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَ زَیَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ- فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِکَهُ الشَّیْطَانُ فِی سُلْطَانِهِ- ب ئ وَ نَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَی لِسَانِهِ

اللغه

أقول: ملاک الأمر ما یقوم به و منه القلب ملاک الجسد ،و الأشراک یجوز أن یکون جمع شریک کشریف و أشراف،و یجوز أن یکون جمع شرک و هو حبائل الصید کحبل و أحبال ،و الدبیب المشی الضعیف و المدرج أقوی منه ،و الخطل من الفاسد من القول ،و شرکه بفتح الشین و کسر الراء شارکه ،

المعنی

و هذا الفصل من باب المنافره و هو ذمّ للمنابذین له و المخالفین له و المخالفین علیه فأشار أوّلا إلی انقیاد نفوسهم لشیاطینهم إلی حدّ جعلوها مدبّره لامور فیها قوام أحوالهم و عزلوا عقولهم عن تلک المرتبه فهم أولیاؤهم کما قال تعالی «إِنّا جَعَلْنَا الشَّیاطِینَ أَوْلِیاءَ لِلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ» ۱ثمّ أردف ذلک بالإشاره إلی بعض لوازم تملیک الشیطان لأمورهم بقوله استعاره و اتّخذهم له أشراکا ،و ذلک أنّه إذا ملک امورهم و کان قیامه بتدبیرها صرفهم کیف شاء،و استعمال الأشراک هاهنا علی تقدیر کونها جمع شرک استعاره حسنه،فإنّه لمّا کانت فائده الشرک اصطیاد ما یراد صیده و کان هؤلاء القوم بحسب ملک الشیطان لآرائهم و تصرّف فیهم علی حسب حکمه أسبابا لدعوه الخلق إلی مخالفه الحقّ و منابذه إمام الوقت و خلیفه اللّه فی أرضه أشبهوا الأشراک لاصطیادهم الخلق بألسنتهم و أموالهم و جذبهم إلی الباطل بالأسباب الباطله الّتی ألقاها إلیهم الشیطان و نطق بها علی ألسنتهم فاستعار لهم لفظ الأشراک و أمّا علی التقدیر الثانی فظاهر،ثمّ أردف ذلک ببیان ملازمته لهم فشبّهه بالطائر الّذی بنی عشّه فی قلوبهم و صدورهم،و استعار لفظ البیض و الأفراخ ،و وجه المشابهه أنّ الطائر لمّا کان یلازم عشّه فیبیض و یفرخ فیه أشبهه الشیطان فی إقامته فی صدورهم و ملازمته لهم ، کذلک استعاره بالکنایه قوله و دبّ و درج فی حجورهم استعاره کنّی بها أیضا عن تربیتهم للباطل و ملازما إبلیس و عدم مفارقته لهم و نشوه معهم کما یتربّی الولد فی حجر والدیه ، السجع المطرّف-السجع المتوازی و راعی فی هذا القرائن الأربع السجع ففی الاولیین السجع المسمّی مطرّفا و فی الأخیرین المسمّی

متوازیا ،قوله فنظر بأعینهم و نطق بألسنتهم إشاره إلی وجود تصرّفه فی أجزاء أبدانهم بعد إلقائهم مقالید امورهم إلیه و عزل عقولهم عن التصرّف فیها بدون مشارکته و متابعته.قوله فرکب بهم الزلل و زیّن لهم الخطل .إشاره إلی ثمره متابعته و هی إصابه مقاصده منهم من الخروج عن أوامر اللّه فی الأفعال و هو المراد بارتکابه بهم الزلل،و فی الأقوال و هو المشار إلیه بتزیینه لهم الخطل.قوله فعل من قد شرکه الشیطان فی سلطانه و نطق بالباطل علی لسانه .إشاره إلی أنّ الأفعال و الأقوال الصادره عنهم علی خلاف أو امر اللّه إنّما تصدر عن مشارکه الشیطان و متابعته،و الضمیر فی سلطانه یعود إلی من قد شارکه الشیطان فی سلطانه الّذی جعله اللّه له علی الأعمال و الأقوال،و انتصاب فعل علی المصدر إمّا عن فعل محذوف تقدیره فعلوا ذلک فعل،أو عن قوله اتّخذوا لأنّه فی معنی فعلوا فهو مصدر له من غیر لفظه، السجع المطرّف و راعی فی هاتین القرینتین أیضا السجع المطرّ ،و اللّه أعلم بالصواب،

۸-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

یعنی به الزبیر فی حال اقتضت ذلک

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ- فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَهِ وَ ادَّعَی الْوَلِيجَهَ- فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ- وَ إِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ

اللغه

أقول: الولیجه الدخیله فی الأمر ،

المعنی

و هذا الفصل صوره مناظره له مع الزبیر و هو مشتمل علی تقریر حجّه سابقه له علیه،و صوره نقض لتلک الحجّه من الزبیر،و صوره جواب له علیه السّلام عن ذلک،أمّا الحجّه فکأنّه علیه السّلام لمّا نکث الزبیر بیعته و خرج لقتاله احتجّ علیه بلزوم البیعه له أوّلا فکان جواب الزبیر ما حکاه عنه بقوله إنّه بایع بقلبه إشاره إلی

التوريه و التعريض فى العهود و الأيمان و نحوهما و هما من الزبير أنّ ذلک أمر يقبله الشريعه فأجابه عليه السّلام بقياس حذف كبراه كما علمت من قياس الضمير،و هو ما أشار إليه بقوله فقد أقرّ بالبيعه و ادّعى الوليجه أى أقرّ بما هو مقبول و محكوم بلزومه له شرعا و ادّعى أنّه ادّخر فى باطنه ما يفسده من الوليجه فهذه صغرى القياس،و تقدير الكبرى و كلّ من فعل ذلک احتاج فى بيان دعواه إلى بيّنه تعرف صحّتها فينتج أنّه محتاج إلى بيّنه كذلک،و أشار إلى هذه النتيجه بقوله فليأت عليها بأمر يعرف أى على دعواه الوليجه،و هيهات له ذلک إذ التوريه أمر باطن لا يمكن الاحتجاج و لا إقامه البرهان عليه،ثمّ أشار بقوله و إلّا فليدخل فيما خرج منه أمر بالدخول فى طاعته و حكم بيعته الّتى خرج منها على تقدير عدم قدرته على برهان دعواه.و باللّه التوفيق.

۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وَ قَدْ أَرْعَدُوا وَ أَبْرَقُوا- وَ مَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ- وَ لَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى ب ئ نُوقِعَ وَ لاَ نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ

اللغه

الفشل الجبن و الضعف ،

المعنى

و الإشاره إلى طلحه و الزبير و أتباعهما،و الكلام فى معرض الذّم، استعاره و استعار لفظ الإرعاد و الإبراق لوعيدهم و تهديدهم له بالحرب.يقال أرعد الرجل و أبرق إذا تهدّد و توعّد .قال الكميت:أرعد و أبرق يا يزيد فما و عيدک لى بضائر و وجه الاستعاره كون الوعيد من الامور المزعجه كما أنّ الرعد و البرق كذلک.

قوله و مع هذين الأمرين الفشل إشاره إلى وجه الرذيله و ذلک أنّ التهديد و التوعد قبل إيقاع الحرب و الضوضاء،و الجلبه أماره للجبن و العجز،و الصمت و السكون أماره الشجاعه كما أشار إليه عليه السّلام فى تعليم كيفيّه الحرب مخاطبا لأصحابه و أميتوا أصواتكم فإنّه أطرد للفشل،و روى أنّ أبا طاهر الجبائىّ سمع جلبه عسكر المقتدر و هو فى ألف و خمسمائه فارس و المقتدر فى عشرين ألفا فقال لبعض أصحابه ما هذا الرجل؟قال:فشل.قال أجل و كانت الغلبه له فاستدلّ عليه السّلام بتلک الأماره على الفشل.

استعاره قوله و لسنا نرعد حتّى نوقع و لا نسيل حتّى نمطر .إشاره إلى نفى تلک الرذيله عن

نفسه و أصحابه و إثبات الفضيله لهم،و كما أنّ فضيله السحاب أن يقترن وقوع المطر منه برعده و برقه و إسالته بإمطاره كذلك أقواله مقرونه بأفعاله لا خلف فيها و إساله عذابه مقرونه بإمطاره و مفهوم ذلك أنّ خصمه يهدّده بالحرب من غير قوّه نفس و لا إيقاع لها فأشبه ذلك الرعد من غير إيقاع للمطر،و السيل من غير مطر.فكأنّه قال:كما لا يجوز سيل بلا مطر فكذلك ما يوعّدونه و يهدّدون به من إيقاع الحرب بلا شجاعه و لا قوّه عليها،و فى ذلك شميمه التحدّى .

۱۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَلاَ-وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ- وَ اسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَ رَجِلَهُ- وَ إِنَّ مَعِی لَبَصِيرَتِی مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِی وَ لاَ لُبِّسَ عَلَيَّ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ- لاَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ وَ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ أقول:هذا الفصل ملتقط ملفّق من خطبه له عليه السّلام لمّا بلغه أنّ طلحه و الزبير خلعا بيعته و هو غير منتظم،و قد أورد السيّد منها فصلا آخر و سنذكرها بتمامها إذا انتهينا إليه إنشاء اللّه تعالى.

اللغه

الاستجلاب فى معنى الجمع ،و البصيره العقل ،و أفرطت الحوض افرطه بضم الهمزه ملأته و الماتح بالتاء المستقى،و ربّما يلتبس بالمائح و هو الّذى ينزل البئر فيملأ الدلو،و الفرق بينهما أنّ نقطتى الفوق للفوقانىّ ،و الصدور الرجوع عن الماء و غيره و يقابله الورود و هو العود إليه ،

المعنى

و مدار هذا الفصل على ثلاثه امور:أوّلها الذمّ لأصحاب الجمل و التنفير عنهم،و الثانى التنبيه على فضيله نفسه،و الثالث الوعيد لهم،و أشار إلى الأوّل بقوله الا و إنّ الشيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله و رجله و أراد أنّ الباعث لهم و الجامع على مخالفه الحقّ إنّما هو الشيطان بوسوسه لهم و تزيينه الباطل فى قلوبهم،و قد عرفت كيفيّه وسوسته و إضلاله فكلّ من خالف الحقّ و نابذه فهو من حزب الشيطان و جنده خيلا و رجلا،و أمّا الثانى فأشار أوّلا إلى كمال عقله و تمام استعداده لاستجلابه الحقّ و استيضاحه بقوله و إنّ معى لبصيرتى ثمّ أكّد ذلك بالإشاره إلى عدم انخداع نفسه القدسيّه للشيطان

فیما یلبس به من الحقّ من الشبه الباطله علی البصائر الضعیفه فیعمیها بذلک عن إدراکه و تمییزه من الباطل سواء کانت مخادعه الشیطان و تلبیسه بغیر واسطه،و هو المشار إلیه بقوله و ما لبّست علی نفسی أی لا یلتبس علی نفسی المطمئنّه ما یلقیه إلیها نفسی الأمّاره أو بواسطه و هو المشار إلیها بقوله و لا لبّس علیّ أی إنّ أحدا ممّن تبع إبلیس و تلقف عنه الشبه و صار فی قوّه أن یلبّس الحقّ صوره الباطل لا یمکنه أن یلبّس علیّ،و أمّا الثالث فأشار إلیه بقوله و أیم اللّه لا افرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه إلی آخره ،و استعار إفراط الحوض لجمعه الجند و تهیّئه أسباب الحرب، استعاره بالکنایه-استعاره مرشحه و کنّی بقوله أنا ماتحه أنّه هو المتولّی لذلک،و لمّا کانت الحرب قد یشبه بالبحر و بالماء الجمّ فیستعار لها أوصافه فیقال فلان خوّاص غمرات و فلان منغمس فی الحرب جاز أن یستعار هاهنا لفظ الحوض و ترشح تلک الاستعاره بالمتح و الفرط و الإصدار و الإیراد ،و فی تخصیص نفسه بالمتح تأکید تهدید لعلمهم بداسه(ببأسه خ م)و شجاعته و قد حذف المضاف إلیه ماتح فی الحقیقه،و تقدیره أنّه ماتح ماؤه إذ الحوض لا یوصف بالمتح ثمّ أردف ذلک بوصف استعداد لهم بالشدّه و الصعوبه علیهم کنایه فکنّی بقوله لا یصدرون عنه عن أنّ الوارد منهم إلیه لا ینجو منه فهو بمنزله من یغرق منه فلا یصدر عنه و یقول و لا یعودون إلیه أی إنّ من نجا منهم لا یطمع فی الحرب مرّه اخری فلا یردّون إلی ما أعدّ لهم مرّه ثانیه و أکّد ذلک الوعید بالقسم البارّ،و أصل أیم أیمن جمع یمین حذف النون تخفیفا کما حذفت فی لم یک،و قیل هو اسم برأسه وضع للقسم و تحقیقه فی مسائل النحو.

۱۱-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لابنه محمد بن الحنفیه لما أعطاه الرایه یوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لاَ تَزُلْ- عَضَّ عَلَى نَاجِذِکَ أَعِرِ اللَّهَ جُمْجُمَتَکَ- تِدْ فِی الْأَرْضِ قَدَمَکَ- ارْمِ بِبَصَرِکَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَ غُضَّ بَصَرَکَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ب ئ

ص:۲۸۶

اللغه

أقول: الناجذ السن بين الناب و الضرس،و قال الجوهرى:هو أقصى الأضراس،و قيل الأضراس كلّها نواجذ ،

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام أشار فى هذا الفصل إلى أنواع آداب الحرب و كيفيّه القتال،فنهاه أوّلا عن الزوال و أكّد عليه ذلك بقوله تزول الجبال و لا تزل ،و الكلام فى صوره شرطيّه متّصله محرّفه تقديرها لو زالت الجبال لا تزل و هو نهى عن الزوال مطلقا لأنّ النهى عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم للنهى عنه على تقدير آخر بطريق الأولى إذ القصد به المبالغه فى النهى،ثمّ أردف ذلك بخمسه أوامر:أحدها أن يعضّ على ناجذه و ذلك لاستلزامه أمرين:أحدهما ربط الجأش عن الفشل و الخوف،و الإنسان يشاهد ذلك فى حال البرد و الخوف الموجبين للرعده فإنّه إذ عضّ على أضراسه تسكن رعدته و يتمالك بدنه.

الثانى أنّ الضرب مع ذلك فى الرأس لا يؤثّر كثير ضرر كما قاله عليه السّلام فى مواضع اخر و عضوّ للنواجذ فإنّه أبنا للسيوف عن الهام ،و كان ذلك لما فيه من جمع القوّه و التصلّب.الثانى استعاره أن يعير اللّه جمجمته و هى استعاره لطيفه و تشبيه لجمجمته بالآله التى تستعار للانتفاع بها ثمّ تردّ،فانتفاع دين اللّه و حزبه بمحمّد-رضى اللّه عنه-على هذا الوجه يشبه للانتفاع بالعاريه .قال بعض الشارحين:و فى ذلك تنبيه لمحمّد-رضى اللّه عنه-على أنّه لا يقتل فى ذلك الحرب إذ ما اعير اللّه لابد من رده بكمال السلامه،و فيه تثبيت لجأشه و ربط لقلبه-الثالث أن يلزم قدمه الأرض.و يجعلها كالوتد و ذلك لاستلزام أمرين:أحدهما ربط الجأش و استصحاب العزم على القتال.الثانى أنّ ذلك مظنّه الشجاعه و الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدوّ و انقهاره.الرابع أن يرمى ببصره أقصى القوم و ذلك ليعلم على ما ذا يقدم و لينظر مخاتل المخاتل و مقاتل المقاتل.الخامس أن يغضّ بصره بعد مدّه و ذلك لكونه علامه السكينه و الثبات و عدم الطيش،و لأنّ مدّ النظر إلى بريق السيوف مظنّه الرهبه،و ربما خيف على البصر أيضا،و النظر المحمود فى الحرب أن يلحظ شزرا فعل الحنق المترصّد للفرصه كما قال عليه السّلام فى غير هذا الموضع و لاحظوا الشزر.ثمّ لمّا نبّه بهذه الأوامر الخمسه أمره أن يعلم أنّ النصر من عند اللّه كما قال «وَ مَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» ١ليتأكّد ثباته بثقته باللّه عنه ملاحظه قوله تعالى «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ»

«يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ» ١

١٢-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما أظفره اللّه بأصحاب الجمل،و قد قال له بعض أصحابه:وددت أن أخى فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك اللّه به على أعدائك فَقَالَ لَهُ ع أَ هَوَى أَخِيكَ مَعَنَا فَقَالَ نَعَمْ- قَالَ فَقَدْ شَهِدَنَا- وَ لَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ- وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ- سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ ب ئ

المعنى

ب ئ أقول : أ هوى أخيك معنا أى محبّته و ميله.

قوله فقد شهدنا .حكم بالحضور بالقوّه أو بحضور نفسه و همّته على تقدير محبّته للحضور و كم إنسان يحضر بحضور همّته و إن لم يحضر ببدنه كثير نفع إمّا باستجلاب الرجال أو بتأثير الهمّه فى تفريق أعداء اللّه كما تفعله همم أولياء اللّه بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من أبدان كثيره حاضره و إن قويت و عظمت.

قوله و لقد شهدنا فى عسكرنا هذا أقوام فى أصلاب الرجال و أرحام النساء. تأكيد لحضور أخ القائل بالإشاره إلى من سيوجد من أنصار الحقّ الذابّين عنه و عباد اللّه الصالحين الشاهدين معه عليه السّلام أيضا،و الشهاده شهاده بالقوّه أى أنّهم موجودون فى أكمام الموادّ بالقوّه، و من كان فى قوّه أن يحضر من أنصار اللّه فهو بمنزله الحاضر الموجود بالفعل فى نصرته إذا وجد.

استعاره قوله سيرعف بهم الزمان .استعار لفظ الرعاف و هو الدم الخارج من أنف الإنسان لوجودهم و فيه تشبيه للزمان بالإنسان و إنّما نسب وجودهم إلى الزمان لأنّه من الأسباب المعدّه لقوابل وجودهم ،و نحوه قول الشاعر:

و ما رعف الزمان بمثل عمرو و لا تلد النساء له ضريبا

قوله و يقوى بهم الإيمان ظاهر.و باللّه التوفيق.

ص:٢٨٨

أقول:هذا الفصل مع فصول بعده من خطبه خطبها عليه السّلام بالبصره بعد ما فتحها روى أنّه لمّا فرغ من حرب أهل الجمل أمر مناديا ينادى فى أهل البصره أنّ الصلاه الجامعه لثلاثه أيّام من غد إنشاء اللّه و لا عذر لمن تخلّف إلاّ من حجّه أو علّه فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فلمّا كان فى اليوم الّذى اجتمعوا فيه خرج فصلّى فى الناس الغداه فى المسجد الجامع فلمّا قضى صلوته قام فأسند ظهره إلى حائط القبله عن يمين المصلّى فخطب الناس فحمد اللّه و أثنى عليه بما هو أهله و صلّى على النبىّ صلى اللّه عليه و آله و استغفر للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات ثمّ قال يا أهل المؤتفكه ائتكفت بأهلها ثلاثا و على اللّه تمام الرابعه يا جند المرأه و أعوان البهيمه رغا فأجبتم و عقر فانهزمتم أخلاقكم دقاق و ماؤكم زعاق بلادكم أنتن بلاد اللّه تربه و أبعد من السماء،بها تسعه أعشار الشرّ،المحتبس فيها بذنبه،و الخارج منها بعفو اللّه

۱۳-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذم أهل البصره

القسم الأول

اشاره

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَهِ وَ أَتْبَاعَ الْبَهِيمَهِ- رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَ عُقِرَ فَهَرَبْتُمْ- أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ وَ عَهْدُكُمْ شِقَاقٌ- وَ دِينُكُمْ نِفَاقٌ وَ مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ- وَ الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ- وَ الشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَهٍ مِنْ رَبِّهِ- كَأَنِّى بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَهٍ- قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَ مِنْ تَحْتِهَا- وَ غَرِقَ مَنْ فِى ضِمْنِهَا وَ فِى رِوَايَهٍ وَ ايْمُ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ- حَتَّى كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَهٍ- أَوْ نَعَامَهٍ جَاثِمَهٍ وَ فِى رِوَايَهٍ كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِى لُجَّهِ بَحْرٍ-

كأنّى أنظر إلى قريتكم هذه و قد طبّقها الماء حتّى ما يرى منها إلاّ شرف المسجد كأنّه جؤجؤ طير فى لجّه بحر فقام إليه الأحنف بن قيس فقال:يا أمير المؤمنين متى ذاك؟فقال إذا صارت أجمتكم قصورا، و اعلم أنّ بعد هذا الفصل من الخطبه فصول لا تعلّق لها بهذا الموضع و ربّما تعلّقت بفصول أوردها السيّد بعد هذا الفصل و سنذكرها معها «إِنْ شاءَ اللّٰهُ» .

اللغه

أصل البصره الحجاره البيض الرخوه،و صارت علما للبلده لوجدان تلك الحجاره بها.قيل إنّها بالمربد كثيره ،و ائتفكت البلده بأهلها انقلبت بهم،و المؤتفكه من الأسماء القديمه للبصره كما سنذكره فى تمام هذه الخطبه ،و الرغا صوت الإبل خاصّه ،و العقر الجرح ،و الدّق من كلّ شىء حقيره و صغيره ،و الشقاق الخلاف و الافتراق ،و النفاق الخروج من الإيمان بالقلب و أصله أنّ اليربوع يرقق موضعا من الأرض من داخل جحره فإذا اوتى من قبل بابه و هو القاصعاء ضرب ذلك الموضع برأسه فاتفق أى خرج،و يسمّى ذلك النافقاء فاشتقّ لفظ النفاق منه و الرغاق المالح ،و طبّقها الماء أى عمّا و أتى على جميعها و جؤجؤ السفينه صدرها و كذلك الطائر ،

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام ذكر فى معرض ذمّهم امورا نبّه فيها على وجوه ارتكابهم الزلل، أوّلها كونهم أهل المؤتفكه ائتفكت أهلها ثلاثا و معلوم أنّه ائتفاك البلد بأهلها و خسفها بهم إنّما يكون لفسادهم و استحقاقهم بذلك عذاب اللّه،و قوله و على اللّه تمام الرابعه دعاء عليهم بايقاع الخسف بهم .الثانى كونهم جند المرأه و أراد عايشه فإنّهم جعلوها عقد نظامهم، و لمّا كانت قول النساء و آراؤهنّ امورا مذمومه بين العرب و سائر العقلاء لضعف آرائهنّ و نقصان عقولهنّ كما قال الرسول صلى اللّه عليه و آله:إنّهنّ ناقصات العقول ناقصات الدين ناقصات الحظّ أمّا نقصان عقولهنّ فلأنّ شهاده ثنتين منهنّ بشهاده رجل واحد لتذكّر إحداهما الاخرى، و أمّا نقصان دينهنّ فلأنّ إحديهنّ تقعد فى بيتها شطرد هرها أى فى أيّام حيضها لا تصوم و لا تصلّى،و أمّا نقصان حظّهنّ فلأنّ ميراثهنّ على النصف من ميراث الرجال،و كان مع ذلك مستشيرهنّ و بايعهنّ أضعف رأيا منهنّ كما هو شأن التابع بالنسبه إلى متبوعه لا جرم حسن توبيخه لهم بكونهم جندا و أعوانا .الثالث كونهم اتباع البهيمه و أراد بالبهيمه الجمل الّذى كان تحت عايشه فإنّ حالهم شاهده باتّباعه مجيبين لرغائه و هاربين لعقره،و هو أشنع من الأوّل و أدخل فى الذمّ،و كنّى برغائه عن دعوتها لهم إلى القتال إذ قدمت

عليهم راكبه له.الرابع دقّه أخلاقهم و أشار بها إلى كونهم على رذائل الأخلاق دون حاقّ الوسط،و لمّا كانت اصول الفضائل الخلقيّه كما علمت ثلاثه:الحكمه و العفّه و الشجاعه و كانوا على طرف الجهل بوجوه الأراء المصلحيّه و هو طرف التفريط من الحكمه العمليّه و على طرف الجبن و هو طرف التفريط من الشجاعه،و على طرف الفجور و هو طرف الإفراط من ملكه العفّه و العداله لا جرم صدق أنّهم على رذائل الأخلاق و دقاقها.الخامس الشقاق فى العهود و النكث لها و مصداق ذلك نكثهم لعهده و خلافهم لبيعته و ذلك من الغدر الّذى هو رذيله بإزاء ملكه الوفاء.السادس النفاق فى الدين،و لمّا كانوا خارجين على الإمام العادل محاربين له لا جرم كانوا خارجين عن الدين،و ربّما كان ذلك خطابا خاصّا لبعضهم إذا المنافق العرفى هو الخارج من الإسلام بقلبه المظهر له بلسانه فيكون ذلك خطابا لمن كان منهم بهذه الصفه.السابع ما يتعلّق بذمّ بلدهم و هو كون مائهم مالحا و سبب ملوحته قربه من البحر و امتزاجه به،و دخول ذلك فى معرض ذمّهم ربّما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان و الإقامه به مع كون مائهم بهذه الحال المستلزمه لأمراض كثيره فى استعماله كسوء المزاج و البلاده و فساد الطحال و الحكّه و غير ذلك ممّا يذكره الأطبّاء، و لأنّ ذلك من أسباب التنفير عن المقام معهم و تكثير سوادهم.الثامن كونها أنتن البلاد تربه و ذلك لكثره ركوب الماء لها و تعفّنها به.التاسع كونها أبعد البلاد عن السماء و سيجىء بيانه.العاشر كنايه كونها بها تسعه أعشار الشرّ و يحتمل أن يريد به المبالغه فى ذمّها دون الحصر و ذلك أنّه لمّا عدّد بها شرورا لا يكاد تجتمع فى غيرها حكم بأنّ فيها تسعه أعشار الشرّ مبالغه كنّى به عن معظم الشرّ ،و يحتمل أن يريد بالشرّ مجموع الرذائل الخلقيّه المقابله لاصول الفضائل النفسانيّه الّتى هى العلم و الشجاعه و العفّه و السخاء و العدل و كلّ منها مقابل برذيلتين كما علمت فتلك عشر رذائل،و أشبه ما يخرج عنهم ما لا يناسب غرضه هاهنا ذمّهم به كالتبذير أو نحوه و هذا الاحتمال و إن كان لطيفا إلاّ أنّ فيه بعدا.

الحادى عشر كون المقيم بين أظهرهم مرتهنا بذنبه و ذلك أنّ المقيم بينهم لا بدّ و أن ينخرط فى سلكهم و يستعدّ لقبول مثل طباعهم و ينفعل عن رذائل أخلافهم و حينئذ يكون موثوقا بذنوبه.الثانى عشر كون الشاخص عنهم متداركا برحمه من ربّه و ذلك لإعانه اللّه له

بالخروج ليسلم من الذنوب الّتى يكتسبها المقيم بينهم و تلك رحمه من اللّه و أيّه رحمه، و كلّ ذلك فى معرض التنفير عنهم،و المفهوم من الروايه الثانيه و هى قوله المحتبس فيها بذنبه و الخارج منها بعفو اللّه غير ما ذكرناه إذ يفهم من قوله المحتبس فيها بذنبه أنّ احتباسه بينهم يجرى مجرى العقوبه له بذنب سبق،منه و الخارج منها قد عفا اللّه عنه بخروجه،و قد السجع المتوازى راعى فى هاتين القرينتين السجع المتوازى و كذلك فى القرائن الأربع قبلهما . تشبيه ثمّ أشار بعد ذلك إلى أنّ بلدتهم سيخربها الماء ،و شبّه يقينه بذلك مشاهدته بنور بصيرته القدسيّه لمسجدهم مغمورا بالماء و قد طبّق أرضهم بمشاهدته الحسيّه فى الجلاء و الظهور .و قد حكى توقيف الرسول صلى اللّه عليه و آله على أحوالهم فى فصل آخر من هذه الخطبه و ذلك أنّه عقيب ذمّه لأهل البصره و جوابه للأحنف فى الفصل الّذى ذكرناه قال مادحا لهم يا أهل البصره إنّ اللّه لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطّه شرف و لا كرم إلاّ و قد جعل فيكم أفضل ذلك و زادكم من فضله بمنّه ما ليس لهم أنتم أقوم الناس قبله قبلتكم عن المقام حيث يقوم الإمام بمكّه، و قاريكم أقرء الناس،و زاهدكم أزهد الناس،و عابدكم أعبد الناس،و تاجركم أتجر الناس و أصدقهم فى تجارته،و مصدّقكم أكرم الناس صدقه،و غنيّكم أشدّ الناس بدلا و تواضعا، و شريفكم أحسن الناس خلقا،و أنتم أكرم الناس جوارا و أقلّهم تكلّفا لما لا يعنيه و أحرصهم على الصلاه فى جماعه،ثمرتكم أكثر الثمار و أموالكم أكثر الأموال و صغاركم أكيس الأولاد و نساؤكم أقنع النساء و أحسنهنّ تبعّلا،سخّر لكم الماء يغدو عليكم و يروح صلاحا لمعاشكم و البحر سببا لكثره أموالكم فلو صبرتم و استقمتم لكانت شجره طوبى لكم مقيلا و ظلاّ ظليلا غير أنّ حكم اللّه فيكم ماض و قضائه نافذ لا معقّب لحكمه و هو سريع الحساب يقول اللّه «وَ إِنْ مِنْ قَرْيَهٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَهِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً» ۱و اقسم لكم يا أهل البصره ما الّذى ابتدأتكم به من التوبيخ إلاّ تذكيرا و موعظه لما بعد لكيلا تسرعوا إلى الوثوب فى مثل الّذى و ثبتم و قد قال اللّه تعالى لنبيّه صلى اللّه عليه و آله «وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» ۲و لا الّذى ذكرت فيكم من المدح و النظريه بعد التذكير و

الموعظه رهبه منّى لكم و لا رغبه فى شىء ممّا قبلكم فإنّى لا اريد المقام بين أظهركم «إِنْ شاءَ اللّهُ» لامور تحضرنى قد يلزمنى القيام بها فيما بينى و بين اللّه لا عذر لى فى تركها و لا علم لكم بشىء منها حتّى بقع ممّا اريد أن أخوضها مقبلا و مدبرا فمن أراد أن يأخذ بنصيبه منها فليفعل فلعمرى إنّه للجهاد الصافى صفّاه لنا كتاب اللّه،و لا الّذى أردت به من ذكر بلادكم موجده منّى عليكم لما شافهتمونى غير أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال لى يوما و ليس معه غيرى:يا علىّ إنّ جبرئيل الروح الأمين حملنى على منكبه الأيمن حتّى أرانى الأرض و من عليها و أعطانى أقاليدها و علّمنى ما فيها و ما قد كان على ظهيرها و ما يكون إلى يوم القيامه و لم يكبر ذلك علىّ كما لم يكبر يعلّمه الملائكه المقرّبون و إنّى رأيت بقعه على شاطىء البحر تسمّى البصره فإذن هى أبعد الأرض من السماء و أقربها من الماء و أنّها لأسرع الأرض خرابا و أخبثها ترابا و أشدّها عذابا،و لقد خسف بها فى القرون الخاليه مرارا و ليأتين عليها زمان،و إنّ لكم يا أهل البصره و ما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه،و إنّى لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ثمّ امور قبل ذلك تدهمكم عظيمه أخفيت عنكم و علمناها فمن خرج عنها عند دنوّ غرقها فبرحمه من اللّه سبقت له و من بقى فيها غير مرابط بها فبذنبه«و ما اللّه بظلاّم للعبيد»، و أمّا تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر السفينه و فى الروايه الاخرى بالنعامه الجاثمه و فى الروايه الثالثه بالطائر فى لجّه البحر فتشبيهات ظاهره،و أمّا وقوع ذلك الغرق المخبر فالمنقول أنّها غرقت مرّه فى أيّام القادر باللّه،و مرّه فى أيّام القائم بأمر اللّه غرقت بأجمعها و غرق من فى ضمنها و خربت مع دورها و لم يبق منها إلاّ علوّ مسجدها الجامع حسب ما أخبر به عليه السّلام و كان غرقها من قبل بحر فارس و من ناحيه الجبل المعروف بجبل الشام،فكان ذلك مصداق كلامه عليه السّلام،و فى ذلك نظر و ذلك لأنّه أشار إلى أنّ ذلك الماء ينفجر من أرضهم بقوله: و إنّى لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ،و ظاهر ذلك يقتضى أنّه لا يكون من ناحيه اخرى و اللّه أعلم.

القسم الثانی

اشاره

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ- خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَ سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ- فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وَ أُكْلَةٌ لِآكِلٍ وَ فَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ

اللغه

أقول: السفه رذیله تقابل الحلم و تعود إلی الطیش و عدم الثبات ،و الاکله اسم للمأکول ،

المعنی

و قد علمت أنّ قوله أرضکم قریبه من الماء بعیده من السماء ممّا حکاه عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی الفصل المتقدّم أمّا قرب أرضهم من الماء فإشاره إلی أنّها موضع ها بط مستقل من الأرض و قریب من البحر فهو بصدد أن یعلوها بملاقاه دجله و ذلک مشاهد فی دخول الماء حدائقهم و سقیه بساتینهم فی کلّ یوم مرّه أو مرّتین،أمّا کونها بعیده من السماء فبحسب استفالها عن غیرها من الأرض،و قیل إنّ من أبعد موضع فی الأرض عن السماء الابلّه،و أنّ ذلک مما دلّت علیه الأرصاد و برهن علیه أصحاب علم الهیئه،و قال بعضهم:إنّ کون ذلک فی معرض الذّم یصرفه عن مظاهره و إنّما الإشاره إلی أنّهم لمّا کانوا بالأوصاف المذمومه الّتی عددها فیهم کانوا بعداء عن نزول الرحمه علیهم من سماء الجود الإلهیّ مستعدّین لنزول العذاب،و یصدق فی العرف أن یقال فلان بعید من السماء إذا کان کما ذکرناه ، قوله خفّت عقولکم إشاره إلی قلّه استعدادهم لدرک وجوه المصالح و ضعف عقولهم عن تدبیر أحوالهم و تسرّعهم إلی مالا ینبغی لغفلتهم عمّا ینبغی و هو وصف لهم برذیله الغباوه،قوله و سفهت حلومکم إشاره إلی وصفهم برذیله السفه و الخفّه المقابله للحلم،قوله فأنتم غرض لنابل و اکله لآکل و فریسه لصائل هذه الأوصاف الثلاثه لازمه عن خفّه عقولهم و سفه حلومهم و لذلک عقّبها بها لأنّ طمع القاصد لهم بأنواع الأذی إنّما ینشأ من العلم بقلّه عقلیّتهم لوجوه المصالح و سفههم فیقصدهم بحسن تدبیره، استعاره بالکنایه السجع المطرّف-السجع المتوازی و الأوّل من هذه الأوصاف کنایه عن کونهم مقصدا لمن یرید أذاهم ،و الثانی کنایه عن کونهم فی معرض أن یطمع فی أموالهم و نعمتهم و یأکلها من یقصد أکلها ،و الثالث عن کونهم بصدد أن یفترسهم من یقصد قتلهم و إهلاکهم،و استعار لفظ الغرض و الاکله و الفریسه لهم،و وجوه المشابهه فیها ظاهره.و قد راعی فی هذه القرائن السجع ففی الاولیین السجع المطرّف و فی الاخریین بعدهما و الثلاث السجع المتوازی .

ص:۲۹۴

۱۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان

وَ اللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَ مُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ- لَرَدَدْتُهُ- فَإِنَّ فِی الْعَدْلِ سَعَهً- وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ

اللغه

أقول:هذا الفصل مع فصول بعده من خطبه خطبها بالمدينه لمّا قتل عثمان و بويع له،و قد ورد هنا بزياده و نقصان ،و أوّل هذا الفصل من الخطبه ألا و إنّ كلّ قطيعه قطعها عثمان أو مال أخذه من بيت مال المسلمين فمردود عليهم فی بيت مالهم،و لو وجدته قد تزوّج به النساء و فرّق فی البلدان فإنّه إن لم يسعه الحقّ فالباطل أضيق عنه.و سنورد الخطبه بتمامها فی أحد الفصول الّتی يجیء منها إنشاء اللّه تعالى،و أعلم أنّه أشار إلى العزم الجازم المؤكّد بالقسم على ردّ القطائع الّتی كان عثمان أقطعها أقاربه كنايه ثمّ نبّه المقتطعين بقوله فإنّ فی العدل سعه ألا إنّ عدل اللّه يسعهم فی ردّ ما اقتطعوه،و كنّى بسعته عن اقتضاء أمر العدل ردّ ذلك و غيره من المظالم فعليهم أن يدخلوا فی مقتضى أوامر اللّه و عدله،فإنّ فيه سعه لهم إذ به نظام العالم بأسره و هو محلّ لرضا المظلوم بإيصال حقّه إليه و لرضا الظالم لعلمه بأنّه عند الانتزاع منه أخذ لما ليس له ،و تأكّد ذلك العلم بالوعيد الصادق فهو و إن قام شيطانه حال انتزاع الظلامه و ضاق عليه العدل فهو فی محلّ الرضا فإن لم يرض لضيق العدل عليه فالجور عليه أضيق فی الدنيا و الآخره لأنّه ربّما انتزعت منه قهرا و كان جوره سببا للتضييق عليه فی ذلك،و لأنّ الأوامر و النواهی الإلهيّه محيطه به سادّه عليه وجوه التصرّف الباطل،و لأنّه إذا نزل عليه عدل اعتقد أنّه قد اخذ منه ما ينبغی أخذه منه و إذا نزل عليه جور اعتقد أنّه اخذ منه ما لا ينبغی أخذه،و لا شكّ أنّ أخذ ما لا ينبغی أخذه أصعب على النفس و أضيق من أخذ ما ينبغی و هو أمر وجدانیّ،و المعنى فی الألفاظ الّتی أوردناها من الخطبه قريب ممّا ذكرناه هاهنا غير أنّ الضمائر فی قوله فإنّه

إن لم يسعه تعود إلى المال ،و اعلم أنّه قد كان عثمان أقطع جماعه من بنى اميّه و غيرهم من أصحابه كثيرا من أرض بيت المال،و كذلك فعل عمر ذلك مع قوم لهم وقائع مشهور، فى الجهاد فى سبيل اللّه و ترغيبا فى الجهاد،لكن لمّا اختلف غرضا الإمامين لم يردّ علىّ عليه السّلام إلاّ ما أقطعه عثمان،و باللّه التوفيق.

۱۵–و من خطبه له عليه السّلام لما بويع بالمدينه

القسم الأول

اشاره

ذِمَّتِی بِمَا أَقُولُ رَهِينَهٌ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ- إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلاَتِ- حَجَزَتْهُ التَّقْوَی عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ- أَلاَ وَ إِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ- ص وَ الَّذِی بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَهً- وَ لَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَهً وَ لَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ- حَتَّی يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ وَ أَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ- وَ لَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا- وَ لَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا- وَ اللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَهً وَ لاَ كَذَبْتُ كِذْبَهً- وَ لَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَ هَذَا الْيَوْمِ- أَلاَ وَ إِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا- وَ خُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِی النَّارِ- أَلاَ وَ إِنَّ التَّقْوَی مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا- وَ أُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّهَ- حَقٌّ وَ بَاطِلٌ وَ لِكُلٍّ أَهْلٌ- فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ- وَ لَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَ لَعَلَّ وَ لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَیْءٌ فَأَقْبَلَ قال؟السيد الشريف؟و أقول- إن فی هذا الكلام الأدنی من مواقع الإحسان- ما لا تبلغه مواقع

ص:۲۹۶

الاستحسان- و إن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به- و فيه مع الحال التى وصفنا زوائد من الفصاحه- لا يقوم بها لسان و لا يطلع فجها إنسان- و لا يعرف ما أقول إلا من ضرب فى هذه الصناعه بحق- و جرى فيها على عرق- «وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ»

أقول:فى هذا الفصل فصول من الخطبه الّتى أشرنا إليها فى الكلام الّذى قبله،و كذلك فى الفصل الّذى بعده،و نحن نوردها بتمامها ليتّضح ذلك،و هى الحمد للّه أحقّ محمود بالحمد و أولاه بالمجد إلها واحدا صمدا أقام أركان العرش فأشرق لضوء شعاع الشمس خلق فأتقن و أقام فذلّت له وطاه المستمكن،و أشهد «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله أرسله بالنور الساطع و الضياء المنير أكرم خلق اللّه حسبا و أشرفهم نسبا لم يتعلّق عليه مسلم و لا معاهد بمظلمه بل كان يظلم.أمّا بعد فإنّ أوّل من بغى على الأرض عناق ابنه آدم كان مجلسها من الأرض جريبا و كان لها عشرون إصبعا،و كان لها ظفران كالمخلبين فسلّط اللّه عليها أسدا كالفيل و ذئبا كالبعير و نسرا كالحمار،و كان ذلك فى الخلق الأوّل فقتلها و قد قتل اللّه الجبابره على أسوء أحوالهم،و إنّ اللّه أهلك فرعون و هامان و قتل هارون بذنوبهم ألا و إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث اللّه نبيّكم صلى اللّه عليه و آله و الّذى بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبله و لتغربلنّ غربله و لتساطنّ سوط القدر حتّى يعود أسفلكم أعلاكم و أعلاكم أسفلكم و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا و ليقصّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا و اللّه ما كتمت و شمه و لا كذبت كذبه و لقد نبّئت بهذا اليوم و هذا المقام ألا-و إنّ الخطا يا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها فتقحّمت بهم فى النار فهم فيها كالحون ألا-و إنّ التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها فسارت بهم تأوّدا «حَتّى إِذا جاؤُها» ظلاّ ظليلا« «فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ» » ۱ألا و قد سبقنى هذا الأمر من لم اشركه

فيه و من ليست له منه توبه إلاّ بنبىّ مبعث و لا نبىّ بعد محمّد صلى اللّه عليه و آله أشفى منه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنّم أيّها الناس كتاب اللّه و سنّه نبيّه لا يرعى مرع إلاّ على نفسه شغل من الجنّه و النار أمامه ساع نجا و طالب يرجو و مقصّر فى النار و لكلّ أهل،و لعمرى لئن أمر الباطل لقد يما فعل و لئن قلّ الحقّ لربّما و لعلّ،و لقلّما أدبر شىء فأقبل و لئن ردّ أمركم عليكم إنّكم السعداء و ما علينا إلاّ الجهد قد كانت أمور مضت ملتم فيها ميله كنتم عندى فيها غير محمودى الرأى و لو أشاء أن أقول لقلت «عَفَا اللّهُ عَمّا سَلَفَ» سبق الرجلان و قام الثالث كالغراب همّه بطنه ويله لو قصّ جناحاه و قطع رأسه كان خيرا له شغل من الجنّه و النار أمامه ساعى مجتهد و طالب يرجو و مقصّر فى النار ثلاثه و إثنان خمسه،و ليس فيهم سادس ملك طائر بجناحيه و نبى آخذ بضبعيه هلك من ادّعى و خاب من افترى اليمين و الشمال مضلّه و وسط الطريق المنهج عليه باقى الكتاب و آثار النبوّه ألا و إنّ اللّه قد جعل أدب هذه الامّه السوط و السيف ليس عند إمام فيهما هواده فاستتروا بيوتكم «وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ» ،و التوبه من ورائكم من أبدأ صفحته للحقّ هلك ألا و إنّ كلّ قطعيه أقطعها عثمان و ما أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم فى بيت مالهم و لو وجدته قد تزوّج به النساء و فرّق فى البلدان فإنّه إن لم يسعه الحقّ فالباطل أضيق عنه أقول قولى هذا و استغفر اللّه لى و لكم ١.

و لقد ذكرنا هذا الفصل فيما قبل و لنرجع إلى التفسير فنقول:

اللغه

الذّمه الحرمه و الذمّه أيضا العهد ،و الرهينه المرهونه ،و الزعيم الكفيل،و فى الحديث الزعيم غارم ،و المثلات العقوبات ،و الحجز المنع ،و قحّم فى الأمر و تقحّمه رمى بنفسه فيه،و الهيئه الصفه ،و البلبله الاختلاط ،و الغربله نخل الدقيق و غيره و الغربله القتل أيضا ،و ساط القدر إذا قلّب ما فيها من طعام بالمحراك،و أداره ،و الوشمه بالشين المعجمه الكلمه و بغير المعجمه العلامه و الأثر ، و الشمس جمع شموس و هى الدابّه تمنع ظهرها ،و التأوّد السير الثقيل بالثبات ،و الذلول الساكنه ،و الكلوح تكسّر فى عبوس ،و أمر الباطل بكسر الميم كثر و فلان يرعى على نفسه إذا كان يتفقّد أحوالها

المعنى

و اعلم أنّه أشار أوّلا فى هذا الفصل إلى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى و نبّه على أنّه وسيله إليه و مستلزم له فى صوره شرطيّه متّصله و هى قوله

من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحّم الشبهات،و بيان الملازمه أنّ من أخذت العنايه بزمام عقله فأعدّت نور بصيرته لمشاهده ما صرّحت به آفات الدنيا،و كشفت عبرها من تبدّل حالاتها و تغيّراتها على من أوقف عليها همّه و أتخذها دار الإقامه فشاهد أنّ كلّ ذلك امور باطله و أطلال زائله،فلا بدّ أن يفيض اللّه على قلبه صوره خشيته و تقواه فتستلزم تلك الخشيه توقّفه و امتناعه عن أن يلقى نفسه فى تلك الامور الزائله و الشبهات الباطله لإشراق نور الحقّ الواضح على لوح نفسه بالاعتبار،فالتقوى اللازم له هو الحاجز عن ذلك التقحّم،و أشار بالشبهات إلى ما يتوهّم كونه حقّا ثابتا باقيا من الامور الفانيه الزائله و اللذّات الدنيويّه الباطله فالوهم يصوّرها و يشبّهها بالحقّ فلذلك سمّيت شبهات،و العقل الخارج من أسر الهوى قوّى على نقد الحقّ و تمييزه عن الشبهه، و أكّد هذه الملازمه برهن ذمّته على صحّتها و كفالته بصدقها،و ذلك استعاره قوله ذمّتى بما أقول رهينه و أنا به زعيم و استعمال الرهن استعاره كقوله تعالى «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» و اعلم أنّه ربّما التبس عليك حقيقه التقوى،فنقول:التقوى بحسب العرف الشرعىّ يعود إلى خشيه الحقّ سبحانه المستلزم للإعراض عن كلّ ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا و زينتها و تنحيه مادون وجهه عن جهه القصد،و لمّا كان الترك و الإعراض المذكور هو الزهد الحقّقى كما علمت،و كان التقوى وسيله إليه علمت أنّه من أقوى الجواذب إلى اللّه الرادعه عن الالتفات إلى ما سواه و قد ورد التقوى بمعنى الخشيه من اللّه تعالى فى أوّل النساء «يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ» و مثله فى أوّل الحجّ،و فى الشعراء «إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لا تَتَّقُونَ» و كذلك قول هود و صالح و لوط و شعيب لقومهم،و فى العنكبوت و إبراهيم «إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ» و قوله «اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» و قوله «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» و كذلك فى سائر آيات القرآن و إن كان قد حمله بعض المفسّرين تاره على الإيمان كما فى قوله تعالى «وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى» و تاره على التوبه كما فى قوله «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا» و تاره على ترك المعصيه كما فى قوله «وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللّهَ» و إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه لمّا نبّههم على لزوم التقوى و أنّه مخلص من تقحّم الشبهات نبّههم بعده على أنّهم فى الشبهات مغمورون بقوله ألا و إنّ بليّتكم قد عادت

كهيئتها يوم بعث اللّه نبيّه ،و أشار ببليّتهم إلى ما هم عليه من اختلاف الأهواء و تشتّت الآراء و عدم الالفه و الاجتماع فى نصره اللّه عن شبهات يلقيها الشيطان على الأذهان القابله لوسوسته المقهوره فى يده.و ذلك من أعظم الفتن الّتى بها يبتلى اللّه عباده «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ» و هى امور تشبه ما كان الناس عليه حال بعثه الرسول صلى اللّه عليه و آله و فى ذلك تنبيه لهم على أنّهم ليسوا من تقوى اللّه فى شىء إذ عرفت أنّ مجانبه الشبهه من لوازم التقوى فكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم ثمّ لمّا بيّن وقوعهم فى البليّه كما كانت أقسم بالقسم البارّ لينزلنّ بهم ثمره ما هم فيه من عدم التناصر و اتّباع الأهواء الباطله و ذكر امورا ثلاثه:أحدها كنايه البلبله و كنّى بها عمّا يوقع بنو اميّه و غيرهم من امراء الجور من الهموم المزعجه و خلط بعضهم ببعض و رفع أراذلهم و حطّ أكابرهم عمّا يستحقّ كلّ من المراتب . الثانى استعاره بالكنايه السجع المتوازى الغربله و كأنّها كنايه عن التقاط آحادهم و قصدهم بالأذى و القتل كما فعل بكثير من الصحابه و التابعين و فى ذلك تشبيه لفعلهم ذلك بغربله الدقيق و نحوه لتمييز شىء منه عن شىء و لذلك استعير له لفظها و فى هذين القرينتين السجع المتوازى .الثالث أن تساطوا كما تساط القدر إلى أن يعود أسفلهم أعلاهم و بالعكس و استعار لفظ السوط هاهنا مع غايته المذكوره لتصريف أئمّه الجور لهم ممّن يأتى بعده بسائر أسباب الإهانه و تغيير القواعد عليها فى ذلك الوقت و هو قريب من الأوّل .قوله و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا و ليقصّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا إشاره إلى بعض نتائج تقلّب الزمان بهم قال بعض الشارحين:إنّه أشار بالمقصّرين الّذين يسبقون إلى قوم قصّروا عن نصرته فى مبدء الأمر حين وفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ثمّ نصروه فى ولايته و قاتلوا معه فى سائر حروبه و بالسابقين الّذين يقصّرون إلى من كانت له فى الإسلام سابقه ثمّ يخذله و ينحرف عنه و يقاتله و يشبه أن يكون مراده أعمّ من ذلك فالمقصّرون الّذين يسبقون كلّ من أخذت العنايه الإلهيّه بيده و قاده زمام التوفيق إلى الجدّ فى طاعه اللّه و اتّباع سائر أوامره و الوقوف عند نواهيه و زواجره بعد تقصيره فى ذلك،و عكس هؤلاء من كان فى مبدء الأمر مشمرا فى سلوك سبيل اللّه ثمّ جذبه هواه إلى غير ما كان عليه و سلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه فى الدين تقصيرا و انحرافا عنه .قوله و اللّه ما كتمت و شمه و لا كذبت كذبه

أقسم أنّه لم يكتم أثرا سمعه من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى هذا المعنى و كلمه ممّا يتعيّن عليه أن يبوح به و أنّه لم يكذب قط،و هذا القسم شهاده لما قبله من الإخبار بما سيكرن أنّه كان قال ،و توطيه لما بعده أنّه كما هو ذلك قوله، و لقد نبّئت بهذا المقام أى مقام بيعه الخلق له و هذا اليوم أى يوم اجتماعهم عليه و كلّ ذلك تنفير لهم عن الباطل إلى الحقّ و تثبيت لهم على اتّباعه ثمّ لمّا أمرهم بالتقوى و أنبأهم بما سيكون عاقبه أمرهم فى لزومهم لبلّيتهم و تورّطهم فى الشبهات أردف ذلك بالتنفير عن الخطايا و الترغيب فى التقوى بالتنبيه على ما يقود إليه كلّ منهما . استعاره قوله ألا و إنّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها فتقحّمت بهم فى النار .استعمال لفظ الخيل للخطايا ثمّ وصفها بالوصف المنفر و هو الشموس و الهيئه المانعه لذى العقل من ركوبها و هى كونها مع شموسها مخلوعه اللجم،و وجه الاستعاره ظاهر فإنّ الفرس الشموس الّتى خلع لجامها لمّا كانت تتقحّم براكبها المهالك و تجرى به على غير نظام فكذلك راكب الخطيئه لمّا جرى به ركوبها على غير نظام الشريعه و خلع بذلك لجام الأوامر الشرعيه و حدود الدين لا جرم كانت غايته من ركوبه لها أن يتقحّم أعظم موارد الهلاك و هى نار جهنّم و ذلك من لطيف الاستعاره ،قوله ألا و إنّ التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها و اعطوا أزمّتها فأوردتهم الجنّه استعار أيضا لفظ المطايا بالوصف الحسن الموجب للميل إليها و هو كونها ذللا،و بالهيئه الّتى ينبغى للراكب و هو أخذ الزمام و أشار بالأزمّه إلى حدود الشريعه الّتى يلزمها صاحب التقوى و لا يتجاوزها،و لمّا كانت المطيّه الذلول من شأنها أن تتحرّك براكبها على وفق النظام الّذى ينبغى و لا يتجاوز الطريق المستقيم بل يصرفها بزمامها و تسير به على تؤوده فيصل بها إلى المقاصد كذلك التقوى فسهوله طريق السالك إلى اللّه بالتقوى و راحته عن جموح الهوى به فى موارد الهلكه يشبه ذلّه المطيّه، و حدود اللّه الّتى بها يملك التقوى و يستقر عليه يشبه أزمّه المطايا الّتى بها تملك و كون التقوى موصلا لصاحبه بسلامه إلى السعاده الأبديّه الّتى هى أسنى المطالب يشبهه غايه سير المطىّ الذلول براكبها،و الاستعاره فى الموضعين استعاره لفظ المحسوس للمعقول ثمّ لمّا بيّن أنّ هاهنا طريقين مركوبين مسلوكين طريق الخطايا و طريق التقوى ذكر بعده أنّهما حقّ و باطل فكأنّه قال و هما حقّ و هو التقوى و باطل و هو الخطايا ،ثمّ قال و لكلّ أهل

أی و لکلّ من طریقی الحقّ و الباطل قوم أعدّهم القدر لسلوکها بحسب ما جری فی اللوح المحفوظ بقلم القضاء الإلهیّ کما قال الرسول صلی اللّه علیه و آله:کلّ میسّر لما خلق له قوله فلئن أمر الباطل لقدیما فعل و لئن قلّ الحقّ فلربّما و لعلّ ،أردف لذلک بما یشبه الاعتذار لنفسه و لأهل الحقّ فی قلّته،و ذمّ و توبیخ لأهل الباطل علی کثره الباطل،و قلّه الحقّ فی ذلک الوقت لیس بدیعا حتّی أجهد نفسی فی الإنکار علی أهله ثمّ لا یسمعون و لا ینتهون،و فی قوله لربّما و لعلّ تنبیه علی أنّ الحقّ و إن قلّ فربّما یعود یسیرا ثمّ أردف حرف التقلیل و هو ربّما بحرف التمنّی،و کان فی هذه الأحرف الوجیزه إخبار بقلّه الحقّ و وعد بقوّته مع نوع تشکیک فی ذلک و تمنّی لکثرته .قوله و لقلّما أدبر شیء فأقبل استبعاد لرجوع الحقّ إلی الکثره و القوّه بعد قلّته و ضعفه علی وجه کلّی فإنّ زوال الاستعداد للأمر مستلزم لزوال صورته و صوره الحقّ إنّما افیضت علی قلوب صفت و استعدّت لقبوله فإذا أخذ ذلک الاستعداد فی النقصان بموت أهله أو بموت قلوبهم و تسوّد ألواح نفوسهم بشبه الباطل فلا بدّ أن ینقض نور الحقّ و تکثر ظلمه الباطل بسبب قوّه الاستعداد لها و ظاهر أنّ عود الحقّ و إصاءه نوره بعد إدباره و إقبال ظلمه الباطل أمر بعید و قلّ ما یعود مثل ذلک الاستعداد لقبول مثل تلک الصوره للحقّ و لعلّه یعود بقوّه فیصبح ألواح النفوس و أرضها مشرقه بأنوار الحقّ و یکرّ علی الباطل فیدمغه فإذا هو زاهق،و ما ذلک علی اللّه بعزیز،و فی ذلک تنبیه لهم علی لزوم الحقّ و بعث علی القیام به کیلا یضمحلّ بتخاذلهم عنه فلا یمکنهم تدارکه،و باللّه التوفیق.

القسم الثانی

اشاره

شُغِلَ مَنِ الْجَنَّهُ وَ النَّارُ أَمَامَهُ- سَاعٍ سَرِیعٌ نَجَا وَ طَالِبٌ بَطِیءٌ رَجَا- وَ مُقَصِّرٌ فِی النَّارِ هَوَی- الْیَمِینُ وَ الشِّمَالُ مَضَلَّهٌ وَ الطَّرِیقُ الْوُسْطَی هِیَ الْجَادَّهُ- عَلَیْهَا بَاقِی الْکِتَابِ وَ آثَارُ النُّبُوَّهِ- وَ مِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّهِ وَ إِلَیْهَا مَصِیرُ الْعَاقِبَهِ- هَلَکَ مَنِ ادَّعَی وَ «خابَ مَنِ افْتَری» - مَنْ أَبْدَی صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَکَ وَ کَفَی بِالْمَرْءِ

ص:۳۰۲

جهْلًا أَلاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ- لاَ يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ- وَ لاَ يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ- فَاسْتَتِرُوا فِی بُیُوتِکُمْ «وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَیْنِکُمْ» - وَ التَّوْبَهُ مِنْ وَرَائِکُمْ- وَ لاَ یَحْمَدْ حَامِدٌ إِلاَّ رَبَّهُ وَ لاَ یَلُمْ لاَئِمٌ إِلاَّ نَفْسَهُ أقول:قد عرفت کون هذا الفصل من الخطبه الّتی ذکرناها،

اللغه

و الجادّه معظم الطریق ، و الصفحه الجانب ،و السنخ الأصل ،و ذات البین حقیقته ،و الخیبه عدم حصول المطلوب .

المعنی

و اعلم أنّ تقدیر القضیّه الاولی أنّ من کانت النار و الجنّه أمامه فقد جعل له بهما شغل یکفیه عن کلّ ما عداه فیجب علیه أن لا یشتغل إلاّ به،و أشار بذلک الشغل إلی ما یکون وسیله إلی الفوز بالجنّه و النجاه من النار ممّا نطقت به الکتب المنزله و حثّ علی لزومه الرسل،و أشار بکون الجنّه و النار أمامه إلی أحد أمرین:أحدهما أن یکون المراد کون الجنّه و النار ملاحظتین له متذکّرا لهما مدّه وقته فهما أمامه و نصب خیاله و من کان کذلک فهو فی شغل بهما عن غیرهما.الثانی أن یکون کونهما أمامه أی أنّه لمّا کان الإنسان من مبدء عمره إلی منتهاه مسافرا إلی اللّه تعالی فهو فی انقطاع سفره لا بدّ و أن ینتهی إمّا إلی الجنّه أو إلی النار فکانتا أمامه فی ذلک السفر و غایتین یؤمّهما الإنسان و ینتهی إلیهما و من کان أبدا فی السفر إلی غایه معیّنه فکیف یلیق به أن یشتغل بغیر مهمّات تلک الغایه و الوسیله إلیهما،و إنّما قال شغل بالبناء للمفعول لأنّ المقصود هاهنا لیس إلاّ ذکر الشغل أو لأنّه لمّا کان الشاغل هو اللّه تعالی بإیجاد الجنّه و النار و الترغیب فی إحداهما و الترهیب من الاخری کان ترک ذکره للتعظیم و الإجلال أو لظهوره ثمّ أنّه لمّا نبّه علی وجوب الاشتغال بالجنّه و النار عن غیرهما قسّم الناس بالنسبه إلی ذلک الاشتغال إلی ثلاثه أقسام و ذلک قوله ساع سریع نجا،و طالب بطیء رجا،و مقصّر فی النار هوی، و وجه الحصر فی هذه القسمه أنّ الناس بعد الأنبیاء علیهم السّلام إما طالبون للّه أو تارکون و الطالبون إمّا بغایه جدّهم و اجتهادهم و بذل وسعهم و طاقتهم فی الوصول إلی رضوانه أو بالبطؤ و التأنّی فهذه ثلاثه

ص:۳۰۳

أقسام لا مزيد عليها و إن كان قسما الطالبين على مراتب و درجات متفاوته،و القسم الأوّل هم الفائزون بقصب السبق و الناجون من عذاب النار كما قال تعالى «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ نَعِيمٍ فاكِهِينَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ» ١و هذا القسم يشمل الأنبياء لولا إفرازه لهم فى قسم رابع إذ قسّم الخلق فى الخطبه إلى خمسه أقسام،و الثالث المقصّر الّذى وقف به الشيطان حيث أراد آخذا بحجزته عن سلوك سبيل اللّه قاذفا به فى موارد الهلاك و منازل الشقاء،و ظاهر أنّه فى النار« «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ » » ٢أمّا القسم الثانى فذو وصفين يتجاذبانه من جهتى السفاله و العلوّ فطلب الجنّه إلى جهه بحركته و سلوكه إلى اللّه و إن ضعف جاذب له إلى جهه العلوّ،و يد الشيطان جاذبه إلى جهه السفاله إلاّ أنّ رجاه لعفو اللّه و نظره إليه بعين رحمته إذا انضاف إلى حركته البطيئه كانت السلامه عليه أغلب وجهه العلوّ منه أقرب،و ينبغى أن نشير إلى حقيقه الرجاء ليتّضح ما قلناه،فنقول:

الرجاء هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حاله لها تصدر عن علم،و تقتضى عملا بيان ذلك أنّ ما يتصوره النفس من محبوب أو مكروه فإمّا أن يكون موجودا فى الماضى أو فى الحال أو يوجد فى الاستقبال،و الأوّل يسمّى ذكرا و تذكيرا،و الثانى يسمّى وجدا لوجدان النفس له فى الحال،و الثالث و هو أن يغلب على ظنّك وجود شىء فى الاستقبال لنفسك به تعلّق فسمّى ذلك انتظارا و توقّعا فإن كان مكروها حدث منه فى القلب تألّم يسمّى خوفا و إن كان محبوبا حصل من انتظاره و تعلّق القلب به لذّه للنفس و ارتياح بإخطار وجوده بالبال يسمّى ذلك الارتياح رجاء و لكن ذلك المتوقّع لا بدّ و أن يكون لسبب فإن كان توقّعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء صادق عليه،و إن كان انتظاره مع العلم بانتفاء أسبابه فاسم الغرور و الحمق عليه أصدق،و إن كانت أسبابه غير معلومه الوجود و لا الانتفاء فاسم التمنّى أصدق على انتظاره.إذا عرفت ذلك،فاعلم أنّ أرباب العرفان قد علموا أنّ الدنيا مزرعه الآخره فالنفس هى الأرض و بذرها حبّ المعارف الإلهيّه،و سائر أنواع الطاعات جاريه مجرى إصلاح هذه الأرض من تقليبها و إعدادها للزراعه،و سياقه الماء إليها،و النفس المستغرقه بحبّ الدنيا

و الميـل إليهـا كالأرض السـبخه الّتى لا تقبل الزرع و الإنبات لمخالطه الأجزاء الملحيّه،و يوم القيامه يوم الحصاد إلاّ من زرع.و لا زرع إلاّ من بـذر،و كمـا لا ينفع الزرع فى أرض سـبخه كـذلك لا ينفع إيمان مع خبث النفس و سوء الأخلاق،فينبغى أن يقاس رجـاء العبـد لرضـوان اللّه برجـاء صـاحب الزرع،و كمـا أنّ من طلب أرضـا طيّبه،و بـذرها فى وقت الزراعه بـذرا غير متعفّن و لا يتكاهـل ثمّ أمـدّه بالماء العـذب و سائر ما يحتاج إليه فى أوقاته ثمّ طهّره عن مخالفه ما يمنع نباته من شوك و نحوه ثم انتظر من فضل اللّه رفع الصواعق و الآفات المفسده إلى تمام زرعه و بلوغ زرعه غايته،كان ذلك رجاء فى موضعه و استحقّ اسم الرجاء إذ كان فى مظنّه أن يفوز بمقاصـده من ذلك الزرع،و من بـذر فى أرض كـذلك إلاّ أنّه بـذر فى اخريات الناس و لم يبادر إليه فى أوّل وقته أو قصّر فى بعض أسبابه ثمّ أخذ ينتظر ثمره ذلك الزرع و يرجو اللّه فى سلامته له فهو من جمله الراجين أيضا،و من لم يحصل على بذر أو بذر فى أرض سبخه أو ذات شاغل من الإنبات ثمّ أخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق.فكان اسم الرجاء إنّما يصـدق على انتظار ما حصل جميع أسبابه أو أكثرها الـداخله تحت اختيار العبد و لم يبق إلاّ ما لا يدخل تحت اختياره و هو فضل اللّه تعالى بصرف القواطع و المفسـدات،كـذلك حال العبـد إن بـذر المعارف الإلهيّه فى أرض نفسه فى وقته و هو مقتبل العمر و مبتدأ التكليف،و دام على سقيه بالطاعـات و اجتهـد فى طهـاره نفسه عن شوك الأخلاق الرديئه الّتى تمنع نماء العلم و زياده الإيمان و انتظر من فضل اللّه تعالى أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله و حصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود و هو درجه السابقين،و إن ألقى بذر الايمان فى نفسه لكنّه قصّر فى بعض أسـبابه إمّا ببطؤه فى البذر أو فى السقى إلى غير ذلك ممّا يوجب ضـعفه ثمّ أخذ ينتظر وقت الحصاد و يتوقّع من فضل اللّه تعالى أن يبارك له فيه و يعتمد على أنّه هو الرزّاق ذو القوّه المتين فيصدق عليه أيضا أنّه راج إذ أكثر أسباب المطلوب الّتى من جهته حاصله و هذه درجه القسم الثانى و هو الطالب الراجى البطىء،و إن لـم يزرع مـن قواعـد الإيمـان فى نفسه شـيئا أصـلا أو زرع و لم يسـقه بمـاء الطـاعه أو ترك نفسه مشغوله بشـوك الأخلاق الرديئـه و انهمـك فى طلب آفـات الـدنيا ثمّ انتظر المغفره و الفضـل من اللّه فـذلك الانتظـار غرور و ليس برجـاء فى الحقيقه و ذلك هو القسم الثالث و هو المقصّر فى أسباب الزراعه و تحصيل

زاد الآخره الهالك أسفا يوم الحسره و الندامه يقول« «لا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ » » ۱و فی المعنی ما قیل: إذا أنت لم تزرع و عاینت حاصدا ندمت علی التفریط فی زمن البذر.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:الأحمق من اتّبع نفسه هواها و تمنّی علی اللّه.و قال «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا» و إنّما خصّص علیه السّلام القسم الثانی بالرجاء إذ کان کما علمت عمدته لضعف عمله و قلّه الأسباب من جهته،و إلی هذه الأقسام الثلاثه أشار القرآن الکریم بقوله «فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» ۲و إن اختلفت مبدء الرتبتین.

قوله الیمین و الشمال مضلّه و الطریق الوسطی هی الجادّه .لمّا قسّم الناس إلی سابقین و لا حقین و مقصّرین أشار لهم إلی الطریق الّتی أخذ اللّه علیهم سلوکها و نصب لهم علیها أعلام الهدی لیصلوا بها إلی جناب عزّته سالمین عن تخطّفات الشیاطین،و میّزها عن طریق الضلال.

و لمّا علمت أنّ طریق السالکین إلی اللّه إمّا العلم أو العمل،فالعلم طریق القوّه النظریّه، و العمل طریق القوّه العملیّه و کلّ منهما محتو برذیلتین هما طرفا التفریط و الإفراط کما علمته و الوسط منهما هو العدل و الطریق الوسطی و هی الجادّه الواضحه لمن اهتدی و هی الّتی علیها ما فی الکتاب الإلهیّ من المقاصد الحکمیّه علیها آثار النبوّه و منفذ السنّه أی طریقها و مبدءها الّذی منه تخرج و إلیها مصیر عاقبه الخلق فی الدنیا و الآخره فإنّ من العدل بدأت السنّه و انتشرت فی الخلق،و إلیه مرجع امورهم أمّا فی الدنیا فلأنّ نظام امورهم فی حرکاتهم و سکناتهم مبنّی علیه فی القوانین الشرعیّه و إلی تلک القوانین و القواعد ترد عواقب امورهم و علیها یحملون،و أمّا فی الآخره فبالنسبه إلیه یتبیّن خسران الخاسرین و فوز الفائزین فتحکم لمن سلک و تمسّک به أوقات سفره إلی اللّه بجنّات النعیم و لمن انحرف عنه و تجاوزه بالعذاب الألیم فی نار الجحیم و کلّ واحد من طرفی الإفراط و التفریط بالنسبه إلیه هو المراد بالیمین و الشمال من ذلک الوسط و هما طریقا المضلّه لمن عدل إلیهما،و مورد الهلاک لمن سلکهما .

قوله هلك من ادّعى و «خابَ مَنِ افْتَرى» يحتمل أن يكون القضيّتان دعاء،و يحتمل أن يكون إخبارا أى هلك من ادّعى ما ليس له أهلا و عنى الهلاك الاخروى،و خاب من كذب أى لن يحصل مطلوبه إذا جعل الكذب وسيله إليه،و أعلم أنّ الدعوى إمّا أن يكون مطابقه لما فى نفس الأمر أو ليس كذلك،و الثانيه محرّمه مطلقا،و أمّا الاولى فإمّا أن يدعو إليها حاجه أو ليس،و القسم الأوّل هو المباح فقط دون الثانى،و إنّما حرم هذان القسمان أمّا الأوّل و هى الدعوى غير المطابقه فلأنّها تصدر عن ملكه الكذب تاره و عن الجهل المركّب تاره كالجهل بالأمر المدّعى لحصوله عن شبهه رسخت فى ذهنه و كلاهما من أكبر الرذائل و أعظم المهلكات فى الآخره،و أمّا الثانيه و هى المطابقه لا عن حاجه فلأنّها تكاد لا تصدر عن الإنسان إلاّ عن رذيله العجب و ستعلم أنّه من المهلكات.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:ثلاث مهلكات:شحّ مطاع،و هوى متّبع،و إعجاب المرء بنفسه.و أمّا خيبه المفترى فلأنّ الفريه اختلاف ما ليس بحقّ و ظاهر أنّ الكذب لا ثمره له أمّا فى الآخره فظاهر و أمّا فى الدنيا فقد يكون و قد لا يكون و إن كانت ففى معرض الزوال و مستلزمه لسخط اللّه فهى بمنزله ما لم يكن و صاحبها أشدّ خيبه من عادمها و طالب الأمر بالفريه على كلّ تقدير خاسر خائب.قال بعض الشارحين:أراد هلك من ادّعى الإمامه من غير استحقاق،و «خابَ مَنِ افْتَرى» فى دعواه لها لأنّ كلامه فى هذه الخطبه كثيرا ما يعرض فيه بأمر الإمامه.

قوله من أبدى صفحته للحقّ هلك[عند جمله(جهله خ)الناس]و كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره .تنبيه على أنّ المتجرّد لإظهار الحقّ فى مقابله كلّ باطل ورد من الجهال،و حملهم على مرّ الحقّ و صعبه فى كلّ وقت يكون فى معرض الهلاك بأيديهم و ألسنتهم إذ لا يعدّ منهم من بوليه المكروه و يسعى فى دمه،ثمّ أراد التنبيه على الجهل فذكر أدنى مراتبه و نبّه بها على أنّ أقلّ الجهل كاف فى الرذيله فكيف بكثيره و ذلك قوله و كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره و أراد مرتبته فى الناس و عدم تصوّره لدرجه نفسه و منزلتها بالنسبه إلى آحادهم و كفى بهذا القدر مهلكا فإنّه منشأ كثير من الرذائل المهلكه كالكبر و العجب و قول الباطل و ادّعاء الكمال للناقصين و تعدّى الطور فى أكثر الأحوال كما قال عليه السّلام فى موضع آخر،رحم اللّه امرء عرف قدره و لم يتعدّ طوره،و فى هذه الكلمه تنفير للسامعين عن الجهل بقدر ما يتصوّرونه

ص:٣٠٧

من وجوب التجرّد للحقّ و نصرته،و ربّما يستفهم منها تعليم كيفيّه استجلاب طباع الجهّال و تأنيسهم و هو أنّهم لا ينبغى أن يقابلوا بالحقّ دفعه و يتجرّد فى مقابلتهم به على كلّ وجه فإنّ ذلك ممّا يوحب نفارهم و عدم نظام أحوالهم بل ينبغى أن يؤنسوا به على التدريج قليلا-قليلا-و ربّما لم يكن تأنيسهم بالحقّ فى بعض الامور إمّا لغموض الحقّ بالنسبه إلى أفهامهم أو لقوّه اعتقادهم الباطل فى مقابلته فينخدعوا عن ذلك بالحقّ فى صوره الباطل و ظاهره و ذلك كما ورد فى القرآن الكريم و السنن النبويّه من صفات التجسيم و ما لا يجوز أن يحمل على ظاهره فى حقّ الصانع الحكيم فإنّ حمله على ظاهره كما يتصوّره جهّال الناس أمر باطل لكنّه لمّا كان سبب إيناسهم و جمع قلوبهم على اعتقاد الصانع و به نظام امورهم ورد الشرع به.

كنايه قوله لا يهلك على التقوى سنخ أصل و لا يظمأ عليها زرع قوم .تنبيه على لزوم التقوى باعتبارين:أحدهما أنّ كلّ أصل بنى على التقوى فمحال أن يهلك و يلحق بانيه خسران كما قال تعالى «أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللّهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ» ١الثانى أنّ من زرع زرعا اخرويّا كالمعارف الإلهيّه فى أرض نفسه مثلا أو دنيويّا كالأعمال الّتى بها تقوم مصالح الإنسان فى الدنيا و سقاها ماء التقوى و جعله مادّتها فإنّه لا يلحق ذلك الزرع ظمأ بل عليه ينشأ بأقوى ساق و أزكى ثمره،و استعمال الزرع و الأصل كنايه عمّا ذكرناه .

قوله فاستتروا ببيوتكم «وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ» و التوبه من ورائكم .قد عرفت أنّ هذا الفصل مقدّم فى الخطبه على قوله من أبدى صفحته للحقّ هلك ،و هو مسبوق بالتهديد و وارد فى معرضه و هو قوله ألا و إنّ اللّه قد جعل أدب هذه الامّه السوط و السيف ليس عند إمام فيهما هواده أى مصالحه و سكون فاستتروا ببيوتكم و هو حسم لمادّه الفتنه بينهم بلزوم البيوت عن الاجتماع للمنافرات و المفاخرات و المشاجرات،و لذلك أردفه بقوله «وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ» فإنّ قطع مادّه الفتنه سبب لإصلاح ذات البين قوله و التوبه من ورائكم تنبيه للعصاه على الرجوع إلى التوبه عن الجرى فى ميدان المعصيه و اقتفاء أثر الشيطان و كونها وراء

لأنّ الجواذب الإلهيّه إذا أخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصيه حتّى أعرض عنها و التفت بوجه نفسه.إلى ما كان معرضا عنه من الندم على المعصيه و التوجّه إلى القبله الحقيقيّه فإنّه يصدق عليه إذن أنّ التوبه ورائه أى وراء عقليّا و هو أولى من قول من قال من المفسّرين إنّ ورائكم بمعنى أمامكم.

قوله و لا يحمد حامد إلاّ ربّه و لا يعلم لائم إلاّ نفسه .تأديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد و الثناء على اللّه دون غيره و أنّه مبدء كلّ نعمه يستحقّ بها الحمد كما سبقت إليه الإشاره،و على قصر اللائمه على النفس عند انحرافها عن جهه القبله الحقيقيّه إلى متابعه إبليس و قبولها لدعوته من غير سلطان،و إلى أصل هاتين الكلمتين أشار القرآن الكريم «ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَهٍ فَمِنَ اللّهِ وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَيِّئَهٍ فَمِنْ نَفْسِکَ» ۱فكلّ حسنه أصابت العبد من ربّه فهى مبدء لحمده و شكره،و كلّ سيّئه أصابته من نفسه فهو مبدء للائمّه نفسه،فأمّا قول السيّد-رحمه اللّه-إنّ فى الكلام من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان إلى آخره،فالإحسان مصدر قولک أحسن الرجل إحسانا إذا فعل فعلا حسنا و مواقع الإحسان محاسن الكلام الّتى أجاد فيها و أحسن و مواقع الاستحسان إمّا سائر محاسن كلام العرب أى أنّ شيئا من محاسن كلام العرب و ما يقع عليه الاستحسان منها لا يوازى هذا الكلام و لا يبلغه،أو يشير بمواقع الاستحسان إلى الفكر من الناس فإنّها محالّ الاستحسان أيضا إذ الاستحسان من صفات المستحسن أى أنّ الفكر لا يصل إلى محاسن هذا الكلام،و قوله و إنّ حظّ العجب منه أكثر من حظّ العجب به يريد أنّ تعجّب الفصحاء من حسنه و بدائعه أكثر من عجبهم باستخراج محاسنه و ذلک لأنّ فيه من المحاسن وراء ما يمكنهم التعبير عنها امور كثيره فهم يجدونها من أنفسهم و إن لم يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجّبهم من محاسنه أكثر من إعجابهم من أنفسهم بما يقدرون على استخراجه منها.أو اريد بأكثر من عجبهم به أى أكثر من محبّتهم له و ميلهم إليه،و باقى كلامه ظاهر و باللّه التوفيق.

۱۶–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فی صفه من يتصدى للحكم بين الأمه و ليس لذلك بأهل

ص:۳۱۰

اللغه

أقول: وكلّه إلى نفسه جعل توكّله عليها ،و الجائر العادل عن الطريق و فلان مشغوف بكذا بالغين المعجمه إذا بلغ حبّه إلى شغاف قلبه و هو غلافه،و بغير المعجمه إذا بلغ إلى شعفه قلبه و هى عند معلّق النّيات ،و القمش جمع الشىء المتفرّق و المجموع قماش ، و الموضع بفتح الضاد المطرح و بكسرها المسرع ،و الغارّ الغافل ،و أغباش الليل ظلمته،و قال ابو زيد:الغبش البقيّه من الليل و روى أغطاش الفتنه و الغطش الظلمه ،و الهدنه الصلح ، و المبهمات المشكلات و أمر مبهم إذا لم يعرف ،و الرثّ الضعيف البالى ،و عشوت الطريق بضوء النار إذا تبيّنته على ضعف ،و الهشيم اليابس من نبت الأرض المتكسّر ،و العجّ رفع الصوت ،و البائر الفاسد .

المعنى

و اعلم أنّه أخذ أوّلا-فى التنفير على الرجلين المشار إليهما بذكر أنّهما من أبغض الخلائق إلى اللّه تعالى و لمّا كانت إراده اللّه للشىء و محبّته له عائده إلى علمه بكونه على وفق النظام الكلىّ التامّ للعالم كانت كراهيّته و بغضه له عائده إلى علمه بكونه على ضدّ مصلحه العالم و خارجا عن ذين الرجلين علمه بكون أفعالهما و أقوالهما خارجه عن المصلحه.

قوله رجل وكلّه اللّه إلى نفسه فهو و جائر عن قصد السبيل إلى قوله بخطيئته .بيان لأحد رجلين و تمييز له،و ذكر له أوصافا:الأوّل أنّه و كلّه اللّه إلى نفسه أى جعله متوكّلا-عليها دونه،و اعلم أنّ التوكيل مأخوذ من الوكاله يقال:وكلّ فلان أمره إلى فلان إذا فوضّه إليه و اعتمد عليه فالتوكّل عباره عن اعتماد القلب على الوكيل وحده.إذا

ص:٣١١

عرفت ذلک فنقول:من اعتقد جزما و ظنّا بأنّ نفسه أو أحدا غير اللّه تعالى ممّن ينسب إليه التأثير و القدره هو المتمكّن من الفعل و أنّه تامّ القدره على تحصيل مراده و الوفاء به فإنّ ذلک من أقوى الأسباب المعدّه لأن يفيض اللّه على قلبه صوره الاعتماد على المعتقد فيه و التوكّل عليه فيما يريده،و ذلک معنى قوله وكّله اللّه إلى نفسه ،و كذلک معنى الوكول إلى الدنيا و ذلک بحسب اعتقاد الإنسان أنّ المال و القينات الدنيويّه وافيه بمطالبه و تحصيلها مغنيه له عمّا وراءها،و بحسب قوّه ذلک التوكّل و ضعفه يكون تفاوت بغض اللّه تعالى للعبد و محبّته له،و بعده و قربه منه فلن يخلص إذن العبد من بغض اللّه إلاّ بالتوكّل عليه حقّ توكّله.قال اللّه تعالى «إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» و هو أعظم مقام وسم صاحبه بمحبّه اللّه فمن كان اللّه حسبه و كافيه و محبّه و مراعيه فقد فاز الفوز العظيم،فإنّ المحبوب لا يبغض و لا يعذّب و لا يبعّد و لا يحجب.و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:من انقطع إلى اللّه كفاه كلّ مؤنه و رزقه من حيث لا يحتسب،و من انقطع إلى الدنيا وكّله اللّه تعالى إليها،و صوره المتوكّل عليه أن تثبت فى نفسک بكشف أو اعتقاد جازم أنّ استناد جميع الأسباب و المسبّبات إليه سبحانه و أنّه الفاعل المطلق تامّ العلم و القدره على كفايه العباد تامّ العفو و الرحمه و العنايه بخلقه حيث لا يكون وراء قدرته و علمه و عنايته رحمه و عنايه،و لم يقع فى نفسک التفات إلى غيره بوجه حتّى نفسک و حولک و قوّتک فإنّک و الحال هذه تجد من نفسک تسليم امورها بالكلّيّه إليه و البراءه من التوكّل على أحد إلاّ عليه،فإن لم تجد من نفسک هذه الحال فسبب ذلک ضعف الأسباب المذكوره أو بعضها و غلبه الوهم على النفس فى معارضته لذلک اليقين،و بحسب ضعف تلک الأسباب و شدّتها و زيادتها و نقصانها يكون تفاوت درجات التوكّل على اللّه تعالى.الثانى كونه جائرا عن قصد السبيل أى قصد سبيل اللّه العدل و صراطه المستقيم،و علمت أنّ الجور هو طرف الإفراط من فضيله العدل،الثالث كونه مشعوفا بكلام بدعه أى معجب بما يخطر له و يبتدعه من الكلام الّذى لا أصل له فى الدين و يدعو به الناس إلى الضلاله و الجور عن القصد،و هذا الوصف لازم عمّا قبله فإنّ من جار عن قصد السبيل بجهله فهو يعتقد أنّه على سواء السبيل فكان ما يتخيّله من ذلک الكمال الّذى هو نقصان فى الحقيقه مستلزما لمحبّه قول الباطل و ابتداع المحال فهو من الأخسرين

أعمالا« اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ » ۱الرابع کونه فتنه لمن افتتن به و هو أیضا لازم عن الوصف الثالث فإنّ محبّه قول الباطل و الدعوه إلی الضلاله سبب لکونه فتنه لمن اتّبعه.الخامس کونه ضالاّ عن هدی من کان قبله و هذا الوصف کالثانی فإنّ الضالّ عن الهدی جائر عن قصد السبیل إلاّ أنّ هاهنا زیاده إذ الجائر عن القصد قد یجور و یضلّ حیث لا هدی یتبعه و الموصوف هاهنا جائر و ضالّ مع وجود هدی قبله مأمور باتّباعه و هو کتاب اللّه و سنّه رسوله و إعلام هداه الحاملون لدینه الناطقون عن مشکاه النبوّه و ذلک أبلغ فی لائمته و آکد فی وجوب عقوبته.السادس کونه مضلّا لمن اهتدی به فی حیاته و بعد وفاته و هذا الوصف مسبّب عمّا قبله إذ ضلال الإنسان فی نفسه سبب لإضلاله غیره و یفهم منه ما یفهم من الرابع مع زیاده فإنّ کونه فتنه لغیره و هو کونه مضلّا لمن اهتدی به و أمّا الزیاده فکون ذلک الإضلال فی حیاته و هو ظاهر و بعد موته لبقاء العقائد الباطله المکتسبه عنه فهی سبب ضلال الضالّین بعده.السابع کونه حمّالا لخطایا غیره و هو لازم عن السادس فإنّ حمله لأوزار من یضلّه إنّما هو بسبب إضلاله له.الثامن کونه رهنا بخطیئته أی موثوق بها عن الصعود إلی حضره جلال اللّه و إلی هذین الوصفین أشار القرآن الکریم بقوله «لِیَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ کامِلَهً یَوْمَ الْقِیامَهِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِینَ یُضِلُّونَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما یَزِرُونَ» ۲و قول الرسول صلی اللّه علیه و آله:أیّما داع دعا إلی الهدی فاتّبع کان له مثل أجر من تبعه لا ینقص من أجرهم شیء و أیّما داع دعا إلی الضلاله فاتّبع کان علیه مثل وزر من تبعه و لا ینقص منه شیء،و اعلم أنّه لیس المراد من ذلک أنّه تعالی یوصل العقاب الّذی یستحقّه الأتباع إلی القاده و الرؤساء لقوله تعالی «وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعی» «أَلاّ تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْری» ۳و لما دخل أحد من الناس النار أبدا بل کانت مقصوره علی إبلیس وحده بل المعنی أنّ الرئیس المضلّ إذا وضع سیّئه تکون فتنه للناس و ضلالا لهم لم تصدر تلک السیّئه إلاّ عن نفس قد استولی علیها الجهل المرکب

المضادّ لليقين و صار ملكه من ملكاتها فيسود لوحها به عن قبول الأنوار الإلهيّه و صار ذلك حجابا بينها و بين الرحمه بحيث يكون ذلك الحجاب فى القوّه و الشدّه أضعاف حجب التابعين له و المقتدين به الناشئه عن فتنته فإنّ تلك الحجب الطاريه على قلوب التابعين مستنده إلى ذلك الحجاب و هو أصلها فلا جرم يكون وزره و سيّئته فى قوّه أوزار أتباعه و سيّئاتهم الّتى حصلت بسبب إضلاله لا كلّ سيّئاتهم من كلّ جهه و لذلك قال تعالى «وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ» أى بعض أوزارهم و هى الحاصله بسبب المضلّين.و قال الواحدى:إنّ من فى هذه الآيه ليست للتبعيض بل لبيان الجنس و إلاّ لخفّ عن الأتباع بعض أوزارهم و ذلك يناقض قوله صلى اللّه عليه و آله من غير أن ينقص من أوزارهم شىء.قلت:هذا و إن كان حسنا إلاّ أنّ الإلزام الّذى ذكره غير لازم على كونها للتبعيض لأنّ القائل بكونها كذلك يقول إنّ المراد و ليحملوا بعض أمثال أوزار التابعين لا بعض أعيان أوزارهم،و إذا فهمت ذلك فى جانب السيّئات فافهم مثله فى جانب الحسنات و هو أنّ الواضع لحسنه و هدى يهتدى به إنّما تصدر عن نفس ذات صفاء و إشراق فأشرق على غيرها من النفوس التابعه لها فاستضائت به و تلك السنّه المأخوذه من جمله أنوارها الفائضه عنها على نفس اقتبسها فكان للنفس المتبوعه من الاستكمال بنور اللّه الّذى هو رأس كلّ هدى ما هو فى قوّه جميع الأنوار المقتبسه عن تلك السنّه و مثل لها فكان لها من الأجر و الثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان فى أجر التابعين و هداهم الحاصل لهم،و إلى هذا المعنى الإشاره الوارده فى الخبر إنّ حسنات الظالم تنقل إلى ديوان المظلوم،و سيّئات المظلوم تنقل إلى ديوان الظالم فإنّك إن علمت أنّ السيّئه و الحسنه أعراض لا يمكن نقلها من محلّ إلى محلّ فليس ذلك نقلا حقيقيّا بل على وجه الاستعاره كما يقال:انتقلت الخلافه من فلان إلى غيره،و إنّما المقصود عن نقل سيّئات المظلوم إلى الظالم حصول أمثالها فى قلب الظالم و نقل حسنات الظالم إلى المظلوم حصول أمثالها فى قلبه،و ذلك لأنّ للطاعه تأثيرا فى النفس بالتنوير،و للمعاصى تأثيرا بالقسوه و الظلمه و بأنوار الطاعه تستحكم مناسبه النفس من استعدادها لقبول المعارف الإلهيّه و مشاهده حضره الربوبيّه،و بالقسوه و الظلمه تستعدّ للبعد و الحجاب عن مشاهده الجمال الإلهىّ فالطاعه مولّده لذّه المشاهده بواسطه الصفاء و النور الّذى يحدث فى النفس،و المعصيه مولّده للحجاب بواسطه القسوه و الظلمه

الّتی تحدث فیها،و بین الحسنات و السیّئات تضادّ و تعاقب علی النفس کما قال تعالی «إِنَّ الْحَسَناتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئاتِ» و قال «لا تُبْطِلُوا أَعْمالَکُمْ» و قال صلی اللّه علیه و آله:أتبع السیّئه بالحسنه تمحها و الآلام ممحّصات للذنوب،و لذلک قال صلی اللّه علیه و آله:إنّ الرجل یثاب حتی بالشوکه الّتی تصیب رجله،و قال:الحدود کفّارات لأهلها فالظالم یتبع شهوته بالظلم،و فیه ما یقسی القلب و یسوّد لوح النفس فیمحو أثر النور الّذی فیه من طاعته فکأنّه أحبط طاعته،و المظلوم یتألّم و تنکسر شهوته و یستکن قلبه،و یرجع إلی اللّه تعالی فتفارقه الظلمه و القسوه الّتی حصلت له من اتّباع الشهوات،فکأنّ النور انتقل من قلب الظالم إلی قلب المظلوم و انتقل السواد و الظلمه من قلب المظلوم إلی قلب الظالم،و ذلک انتقال علی سبیل الاستعاره کما علمت و کما یقال انتقل ضوء الشمس من مکان إلی مکان،و قد تلخّص من هذا التقریر أن الحسنات المنقوله إلی المظلوم من دیوان الظالم هی استعداداته لقبول الرحمه و التنویر الحاصل له بسبب ظلم الظالم،و السیّئات المنقوله من دیوان المظلوم إلی الظالم هی استعداداته بالحجب و القسوه عن قبول أنوار اللّه،و الثواب و العقاب الحاصلان لهما هو ما استعدّ له من تلک الأنوار و الظلمات،و اعلم أنّ ذلک النقل و حمل الظالم أوزار المظلوم و إن کان أمرا حاصلا فی الدنیا إلاّ أنّه لمّا لم ینکشف للبصائر إلاّ فی یوم القیامه لا جرم خصّص بیوم القیامه،و إنّما قال حمّال وزن فعّال للمبالغه کثیرا ما یحمل خطایا غیره.و أمّا الرجل الثانی فمیّزه بعشرین وصفا أ کونه استعاره قمش جهلا .و هی استعاره لفظ الجمع المحسوس للجمع المنقول (ب)کونه موضعا فی جهّال الامّه مطرحا لیس من أشراف الناس،و یفهم من هذا الکلام أنّه خرج فی حقّ شخص معیّن و إن عمّه و غیره(ج)کونه غادیا فی اغباض الفتنه أی سائرا فی أوائل ظلماتها،و روی غارّا أی غافل فی ظلمات الخصومات لا یهتدی لوجه تخلیصها (د)کونه أعمی البصیره بما فی عقد الصلح و المسالمه بین الناس من نظام امورهم و مصالح العالم فهو جاهل بوجوه المصالح مشیر للفتن بینهم(ه)کونه قد سمّاه أشباه الناس عالما و لیس بعالم،و الواو للحال و أشباه الناس الجهّال و أهل الضلال و هم الّذین یشبهون الناس الکاملین فی الصوره الحسیّه دون الصور التمامیّه الّتی هی کمال العلوم و الأخلاق (و)کونه بکّر فاستکثر من جمع ما قلّ منه خیر ممّا کثر.روی من جمع منوّنا و غیر منوّن

ص:۳۱۵

أمّا بالتنوين فالجمله بعده صفه له و استعمال المصدر و هى جمع فى موضع اسم المفعول أى من مجموع،و يحتمل أن يكون المقصود هى المصدر نفسه،و أمّا مع الإضافه فقيل:إنّ ما هاهنا يحتاج فى تمام الكلام إلى تقدير مثلها معها حتّى يكون ما الأوّل هى المضاف و الثانيه هى المبتدأ،و التقدير من جمع ما الذى قلّ منه خير ممّا كثر لكنّه لمّا كان إظهار ما الثانيه يشبه التكرار و يوجب هجنه فى الكلام و كانت ما الواحده تعطى المعنى عن المقدّره كان حذفها أولى،و قيل:إنّ المقدّر المحذوف أن على طريقه تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أى من جمع ما أن قلّ منه خير ممّا كثر،و عنى بالتكسير إلى الاستكثار من ذلك السبق فى أوّل العمر إلى جمع الشبهات و الآراء الّتى قليلها خير من كثيرها و باطلها أكثر من حقّها(ز) استعاره مرشحه كونه إذا ارتوى من ماء آجن و أكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ،و لمّا كان الاجون صفه للماء و الكمالات النفسانيّه الّتى هى العلوم كثيرا ما يعبّر عنها بالماء الصافى و الزلال و كان الجهل و الآراء الّتى حصل عليها يجمعها مع العلم جامع الاعتقاد فهى و العلم داخلان تحت جنس الاعتقاد كان الماء الآجن أشبه ما يستعار لتلك الآراء الّتى ليست بنصيحه و لا متينه فهى تشبه الماء الآجن الّذى لا غناء فيه للشارب،و رشّح،تلك الاستعاره بذكر الارتواء و جعل غايته المشار إليها من ذلك الاستكثار جلوسه بين الناس قاضيا (ح)كونه ضامنا لتلخيص ما التبس على غيره أى واثق من نفسه بفصل ما يعرض بين الناس من القضايا المشكله، و ضامنا حال ثان أو صفه للأوّل(ط)كونه إذا نزلت به إحدى القضايا المبهمه الملتبس وجه فصلها هيّألها حشوا ضعيفا من رأيه ثمّ جزم به و الحشو الكلام الكثير الّذى لا طائل تحته و ليس حلا لتلك المبهمه(ى) تشبيه كونه من لبس الشبهات فى مثل نسج العنكبوب .نسج العنكبوت مثل للامور الواهيه،و وجه هذا التمثيل أنّ الشبهات الّتى تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حلّ قضيّه مبهمه تكثر فيلبس على ذهنه وجه الحقّ منها فلا يهتدى له لضعف ذهنه، فتلك الشبهات فى الوها يشبه نسج العنكبوت و ذهنه فيها يشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكّن الذباب من خلاص نفسه من شبّاك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل إذا وقع فى الشبهات لا يخلص وجه الحقّ منها لقلّه عقله و ضعفه عن إدراك وجوه الخلاص (يا) أنّه لا يدرى أصاب فيما حكم به أم أخطأ فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ و إن أخطأ

ص:۳۱۶

رجأ أن يكون قد أصاب،و خوف الخطأ و رجاء الإصابه من لوازم الحكم مع عدم الدرايه(يب) كنايه كونه جاهلا خبّاط جهالات ،و الجهالات جمع جهله فعله من الجهل،و قد تقدم أنّ وزن فعّال يبنى للفاعل من الامور المعتاده الّتى يكثر فعلها،و ذكر الجهل هاهنا بزياده و هى كثره الخبط فيه و كنّى بذلك عن كثره الأغلاط الّتى يقع فيها فى القضايا و الأحكام فيمشى فيها على غير طريق حقّ من القوانين الشرعيّه و ذلك معنى خبطه (يج)كونه عاشيا ركّاب عشوات،و هى إشاره إلى أنّه لا يستليح نور الحقّ فى ظلمات الشبهات إلاّ على ضعف لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشى فيها على ما يتخيّله دون ما يتحقّقه و كثيرا ما يكون حاله كذلك،و لمّا كان من شأن العاشى إلى الضوء فى الطرق المظلمه تاره يلوح له فيمشى عليه و تاره يخفى عنه فيضلّ عن القصد و يمشى على الوهم و الخيال كذلك حال السالك فى طرق الدين من غير أن يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين و يعلم كيفيّه سلوك طرقه فإنّه تاره يكون نور الحقّ فى المسأله ظاهرا فيدركه و تاره يغلب عليه ظلمات الشبهات فتعمى عليه الموارد و المصادر فيبقى فى الظلمه خابطا و عن القصد جائرا(يد) كنايه كونه لم يعضّ على العلم بضرس قاطع كنايه عن عدم إتقانه للقوانين الشرعيّه و إحاطته بها يقال فلان لم يعضّ على الأمر الفلانى بضرس إذا لم يحكمه،و أصله أنّ الإنسان يمضغ الشىء ثمّ لا يجيد مضغه فمثّل به من لم يحكم ما يدخل فيه من الأمور (يه) تشبيه كونه يذرى الروايات إذراء الريح الهشيم ،و وجه التشبيه أنّ الريح لمّا كانت تذرى الهشيم و هو ما تكسّر من نبت الأرض و يبس فتخرجه عن حدّ الانتفاع به كذلك المتصفّح للروايات لمّا لم يهتد إلى وجه العمل بها و لم يقف على الفائده منها فهو يقف على روايه اخرى و يمشى عليها من غير فائده (يو)أنّه غير ملىّ بإصداره ما يرد عليه إشاره إلى أنّه ليس له قوّه على إصدار الأجوبه عمّا يرد عليه من المسائل فهو فقير منها(يز)كونه لا يحسب العلم فى شىء ممّا أنكره يقال فلان لا يحسب فلانا فى شىء بالضمّ من الحساب أى لا يعدّه شيئا و يعتبره خاليا من الكمال و الفضيله،و المراد أنّه ينكر العلم كسائر ما أنكره فهو لا يعدّه شيئا و لا يفرده بالحساب و الاعتبار و عنى بالعلم الحقيقىّ الّذى ينبغى أن يطلب و يجتهد فى تحصيله لا ما يعتقده الموصوف علما ممّا قمشه و جمعه فإنّ كثيرا من الجهّال ممّن يدعى العلم

بفنّ من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون و يشنّع على معلّميه كأكثر الناقلين للأحكام الفقهيّه و المتصدّرين للفتوى و القضاء بين الخلق فى زماننا و ما قبله فإنّهم يبالغون فى إنكار العلوم العقليّه و يفتون بتحريم الخوض فيها و تكفير من يتعلّمها و هم غافلون عن أنّ أحدهم لا يستحقّ أن يسمّى فقيها إلاّ أن يكون له مادّه من العلم العقلىّ المتكفّل ببيان صدق الرسول صلى اللّه عليه و آله و إثبات النبوّه الّذى لا يقوم شىء من الأحكام الفقهيّه الّتى يدّعون أنّها كلّ العلم إلاّ بعد ثبوتها،و روى يحسب بكسر السين من الحسبان و هو الظنّ أى لا يظنّ العلم ذا فضيله يجب اعتقادها و اعتباره بها فهو ممّا أنكره(يح)كونه لا يرى أنّ من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره أى أنّه إذا غلب على ظنّه حكما فى القضيّه جزم به،و ربّما كان لغيره فى المسأله قول أظهر من قوله يعضده دليل فلا يعتبره و يمضى على ما بلغ فهمه إليه(يط)كونه إن أظلم عليه أمرا اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه و كثيرا ما يراعى قضاه السوء و علماؤه اكتتام ما يشكل عليهم أمره من المسائل و التغافل عن سماعها إذا اوردت عليهم لئلاّ يظهر جهلهم بين أهل الفضل مراعاه لحفظ المناصب(ك) استعاره كونه تصرخ من جور قضائه الدماء و تعجّ منه المواريث نسبت الصراخ إلى الدماء و العجيج إلى المواريث إمّا على سبيل حذف المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه أى أهل الدماء و أولياء المواريث فيكون حقيقه،أو على سبيل استعاره لفظ الصراخ و العجّ لنطق الدماء و المواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها،و وجه الاستعاره عن الصراخ و العجيج لمّا كانا إنّما يصدر عن تظلّم و شكايه و كانت الدماء المهراقه بغير حقّ و المواريث المستباحه بالأحكام الباطله ناطقه بلسان حالها مفصحه بالشكايه و التظلّم لا جرم حسنت استعاره اللفظين هاهنا ،ثمّ بعد أن خصّ الرجلين المذكورين بما ذكر فيها من الأوصاف المنفره على سبيل التفصيل أردف ذلک بالتنفير عنهما على سبيل الجمله ما يعمّها و غيرهما من الجهّال من التشكّى و البراءه و ذلک قوله إلى اللّه من معشر أى إلى اللّه أشكو كما فى بعض النسخ أو إلى اللّه أبرء،و ذكر أوصافا مبدءها البقاء على الجهل و العيش فيه كنايه مقابله و كنّى بالعيش عن الحياه و قابله بذكر الموت ،و قوله يموتون ضلاّلا وصف لازم عن الوصف الأوّل فإنّ من عاش جاهلا مات ضالاّ .

استعاره قوله ليس فيهم سلعه أبور من الكتاب إذا تلى حقّ تلاوته إلى آخره .أى إذا فسرّ

الکتاب و حمل علی الوجه الّذی انزل اعتقدوه فاسدا و أطرحوه بجهلهم عن درجه الاعتبار علی ذلک الوجه،و إذا حرّف عن مواضعه و مقاصده و نزّل علی حسب أغراضهم و مقاصدهم شروه علی ذلک الوجه بأغلی ثمن و کان من أنفق السلع بینهم،و استعار له لفظ السلعه،و وجه المشابهه ظاهر و منشأ کلّ ذلک هو الجهل ،و کذلک لیس عندهم أنکر من المعروف،و ذلک أنّه لمّا خالف أغراضهم و مقاصدهم أطرحوه حتّی صار بینهم منکرا یستقبحون فعله،و لا أعرف من المنکر لموافقه أغراضهم و محبّتهم له لذلک،و أعلم أنّه علیه السّلام قسّم الناس فی موضع آخر إلی ثلاثه أقسام عالم و متعلّم و همج رعاع أتباع کلّ ناعق،و الرجلان المشار إلیهما بالأوصاف المذکوره هاهنا لیسا من القسم الأوّل لکونهما علی طرف الجهل المضادّ للعلم،و لا من القسم الثالث لکونهما متبوعین داعیین إلی اتّباعهما و کون الهمج تابعین کما صرّح به فتعیّن أن یکونا من القسم الثانی و هم المتعلّمون،و إذا عرفت ذلک فنقول:المراد بالمتعلّم هو من ترفّع عن درجه الهمج من الناس بطلب العلم و اکتسب ذهنه شیئا من الاعتقادات عن مخالطه من اشتهر بسمه العلم و مطالعه الکتب و نحو ذلک و لم ینته إلی درجه العلماء الّذین یقتدرون علی التصرّف و القیام بالحجّه فاعتقاداته حینئذ إمّا أن یکون مطابقه کلّها أو بعضها أو غیر مطابقه أصلا و علی التقدیرات فإمّا أن لا ینصب نفسه لشیء من المناصب الدینیّه کالفتوی و القضاء و نحوهما أو یتصدّر لذلک فهذه أقسام ستّه:أحدها من اعتقد اعتقادا مطابقا و لم یعرض نفسه لشیء من المناصب الدینیّه.الثانی من کان اعتقاده کذلک لکنّه نصب نفسه للإفاضه.الثالث من اعتقد جهلا و لم ینصب نفسه لها الرابع من اعتقد جهلا و عرض نفسه لها.الخامس من اعتقد جهلا و غیر جهل و لم ینصب نفسه للإفاده.السادس من کان اعتقاده کذلک و نصب نفسه لها.

و القسم الأوّل وحده هو الخارج عن هذین الرجلین بأوصافهما،و الثانی و الرابع و السادس منهم یکون الرجلان المذکوران فالأوّل منهما فی ترتیبه هو من نصب نفسه لسائر مناصب الإفاده دون منصب القضاء،و الثانی هو من نصب نفسه له.و إنّما بالغ فی ذمّهما و نسبتهما إلی الجهل و الضلال و إن کان بعض اعتقاداتهما حقّا لکون القدر الّذی حصلا علیه مغمورا فی ظلمه الجهل فضلا لهما و إضلالهما أغلب و انتشار الباطل فیهما أکثر،و أمّا القسم الثالث

و الخامس فداخلان فیمن برء إلی اللّه منهم و ذمّهم أخیرا بالعیش فی الجهل و الموت علی الضلال و ما بعده،و اللّه أعلم بالصواب.

۱۷-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی ذم اختلاف العلماء فی الفتیا

تَرِدُ عَلَی أَحَدِهِمُ الْقَضِیَّهُ فِی حُکْمٍ مِنَ الْأَحْکَامِ- فَیَحْکُمُ فِیهَا بِرَأْیِهِ- ثُمَّ تَرِدُ تِلْکَ الْقَضِیَّهُ بِعَیْنِهَا عَلَی غَیْرِهِ- فَیَحْکُمُ فِیهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ- ثُمَّ یَجْتَمِعُ الْقُضَاهُ بِذَلِکَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِی اسْتَقْضَاهُمْ- فَیُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِیعاً وَ إِلَهُهُمْ وَاحِدٌ- وَ نَبِیُّهُمْ وَاحِدٌ وَ کِتَابُهُمْ وَاحِدٌ- أَ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَی بِالاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ- أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِیناً نَاقِصاً- فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَی إِتْمَامِهِ- أَمْ کَانُوا شُرَکَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ یَقُولُوا وَ عَلَیْهِ أَنْ یَرْضَی- أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِیناً تَامّاً- فَقَصَّرَ ؟الرَّسُولُ ص؟ عَنْ تَبْلِیغِهِ وَ أَدَائِهِ- وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ یَقُولُ «ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ» - وَ فِیهِ تِبْیَانُ کُلِّ لِکُلِّ شَیْءٍ- وَ ذَکَرَ أَنَّ الْکِتَابَ یُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً- وَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِیهِ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ «وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً» - وَ إِنَّ؟الْقُرْآنَ؟ ظَاهِرُهُ أَنِیقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِیقٌ- لَا تَفْنَی عَجَائِبُهُ وَ لَا تَنْقَضِی غَرَائِبُهُ- وَ لَا تُکْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ

ص:۳۲۰

اللغه

أقول: الأنيق الحسن المعجب ،

المعنى

و فی هذا الکلام تصریح بأنّه علیه السّلام کان یری أنّ الحقّ فی جهه و أن لیس کلّ مجتهد مصیبا،و هذه المسأله ممّا انتشر الخلاف فیها بین علماء أصول الفقه فمنهم من یری أنّ کلّ مجتهد مصیب إذا راعی شرائط الاجتهاد و أنّ الحقّ بالنسبه إلی کلّ واحد من المجتهدین ما أدّی إلیه اجتهاده و غلب فی ظنّه فجاز أن یکون فی جهتین أو جهات و علیه الإمام الغزّالیّ-رحمه اللّه-و جماعه من الاصولیّین،و منهم من ینکر ذلک و یری أنّ الحقّ فی جهه و المصیب له واحد و علیه اتّفاق الشیعه و جماعه من غیرهم،و ربّما فصّل بعضهم.و المسأله فقه.و اعلم أنّ قوله ترد علی أحدهم القضیّه إلی قوله فیصوّب آرائهم جمیعا بیان لصوره حالهم الّتی ینکرها،و قوله و إلههم واحد و کتابهم واحد و نبیّهم واحد شروع فی دلیل بطلان ما یرونه،و هذه هی المقدّمه الصغری من قیاس الضمیر، و تقدیر کبراه فی حکم شرعیّ،و قوله أ فأمرهم اللّه سبحانه بالاختلاف فأطاعوه إلی آخره حجّه فی تقدیر المقدّمه الکبری إذ الصغری مسلّمه، و تقریرها أنّ ذلک الاختلاف إمّا أن یکون بأمر من اللّه أطاعوه فیه،أو بنهی منه عصی فیه،أو بسکوت منه عن الأمرین،و علی التقدیر الثالث فجواز اختلافهم فی دینه و الحاجه إلی ذلک إمّا أن یکون مع نقصانه أو مع تمامه و تقصیر الرسول فی أدائه،و علی الوجه الأوّل فذلک الاختلاف إنّما یجوز علی أحد وجهین:أحدهما أن یکون إتماما لذلک النقصان أو علی وجه أعمّ من ذلک و هو کونهم شرکاؤه فی الدین فعلیه أن یرضی بما یقولون و لهم أن یقولوا إذ شأن الشریک ذلک فهذه وجوه خمسه،و حصر الأقسام الثلاثه الأخیر ثابت بحسب استقراء وجوه الحاجه إلی الاختلاف و الأقسام کلّها باطله و أشار إلی بطلانها ببقیّه الکلام:أمّا بطلان الأوّل فلأنّ مستند الدین هو کتاب اللّه تعالی و معلوم أنّه یصدّق بعضه بعضا و أنّه لا اختلاف فیه و لا یتشعّب عنه من الأقوال و الأحکام إلاّ ما یکون کذلک و لا شیء من أقوالهم المختلفه کذلک فینتج أنّه لا شیء ممّا استند إلی کتاب اللّه تعالی بقول لهم فلا یکون أقوالهم من الدین،و أمّا بطلان القسم الثانی فلأنّ عدم جواز المعصیه للّه بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف و هو غنیّ عن الدلیل،و أمّا بطلان الثالث و هو نقصان دین اللّه فلقوله

تعالى «ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ» ۱و قوله «وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ» ۲و أمّا الرابع و الخامس فظاهر البطلان فلا یمکنهم دعواهما فلذلک لم یورد فی بطلانهما حجّه ثمّ أردف بتنبیههم على أنّ الکتاب واف بجمیع المطالب إذا تدبّروا معناه و لاحظوا أسراره و تطّلعوا على غوامضه فیحرم علیهم أن یتسرّعوا إلى قول ما لم یستند إلیه و ذلک فی قوله ظاهره أنیق حسن معجب بأنواع البیان و أصنافه و باطنه عمیق لا ینتهی إلى جواهر أسراره إلاّ اولو الألباب،و من ایّد من اللّه بالحکمه و فصل الخطاب و لا تفنی الامور المعجبه منه و لا تنقضی النکت الغریبه فیه على توارد صوارم الأذهان و خواطف الأبصار و لا تکشف ظلمات الشبه الناشئه من ظلمه الجهل إلاّ بسواطع أنواره و لوامع أسراره السجع المتوازی و قد راعى فی هذه القرائن الأربع السجع المتوازی و باللّه التوفیق.

۱۸-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قاله للأشعث بن قیس و هو على منبر الکوفه یخطب،فمضى فی بعض کلامه شیء اعتراضه الأشعث فقال:یا أمیر المؤمنین هذه علیک لا لک فخفض علیه السّلام إلیه بصره ثم قال:

مَا یُدْرِیکَ مَا عَلَیَّ مِمَّا لِی- عَلَیْکَ لَعْنَهُ اللَّهِ وَ لَعْنَهُ اللاَّعِنِینَ- حَائِکٌ ابْنُ حَائِکٍ مُنَافِقٌ ابْنُ کَافِرٍ- وَ اللَّهِ لَقَدْ أَسَرَکَ الْکُفْرُ مَرَّهً وَ الْإِسْلاَمُ أُخْرَى- فَمَا فَدَاکَ مِنْ وَاحِدَهٍ مِنْهُمَا مَالُکَ وَ لاَ حَسَبُکَ- وَ إِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّیْفَ- وَ سَاقَ إِلَیْهِمُ الْحَتْفَ- لَحَرِیٌّ أَنْ یَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ وَ لاَ یَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ قال السید الشریف:أراد بقوله: دل على قومه السیف :ما جرى

له مع خالد بن الوليد باليمامه،فانه غرّ قومه و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار و هو اسم للغادر عندهم .

المعنى

أقول:الكلام الّذى اعترضه الأشعث أنّه عليه السّلام كان فى خطبه يذكر أمر الحكمين فقام إليه رجل من أصحابه و قال له:نهيتنا عن الحكومه ثمّ أمرتنا بها فما ندرى أىّ الأمرين أرشد فصفق عليه السّلام بإحدى يديه على الاخرى،و قال:هذا جزاء من ترك العقده أى جزائى حيث وافقتكم على ما ألزمتمونى به من التحكيم،و تركت الحزم.فوجد الأشعث بذلك شبهه فى تركه عليه السّلام وجه المصلحه و اتّباع الآراء الباطله،و أراد إفهامه فقال:هذه عليك لا لك،و جهل أو تجاهل أنّ وجه المصلحه قد يترك محافظه على أمر أعظم منه و مصلحه أهمّ فإنّه عليه السّلام لم يترك العقده إلاّ خوفا من أصحابه أن يقتلوه كما سنذكره فى قصّتهم،و قيل:

كان مراده عليه السّلام هذا جزاؤكم حيث تركتم الحزم فظنّ الأشعث هذا جزائى فقال الكلمه، و الحتف بالتاء الهلاك،و روى و المقت البغض ،قوله و ما يدريك ما على ممّا لى إشاره إلى أنّه جاهل و ليس للجاهل أن يعترض عليه و هو استاد العلماء بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و أمّا استحقاقه اللعن فليس بمجرّد اعتراضه و لا لكونه ابن كافر بل لكونه مع ذلك من المنافقين بشهادته عليه السّلام و المنافق مستحقّ للّعن و الإبعاد عن رحمه اللّه بشهاده قوله تعالى «أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَهَ اللّهِ وَ الْمَلائِكَهِ وَ النّاسِ أَجْمَعِينَ خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ» ١.

استعاره بالكنايه قوله حائك بن حائك .استعاره أشار بها إلى نقصان عقله و قلّه استعداده لوضع الأشياء فى مواضعها،و تأكيد لعدم أهليّته للاعتراض عليه إذ الحياكه مظنّه نقصان العقل،و ذلك لأنّ ذهن الحائك عامّه وقته متوجّه إلى جهه صنعته مصبوب الفكر إلى أوضاع الخيوط المتفرّقه،و ترتيبها و نظامها يحتاج إلى حركه رجليه و يديه،و بالجمله فالشاهد له يعلم من حاله أنّه مشغول الفكر عمّا وراء ما هو فيه،فهو أبله فيما عداه،و قيل لأنّ معامله الحائك و مخالطته لضعفاء العقول من النساء و الصبيان،و من كانت معاملته لهؤلاء فلا شكّ فى

فى ضعف رأيه و قلّه عقله للأمور.روى عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام أنّه قال:عقل أربعين معلّما عقل حائك و عقل حائك عقل امراه و المرأه لا عقل لها،و عن موسى بن جعفر عليه السّلام أنّه قال:لا تستشيروا المعلّمين و لا الحوكه فإنّ اللّه تعالى قد سلبهم عقولهم،و ذلك محمول على المبالغه فى نقصان عقولهم،و قيل:إنّما عيّره بهذه الصنعه لأنّها صنعه دنيّه تستلزم صغر الهمّه و خسّتها و تشتمل على رذائل الأخلاق فإنّها مظنّه الكذب و الخيانه.روى أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله دفع إلى حائك من بنى النجّار غزلا لينسج له صوفا فكان يماطله و يأتيه صلى اللّه عليه و آله متقاضيا و يقف على بابه فيقول ردّوا علينا ثوبنا لنتجمّل به فى الناس و لم يزل يماطله حتّى توفّى صلى اللّه عليه و آله،و قد علمت أنّ الكذب رأس النفاق و من كانت لوازم هذه الصنعه أخلاقه فليس له أن يعترض فى مثل ذلك المقام،و قد اختلف فى أنّ الأشعث هل كان حائكا أو ليس فروى قوم أنّه كان هو و أبوه ينسجان برود اليمن،و قال آخرون:إنّ الأشعث لم يكن حائكا فإنّه كان من أبناء ملوك كنده و أكابرها و إنّما عيّره بذلك لأنّه كان إذا مشى يحرّك منكبيه و يفحج بين رجليه،و هذه المشيه،تعرف بالحياكه يقال:حاك يحيك و حيكانا و حياكه فهو حائك إذا مشى تلك المشيه،و امراه حائكه إذا تبخترت فى مشيها و الأقرب أنّ ذلك له على سبيل الاستعاره كنّى بها نقصان عقله كما سبق أوّلا فأمّا قوله و اللّه لقد أسرك الكفر مرّه و الإسلام اخرى فما فداك من واحده منهما مالك و لا حسبك فتأكيد لنقصان عقله و إشاره إلى أنّه لو كان له عقل لما حصل فيما حصل فيه من الأسر مرّتين،ما فداه أى ما نجاه من الوقوع فى واحده منهما ماله و لا حسبه و لم يرد الفداء بعد الأسر فإنّ الأشعث فدى فى الجاهليّه و ذلك أنّ مرادا لمّا قتل أباه خرج ثائرا طالبا بدمه فاسر ففدى نفسه بثلاثه آلاف بعير،و وفد على النبىّ صلى اللّه عليه و آله فى سبعين رجلا من كنده فأسلم على يديه و ذلك الأسر هو مراده عليه السّلام بأسر الكفر له،و أمّا أسره فى الإسلام فإنّه لمّا قبض رسول اللّه ارتدّ بحضر موت و منع أهلها تسليم الصدقه و أبى أن يبايع لأبى بكر فبعث إليه زياد بن لبيد بعد رجوعه عنهم و قد كان عاملا قبل ذلك على حضرموت ثمّ أردفه بعكرمه بن أبى جهل فى جمع عظيم من المسلمين فقاتلهم الأشعث بقبائل كنده قتالا شديدا فى وقائع كثيره،و كانت الدائره عليه فالتجأ قومه إلى حصنهم فحصرهم زياد حصرا شديدا

ص:۳۲۴

و بلغ بهم جهد العطش فبعث الأشعث إلى زياد و يطلب منه الأمان لأهله و لبعض قومه و كان من غفلته أنّه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلمّا نزل أسره و بعث به مقيّدا إلى أبى بكر بالمدينه فسأل أبا بكر أن يستبقيه لحربه و يزوجه أمّ فروه ففعل ذلک أبو بكر،و ممّا يدلّ على عدم مراعاته لقواعد الدين أنّه بعد خروجه من مجلس عقده بأمّ فروه أصلت سيفه فى أزّقه المدينه،و عقر كلّ بعير رآه و ذبح كلّ شاه استقبلها للناس و التجأ إلى دار من دور الأنصار فصاح به الناس من كلّ جانب و قالوا:قد ارتدّ الأشعث مرّه ثانيه فأشرف عليهم من السطح و قال:يا أهل المدينه إنّى غريب ببلدكم و قد أو لمت بما نحرت و ذبحت فليأكل كلّ إنسان منكم ما وجد و ليغد إلىّ من كان له علىّ حقّ حتّى ارضيه و فعل ذلک فلم يبق دار من دور المدينه إلاّ و قد أوقد فيها بسبب تلك الجهله فضرب أهل المدينه به المثل،و قالوا:أو لم من الأشعث،و فيه قال الشاعر:

لقد أولم الكندىّ يوم ملاكه وليمه حمّال لثقل العظائم

قوله و إنّ امرأ دلّ على قومه السيف و قاد إليهم الحتف لحرىّ أن يمقته الأقرب و لا يأمنه الأبعد .إشاره إلى غدره بقومه،و ذلک أنّه لمّا طلب الأمان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظنّ الباقون أنّه أخذ الأمان لجميعهم فسكتوا و نزلوا من الحصن على ذلک الظنّ فلمّا خرج الأشعث و من طلب الأمان له من قومه دخل زياد إلى الحصن فقتل المقاتله صبرا فذكروه الأمان فقال لهم:إنّ الأشعث لم يطلب الأمان إلاّ لعشره من قومه فقتل من قتلهم منهم ثمّ وافاه كتاب أبى بكر بالكفّ عنهم و حملهم إليه فحملهم،و ذلک معنى قوله عليه السّلام دلّ على قومه السيف و قاد إليهم الحتف إذ قادهم إلى الحرب و أسلمهم للقتل،و لا شکّ أنّ من كان كذلک فحقيق أن يمقته قومه و لا يأمنه غيرهم فأمّا ما حكاه السيّد-رحمه اللّه-من أنّه أراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامه و أنّه غرّ قومه و مكّر بهم حتّى أوقع بهم خالد فلم أقف على شىء من ذلک فى وقائع خالد باليمامه،و حسن الظنّ بالسيّد يقتضى تصحيح نقله و لعلّ ذلک فى وقعه لم أقف على أصلها.

و أعلم أنّه عليه السّلام ذمّه فى هذا الفصل بجميع الرذائل النفسانيّه و نسبه إلى الجهل و الغباوه الّذى هو طرف التفريط من الحكمه بالحياكه الّتى هى مظنّه لقلّه العقل،و أشار إلى

الفجور الّذى هو طرف الإفراط من فضيله العفّه بكونه منافقا،و كونه ابن كافر تأكيد لنسبه النفاق إليه،و أشار إلى الفشل و قلّه التثبت الّتى هى طرف التفريط و الإفراط من فضيله الشجاعه بكونه قد اسر مرّتين،و كما أنّ فيه إشاره إلى ذلك ففيه أيضا إشاره إلى نقصان عقله كما قلناه،و أشار إلى الظلم و الغدر الّذى هو رذيله مقابله لفضيله الوفاء بقوله و إنّ امرأ دلّ على قومه السيف و ساق إليهم الحتف ،و باستجماعه لهذه الرذائل كان مستحقّا للّعن استعاره و أمّا استعارتهم له عرف النار فلأنّ العرف عباره عن كلّ عال مرتفع،و الأعراف فى القرآن الكريم سور بين الجنّه و النار،و لمّا كان من شأن كلّ مرتفع عال أن يستر ما ورائه و كان الغادر يستر بمكره و حيلته امورا كثيره و كان هو قد غرّ قومه بالباطل و غدر بهم صدق عليه بوجه الاستعاره لفظ عرف النار لستره عليهم لما ورائه من نار الحرب أو نار الآخره إذ حملهم على الباطل و اللّه أعلم.

۱۹-و من خطبه له عليه السّلام

اللغه

أقول: الوهل بالتحريك الفزع يقال و هل يوهل وهلا:فزع ،

المعنى

و اعلم أنّ الإنسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فإنّه محجوب بظلمه الهيئات البدنيّه و المعارضات الوهميّه و الخياليّه عن مشاهده أنوار عالم الغيب و الملكوت و ذلك الحجاب أمر قابل للزياده و النقصان و القوّه و الضعف،و الناس فيها على مراتب فأعظمهم حجبا و أكثفهم حجابا الكفّار كما

أشار إليه القرآن الكريم مثلا- فى حجبهم «أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ» ۱الآيه فمثل الكافر كرجل وقع فى بحر لجّىّ صفته كذلك فأشار بالبحر اللجّىّ إلى الدنيا بما فيها من الأخطار المهلكه،و الموج الأوّل موج الشهوات الداعيه إلى الصفات البهيميّه،و بالحرىّ أن يكون هذا الموج مظلما إذ حبّك الشىء يعمى و يصمّ،و الموج الثانى موج الصفات السبعيّه الباعثه على الغضب و العداوه و الحقد و الحسد و المباهات فبالحرىّ أن يكون مظلما لأنّ الغضب غول العقل و بالحرىّ أن يكون هو الموج الأعلى لأنّ الغضب فى الأكثر مستول على الشهوات حتّى إذا هاج أذهل عنها،و السحاب هو الاعتقادات الباطله و الخيالات الفاسده الّتى صارت حجابا لبصيره الكافر عن إدراك نور الحقّ إذ خاصيّه الحجاب أن يحجب نور الشمس عن الأبصار الظاهره و إذا كانت هذه كلّها مظلمه فبالحرىّ أن يكون ظلمات بعضها فوق بعض،و أمّا أخفّهم حجبا و أرّقهم حجابا فهم الّذين بذلوا جهدهم فى لزوم أوامر اللّه و نواهيه و بالغوا فى تصفيه بواطنهم و صقال ألواح نفوسهم و إلقاء حجب الغفله و أستار الهيئات البدنيّه فأشرقت عليهم شموس المعارف الإلهيّه و سالت إلى أوديه قلوبهم مياه الجود الربانىّ المعطى لكلّ قابل ما يقبله، فهؤلاء و إن كانوا قد بلغوا الغايه من الجهد فى رفع الحجب و غسل دون الباطل عن نفوسهم إلاّ أنّهم ما داموا فى هذه الأبدان فهم فى أغطيه من هيئاتها و حجب من أستارها و إن ضعفت تلك الحجب و رقّت تلك الأغشيه،و ما بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوته و مراتب متصاعده متنازله و بحسب تفاوتها يكون تفاوت النفوس فى الاستضاءه بأنوار العلوم و قبول الانتقاش بالمعارف الإلهيّه و الوقوف على أسرار الدين،و بحسب تفاوت هذه الحجب تكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وارِدُها» ۲و لن يخلص الإنسان من شوائب هذه الحجب و ظلمتها إلاّ بالخلاص عن هذا البدن،و طرحه،و حينئذ «تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً» ۳فتكون

مشاهده بعين اليقين ما أعدّ لها من خير و ماهيّىء لها من شرّ بحسب استعدادها بما كسبت من قبل،فأمّا قبل المفارقه فإنّ حجاب البدن مانع لها عن مشاهده تلك الامور كما هى و إن حصلت على اعتقاد جازم برهانىّ أو نوع من المكاشفه الممكنه كما فى حقّ كثير من أولياء اللّه إلاّ أنّ ذلك الوقوف و الاطّلاع يكون كالمشاهده لا أنّها مشاهده حقيقيّه خالصه إذ لا تنفّك عن شائبه الوهم و الخيال،و لذلك قال صلى اللّه عليه و آله حاكيا عن ربّه:أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر بل ما اطّلعتهم عليه أى وراء ما اطّلعتهم عليه،و هو إشاره إلى طور المشاهده الخالصه عن الشوائب الّتى هى عين اليقين بعد الموت، و قد يسمّى ما أدركه أهل المكاشفات بمكاشفاتهم فى حياتهم الدنيا عين اليقين،فأمّا إدراك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان منها مؤكّدا بالشعور بعدم إمكان النقيض فهو علم اليقين،و قد يختصّ علم اليقين فى عرف الصوفيّه بما تميل النفس إلى التصديق به و يغلب عليها و يستولى حتّى يصير هو المتحكّم المتصرّف فيها بالتحريص و المنع فيقال فلان ضعيف اليقين بالموت إذا لم يهتمّ بالاستعداد له فكأنّه غير موقن به مع أنّه لا يتطرّق إليه فيه شكّ،و قوىّ اليقين به إذا غلب ذلك على قلبه حتّى استغرق همّته بالتهيّؤ له. إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ قوله عليه السّلام فإنّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم .شرطيّه متّصله نبّه فيها على أنّ ورائهم من أهوال الآخره و عذابها ممّا شاهده من سبق منهم إلى الآخره ما لا يشاهدونه الآن بعين و إن علموه يقينا،و بيّن فيها لزوم جزعهم و فزعهم و سمعهم و طاعتهم لداعى اللّه على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور،و هذه الملازمه ممّا شهد البرهان بصحّتها و أشار التنزيل الإلهىّ إلى حقيقتها،و ذلك قوله تعالى «رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنّا مُوقِنُونَ» ١و ذلك مقتضى شهادتهم لأهوال الآخره،و جزعهم من تلك المشاهده فيجيبهم لسان العزّه«أو لم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر و جائكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير» ٢قوله و لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا .استثناء لملزوم نقيض تالى هذه المتّصله إذ

حجب تلك الأحوال عن بصائرهم مستلزم لعدم فزعهم و جزعهم و هو فی صوره اعتذار منهم نطق به لسان حالهم .قوله و قریب ما یطرح الحجاب .ما مصدریّه فی موضع رفع بالابتداء و قریب خبره،و هو إشاره إلی نحو تزییف لذلک العذر فی صوره التهدید لهم إن جعلوا ذلک الخیال عمده فی التقصیر عن العمل فإنّه عمّا قلیل یرفع حجب الأبدان عن أحوالهم القیامه و أهوال یوم الطامّه،و تکشط سماء أغطیتها من بصائر النفوس فتشاهد الجحیم قد سعّرت و الجنّه قد ازلفت«و إذا السماء کشطت و إذا الجحیم سعّرت و إذا الجنّه ازلفت علمت نفس ما أحضرت» ۱و کما قال تعالی «فَکَشَفْنا عَنْکَ غِطاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ» ۲قوله و لقد بصّرتم إن أبصرتم و اسمعتم إن سمعتم و هدیتم إن اهتدیتم .إشاره إلی ما یشبه جوابا ثانیا عن صوره العذر السابق لحالهم و هو وجود الحجاب المانع عن مشاهده ما یوجب الجزع و الفزع،و ذلک أنّ الحجاب و إن کان قائما الآن و سائرا لتلک الامور عنکم فقد نصّرتم بها و أوضحت لکم بالعبر و الأمثال علی ألسنه الرسل علیهم السّلام،و اسمعتم إیّاها فی الکتب الإلهیّه و السنن النبویّه،و هدیتم علیها بالدلائل الواضحه و الحجج القاطعه بحیث صارت کالمشاهده لکم و المعلومه عیانا لا شکّ فیها،فلا عذر إذن بالحجاب، و تخصیص السمع و البصر بالذکر لأنهما الآلتان اللتان علیهما مدار الاعتبار بامور الآخره، و أشار بالهدایه إلی حظّ العقل من غیر نظر إلی آله،و نبّه بإیراد إن الشرطیّه فی المواضع الثلاثه علی أنّه یجد الشکّ فی إبصارهم لما بصّروا به و سماعهم لما اسمعوا و اهتدائهم بما هدوا به،و کلّ ذلک تنفیر لهم علی القرار علی الغفله و تنبیه علی الفرار إلی اللّه فی طرق الاعتبار.

قوله بحقّ أقول لکم لقد جاهرتکم العبر و زجرتم بما فیه مزدجر .لمّا قدّم أنّهم بصّروا و اسمعوا أردف ذلک ببیان ما بصّروا به و اسمعوا إلی ما بصّروا به بمجاهره العبر بالمصائب الواقعه بهم و بمن خلا قبلهم من القرون،و إلی ما اسمعوا به بالزجر بما فیه مزدجر، و هی النواهی المؤکّده المردفه بالوعیدات الهائله و العقوبات الحاضره الّتی فی أقلّها ازدجار لذوی الألباب کما قال تعالی «وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِیهِ مُزْدَجَرٌ حِکْمَهٌ بالِغَهٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ» ۳و قوله و ما یبلغ عن اللّه بعد رسل السماء إلاّ البشر .إشاره إلی أنّه لیس فی الإمکان

وراء ما جذبتم به إلى اللّه تعالى على ألسنه رسله طريقه اخرى تدعون بها،إذ ما يمكن دعوتكم إلاّ بالوعد و الوعيد و الأمثال و التذكير بالعبر اللاحقه لقوم حقّت عليهم كلمه العذاب،و نحو ذلك لا يمكن إيضاحه لكم مشاهده إلاّ على ألسنه الرسل البشريّه عليهم السّلام فلا يمكن أن يبلغ إليكم رسالات ربّكم بعد رسل السماء الّتى هى الملائكه إلاّ هم فينبغى أن يكون ذلك أمرا كافيا لكم فى الالتفات إلى اللّه.

۲۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فَإِنَّ الْغَايَهَ أَمَامَكُمْ وَ إِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَهَ تَحْدُوكُمْ- تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ قال الشريف:أقول:إن هذا الكلام لو وزن،بعد كلام اللّه سبحانه و بعد كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله،بكل كلام لمال به راجحا،و برّز عليه سابقا.فأما قوله عليه السّلام «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعا و لا أكثر محصولا و ما أبعد غورها من كلمه،و أنقع نطفتها من حكمه،و قد نبهنا فى كتاب الخصائص على عظم قدرها و شرف جوهرها

المعنى

أقول:لا شكّ أنّ هذه الكلمات اليسيره قد جمعت وجازه الألفاظ و جزاله المعنى المشتمل على الموعظه الحسنه و الحكمه البالغه و هى أربع كلمات:الاولى أنّ الغايه أمامكم .و اعلم أنّه لمّا كانت الغايه من وجود الخلق أن يكونوا عباد اللّه كما قال تعالى «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ» ۱و كان المقصود من العباده إنّما هو الوصول إلى جناب عزّته و الطيران فى حظائر القدس بأجنحه الكمال مع الملائكه المقرّبين،و كان ذلك هو غايه الإنسان المطلوبه منه و المقصوده له و المأمور بالتوجّه إليها بوجهه الحقيقى فإن سعى لها سعيها أدركها و فاز بحلول جنّات النعيم و إن قصّر فى طلبها و انحرف سواء الصراط الموصل إليها و قد علمت أنّ أبواب جهنّم عن جنبتى الصراط مفتّحه كان فيها من الهاوين،و كانت غايته فدخلها مع الداخلين.

ص:۳۳۰

فإذن ظهر أن غايه كلّ إنسان أمامه إليها يسير و بها يصير .الثانيه استعاره قوله و إنّ ورائكم الساعه تحدوكم ،و المراد بالساعه القيامه الصغرى و هى ضروره الموت،فأمّا كونها ورائهم فلأنّ الإنسان لمّا كان بطبعه ينفر من الموت و يفرّ منه و كانت العاده فى الهارب من الشىء أن يكون ورائه مهروب منه و كان الموت متأخّرا عن وجود الإنسان و لاحقا تاخّرا و لحوقا عقليّا أشبه المهروب منه المتأخّر اللاحق تأخّرا و لحوقا حسيّا،فلا جرم استعير لفظ الجهه المحسوسه و هى الوراء.و أمّا كونها تحدوهم فلأنّ الحادى لمّا كان من شأنه سوق الإبل بالحداء و كان تذكّر الموت و سماع نواد به مقلقا مزعجا للنفوس إلى الاستعداد لامور الآخره و الاهبّه للقاء اللّه سبحانه فهو يحملها على قطع عقبات طريق الآخره كما يحمل الحادى الإبل على قطع الطريق البعيده الوعره لا جرم أشبه الحادى فأسند الحداء إليه .الثالثه قوله تخفّفوا تلحقوا .و لمّا نبّههم بكون الغايه أمامهم و أنّ الساعه تحدوهم فى سفر واجب و كان السابق إلى الغايه من ذلك السفر هو الفائز برضوان اللّه،و قد علمت أنّ التخفيف و قطع العلائق فى الأسفار سبب للسبق و الفوز بلحوق السابقين لا جرم أمرهم بالتخفيف لغايه اللحوق فى كلمتين:فالاولى منهما استعاره بالكنايه قوله تخفّفوا و كنّى بهذا الأمر عن الزهد الحقيقىّ الّذى هو أقوى أسباب السلوك إلى اللّه سبحانه و هو عباره عن حذف كلّ شاغل عن التوجّه إلى القبله الحقيقيّه و الإعراض عن متاع الدنيا و طيّباتها و تنحيه كلّ ما سوى الحقّ الأوّل عن مستن الإيثار فإنّ ذلك تخفيف لأثقال الأوزار المانعه عن الصعود فى درجات الأبرار الموجبه لحلول دار البوار و هى كنايه باللفظ المستعار،و هذا الأمر فى معنى الشرط ،و الثانيه قوله تلحقوا و هو جزاء الشرط أى أن تخفّفوا تلحقوا،و المراد تلحقوا بدرجات السابقين الّذين هم أولياء اللّه و الواصلون إلى ساحل عزّته،و ملازمه هذه الشرطيّه قد علمت بيانها فإنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا قصور من جهته و الزهد الحقيقىّ أقوى أسباب السلوك إلى اللّه كما سبق فإذا استعدّت النفس بالإعراض عمّا سوى الحقّ سبحانه و توجّهت إلى استشراق أنوار كبريائه فلا بدّ أن يفاض عليها ما تقبله من الصوره التماميّه فيلحق بدرجه السابقين و يتّصل بساحل العزّه فى مقام أمين .الرابعه استعاره فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم أى إنّما ينتظر بالبعث الأكبر و القيامه الكبرى للّذين ماتوا أوّلا وصول الباقين و موتهم،و تحقيق ذلك الانتظار أنّه لمّا كان نظر العنايه الإلهيّه إلى الخلق نظرا واحدا و المطلوب

منهم واحد و هو الوصول إلى جناب عزّه اللّه الّذى هو غايتهم أشبه طلب العنايه الإلهيّه وصول الخلق إلى غايتهم انتظار الإنسان لقوم يريد حضور جميعهم و ترقّبه بأوائلهم وصول أواخرهم فاطلق عليه لفظ الانتظار على سبيل الاستعاره ،و لمّا صوّر هاهنا صوره انتظارهم لوصولهم جعل ذلك علّه لحثّهم على التخفيف و قطع العلائق،و لا شكّ أنّ المعقول لاولى الألباب من ذلك الانتظار حاثّ لهم أيضا على التوجّه بوجوه أنفسهم إلى اللّه و الإعراض عمّا سواه.

فهذا ما حضرنى من أسرار هذه الكلمات .و كفى بكلام السيّد-رحمه اللّه-مدحا لها و تنبيها على عظم قدرها، استعاره و قد استعار لفظ النطفه و هو الماء الصافى للحكمه .و باللّه التوفيق و العصمه

۲۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ وَ اسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ- لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَ يَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ- وَ اللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً- وَ لاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصِفاً وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَماً هُمْ سَفَكُوهُ- فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ- وَ لَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَهُ إِلاَّ عِنْدَهُمْ- وَ إِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ- يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ وَ يُحْيُونَ بِدْعَهً قَدْ أُمِيتَتْ- يَا خَيْبَهَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا وَ إِلاَمَ أُجِيبَ- وَ إِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ عِلْمِهِ فِيهِمْ- فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ- وَ كَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ وَ نَاصِراً لِلْحَقِّ- وَ مِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ وَ أَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلاَدِ- هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ- لَقَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَ لاَ أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ- وَ إِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَ غَيْرِ شُبْهَهٍ مِنْ دِينِي

أقول:أكثر هذا الفصل من الخطبه الّتى ذكرنا أنّه عليه السّلام خطبها حين بلغه أنّ طلحه و الزبير خلعا بيعته،و فيه زياده و نقصان،و قد أورد السيّد بعضه فيما قبل و إن كان قد نبّه فى خطبته على سبب التكرار و الاختلاف بالزياده و النقصان،و نحن نورد الخطبه بتمامها ليتّضح المقصود و هى بعد حمد اللّه و الثناء عليه و الصلاه على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أيّها الناس إنّ اللّه افترض الجهاد فعظّمه و جعله نصرته و ناصره و اللّه ما صلحت دنيا و لا دين إلاّ به،و قد جمع الشيطان حزبه و استجلب خيله و من أطاعه ليعود له دينه و سنّته و خدعه و قد رأيت امورا قد تمحّضت،و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا،و إنّهم ليطلبون حقّا تركوه و دما سفكوه فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه،و إن كانوا ولّوه دونى فما الطلبه إلاّ قبلهم،و إنّ أوّل عدلهم لعلى أنفسهم،و لا أعتذر ممّا فعلته و لا أتبرء ممّا صنعت،و إنّ معى لبصيرتى ما لبست و لا لبّس علىّ و إنّها للفئه الباغيه،فيها الحمّ و الحمه طالت جلبتها و انكفت جونتها ليعودنّ الباطل فى نصابه يا خيبه الداعى من دعا لو قيل ما أنكر فى ذلك،و ما أمامه و فيمن سنّته،و اللّه إذن لزاح الباطل عن نصابه و أنقطع لسانه،و ما أظنّ الطريق له فيه واضح حيث نهج،و اللّه ما تاب من قتلوه قبل موته و لا تنصّل من خطيئته و ما اعتذر إليهم فعذّروه و لا دعا فنصروه،و أيّم اللّه لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه لا يصدرون عنه برىّ و لا يعبّون حسوه أبدا،و إنّها لطيّبه نفسى بحجّه اللّه عليهم و علمه فيهم،و إنّى داعيهم فمعذّر إليهم فإن تابوا و قبلوا و أجابوا و أنابوا فالتوبه مبذوله و الحقّ مقبول و ليس علىّ كفيل،و إن أبوا أعطيتهم حدّ السيف و كفى به شافيا من باطل و ناصر المؤمن و مع كلّ صحيفه شاهدها و كاتبها و اللّه إنّ الزبير و طلحه و عائشه ليعلمون أنّى على الحقّ و هم مبطلون.

اللغه

ذمر مخفّفا و مشدّدا أى حثّ ،و الجلب الجماعه من الناس و غيرهم تجمع و تؤلّف ،و تمحضّت تحرّكت ،و النصف بكسر النون و سكون الصاد النصفه و هى الاسم من الإنصاف ،و التبعه ما يلحق الإنسان من درك ،و الحمّ بفتح الحاء و تشديد الميم بقيّه الإليه الّتى اذيبت و اخذ دهنها ،و الحمه السواد و هما استعارتان لأرذال الناس و عوامهم،و الجبله الأصوات ،و جونتها بالضمّ سوادها ،و انكفت و استكفت أى استدارت ،و زاح و انزاح تنحى ،و النصاب الأصل ،و تنصلّ من الذنب تبرّأ منه ،و العب

الشرب من غير مصّ ،و الحسوه بضم الحاء قدر ما يحسى مرّه ،و الجلاد المضاربه بالسيف ، و الهبول الثكلى،و الهبل الثكل .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام نبّه أوّلا على فضل الجهاد لأنّ غرضه استنفارهم لقتال أهل البصره فأشار أوّلا إلى وجوبه من اللّه تعالى و الكتاب العزيز مشحون بذلك كقوله تعالى «وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ» ١و نحوه،ثمّ أردفه بذكر تفضيل اللّه تعالى له و ذلك كقوله تعالى «لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنى وَ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً» ٢ثمّ يذكر أنّ اللّه جعله نصره له و ناصرا و ذلك كقوله تعالى «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ» و المراد نصره دين اللّه و عباده الصالحين إذ هو الغنىّ المطلق الّذى لا حاجه به إلى معين و ظهير،ثمّ بالقسم الصادق أنّه ما صلحت دنيا و لا دين إلاّ به أمّا صلاح الدنيا به فلأنّه لولا الجهاد فى سبيل اللّه و مقاومه أهل الغلبه لخربت الأرض و البلاد كما قال اللّه تعالى «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ» ٣و أمّا صلاح الدين فظاهر أنّه إنّما يكون بمجاهده أعداء دين اللّه الساعين فى هدم قواعده،فأمّا قوله و قد ذمر الشيطان حزبه و استجلب جلبه و من أطاعه .فقد سبق بيانه،و قوله ليعود له دينه و سنّته و خدعه فظاهر أنّ غايه سعى الشيطان من وسوسته تمكّنه من الخداع و عود المذاهب الباطله الّتى كانت قبل الرسول صلى اللّه عليه و آله دينه و طريقته، و كلّ ذلك تنفير للسامعين عمّا له من خالقه و جذب لهم إلى الحرب.

قوله و قد رأيت امورا قد تمحضت .إشاره إلى تعيين ما يستنفرهم إليه،و تلك الامور يحسّ به من مخالفه القوم و اهبّتهم لقتاله.قوله و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا و إنّهم إلى قوله سفكوه .إشاره إلى إنكار ما إدّعوه منكرا و نسبوه إليه من قتل عثمان و السكوت عن النكير على قاتليه فأنكر أوّلا إنكارهم عليه تخلّفه عن عثمان الّذى زعموا أنّه منكر، و لمّا لم يكن منكرا كما ستعلم ذلك كان الإنكار عليه هو المنكر،و أشار بقوله و لا جعلوا

بینی و بینهم نصفا إلی أنّهم لو وضعوا العدل بینهم و بینه لظهر أنّ دعواهم باطله،و قوله و إنّهم لیطلبون حقّا هم ترکوه و دما هم سفکوه .إشاره إلی طلبهم لدم عثمان مع کونهم شرکاء فیه.روی أبو جعفر الطبریّ فی تاریخه أنّ علیا علیه السّلام کان فی ماله بخیر لمّا أراد الناس حصر عثمان فقدم المدینه و الناس مجتمعون علی طلحه فی داره فبعث عثمان إلیه یشکو أمر طلحه فقال علیه السّلام:أنا أکفیکه فانطلق إلی دار طلحه و هی مملوّه بالناس فقال له:یا طلحه ما هذا الأمر الّذی صنعت بعثمان فقال طلحه:یا أبا الحسن بعد ما مسّ الحزام طبیین فانصرف علیّ علیه السّلام إلی بیت المال فأمر بفتحه فلم یجدوا المفتاح فکسّر الباب و فرّق ما فیه علی الناس فانصرفوا من عند طلحه حتّی بقی وحده فسرّ عثمان بذلک،و جاء طلحه إلی عثمان فقال له:یا أمیر المؤمنین إنّی أردت أمرا فحال اللّه بینی و بینه و قد جئتک تائبا فقال:و اللّه ما جئت تائبا و لکن جئت مغلوبا اللّه حسیبک یا طلحه،و روی أبو جعفر أیضا أنّه کان لعثمان علی طلحه بن عبد اللّه خمسون ألفا فقال له یوما قد تهیّیء مالک فاقبضه فقال هو لک معونه علی مرّوتک فلمّا حصر عثمان قال علیّ علیه السّلام بطلحه أنشدک اللّه إلاّ کففت عن عثمان فقال لا و اللّه حتّی تعطی بنی امیّه الحقّ من أنفسها فکان علیّ علیه السّلام یقول بعد ذلک ألحا اللّه ابن الصعبه أعطاه عثمان ما أعطاه و فعل به ما فعل،و روی أنّ الزبیر لمّا برز لعلیّ علیه السّلام یوم الجمل قال له:ما حملک یا عبد اللّه علی ما صنعت؟قال:أطلب بدم عثمان فقال له:أنت و طلحه و لّیتماه و إنّما توبتک من ذلک أن تقدّم نفسک و تسلّمها إلی ورثته،و بالجمله فدخولهم فی قتل عثمان ظاهر و هذه مقدّمه من الحجّه علیهم.

و قوله فلئن کنت شریکهم فیه فإنّ لهم لنصیبهم منه و لئن کانوا ولّوه دونی فما التبعه إلاّ عندهم .تمام للحجّه و تقریرها أنّهم دخلوا فی دم عثمان و کلّ من دخل فیه فإمّا بالشرکه أو بالاستقلال و علی التقدیرین فلیس لهم أن یطلبوا بدمه،و أشار إلی القسم الأوّل بقوله فإن کنت شریکهم فیه فإنّ لهم لنصیبهم منه أی علی تقدیر کونهم شرکائی فی ذلک فعلیهم أن یبدئوا بتسلیمهم أنفسهم إلی أولیائه،و أشار إلی الثانی بقوله و إن کانوا ولّوه دونی فما الطلبه إلاّ قبلهم ،و قوله و إنّ أوّل عدلهم لعلی أنفسهم زیاده تقریر للحجّه أی أنّ العدل الّذی یزعمون أنّهم یقیمونه فی الدم المطلوب ینبغی أن یصنعوه أوّلا علی أنفسهم،و قوله و لا أعتذر ممّا فعلت

و لا أبرء ممّا صنعت أى أنّ الاعتزال الّذى فعلته فى وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير فى الدين يوجب الاعتذار و التبرّء منه فاعتذروا تبرّء كما سنبيّن وجه ذلك «إِنْ شاءَ اللّٰهُ» قوله و إنّ معى لبصيرتى ما لبست و لا لبّس علىّ .تقدّم بيانه، استعاره و قوله و إنّها للفئه الباغيه فيها الحمّ و الحمه .استعار هاتين اللفظتين لاسقاط الناس و أرذا لهم الّذين جمعوا لقتاله،و وجه الاستعاره مشابهتهم فحم الإليه و ما اسوّد منها فى قلّه المنفعه و الخير ، كنايه و قوله طالت جلبتها أى ارتفعت أصواتها،و هى كنايه عمّا ظهر من القوم من تهديدهم و توعيدهم بالقتال،و قوله و انكفت جونتها أى استدار سوادها و اجتمع و هو كنايه أيضا عن مجمع جماعتهم لما يقصدون ، استعاره بالكنايه و قوله يرتضعون أمّا قد فطمت استعار لفظ الامّ لنفسه عليه السّلام أو للخلافه فبيت المال لبنها،و المسلمون أولادها المرتضعون،و كنّى بارتضاعهم لها و قد فطمت عن التماسهم منه عليه السّلام من الصلات و التفصيلات مثل ما كان عثمان يصلهم به و يفضل بعضهم على بعض و منعه لهم من ذلك ،و قوله و يحيون بدعه قد اميتت إشاره إلى ذلك التفضيل فإنّه كان بخلاف سنّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سنّه الشيخين و البدعه مقابله للسنّه،و إماتتها تركه عليه السّلام فى ولايته و قوله ليعودنّ الباطل فى نصابه توعّد لهم بعود ما كانوا عليه من الباطل فى الجاهليّه و استنفار للسامعين إلى القتال، استفهام تعجبى-استفهام تحقيرى و قوله يا خيبه الداعى من دعا خرج مخرج التعجّب من عظم خيبه الدعاه إلى قتاله و من دعا ، و إلى ما اجيب استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوّين لقتاله و الناصرين إذ كانوا عوامّ الناس و رعاعهم و للمدعوّ إليه و هو الباطل الّذى دعوا لنصرته ،و قوله لو قيل ما أنكر فى ذلك و ما إمامه و فيمن سنّته و اللّه إذن لزاح الباطل عن نصابه و انقطع لسانه متّصله معناها لو سأل سائل مجادلا لهؤلاء الدعاه إلى الباطل عمّا أنكروه من أمرى و عن إمامهم الّذى به يقتدون و فيمن سنّتهم الّتى إليها يرجعون لشهد لسان حالهم فأنّى أنا إمامهم و فىّ سنّتهم فانزاح باطلهم الّذى أتوابه استعاره-مجاز و انقطع لسانه ،و استعمال لفظ اللسان هاهنا حقيقه على تقدير حذف المضاف أى انقطع لسان صاحبه عن الجواب به و تكون الاستعاره فى لفظ الانقطاع للسكوت،أو مجاز فى العباره عن الباطل و التكلّم به أى انقطع الجواب الباطل ،و قوله و ما أظنّ الطريق له فيه واضح حيث نهج الجمله عطف على قوله و انقطع لسانه ،و واضح مبتدأ و فيه خبره و الجمله فى موضع النصب مفعول ثان لأظنّ أى و ما أظنّ

لو سأل السائل عن ذلك أنّ الطريق الّذى يرتكبه المجيب له فيه مجال بيّن و مسلك واضح حيث سلك بل كيف توجّه فى الجواب انقطع،و قوله و اللّه ما طاب من قتلوه إلى قوله فنصروه .إشاره إلى عثمان و ذمّ لهم من جهه طلبهم بدم من اعتذر إليهم قبل موته فلم يغدروه،و دعاهم إلى نصرته فى حصاره فلم ينصروه مع تمكّنهم من ذلك،و قوله و ايم اللّه لأفرطنّ لهم حاضا أنا ماتحه ثمّ لا يصدرون عنه برىء .قد تقدّم تفسيره، كنايه و قوله و لا يعبّون حسوه أبدا كنايه عن عدم تمكينه لهم من هذا الأمر أو شىء منه كما تقول لخصمك فى شىء و اللّه لا تذوق منه و لا تشرب منه جرعه ،و قوله أنّها لطيّبه نفسى بحجّه اللّه عليهم و علمه فيهم. نفسى منصوب بدلا من الضمير المتّصل بأن أو بإضمار فعل تفسيرا له،و حجّه اللّه إشاره إلى أوامر اللّه الصادره بقتال الفئه الباغيه كقوله تعالى «فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ» ۱و كذلك كلّ أمر للّه أو نهى عصى فيه فهو حجّه للحقّ و كلّ حجّه للحقّ فهى حجّه للّه أى أنّى راض بقيام حجّه اللّه عليهم و علم بما يصنعون،و أىّ رضى للعاقل أتمّ و طيبه نفس أعظم من كونه لازما للحقّ و كون خصمه على الباطل خارجا من طاعه اللّه و هو القائم على كلّ نفس بما كسبت،و قوله و إنّى داعيهم فمعذّر إلى قوله و ناصر المؤمن واضح بيّن،و قوله و ليس علىّ كفيل أى لا أحتاج فيما أبذله لهم من الصفح و الأمان على تقدير إنابتهم إلى ضامن،و شافيا و ناصرا منصوبان على التمييز،و قوله و مع كلّ صحيفه شاهدها و كاتبها الواو للحال أى أنّهم إن لم يرجعوا اعطيتهم حدّ السيف،و الملائكه الكرام الكاتبون الّذين يعلمون ما نفعل يكتب كلّ منهم أعمال من وكلّ به فى صحيفه و يشهد بها فى محفل القيامه،و قوله و من العجب بعثتهم إلىّ أن أبرز للطعان و أن أصبر للجلاد تعجّب من تهدّدهم له بذلك مع علمهم بحاله فى الشجاعه و الحرب و الصبر على المكاره،و هو محلّ الاستهزاء و التعجّب منهم،و قوله هبلتهم الهبول أى ثكلتهم الثواكل،و هى من الكلمات الّتى تدعو بها العرب،و قوله لقد كنت و ما أهدّد بالحرب و لا أرهب بالضرب أى من حيث أنا كنت كذلك،و قوله و إنّى لعلى يقين من ربّى و فى غير شبهه من أمرى تأكيد لقوّته على الحرب و إقدامه على الجلاد و جذب لقلوب السامعين إلى الثقه بأنّهم

علی بیّنه من اللّه و بصیره فی متابعته علی القتال و الحرب فإنّ الموقن بأنّه علی الحقّ ناصر للّه ذابّ عن دینه عار عن غبار الشبه الباطله فی وجه یقینه یکون أشدّ صبرا و أقوی جلدا و أثبت فی المکاره ممّن لا یکون کذلک فیقدم علی القتال بشبهه عظّت علی عین بصیرته أو هوی لزخرف الدنیا و باطلها قاده إلی ذلک،و باللّه التوفیق هذا آخر الجلد الأوّل و یتلوه أوّل الجلد الثانی من هذا الکتاب

الفهرست

العنوان الصفحه

ترجمه أحوال الشارح المحقّق ۱

مقدّمه الشارح المحقّق ۲

إشاره إلى بعض مباحث الألفاظ ۵

فيما تلحق الألفاظ من الكيفيّات و ما تعرضها بالنسبه إلى معانيها ۱۸

فيما تعرض الألفاظ من المحاسن العائده إلى آحاد الحروف ۲۱

فيما تعرض الألفاظ من المحاسن العائده إلى مفردات الكلام ۲۳

فى أقسام المحاسن الكلاميّه ۲۵

الفرق بين الإخبار بالجمل الاسميه و الإخبار بالجمل الفعليه ۲۹

معنى الحقيقه و المجاز و أقسام المجاز ۳۰

معنى التشبيه و أقسامه ۳۴

حقيقه الاستعاره و أقسامها ۴۲

حقيقه النظم و أقسامه ۴۷

تعريف الخطابه و فائدتها ۶۰

موضوع الخطابه و أجزائه ۶۱

مبادئ الخطابه ۶۲

اقتسام الخطابه باعتبار اقتسام الأغراض ۶۵

فى ذكر بعض محسّنات الخطابه ۷۱

مبلغ بلوغه عليه السّلام فى الخطابه ۷۳

فی أنّه علیه السّلام مستجمع للفضائل ۷۵

ذکر الروایات الوارده عن المسلمین فی فضائله علیه السّلام ۷۷

بیان فضائله النفسانیّه ۷۹

صدور الکرامات عنه علیه السّلام ۸۱

فیما صدر عنه علیه السّلام من الإخبار بالأمور الغیبه و الملاحم ۸۳

ص:۳۳۹

العنوان الصفحه

فيما وقع عنه عليه السّلام من الأفعال الخارقه للعاده ۸۸

خطبه السيّد الرضىّ عليه الرحمه ۸۹

شرح مفردات الخطبه ۹۱

معنى الحمد و الشكر و بيان الفرق بينهما ۹۶

بيان أشرفيّه النبىّ صلى اللّه عليه و آله و فضائله ۹۸

بيان المراد من أهل بيت النبىّ ۱۰۱

ما يرتقى به الأنبياء و الأولياء ۱۰۴

۱-الخبطه يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض ۱۰۶

شرح مفردات الخطبه ۱۰۸

وجه تقدم الصفات السلبيّه على الثبوتيّه فى كلامه عليه السّلام ۱۰۹

فى أنّ القدره على الشكر نعمه ۱۱۳

فى بيان نسبه نظام الأرض إلى قدرته سبحانه ۱۱۷

فى بيان معنى الدين لغه و اصطلاحا ۱۱۹

فى حقيقه التوحيد و مراتبه ۱۲۷

بيان كونه تعالى بصيرا ۱۲۹

بيان نسبه إيجاد العالم إليه تعالى ۱۳۵

كيفيّه تعلّق علمه بالأشياء قبل وجودها ۱۳۷

أقوال الحكماء فى خلق السماوات و الأرض ۱۳۹

فيما تكوّنت السماء منه ۱۴۱

كيفيّه خلق العرش و الكرسىّ ۱۴۵

كيفيّه خلق الأفلاك و السماوات ۱۵۱

كيفيّه خلق الملائكه ۱۵۵

بيان جوهر الملك و حقيقته ۱۵۷

ص:۳۴۰

العنوان الصفحه

فی أصناف الملائکه ۱۵۹

کیفیّه خلق آدم ۱۷۱

فی حقیقه إبلیس أهو من الملائکه أم لا؟۱۷۵

فی حقیقه التوبه ۱۷۷

فیما یترکّب منه الإنسان ۱۸۱

تحقیق فی الحواسّ الظاهره و الباطنه ۱۸۳

حقیقه الجنّ و ماهیته ۱۸۵

علّه استکبار الشیطان عن السجود ۱۹۱

وجه عداوه إبلیس مع آدم ۱۹۳

فی معنی الوسوسه ۱۹۵

ذکر مبعث الأنبیاء و ذکر ما اختار اللّه لنبیّه ۱۹۹

فی أنّه لم یخل اللّه امّه من نبیّ مرسل ۲۰۳

بیان مذاهب الناس قبل بعثت نبیّنا ۲۰۵

ذکر آراء العرب قبل الإسلام ۲۰۷

فی وظائف تالی القرآن ۲۰۹

تجرید النفس عمّا منع عن نیل الحقیقه ۲۱۳

ذکر أنواع أحکام الکتاب ۲۲۱

بیان فریضه الحجّ و وجوه فضیلته ۲۲۳

بیان آداب الحجّ ۲۲۵

بيان أنّ سفر الحجّ غير سائر الأسفار ۲۲۹

بيان توجه القلب إلى المعبود حين الطواف ۲۳۱

ذكر بعض ما يشتمل عليه المناسک من الحكمه ۲۳۳

۲-الخطبه ألقاها بعد انصرافه من صفيّن ۲۳۵

ص:۳۴۱

العنوان الصفحه

ترغیب الناس إلی التمسک بکلمه التوحید ۲۳۹

ذکر ما هم فیه من الفتن للغفله عن ذکر اللّه و ترغیبهم بتمسک بکلمه التوحید ۲۴۱

لوصیف نفسه علیه السّلام بأنّه عیبه علم اللّه و موضع سرّه و حکمته ۲۴۵

تفضیل نفسه بمدح آل محمّد علیهم السّلام تلویحا ۲۴۷

۳-الخطبه و هی المعروفه بالشقشقیّه ۲۴۹

ذکر بعض ما کان فیه علیه السّلام من المکاره و الشدائد.۲۵۵

ذکر ما رآه من ابتلاء الناس بالتخبط و الشماس.۲۶۱

فی ما حمله علی قبول الأمر و القیام به ۲۶۷

فی أنّ قیامه بالأمر لحفظ العدل لا حرصا علی الدنیا ۲۶۹

۴-الخطبه خطبها بعد قتل طلحه و الزبیر ۲۷۰

إشاره إلی صغاء مرآه نفسه ۲۷۳

إرشاد المخالف إلی طریق الحقّ ۲۷۵

۵-و من کلام له علیه السّلام ألقاها بعد وفاه رسول اللّه ۲۷۶

إرشاد الناس إلی کیفیّه دفع الفتن ۲۷۷

بیان ما یوجب توقفه علیه السّلام عن طلب الخلافه ۲۷۹

۶-و من کلام له علیه السّلام فی جواب ابنه ۲۸۰

مبلغ تسلّط الشیطان علی الإنسان ۲۸۱

۷-الخطبه ألقاها فی ذمّ المنابذین و المخالفین له ۲۸۲

۸-و من کلام له علیه السّلام یعنی به الزبیر فی حال افتضت ذلک ۲۸۳

۹-و من كلام له عليه السّلام فى ذمّ اتباع المخالفين ۲۸۴

۱۰-الخطبه ألقاها حين بلغه أنّ طلحه و الزبير خلعا بيعته ۲۸۵

۱۱-و من كلام له عليه السّلام لابنه محمّد بن حنفيّه.۲۸۶

إشاره منه إلى أنواع اداب الحرب ۲۸۷

ص:۳۴۲

العنوان الصفحه

۱۲-و من كلام له عليه السّلام لمّا ظفر بأصحاب الجمل ۲۸۸

۱۳-و من كلام له عليه السّلام فى ذمّ أهل البصره ۲۸۹

۱۴-و من كلام له عليه السّلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان ۲۹۵

۱۵-الخطبه الّتى خطبها لمّا بويع بالمدينه ۲۹۶

بيان أنّ التقوى حاجز عن التقحم فى الشبهات ۲۹۹

إشاره إلى ما نبّهه رسول اللّه فى مآل أمر الخلافه ۳۰۱

فيما هو وسيله إلى الفوز بالجنّه و النجاه من النار ۳۰۳

إشاره إلى أنّ أدنى مراتب الجهل يوجب اكتساب الرذائل ۳۰۷

بيان أنّ الحسنه من اللّه و السيّئه من قبل العبد ۳۰۹

۱۶-و من كلام له عليه السّلام فى ذمّ من يتصدّى للحكم بين الأمّه و ليس لذلك بأهل ۳۱۰

۱۷-و من كلام له عليه السّلام فى ذمّ اختلاف العلماء فى الفتيا ۳۲۰

بيان أنّه عليه السّلام كان يرى أنّ الحقّ فى جهه و أن ليس كلّ مجتهد مصيبا ۳۲۱

۱۸-و من كلام له عليه السّلام لأشعث بن قيس ۳۲۲

۱۹-الخطبه ألقاها فى العذاب القبر و ازدجار بالعبر ۳۲۶

فى أنّ الاعتقادات الباطله كانت حجابا لبصر الكافر ۳۲۷

بيان العبر الّتى منها يزدجر الإنسان ۳۲۹

۲۰-الخطبه ألقاها لموعظه الناس و حشّهم على التقوى ۳۳۰

۲۱-الخطبه ألقاها حين بلغه خبر الناكثى بيعته ۳۳۲

إقامه الحجّه على الناكثين بدخولهم فى قتل عثمان ۳۳۵

فهرست المطالب ۳۳۹

ص:۳۴۳

خرج الکتاب و الحمد للّه-بشکل بدیع متناسب العصر

بحسن الترتیب و کمال التنظیم و الخلوّ من الأخطاء إلاّ ما

زاغ عنه البصر و ما لا یخفی علی أهل النظر کزیاده نقطه أو

ألف أو نقصانهما و نثق من القراء الکرام تقدیر مبذول

جهدنا و ما لاقیناه من الصعوبه فی سبیل التنقیح و ستصدّر الأجزاء

متتالیه إنشاء اللّه

ص:۳۴۴

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ١۴٢۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز القائمية اصبهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩